

د. عبد العزيز سرت

أستاذ الإعلام ورئيس القسم الأدبي
بجريدة الأهرام

الأسلوب الفنـيـة في الـتـحـرـيرـ الصـحـفـيـ



دار قلم المصايف دار البيـانـ والـسـعـيـجـ
شـهـرـيـ

0185603



Bibliotheca Alexandrina

الأساليب الفنية
في التحرير الصحفى

الأُسُّالِيْبُ الْفَنِيْـة

فِي

التَّحْرِيرِ الصَّفْـفِـي

د . عبد العزيز شرف

الناشر

دار قصبة للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)

عبد العزيز

الكتاب : الأساليب الفنية في التحرير الصحفى

المؤلف : د. عبد العزيز شرف

رقم الإيداع : ٩٩/١٤٤٠٨

الترقيم الدولى : I. S. B. N.

977-303-207-8

تاريخ النشر : ٢٠٠٠ م

حقوق الطبع والترجمة والاقتباس محفوظة

الناشر : طارق بناء للطباعة والنشر والتوزيع (عبد الله غريب)

شركة مساهمة مصرية

الإدارة : ٦٨ ش. الحجاز - عمارة برج آمن - الدور الأول - شقة ٦

٢٤٧٤٠٣٨ - فاكس / ٢٤٦٢٥٦٢ ☎

التوزيع : ١٠ شارع كامل صدقى الفجالة (القاهرة)

٥٩١٧٥٣٢ / ١٢٢ : ☎ (الفجالة)

المطبوع : مدينة العاشر من رمضان - المنطقة الصناعية (C1)

٠١٥/٣٦٢٧٢٧ ☎

رئيس مجلس الإدارة / أحمد غريب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

محتويات الكتاب

الصفحة

٩	المقدمة
الفصل الأول		
١٧	فن التحرير ووسائل الاتصال الصحفى
الفصل الثاني		
٥٢	الشكل والمضمون
الفصل الثالث		
٧٨	معايير التقويم الصحفى
الفصل الرابع		
١٤١	بناء الرسالة وتحرير الخبر الصحفى
الفصل الخامس		
٢٠٦	فن الحديث الصحفى
الفصل السادس		
٣٠٨	التحقيق الصحفى
الفصل السابع		
٣٢٨	المقال الصحفى

مُقْتَلَةٌ

نشر الأهرام . من ١٠٠ سنة - مابع :

من ١٠٠ سنة في الاهرام

وسيتعين هنا مليل محل المعرض ونفيه الدخول
و محل بيع الاوراق ولقد يران بالجيمع سيدتدمون
الى الغرير على اختراع جيل شهد لخترميه
انماضل العلماء من هررين وشررين وحملوه على
التوجه الى اوروبا حيث يعرض اختراعه على
رجال الصناعة والعلم

● اختراع جسيدي :
 حلطنا بين يومين بمقابلة النبه الخواجا الياس
 الساعاتي المفترع الشرقي وهو قادر من بيروت
 ومتوجه الى باريز لعرض الثريا الملكية التي
 اتم اختراعها من مهد ربيب واتينا مطلقا على
 لمح من اخبارها وقد رأى أن يتطرق على ثورنا
 والعاشرة ويرعرض اختراعه هذا المشاهدة

وقد تطورت الصياغة الصحفية بعد ذلك تطوراً كبيراً، كما أصبحت الصحافة تخضع لمتطلبات كثيرة.

والسؤال الآن هو:

- ١ - ما الذي تتطلبه التغطية الصحفية وكذلك الصياغة في الصحف الحديثة؟
- ٢ - إذا كان المقصود مما نشر من ١٠٠ سنة أن يكون نبأ، فكيف نعالجه بأسلوب اليوم، مع إعادة صياغته.
- ٣ - وإذا كان المقصود أن يكون تحقيقاً صحفياً فما هو الإجراء الحديث الذي تتبعه الصحف كي تلتقط من الواقع المذكورة ما يصح أن يكون أساساً لتحقيق صحفي، وكيف نخطط له؟
- ٤ - كيف نكتب مقدمة لهذا التحقيق مع مراعاة أن التحقيق محدود في عمودين من أعمدة الصفحات اليومية.

.. هذه الأسئلة تمثل محور الحديث في قاعة المحاضرات بالجامعة وحولها مئات التساؤلات التي يطرحها طلاب الإعلام في منهج التحرير الصحفي؛ والإجابة عن هذه التساؤلات إنما تمثل محور هذا الكتاب عن الأساليب الفنية في التحرير الصحفي؛ تواصلاً مع ساقه في السبعينيات والثمانينيات: فن التحرير الإعلامي؛ وفن المقال

الصحفى؛ ثم التفسير الإعلامى لأدب المقالة؛ وفنون المقال بين الصحافة والأدب فى التسعينيات. فإلى هؤلاء الدارسين؛ الزملاء؛ يهدى المؤلف هذا الكتاب. الذى يقدم المؤلف فيه عرضاً للشكل والمضمون فى أساليب التحرير الصحفى؛ فى الصحف والمجلات؛ تأسيساً على أن هذا الفن إنما يقوم فى جوهره على جعل الأحداث والمعلومات والثقافة بل والفلسفة والعلم فى متناول جميع القراء، بطريقة واضحة سلسة درامية.

وكلمة التحرير كما تبين فى كتابنا: فن التحرير الإعلامى، تختلف عن المعنى اللغوى الذى يجنس بينها وبين الكتابة، فكتابة الخبر هي إفراجه فى قالب الكتابى، ونقله من باب الفكرة إلى باب التدوين على الورق وفقاً لأساليب الصياغة الإعلامية. أما تحرير الخبر مثلاً، فيعني مراجعته، مع احتمال إعادة كتابته ووضع العنوانات الملائمة له وإعداده للنشر أو الإذاعة فى المكان الملائم له من الصحفة أو نشرة الأخبار، ومع ذلك، فإن عملية التحرير الإعلامى تشمل الكتابة كعنصر من عناصرها، وتحتاج جزئية من جزئيات الكل التحريرى، لإبراز معطيات الشكل والمضمون فى الكيان التحريرى: كرويا واتصال. وهذه العملية التحريرية يتداخل فيها التفسير والتحليل والتقويم. وهذه العوامل الثلاثة هي السبيل الذى يسلكه المحرر الإعلامى فى طريقه إلى الاستكشاف وتكوين الرؤيا، التى تغدو بدورها من أهم أسباب نجاح العملية الاتصالية الأم، والتى يعتبر التحرير جزءاً لا يتجزأ منها. فالتحليل مثلاً يجعل الدارس للتحرير يستكشف موضوعه ليسبّر أغوار المضمون الذى ينشد توصيله *To communicate* وليشيد العناصر التى تحتوى هذا المضمون فى سوق اتصال إعلامى، ثم ينتقل الدارس إلى مرحلة الكتابة ليتمرّن على صياغة أفكاره، خطوة أساسية للانتقال إلى مرحلة التحرير الإعلامى.

والعلاقة بين التحرير والكتابة إنما هي علاقة الكل بالجزء كما تقدم، وهى تشبه من قريب، علاقة التفكير بالكلمات، حيث الإعلام لا يتم بدون تحرير الرسالة الإعلامية المقصود نقلها وتلقيها كما أن التفكير لا يتم من غير استخدام الرمون والتحرير كعملية تشمل التفكير والتعيّن إنما يعني بصياغة الأفكار من خلال الرمون، سواء كانت الرسالة الإعلامية مسموعة أو مطبوعة، فإنها تنقل الأفكار والمعلومات والحقائق من خلال الرموز ليتلقاها الآخرون بالأذن أو بالعين، أو بيهما معاً.

ويمكنا اليوم أن نتحدث عن التحرير الإعلامى فى وسائل الاتصال بالجماهير، ونرى فيه اصطلاحاً أكثر دقة من اصطلاح التحرير الصحفى التقليدى عندما نشير إلى التحرير فى وسائل الإعلام الأخرى غير الصحف والمجلات.

وكل نوع من أنواع التحرير، التعبيرى أو الإقناعى أو الإعلامى - يستخدم وسيلة ما، أى أنه يتلزم باستعمال قناة للإرسال. وفى الإعلام - كما يذهب إلى ذلك علماء الاتصال - تصبح المؤسسة بأكملها حاملة للرسالة التى يدور حولها فن التحرير الإعلامى. كالصحيفة، أو المجلة، أو محطة الإذاعة - وهى تستطيع حمل رسائلها إلى الآلاف أو الملايين من الناس فى وقت واحد تقريرها. وهى تتعرض أيضاً للمشكلات التى تجاهلها بوصفها مؤسسة اجتماعية، كالمراقبة، والقيود الحكومية، والدعم الاقتصادي وغيرها.

ويركز هذا الكتاب على الأساليب الفنية فى التحرير الصحفى بمعناه التقليدى؛ فيتناول تحرير الخبر؛ والحدث؛ والتحقيق؛ والمقال. ونذكر فى هذا السياق ما يذهب إليه أحد علماء التحرير الصحفى حين يشيره هذا الفن بالكلمات المقاطعة من حيث إثارة للمعرفة ودللات الكتابة والصياغة والتقويم والتنقية والإعداد للطبع، والتجميع والترتيب والتنظيم والملائمة، والإيجاز والتأليف، والتصور العام، والانتقاء والإعداد للنشر وطوابعه القراءة والاستماع.

وعلى الرغم من أن الآلية الذاتية (Automation) توفر للصحف إدارة الأجهزة بالوسائل الميكانيكية والإلكترونية التى تحل محل حواس الملاحظة عند الإنسان وتتوفر عليه العناء والجهد، وتبسيّر إصدار الصحفية على نحو أفضل من مصادر معدة من قبل، فإن تلك الوسيلة تتطلب انتقاء أفضل، ومحاكمات عقلية وتمييزاً قاطعاً من القائمين على التحرير. فالآلية الذاتية تزودنا فورياً باسترجاع خلفية المادة التى تفسرها. وهى بذلك تكون قد أسهمت أكبر إسهام فى تزويد مكاتب التحرير Desks بالمعانى المنشودة لتحقيق الوضوح والتكامل فى التقارير الإعلامية، أى أنها تجعل فن التحرير هنا راسخاً متماسكاً، متوقداً الذهن، سريعاً، وتمكن المحرر والمراجع من تحرير النصّ على شاشة مرئية. ومن هذه العملية يتضح أن العنصر البشرى فى التحرير جزء لا يتجزأ من العملية التحريرية The Editing Process، بل إنه يشكل صلبها ومنطقها.

وتفسّير ذلك سوبرناطيفياً، أنك عندما تبعث برسالة فأنت الذى ألفتها وحررتها قبل إيداعها الآلة. وأن الحس السليم يعتبر أنك أصل الإعلام، وأن الآلة قناة نقل وقد لا

يجرب هذا الحس السليم على أن بضيف، بدون ارتياط، إذا ما تركنا له وقتا كافيا للتفكير بأن "الأنا" هي المبدع المطلق للإعلام، فهو يعرف حق المعرفة أن الرسالة ليست إبداعا صرفا، حتى ولو لم يستعن المنشئ بـ "دليل" في الإنشاء التجارى ولا بكتاب متداول من كتب التصوير في السلوك الجيد في الحياة. ولكن الحس السليم يعرف أن موضوعات موجية قد أسهمت في إنشاء الرسالة وفق طراز خاص. فالـ "أنا" ليست الأصل المطلق، ولكنها في الوقت ذاته ليست مجرد عضو ناقل، ونحن ندرك بجلاء أن أمر إعداد أكثر الرسائل تواضعا ليس مجرد إفساح المجال أمام العقل ليعمل، بل إنه إفحام "عداء" ما في مجال ما، "عداء" نقدمه للآلة، ولا يمكننا أن نستمد من أي جزء من أجزاء مجال آخر.

وليس هناك من الناحية النظرية، ما يحول دون بلوغ مردود كامل مائة بالمائة، لأن استخدام الإعلام، من جهة أولى، بقراءة الرسالة، لا يشوهها، أو أنه لا يشوهها إلا تشويها متناهى الصغر، وأن من الممكن من جهة أخرى، أن نخلص بما يشبه حركة الخط المقارب، كل ضجيج القاع وكل الطفيليات المشوшаة الطارئة على الإعلام أو أن ينزلها جميعا عندما تتعرض عناصر الرسالة لخطر الانحدار إلى ما دون عتبة أمن معينة. وهذا المردود الجيد، بل هذا المردود الكامل من الناحية النظرية، هو الذي يتبع نشر إعلام معطى إلى ما لا يحده حد. إن في وسعنا أن ننطع، بصورة غير محدودة تقريبا، نسخ جريدة أو صورة شمسية. وفي وسعنا أيضا توسيع بنية إعلامية. ولكن عادة نسخ بنية أو توسيعها لا يعني زيادة الإعلام ذاته. ولئن خلصت آلات الإعلام من الرضوخ لمبدأ "كارنو" ولسفق المردود الذي يحده، فإنها لا تخلص من مبدأ حفظ الإعلام. فليس في قدرتها أن تخلق بالجانب إعلاما، كما أن الآلات البسيطة، تعجز عن خلق عمل بالجانب.

وعلى ذلك فإن المناهج الجديدة لم تغير في الشكل والمضمون تغييرا جوهريا، كما يشير إلى ذلك أحد كتاب "النيويورك تايمز" حين يقول: إن هذه المناهج قد تستبدل الحبر الأحمر بحبر أسود على صفحات الجريدة المتوازنة، وهي حين تعاون الناشرين على الاستعمال الأفضل لخصائص "السلعة" فإنها في المقابل لا يمكن أن تلغى العقول البشرية، أو بتعبير أدق لا يمكن أن تجب الجهد البشري للمحررين الأكفاء⁽¹⁾.

(1) Nathaniel M. Gerstenzang, "The Newspaper's Biggest Personnel Problem" "Columbia Journalism Review 4:40 (Winter 1960).

إن القدرات التحريرية لهؤلاء لا يمكن أن تستبدل بالحواسيب الإلكترونية ومن هذه القدرات مثلاً: القدرة على تحرير النص أولاً، ثم القدرة على تأليف العناوين بعد ذلك. ولا تقل الثانية عن الأولى في درجة الأهمية، إن لم تزد عليها، ذلك أن فن التحرير الإعلامي يتطلب بالضرورة الاعتماد على عنصر "التفويم" غير الملموس، وعلى رصيد من الثقافة كبير، واستخدام الذاكرة الإنسانية **memory** يتميز بالمبادرة وتحويل النص المراد تحريره إلى نص ممتع، يثير الخيال وحب الاستطلاع، وفن التحرير يقتضي من المحررين القدرة على التصرف والاختيار والتمييز والتعبير الساخر والنزوع إلى التأكيد من الحقائق، وما يرتبط بهذه القدرات من صفات تميز هذا الفن الإعلامي.

وتأسيساً على هذا الفهم. فإن سكرتير التحرير المركزي بوسائل الإعلام **Daskman** يعتبر رجل الاتصال الأول **Prime Communicator**. ذلك لأنه ينوب عن القارئ مؤقتاً. وهو من أجل ذلك يتلزم بما يفرضه الضميين من جهاد ونضال مع المادة التحريرية ليخلق منها قصة واضحة المعالم، ذات معنى ومعنى، ومبنية على أساس منهجي، وفي أسلوب مباشر أمين، واضح، دقيق. فتقديم الأخبار يرمي أساساً إلى تيسير الفهم بالنسبة للقارئ، حتى يدرك معناها وآثارها. ثم إن المحرر يحاول جهده ملاظفة الجمهور عن طريق العنوان المنشود، وهذا نجد تقارير واضحاً بين المحرر **editor** والكاتب الإبداعي **Creative writer** من حيث أن كليهما إنما يريد أن يتحدث إلى الجمهور بصورة صحيحة، ويطارحه الأفكار والعواطف، في ألفة وإيناس.

وبعد؛ فلا نزعم لأنفسنا أننا قد أحطنا في هذا الكتاب بماهية التحرير الصحفى؛ أو بأساليبه الفنية؛ بل نأمل أن نكون قد استطعنا تقديم صورة مجملة عن الأساليب الأساسية في التحرير الصحفى، تواصلاً مع دراسات أسانذتنا وزملائنا في هذا الفن، والذين أفدنا من عملهم؛ ورؤاهم الكبير؛ على نحو ما يتضح في مراجع هذا الكتاب وهوامشه. ونسأل الله تعالى التوفيق؛ فحلّ من لا يخطئ تحيزاً أو قصوراً في عالم البشر

المؤلف

عبد العزيز شرف

الفَضْلُ الْأَوَّلُ

فن التحرير

و

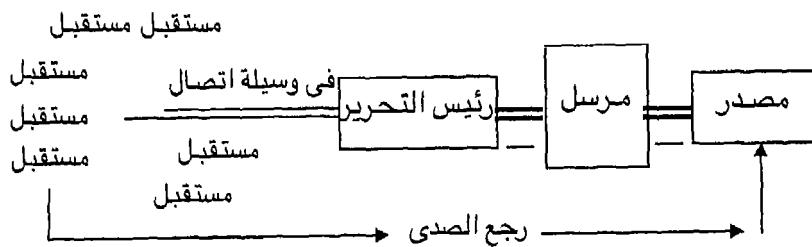
وسائل الاتصال الصحفى

يتضح لنا موقع "التحرير الصحفي" من عملية الاتصال، حين يتولى المحرر وضع "رسالته" في شكل معين؛ أو صيغة محددة من الرموز أو الكلمات؛ لتنشر في صحفة أو مجلة.

فالصحف لكي تنشر تحرص الحرص كله على تحقيق تواصل فعال مع القارئ. ويتوقف ذلك بطبيعة الحال على مدى التناغم بين المرسل، والمستقبل. فإذا كان المرسل ضعيفا في كتابته أو غير واثق من نفسه، أو ليست لديه معلومات كافية عن موضوعه. فإن ذلك يؤثر على الاتصال. وإذا كانت الرسالة غير محررة بالطريقة الفعالة، فإنها تقف في سبيل نجاح الاتصال^(١)، وعنصر الرسالة في عملية الإعلام هو العنصر المحوّر في دراستنا للتحرير الصحفي.

وهو عنصر غير منفصل - كما تبين مما تقدم - عن بقية العناصر الأخرى؛ ولكنه وثيق الصلة بالمرسل والمستقبل، ومعرفة الهدف، وفعالية وسيلة الاتصال الصحفي، وقدرة المستقبل على حل الرموز.

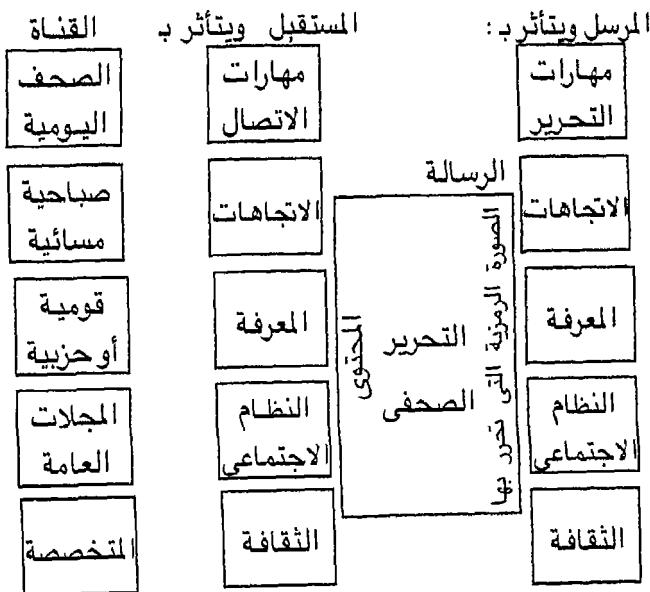
ويمكن تصوير انتقال الرسالة الصحفية من المصدر إلى الجماهير، من طريق المرسل، ووسيلة الاتصال التي يهيمن عليها المسؤول كرئيس التحرير مثلا، لكي يتلقاها بعض الجماهير مباشرة، أو يتلقاها بعض القادة وحاملي المعلومات، لنقلها إلى أصدقائهم أو أتباعهم على النحو التالي :



ويدل أسلوب التحرير الصحفي كما يفهم من المصطلح على المعاونة التي يقدمها المحرر لجمهوره مباشرة في القراءة في عملية نقل المعلومات والأراء والحقائق والوقائع.

(١) د. إبراهيم إمام : الإعلام والاتصال بالجماهير ص ١٣٥

على أن اللغة في نظرية التحرير، لا تنفصل عن القناة **Channel** أو الوسيلة الصحفية التي تنقل الرسالة، وهي عبارة عن وسيط، لابد من اختياره بدقة لنقل الرسالة بنجاح، وأن يقوم هذا الاختيار على أساس من تحقيق الارتباط الوثيق بين التحرير والجمهور، وضرورة التناغم والمشاركة بينهما. وهذا الجمهور هو الذي يستقبل رموز التحرير وي العمل على ترجمتها إلى آراء وأفكار، فعندما يقوم محرر ما في صحيفة من الصحف، بتحرير نص من النصوص؛ ينطلق من تصوره لجمهور يقرأ ما يكتبه هذا المحرر، وهذا الشخص الموجود عند الطرف الآخر من العملية التحريرية يمكن أن نستعين له من علم الاتصال. اصطلاح "المستقبل" الذي يمثل بدوره الهدف في عملية التحرير.



وتأسيساً على هذا الفهم، فإن التحرير الصحفى يمثل صلب العملية الإعلامية الاتصالية، .. والرسالة الإعلامية هي جوهر التحرير الصحفى الذي يمكن أن تميز فيه بين جانبي: العناصر التي تتكون منها الرسالة، ثم يأتي بعد ذلك البناء أو التركيب الخاص بوضع هذه العناصر معاً لينتتج لنا رسالة معينة مطلوب توصيلها إلى جمهور القراء.

التحرير من طريق الوسائل :

وإذا كنا قد حاولنا تعريف التحرير الصحفي عن طريق الاتصال بالجماهير، فإن المحاولة الأخرى قد تتم هذه المحاولة، ذلك أن وسائل الاتصال الصحفي تمثل الوجه الآخر للاتصال بالجماهير وعلى ذلك يغدو التحرير الصحفي ذا وجهين، الوجه الأول هو ما فرغنا من محاولة دراسته، والوجه الآخر هو محاولة التعرف على ماهيتها عن طريق الأجناس الإعلامية التي طرحناها في كتابينا (الدخل إلى وسائل الإعلام) (1) و(فن التحرير الإعلامي) إن "التحرير هو الوسيلة" بحيث لا تغدو "الرسالة" هي المضمون فحسب، وإنما تغدو "الرسالة" في التحرير الإعلامي هي "فن تطبيق الكلام المناسب للموضوع والحالة والجنس الإعلامي على حاجة القارئ أو السامع أو المشاهد." فالتحرير في كل وسيلة من وسائل الإعلام إنما ينطلي بطابع جنسها الإعلامي، الذي يوجهه إلى اختيار لغته وأسلوبه وبلامغاته. فطبيعة الجنس الإعلامي هي التي تحدد طريقة وضع الفكر في رموز تتفق وخصائص هذه الوسيلة الإعلامية أو تلك، والتي ترتبط بدورها وقدرات المتكلى وقدرات المصدر في آن واحد. ولذلك فإن التحرير في الجنس genre الصحفي يختلف عنه في الجنس الإذاعي المسموع مثلاً، وليس ثمة تعارض بين الأجناس الإعلامية فالجنس الإذاعي المسموع لم يقض على الجنس الصحفي. وقد أثبتت دراسات عديدة أن الاستماع إلى الراديو لا يتنافس بالضرورة مع قراءة المادة المطبوعة، ولكنه كان يتكامل معها.

فالتحرير عن طريق وسيلة الإعلام، يعني أن نظرية التحرير العامة تتربع إلى فروع تطبيقية، في كل جنس إعلامي على حدة.. وتشير الأبحاث الإعلامية إلى أن المقدرة الاقناعية تختلف باختلاف الأجناس الإعلامية، كما تشير إلى أن لكل جنس إمكاناته وخصائصه ومميزاته.. فيذكر الباحث الأمريكي "ستوفر" مثلاً، أن المطبوع يصل إلى جمهور يرتفع مستوى التعليم عن مستوى جمهور الجنس الإذاعي المسموع "بشكل عام". وإن كان الواقع يشير إلى أن الجماهير تقسم الوقت بين الأجناس الإعلامية، للحصول على الإعلام والترفيه والتنقيف والتوجيه وفقاً لإمكانات كل جنس إعلامي ورغبات كل مستقبل.. وعلى ذلك تبين أهمية التحرير التطبيقي في كل جنس

(1) هيئة الكتاب 1980 - 1999.

على حدة، فالجنس الإعلامي المرئي في التلفزيون والسينما يتميز عن الجنسين الصحفى أو الإذاعى المسموع، لأن التحرير في الأول يتوصل إلى العين والأذن معا، الأمر الذي يزيد من قدرته على التعليم والإقناع، أوبعبارة أخرى فإن التحرير في كل جنس إعلامي إنما يتوصل بخصائص الوسيلة ليقدم رسالة تتميز بالحيوية والواقعية، فالتحرير الصحفى مثلا، يسمح للقارئ بالسيطرة على ظروف العرض الإعلامي، وقراءة الرسالة أكثر من مرة، فضلا عن أن لديه فرصة لتطوير الموضوع في مساحة أكبر وفقا لأهميته.. وتشير التجارب إلى أن المواد المعقدة من الأفضل تقديمها مطبوعة عن تقديمها شفهية. ومن الأفضل استخدام التحرير الصحفى في مخاطبة الجماهير المتخصصة والجماهير صغيرة الحجم، لأنه يقتضى من القارئ جهدا أكبر من ذلك الذي يقتضيه في الأجناس الإعلامية الأخرى.

فالقارئ لا يحس بأنه شخصياً جزء من عملية التحرير الإعلامي، كما يشعر مستمع الراديو أو المشاهد للسينما، لأنه لا يشعر بأن الحديث موجه إليه شخصيا، ولكنه في نفس الوقت جزء من العملية أو مشترك فيها أكثر؛ لأنه مضطرب إلى المساهمة الخلاقة في نوع من أنواع الاتصال غير الشخصي. ويفترض بعض الباحثين أن مثل هذه المساهمة الخلاقة لها مزايا اقتصادية.

وتؤسسا على هذا الفهم يتسعى لنا أن نقول إن تعريف التحرير الصحفى عن طريق الوسيلة يعني أن التحرير في الأجناس الصحفية لا يستقل عن تكنولوجيا الصحافة ذاتها، ذلك أن الكيفية التي يتم التحرير بها في كل جنس على حدة، تؤثر وتنتأثر بمضمون تلك الوسائل، وهذه الوسائل التي هي امتداد لحواسنا . كما يقول "ماكلوهان" هي في رأينا أجناس إعلامية، لكل جنس منها فننة إعلامي في التحرير ويفتضى ذلك أن نعرف طبيعة كل جنس حتى نتمكن من السيطرة عليه واستخدامه الاستخدام الأمثل في تطبيقات البلاغة الجديدة.

وبلاعة الاتصال الصحفى تتوصل بالكلمة المطبوعة كوسيلة فعالة للوصول إلى عقول وقلوب وعواطف الجماهير، وهى وبالتالي تؤثر في الفكر والفعل والسلوك. للصفحة المطبوعة جانب واحد ضعيف - من حيث أنها صامدة تخلو من الصوت - فإن هذا الضعف يمثل مصدر قوة لها. فهى الوحيدة من بين وسائل الإعلام التي تمكن القارئ من

تحديد سرعة القراءة وإيقاعها، وتتيح لها التمهل وإعادة القراءة والتوقف ومعاودة القراءة والتذوق. هذا ما تتميز به الصفحة المطبوعة. (إذن كان الفيديو وشريط الكاسيت الآن يتنافسان للحصول على هذه المزايا). وستظل الصفحة المطبوعة وللثير من الناس (ربما في الألفية الجديدة أيضاً) هي المصدر الرئيسي للمعلومات (إذ لم تقض عليها بنوك المعلومات). وهناك ضعف آخر في الصفحة المطبوعة يعتبر مصدر قوة، إذ الكلمة المطبوعة تتطلب من القارئ جهداً أكبر من أي وسيلة إعلامية أخرى^(١).

أما مشكلة: جهد القراءة :

فتمثل في نفس الوقت نقطة قوة يستند إليها في التحرير الصحفي في توجيه الاتصال؛ ذلك أن الكلمة المطبوعة تتطلب من جمهورها أكثر مما تتطلبه أية وسيلة أخرى للاتصال، فهي أولاً، تحتاج إلى جهد للقراءة، قد يراه الكثيرون أمراً عسيراً لأسباب تتعلق بعقبات نفسية أو عدم تدريب. وهي تحتاج من ناحية أخرى إلى خيال مستمر ومتصل، والقراء الذين لا يمكنون من مواجهة هذه الحاجة نظراً لخبرتهم المحدودة، أو كفاءتهم غير الملائمة فإنهم ينسحبون حتماً من هذا الميدان. وتعتمد قوة الشعر على هذه القدرة الأخيرة، فالشاعر والقارئ يشتركان في مبارزة واحدة، تتمثل في رؤية: كيف أن عمق التجربة أو كثافتها، يمكن أن ينبعقاً عن كلمات قليلة، وكلما أسمهم القارئ بنصيب كان ذلك أفضل، ومن أجل هذا يرجح أن تظل الصفحة المطبوعة مصدراً رئيسياً لتغذية العقل المدقق^(٢).

ولقد كانت الصحافة في عهدها الأول تخدم مثل هذا العقل فقط، ولا تفيد غيره، ولذلك لم تجد مبرراً لجذب انتباه القراء أو لدفعهم للقراءة، ولكنها أصبحت الآن، وبعد أن وصلت إلى جماهير جديدة وعريضة، وسيلة اتصال جماهيرية هائلة. يضاف إلى ذلك أن لكل نوعية من نوعيات المعلومات والأخبار التي تشتمل عليها الصحف، وظيفة اجتماعية معينة^(٣).

(١) د. طه محمود طه : وسائل الاتصال الحديثة؛ في "عالم الفكر" الكويت ص ٨٠.

(2) Erik Barnouw Mass Communication: Television Radio, Film Press Holl Rinehart and Winston, N.Y. 1956.

(٣) د. سامية محمد جابر المرجع السابق.

ويذهب مؤرخو وسائل الإعلام إلى أن أول اختراع ألى يستطيع به الإنسان أن يشارك أفكاره مع أفكار الآخرين على نطاق واسع، يتمثل في آلة الطباعة التي كان اختراعها سببا في توسيع آفاق العالم بأجمعه مرة واحدة تقريبا، لم يعد على القارئ أن يحل رموز المخطوطات اليدوية الصعبة، وبدلأ من ذلك تستطيع عيناه وعقله أن تتسابق عبر الصفحة المطبوعة. ومع الطباعة جاء عصر إحياء العلوم القديمة ونهاية احتكار فئة قليلة من المعرفة للعلم، وتقنين اللغات، وازدهار الأدب الوطني، ومع الطباعة أيضا ولدت الصحفة.

"وليس معنى هذا أن الصحافة قد ولدت يانعة بمجرد أن أقام وليم كاكستون مطبعته في وستمنستر سنة ١٤٧٦. فمع أن الصحيفة كان لها بشائرها في شكل نشرات ورسائل، إلا أنه قد من نحو قرن ونصف قرن بين الأخبار، وقد كانت هناك أسباب قوية لهذا التأخير، فلم تتمكن وسائل الاتصال التقليدية من جمع الأخبار وتوزيعها، كما أن الأممية كانت فاشية بين الناس، ولم يكن في استطاعة كل شخص أن يشتري صحيفة، كما أن الطباعة نفسها كانت أحياناً مهنة خطيرة تحوطها القيود"^(١).

فقد عرفت الصحف في أوروبا بعد أن ظهرت الطباعة بفترة طويلة؛ إذ اقتصرن "جوتينبرغ" على طبع أوراق الدفاتر وكراسات الأعمال التجارية وما إلى ذلك من الأشياء التي تمت إلى الحياة العملية ولا ترتبط بالصحافة والصحف. غير أنه قد "لوحظ في تلك الفترة أن من بين الكراسات التي طبعتها المطبعة في صدر عمرها كراسات تحمل الأنبياء للناس، والأنبياء كما نعلم أهم عناصر الصحيفة. وقد سبقت إذاعة الأنباء فن الطباعة؛ فكانت تلقى في أول الأمر مشافهة ثم مضى أصحابها ينسخونها؛ فلما عرفت الطباعة صارت تذاع بعد طبعها في كراسات خاصة"^(٢).

وقد شهد القرن السابع عشر في فرنسا وإنجلترا وفي غيرهما من الدول الأوروبية - مولد الدوريات التي تظهر كل ستة أشهر؛ ثم كل شهر؛ ثم كل أسبوع؛ ثم كل يوم. ومضت هذه النهضة قدماً وعبرت البحار إلى أمريكا الشمالية؛ بينما مضى الشرق في

(١) ريفز وزملاؤه: وسائل الإعلام والمجتمع الحديث، ترجمة د. إبراهيم إمام، ص ٢٩.

(٢) د. إبراهيم عبد: تطور الصحافة المصرية ص ١٥.

عزلته، فلم يعرف الطباعة إلا بعد أن غرقت أوروبا في الكتب المطبوعة والصحف السيارة في المدن والمقاطعات المختلفة.

يقول د. إبراهيم عبده: "كان من الأمور الغريبة حقاً لا تشارك مصر دولات أوروبا في تقدير الطباعة وتكريم الصحافة، وألا تمر بها الأدوار الصحفية التي مرت بأوروبا، ذلك لأن مصر أبقيت على تراث فكري كاد يندثر بسقوط الدولة العربية وتفرق كلمتها. وقد حملت لواء النهضة، ولم يقف نشاطها في العلوم والفنون بالرغم من غشاوات الجهل التي أعمت بعض حكامها؛ وبالرغم من ثوبات الفتوح التي مست الحياة الفكرية المصرية آنها بعد آن منذ عهد الفاطميين إلى أيام المماليك البحريه والبرجية "الشراكسة". وقد ظهر فيها كثير من العلماء والأدباء والمؤرخين كالقلقشنى وابن هشام وابن حلكان وابن تغري بردى وغيرهم من إعلام العلم والتاريخ. وقد اتصلت مصر في عصورها الوسطى بمماليك البحر المتوسط وجنوب أوروبا وجمهورياته الهامة للتجارة معها. وكانت مصر واسطة العقد بين الشرق والغرب وكان يرجى لها التوفيق إلى كل جديد تعرفه أوروبا في ذلك الوقت.

وإلى أوروبا يرجع الفضل في صناعة الحروف الشرقية والعربية؛ عنوا في أول الأمر باللغة العربية وحروفها لأنها لغة الإنجيل والتوراة، وقاموا بنشرهما في إيطاليا؛ ثم مضوا ينشرون كتبًا دينية مختلفة؛ ثم اتجهوا إلى العلم فنشروا باللغة العربية بعض الكتب. وفي مستهل القرن السابع عشر احتملت المنافسة بين روما وباريس ولندن على طبع الكتب العربية والعربية. وأحسن الشرق هذه المنافسة فجلب إليه الطباعة من الغرب ليقوم هو أو يساهم على الأقل في نشر آثاره وتعاليمه.

وقد أوجت بذلك أيضًا الفكرة الدينية؛ لذلك بدأت المطبعة في الشرق أول ما بدأ تنشر كتبًا دينية باللغة العربية؛ ثم كتبًا أخرى باللغة العربية؛ وتخلاصت أخيراً من هذا الاتجاه، ومضت تذيع المؤلفات والترجمات العلمية والأدبية.

وحين جاءت الحملة الفرنسية إلى مصر سنة ١٧٩٨ م عرضت بين بضاعتها مطابعها العربية واليونانية والفرنسية؛ وقد ناسب نشاط هذه المطبعة قدر الحملة؛ فلم تعمل على نشر الكتب والتعاليم الدينية؛ ولكن خدمت الغرض الدعائي للحملة؛ من

خلال طباعة المنشورات العربية وأوامر القائد العام، ثم أضافت إلى ذلك شيئاً جديداً لم تعرفه مطابع الشرق الأدنى، وانفردت به مصر أول الأمر؛ ذلك هو إخراج الصحف، فعن طريق هذه المطابع عرفت مصر الصحفة أو الدورية من خلال صحيفتي "كوريري دوليجيت" La Décade Courrier De L'Egypte، ولاديكان إيجبسن Egyptienne على أنه لا يجوز للمؤرخ كما يقول د. إبراهيم عبده^(١) - أن يحدد تاريخ الصحافة المصرية بإنشاء هاتين الصحفتين؛ لأنهما صحيفتان أجنبيتان وإن ظهرتا في مصر، وحين ول محمد على شئون مصر في سنة ١٨٠٥ م، وعنى بتنظيم مصر إدارياً ورعاية مصالح الزراعة والصناعة؛ أنشأ لذلك ما يسمى "بديوان الجورنال" وجعل له مطبعة في القلعة لطبع هذه النشرة، ثم بدا له ألا يكتفى بطبع نسخ قليلة من هذا الجورنال" فطبع منه مائة نسخة يومياً، على أن توزع على موظفى الديوان ومائورى الأقاليم، وفطن محمد على بعد ذلك إلى أن من الحكم أن يصل الشعب المصرى نفسه بهذه الأخبار التى تصف له أعمال الحكومة، فبادر بإنشاء ما سمي (بالوقائع المصرية)، وصدر أول عدد منها فى ١٥ رجب ١٨٢٢ م. وزرعت نسخ هذا العدد على العلماء والملكيين والجهاديين وطلبة المدارس فى مصر، والطلبة المصريين فى أوروبا، بل وصلت من هذا العدد نسخ أخرى إلى السودان والشام وكريت وبلاد العرب.

هكذا بدأت الصحافة المصرية رسمية أول الأمن، وبقيت رسمية على هذا النحو طول عهد محمد على، فعباس، فسعيد، فإسماعيل الذي بلغت الصحافة الرسمية أوجها في حكمه. ولم يكن إلا أخيراً، وفي عهد إسماعيل، أن ظهرت الصحافة الشعبية، ونظر التاريخ إلى إسماعيل هذا على أنه المنشئ الثاني لهذه الصحافة في مصر الحديثة.

وقد أعادت الحكومة المصرية على ظهور بعض الصحف الشعبية التي كتبتها أقلام مصرية، قبل أن تظهر في مصر الأقلام السورية، وتبذل نشاطها في هذا النوع من الصحف.

فقد أوحى إسماعيل. بعد أن أسس شورى النواب سنة ١٨٦٦ . إلى رجل مصرى هو عبدالله أفندي أبو السعود ، فأنشأ صحيفة باسم "وادى النيل" كانت تصدر مرتين فى كل أسبوع. وكان الغرض منها الدفاع عن سمعة الخديو. وإلى جانب هذه الصحيفة

(١) د. إبراهيم عبده: المرجع السابق ص ٣٥.

كانت هناك صحفة أخرى ليست "كواكب النيل"، لسان حال الخديو ولكنها مستقلة. ونعني بها جريدة "نهر الأفكار" لصاحبها إبراهيم المولى وعثمان جلال. كانت جريدة سياسية أسبوعية. وهذه الصحف الشعبية المصرية على قلتها قد غيرت من القول الشائع بأن الصحف المصرية بدأت في كتف أهل لبنان، وبجهد أبناء الشام. فهاتان الصحفتان ومحرراهما من علمنا - غيرتا هذا الرأي - وأبطلتا هذا الزعم، وأوضحتا أن نشأة الصحف الشعبية في مصر كانت بآيد مصرية خالصة^(١).

ومن أهم الصحف وأقدمها "جريدة الأهرام" لصاحبها سليم تقاد، وقد حصل على تصريح بها في عام ١٨٧٥ م. وكان لهذه الصحفة. فوق عنيتها بنشر البرقيات الخارجية. مشاركة في بعض الجهود الأدبية، إذ كانت تنشر بعض مقامات الحريري حيناً. وبعض ما يتصل بال نحو والصرف واللغة حيناً، وبعض ما يتصل بالحكم والنواود والأشعار والقصص والتاريخ حيناً ثالثاً، ثم بعض ما يتصل بالطبع والرياضيات آخر الأمن.

وبقيت "الأهرام" تعمل يومئذ إلى جانب الصحف الشعبية المصرية، ومنها جريدة "وادي النيل" التي صدرت سنة ١٨٦٦، وجريدة "نهر الأفكار" الصادرة سنة ١٨٦٩، وجريدة "روضة الأخبار" الصادرة سنة ١٨٧٥، و"جريدة الوطن" التي صدرت سنة ١٨٧٦. وكانت كل صحفة من هذه الصحف الشعبية تعنى عنابة خاصة بالأخبار الاجتماعية. وتتفق كلها على نقد السياسة الإنجليزية، وإن كان هذا النقد في ذاته لم يتيسر لها إلا بعد جهد عسير .. وإلى جانب "الأهرام" كانت هناك جرائد أخرى لا يستهان بها. منها على سبيل المثال: جريدة مصر سنة ١٨٧٦، وجريدة المروسة سنة ١٨٨١، وجريدة العصر الجديد سنة ١٨٨٠. ومهمما يكن من أمر فقد تواترت الأحداث المصرية والأحداث العالمية، واصطاحت كلها على تقوية الصحفة الشعبية، وعادت كلها بالفائدة الحقيقة على هذه الصحفة.

والكلمة المطبوعة من الأهمية بمكان، حتى أنه ليشك في إمكان قيام الدولة الحديثة التي تحتوى الأمة دون وجود الطباعة. ولقرن عديدة كانت المواد المطبوعة . بوجه عام . هي التي حافظت على المثل العليا والأمثال والتقاليد المشتركة، كما حافظت

(١) الدكتور إبراهيم عبد : تطور الصحافة المصرية ص ٦٥.

على روابط الولاء السياسي فى مناطق شاسعة، وكانت الوسائل الطباعية وحدها تنھض بالهام الذى يتوقعها المجتمع اليوم من جميع وسائل الإعلام مشتركة. ولقد قامت الوسائل الطباعية ب الإعلام الجمهورى وتنویره، وتفسیر الأحداث والقضايا، وتحدى السلطة المتقلبة، وإمتناع الشعب، وإنقاذ الجماهير العديدة، لکى تصل إلى اتفاق فيما بينها، كما أنها قامت إلى حد محدود بتقديم بائعي السلع والخدمات إلى المشترين.

ثم جاءت ثورة الاتصال فى القرنين التاسع عشر والعشرين لتقدم السينما والراديو والتلفزيون، فانضمت إلى الوسائل المطبوعة لنشر الأخبار والأفكار والإمتناع. وبسبب طبيعتها الإلكترونية، وكذلك بسبب تنوع طرقها فى أداء مهامها، أصبحت كلمة "الصحافة" اصطلاحاً مهجوراً لا يعبر عن كل الوسائل.

يضاف إلى ذلك أن ثورة الاتصالات قد جلت معها أنواعاً من الاتصال الإقناعى الذى قلما يدخل فى نطاق المعنى التقليدى للصحافة، ولقد أصبح الإعلان عوناً هاماً ملحاً بجهاز التسويق، ولا تعبر كلمة صحفة بوضوح عن الوظيفة الإقناعية. فقد نشأت العلاقات فى كنف الشركات التجارية التى اعتنقت أن إرضاء الجمهور كفيل بالحافظة على مركزها الاحتکارى، ونمط من طفل صغير فى نهاية القرن التاسع عشر حتى أصبحت شقيقة للإعلان فى منتصف القرن العشرين. وتقوم العلاقات العامة فى صورتها المستينة المثلى بخلق الانسجام بين سياسات المؤسسات ومصلحة الجماهير وبعد ذلك تقوم بمدحها، وهى تستخدم فى ذلك وسائل الإعلام، كما تختار خبراءها من بين العاملين فى تلك الوسائل. وقد ازدهرت الصحف والمجلات الناطقة باسم الشركات بعد الحرب العالمية الثانية. وإن كان البعض يذهب إلى أن نشرة المؤسسة ليست صحفة بالمعنى الدقيق للكلمة^(١).

ومن أهم خصائص الاتصال الصحفى؛ والإعلامى بوجه عام؛ أنه ذو اتجاه واحد غالباً. وقلما يكون هناك طريق سهل أو سريع للقارئ، أو المشاهد، أو المستمع، لکى يرد أو يسأل أسئلة، أو يتلقى إيضاحات؛ إذا هو احتاج إليها. وثانية هذه الخصائص أن الإعلام يتضمن قسطاً كبيراً من الاختيار فالوسيلة، مثلاً، تختار الجمهور الذى ترغب فى الوصول إليه. فصحيفة "الأهرام" مثلاً تختار جمهوراً مثقفاً وحضارياً من القراء.

(١) ريفز وزملاؤه، السابق ص. ٢٠.

و"مجلة الشباب" تستهدف الشباب في مصر وأمتها العربية. أما مجلة "الأهرام الاقتصادي" فتتوجه إلى المعدين بشئون المال والأعمال والاقتصاد. ومن الناحية الأخرى، فإن جماهير المستقبليين يختارون من بين الوسائل، فهم يقررون ما إذا كانوا سوف يشاهدون التلفزيون، أو يقرءون كتاباً، أو صحيفة، أو مجلة وهم يختارون ما يشاهدون من المضمون المتاح لهم، فقد يشاهدون برنامجاً تلفزيونياً إخبارياً، أو إنهم قد يحولون مفتاح الجهاز إلى قناة أخرى حيث يعرض برنامج للغوازين كما أنهم يختارون الأوقات التي يستخدمون فيها وسائل الإعلام.

وثالثة هذه الخصائص أن الأمر يحتاج فعلاً إلى عدد من وسائل الإعلام أقل مما كان مستخدماً من قبل؛ وذلك لأن الوسائل تستطيع الوصول إلى جماهير ضخمة ومنشرة انتشاراً عريضاً. فلكي نبعث برسالة عبر الوطن العربي عن طريق الصوت البشري وحده، يحتاج الأمر إلى أعداد هائلة وهائلة من المتحدين. ولكن شبكة إذاعية واحدة تستطيع أن تصل إلى الملايين من الناس في نفس الوقت. ولهذا ما يناظره في النظام الاقتصادي والاجتماعي بأكمله. ففي ظل النظام المعاصر للإنتاج الضخم مثلاً، "يستطيع عدد أقل من المنتجين أن ينتجوا عدداً كثيراً من المنتجات الموحدة" (١).

ورابعة هذه الخصائص أن وسائل الإعلام في سعيها لاجتذاب أكبر عدد من الجمهور. تتجه إلى نقطة متوسطة افتراضية يتجمع حولها أكبر عدد من الناس. ونادرًا ما تكون هذه النقطة هي أدنى المستويات، غير أنها ترتفع تماماً إلى المستوى المتوسط في كثير من أجهزة الإعلام.

وهذه الخصائص هي التي يرتكز عليها فن التحرير الصحفي؛ في التوجه إلى نقطة متوسطة افتراضية يتجمع حولها أكبر عدد من القراء وقد درج رؤساء تحرير الأخبار على توجيه المندوبين الناشئين بالكتابة إلى "ذلك الشخص الذي يحرك شفتيه عندما يقرأ"؛ وهو الشخص الذي يمثل أدنى مستوى بين قراء الصحف، وإذا كان هذا الشخص يستطيع فهم الأخبار الصحفية، فإن القراء الأكثر تعليماً يستطيعون ذلك أيضاً. ووفقاً لدراسات القدرة القرائية، يمكن توقع أن ثلاثة أرباع الشعب - من تلقوا

(١) ريفرز وزملاؤه المرجع السابق ص. ٣١.

تعلينا متوسطاً . يفهمون ما يكتب على مستوى الصحف العادية والمجلات الشعبية . ولما كانت وسائل الإعلام تخاطب قارئاً، أو مستمعاً - أو مشاهداً افتراضياً، فإنها تفتقد روح الألفة التي تسود عند الاتصال بشخص واحد من الأشخاص . فالنقرير الذي تنشره صحفة عن حدث ما يفتقد كثيراً من الألفة التي يتميز بها خطاب يرسله صديق إلى صديقه عن هذا الحدث .

وينبغي ألا تخدعنا الإحصاءات عن عادات الجمهور القرائية؛ ففي مصر وكثير من الدول العربية، يلجأ الأ Majority إلى المتعلمين ليقرأوا لهم الصحف؛ فلا تكون مبالغين إذا قلنا إن أكثر من ٧٠٪ من سكان البلاد العربية يقرأون الصحف ويستمعون إلى تلاوتها إلى جانب الارتباط بزيادة عدد المتعلمين وارتفاع مستوى التعليم؛ إذ وجد مكتب البحث الاجتماعية التطبيقية أن ٦٥٪ من المتعلمين تعليمياً ابتدائياً يقرأون الصحف . وترتفع هذه النسبة بين المتعلمين تعليمياً ثانوياً فتبلغ ٧٥٪ وتصل هذه النسبة إلى ٩٥٪ من بين المتعلمين تعليمياً عالياً .

ويرتكز التحرير الصحفي على دراسات القدرة القرائية؛ والقراءة تتطلب خيالاً مستمراً؛ ومشاركة من القارئ في خلق أجواء النص؛ ذلك أن الاستماع بالقراءة . على حد تعبير د. طه محمود طه - "يتناسب تناسباً طردياً مع القدرة على الاشتراك في خلق المعانٍ عن طريق التخيل . ونجد أن فعالية الشعر وقوته تكمن في هذه اللعبة الطريفة بين الشاعر والقارئ . ولهذا تعتبر الصفحة المطبوعة أفضل وسيلة للاتصال بالجمهور المتتبه، فهي لا تحاول أن تشد الانتباه أو تجذب، فالجمهور هنا هو الذي يبحث عن الكلمة . وربما أطلق عليها أفلاطون "وسيلة الرد الرزين" فهي قلماً تلجم إلى الأسلوب الدرامي . ومنذ عام ١٨٢٠ رحفت فنون أخرى إلى الصفحة المطبوعة . فنون درامية كالحوار والرسم والصور والكارикاتير والألوان ثم الرسوم الهزلية . وهذه الفنون التصويرية توفر مجالات للتعبير عن العواطف عن طريق التقمص، وأدلى استخراج النسخ الفوتوغرافية وتطور الروتوغراف في الصحافة والأخبار المنشورة بكل ما فيها من طاقات للعرض الدرامي والأبهة والعظمة، إلى البعد بالصفحة المطبوعة في الدخول في منافسة مع السينما، كما يتضح من أساليب القيم السينمائية كاللقطة القريبة والبعيدة والمزدوجة . ولكن هذه الفنون التصويرية ساعدت الصفحة المطبوعة في الدخول في منافسة مع السينما والتلفزيون .

ففي الفيلم وفي التلفزيون تتحرك الصور؛ أما في الصورة المطبوعة فيمكن تثبيت الابتسامة الجميلة التي ترتسם على وجه طفل (وإن كانت آلات العرض السينمائي والفيديو؛ هي الأخرى تتميز الآن بوجود مفتاح لتوقيف الصورة أثناء العرض) واللحظة الحاسمة في تسجيل هدف كروي. وهذه الصورة الثابتة يمكن دراستها وقصها والاحفاظ بها وتعليقها ودراستها والعودة إليها فيما بعد. وعندما يتحرر القارئ والمشاهد من التقيد بزمن محدد للمشاهدة (لاحظ جهاز الفيديو الحديث الذي يمكن توقيته آلياً لتسجيل برامح لعدة أيام) يمكن اتخاذ القرار الذي يناسبه^(١).

تنتشر الكلمة المطبوعة عبر قنوات عديدة لكل منها جمهورها وشخصيتها وتحت سيطرتها المطبع والألوان ومساحات الإعلان. وبإضافة إلى وكالات المطبوعات والنشر يجب أن نشير إلى المنشورات واللافتات وبطاقات السيارات والملصقات والروزنامات وعلب الثقاب والسجائر والملابس، فالكلمة المطبوعة لها القدرة على أن تلتصق بأى شيء حتى الهواء. طائرات الإعلان التي تكتب بحروف من دخان اسم سلعة على ساحل بحري شهر الصيف مثلاً تسحب إعلاناً يرفرف خلفها.

إلى جانب النتائج السيكولوجية والاجتماعية فقد كان للطباعة نتيجة أخرى يراها "ماكلوهان" في مد طابعها الانشطاري والتماثلي إلى مناطق مختلفة ومجانستها تدريجياً، مما يؤدي إلى زيادة قوتها وطاقتها وعدوانيتها، وهي الصفات الأصلية للقوميات الجديدة الناشئة. ومن الناحية السيكولوجية يمكننا القول إن الامتداد البصري، والتضخيم، اللذين أحدهما الطباعة في الإنسان قد أديا إلى نتائج عديدة. وأظهر هذه النتائج ما ذكرها م. فورستر Forster في دراسة عن بعض حروف الطباعة في عصر النهضة. فلقد قال فورستر: "إن الطباعة التي لم يكن قد مضى على اختراعها قرن من الزمن، كانت تعتبر خطأً آلة قادرة على ضمان الخلود، وقد أقبل الناس عليها فعهدوا لها بتأثيرهم وأهواهم لصالح الأجيال القادمة" لقد أخذ الناس يتصرفون كما لو أن المطبوع وتطبيقاته في إمكانه ضمان الخلود بفضل سحر التكرار.

ويشتراك جانب آخر هام أحدهته طرازية وتكرارية الصفحة المطبوعة، إلا وهو زيادة التأكيد على الهجاء "الصحيح" فقد أسهمت في فصل الشعر عن الغناء، وفي

(١) د. طه محمود طه: المرجع السابق ص ٨١.

فصل النثر عن البلاغة. وفي فصل اللغة العامية عن لغة المتعلمين. ففى مجال الشعر. مثلاً. أصبح بالإمكان قراءة الشعر دون سماعه، والعزف على آلة موسيقية دون أن يصاحب هذا العزف قصيدة شعرية. لقد انفصلت الموسيقى عن الكلمات، ليلتقيا مرة أخرى. مع بارتوك Bartok وشوبنبرج Schoenberg.

وللصحافة أهميتها الإتصالية في التأثير في الجماهير، فالصحافة شأن غيرها من المطبوعات مثل الكتاب، المجلة، واللافتات تتميز بخصائص هامة تجعلها تتفوق في بعض المجالات على غيرها من وسائل الاتصال الأخرى. ومن أهم تلك الخصائص:

- تسمح الوسائل المطبوعة بأن يتحكم القارئ، في وقت قراءتها، وفي فرص هذه القراءة، كما تمكنه من إعادة الاطلاع على مضمونها أو نصوصها وتسمح بالتأني - إلى حد بعيد - في هذا الاطلاع.

- وأنها تتنطوى على موضوعات متشابكة تحتاج إلى تحليل علمي.

- وأنها بطبعتها تعرض لتفاصيل الدقيقة التي تتفق مع الدراسات المسهبة.

- وأن أخبارها الصحفية تتميز بالتطويل والتحليل بعكس الأخبار الإذاعية.

- وأن الصحيفة مصدر للأمان في عالم مزعج (١).

ويظهرنا تاريخ الصحافة في العالم كله؛ على أن تطورها يمثل مرآة انعكاس عليها تطور أذواق قرائها؛ وحاجاتهم؛ التي تسنى لها أن تلبيها.. وأصدق دليل على ذلك؛ هو التغيير الذي نلحظه في صحف اليوم؛ على شكل الصحف ومضمونها.

فالتقدم الإلكتروني؛ أتاح للصحف في مجالات الكتابة؛ والتحرير الصحفى؛ وفنون الطباعة؛ وسائل ثورة تقنية حقيقة؛ يراها الأستاذ "بيار ألبير" أشبه بتلك التي أتيحت لها. في نهاية القرن التاسع عشر؛ بواسطة التلغراف وآلة الطباعة واللينوتيب.

(1) A Source of Security in a disturbing world . See Berlson. B.R. "What Missing and The Newspaper Means" in Schramm, W. (edr.) The process and Effects of Mass Communication, University of Illinois Urbana, 1955

د. زيدان عبد الباقى؛ وسائل الاتصال ص ٤٤ .

أن تشبع الحاجات الجديدة لمجتمع في طريقة للديمقراطية: هذه الوسائل الجديدة، ممكنها من تخطي أزمة، لم تؤثر في الواقع، إلا على فئات معينة من الإصدارات^(١).

أما عن آفاق المستقبل في الصحافة المطبوعة؛ فإنها ترتبط من جانب بإمكاناتها في توظيف استثمارات جديدة؛ وضرورة لتحديتها. ومن جانب آخر؛ بقدرة الصحفيين أنفسهم على تصور الصحافة الجديدة التي تنبئ اهتمامات الجيل الجديد.

الأنواع الصحفية:

سبق أن تحدثنا عن نظرية الأجناس الإعلامية؛ في كتاب "المدخل إلى وسائل الإعلام"؛ ورأينا أن الفن الصحفى يمثل الفن الإعلامى الأول؛ الذى اشتقت منه سائر فنون الإعلام الأخرى أشكالها وفنونها وأساليبها وطرازها. ويذهب د. إبراهيم إمام؛ إلى أن الفن الصحفى هو فن "الإعلام الكلاسيكى" الذى ترتكز على خبرته الطويلة المتنوعة فنون وسائل الإعلام الأخرى. فالنشرات الإخبارية والتعليقات، والندوات، والتحقيقات والصور والإعلانات والجوانب القصصية والدرامية تتشترك فى الفنون الإعلامية المختلفة، ولكنها ترتكز أساساً على خبرة الفن الصحفى الطويلة والمتنوعة. فإذا كان الأمر كذلك بالنسبة للجنس الصحفى، فإن الأجناس الإعلامية الأخرى، ما تلبث أن تنفصل عن "الجنس الكلاسيكى" لتدفع له خصائص تميزه من جهة ولتؤصل كل منها خصائص تميزها عن الجنس الكلاسيكى من جهة أخرى، ولتمتاز من بعضها البعض من جهة ثالثة.

فهل يصبح فى مقدورنا اليوم أن نذهب إلى أن الفن الصحفى . من حيث النظر إلى وسائله . يتضمن "أنواعاً صحفية"؛ لكل منها مقوماته التى تتيح له التميز فى إطار مفهوم "الوحدة" فى "التنوع"؟! أو "التنوع" فى الوسيلة؛ و"الوحدة" فى المفهوم الصحفى العام؟! .

يقول الأستاذ بيير ألبين:

"في عالم الجرائد والصحف الدورية، يغدو تصنيف المطبوعات في فئات معينة دائمًا، من الأمور التعسفية، لأن تجميع الصحف حسب موضوعاتها يقود إلى عدم الأخذ

(١) بيار ألبير: الصحافة ترجمة محمد برجاوي، ص. ٩.

بعين الاعتبار ما يؤلف حقيقة شخصيتها: طرافتها بالنسبة إلى القربات منها. إن الفرق بين أية صحفة وبين مزاحماتها هو أكثر ما يميزها؛ وتوزيعها في فئات يؤدي إلى أهمال المهم.

ومظاهر التصنيف هي، بالطبيعة، عديدة جداً. فمظهر الصحف الدورية خشن وقليل التعبير، أما الميزات الأساسية (الحجم، طريقة الطباعة، الورق، السعر، صيغ العرض) فتؤدي إلى تصنیفات قليلة التبیان لطبيعة المطبوعات؛ إن التصنيف حسب فئة المضمون أو القراء هو الأكثر استعمالاً ولكنه الأقل تجرداً.

وتأسيساً على هذا الفهم، تحاول هنا التعرف على "الأنواع" الصحفية من حيث ارتباطها بفنون التحرير الصحفى.

وتتشمل هذه الأنواع: الجرائد أو الصحف اليومية؛ الصباحية والمسائية؛ والدولية؛ والوطنية؛ والإقليمية؛ القومية؛ والحزبية؛ والصحف المتخصصة؛ والمجلات المchorة · للأنباء العامة؛ والصحف والمجلات الإخبارية المتخصصة.

الجرائد أو الصحف اليومية :

والصحف اليومية، على حد تعبير ألبير، هي "الشكل النبيل" للصحافة وهذا التفوق يخطئ التوقعات عن الصحافة. لأنه، غالباً، ما يقود إلى إهمال عالم الصحف الدورية الذي يشكل، مع ذلك في البلدان المتقدمة على الأقل، سوقاً أهم بكثير من سوق الجرائد.

ويظهرنا الواقع، على أن الفروق بين فئتين من الصحف تخضع لصلات التنافس بينها، علينا، بلا ريب أن نجد في هذا التنافس، أكثر مما نجد في منافسة التلفزيون، السبب الرئيسي لأزمة بعض أنواع الصحف اليومية في البلدان الغربية.

ذلك أن الصحف اليومية تختلف كثيراً عن الصحافة الأسبوعية والصحافة النصف شهرية أو الشهرية بتكونها الاقتصادي والفنى، وبطرق تحريرها، كما في نفط قراءتها. ومع ذلك، فإن تحليلاً مفصلاً لوظائف كل من الجريدة والصحيفة الدورية، والتطور الراهن لضمونها يظهرنا على أنه لم يعد بالإمكان التمييز الدقيق بين طبيعتها. إنها تؤدي لقرائتها خدمات متشابهة: إن صيغة الجريدة: "قليل من كل شيء في كل

يوم" وصيغة المجلة "قليل من كل شيء في كل أسبوع" متشابهتان، في الواقع، وليس الصيغة تتم الأخرى، ولكن الصيغتين تشيران إلى التنافس بينهما".

ويذهب "بوند"؛ إلى أن الجريدة تحتل اليوم مكانة متميزة في نشر الكلمة المطبوعة، وتكون الأهمية الرئيسية للجريدة في وظيفتها الأولى القائمة على تزويد القراء بالأنباء، ولقد أدرك "توماس جفرسون" منذ سنين بعيدة، أهمية عدم تقييد الأخبار بالنسبة إلى الديمقراطية، عندما أدى ببيانه الرائع الذي قال فيه "لو ترك لي أن أقرر ما إذا كان ينبغي أن توجد لدينا حكومة بدون صحف أو صحف بدون حكومة، لما ترددت في أن أفضل الحالة الثانية على الأولى". وقد أعاد تأكيد أهمية الصحافة من هذه الناحية في حياة الأمم والشعوب؛ ما يحدث من تطورات على الصعيدين الوطني؛ والعالمي، ذلك أن السياق الزمني والمكاني لصدور الجريدة؛ يتتسق مع سياق الواقع اليومية الصغيرة؛ أو المحلية؛ أو الوطنية والدولية. وهو سياق يقتضى نشر الأنباء يومياً، ومتابعة بعضها في الغد وفقاً لقتضى الحال.

أما الأحداث الكبيرة وطنياً ودولياً؛ فإنها في الجرائد؛ تمثل الأحداث الرئيسية وما تحتاج إليه من تفسير يتيح للقراء أن يتعرفوا على خلفية الأحداث؛ التي لا تتاح لهم من خلال الإعلام الإذاعي والتلفزيوني وهو ينفرد بإعلان الحوادث والواقع العامة. يقول ألين:

"وبالرغم من الضرورة المتزايدة لهذا الجهد لتفسير العالم ومشاكله، فإن بعض الجرائد تخلت، في الواقع، عن معالجة هذه الأحداث الراهنة الكبيرة، أو أنها لا تزال تعالجها مشوهة إياها بإضافتها على الحوادث طابعاً مأساوياً، وبالبحث عن التفاصيل المثيرة، أو بتجسيدها الحوادث أو الأفكار، أو بالتصوير" العقائدي ولكننا نشهد، على كل حال، في كثير من الجرائد، جهداً لتجديد طرق وأسلوب عرض المشاكل المهمة: هذا النوع الجديد من الصحافة يحول الخبر التقليدي إلى "رجل مكتب"، سرد الواقع بالنسبة له ليس قصة فقط. كما أن التعليق هو، بالنسبة له حكم أكثر مما هو تحليل، يعطي البنى أهمية أكثر مما يعطي للحوادث الطارئة، فيصبح الربورتاج بحثاً يتoss بطرق ونتائج علم الاجتماع والاقتصاد والعلوم السياسية بالمعنى الواسع. وبالنسبة لهذا النوع الحديث من الخبرين، يتقدم جمع الوثائق على البحث الشخصي أو الشهادات أو الواقع.

بعين الاعتبار ما يؤلف حقيقة شخصيتها: طرافتها بالنسبة إلى القريبات منها، إن الفرق بين أية صحفة وبين مزاحماتها هو أكثر ما يميزها؛ وتوزيعها في فئات يؤدي إلى إهمال المهم.

ومظاهر التصنيف هي، بالطبيعة، عديدة جداً، فمظاهر الصحف الدورية خشن وقليل التعبير، أما الميزات الأساسية (الحجم، طريقة الطباعة، الورق، السعر، صيغ العرض) فتؤدي إلى تصنیفات قليلة التبیان لطبيعة المطبوعات؛ إن التصنيف حسب فئة المضمون أو القراء هو الأكثر استعمالاً ولكنه الأقل تجرداً.

وتأسیساً على هذا الفهم؛ تحاول هنا التعرف على "الأنواع" الصحفية من حيث ارتباطها بفنون التحرير الصحفى.

وتشمل هذه الأنواع: الجرائد أو الصحف اليومية؛ الصباحية والمسائية؛ والدولية؛ والوطنية؛ والإقليمية؛ القومية؛ والحزبية؛ والصحف المتخصصة؛ والمجلات المصورة للأنباء العامة؛ والصحف والمجلات الإخبارية المتخصصة.

الجرائد أو الصحف اليومية:

والصحف اليومية؛ على حد تعبير أليبر؛ هي "الشكل النبيل" للصحافة وهذا التفوق يخطي التوقعات عن الصحافة. لأنه، غالباً، ما يقود إلى إهمال عالم الصحف الدورية الذي يشكل، مع ذلك في البلدان المتقدمة على الأقل، سوقاً أهم بكثير من سوق الجرائد.

ويظهرنا الواقع، على أن الفروق بين فئتين من الصحف تخضع لصلات التنافس بينها؛ علينا، بلا ريب أن نجد في هذا التنافس، أكثر مما نجد في منافسة التلفزيون، السبب الرئيسي لأزمة بعض أنواع الصحف اليومية في البلدان الغربية.

ذلك أن الصحف اليومية تختلف كثيراً عن الصحافة الأسبوعية والصحافة النصف شهرية أو الشهرية بتكونها الاقتصادي والفنى، وبطرق تحريرها، كما في نمط قراءتها. ومع ذلك، فإن تحليلاً مفصلاً لوظائف كل من الجريدة والصحيفة الدورية. والتطور الراهن لضمونها يظهرنا على أنه لم يعد بالإمكان التمييز الدقيق بين طبيعتها. إنها تؤدي لقرائتها خدمات متشابهة: إن صيغة الجريدة: "قليل من كل شيء في كل

يوم" وصيغة المجلة "قليل من كل شيء في كل أسبوع" متشابهتان، في الواقع، وليس الصيغة تتمم الأخرى، ولكن الصيغتين تشيران إلى التنافس بينهما".

ويذهب "بوند": إلى أن الجريدة تحتل اليوم مكانة متميزة في نشر الكلمة المطبوعة. وتكون الأهمية الرئيسية للجريدة في وظيفتها الأولى القائمة على تزويد القراء بالأنباء. ولقد أدرك "توماس جفeson" منذ سنين بعيدة، أهمية عدم تقييد الأخبار بالنسبة إلى الديمقراطية، عندما أدى ببيانه الرائع الذي قال فيه "لو ترك لي أن أقرر ما إذا كان ينبغي أن توجد لدينا حكومة بدون صحف أو صحف بدون حكومة، لما ترددت في أن أفضل الحالة الثانية على الأولى". وقد أعاد تأكيد أهمية الصحافة من هذه الناحية في حياة الأمم والشعوب؛ ما يحدث من تطورات على الصعيدين الوطني؛ والعالمي. ذلك أن السياق الزمني والمكانى لصدور الجريدة؛ يتتسق مع سياق الواقع اليومية الصغيرة؛ أو المحلية؛ أو الوطنية والدولية. وهو سياق يقتضى نشر الأنباء يومياً؛ ومتابعة بعضها في الغد وفقاً لمقتضى الحال.

أما الأحداث الكبيرة وطنياً ودولياً؛ فإنها في الجرائد؛ تمثل الأحداث الرئيسية وما تحتاج إليه من تفسير يتيح للقراء أن يتعرفوا على خلفية الأحداث؛ التي لا تناه لهم من خالل الإعلام الإذاعى والتلفزيونى وهو ينفرد بإعلان الحوادث والواقع العامة. يقول ألين:

"وبالرغم من الضرورة المتزايدة لهذا الجهد لتفسير العالم ومشاكله، فإن بعض الجرائد تخلت، في الواقع، عن معالجة هذه الأحداث الراهنة الكبيرة، أو أنها لا تزال تعالجها مشوهة إياها بإضافتها على الحوادث طابعاً مأساوياً، وبالبحث عن التفاصيل المثيرة، أو بتجسيد الحوادث أو الأفكار، أو "بالتصوير" العقائدى ولكننا نشهد، على كل حال، في كثير من الجرائد، جهداً لتجديد طرق وأسلوب عرض المشاكل المهمة: هذا النوع الجديد من الصحافة يحول الخبر التقليدى إلى "رجل مكتب"، سرد الواقع بالنسبة له ليس قصة فقط. كما أن التعليق هو بالنسبة له حكم أكثر مما هو تحليل، يعطى البُنى أهمية أكثر مما يعطى للحوادث الطارئة، فيصبح الريبورتاج بحثاً يتoss بطرق ونتائج علم الاجتماع والاقتصاد والعلوم السياسية بالمعنى الواسع. وبالنسبة لهذا النوع الحديث من المخبرين، يتقدم جمع الوثائق على البحث الشخصى أو الشهادات أو الواقع".

من هنا فإن المقالات اليومية تتحقق، شيئاً فشيئاً بالنسبة للحدث اليومي، وهي لم تتم بظروف تحريرها ولا بطرق قراءتها إلى الجريدة؛ إنها تتم لحفل الصحف الدورية!.

وتحتفل الصحف في نوعية الأنباء التي تنشرها؛ وطريقة إبرازها؛ ومعالجتها لها. ولكنها تحرص إلى جانب أداء وظيفتها: الإعلام والتفسير؛ على تقديم أبواب تلبي الوظائف الأخرى في الإمتعان والمؤانسة، والتثقيف والتنشئة الاجتماعية؛ والإعلان والتسويق؛ والتوجيه والإرشاد. ولكن نسب الاهتمام بأداء هذه الوظائف هي التي تختلف من صحيفة لأخرى.

والتوارن الوظيفي؛ هو الذي يجعل من الصحف مراجع لها قيمتها في تسجيل الأحداث وتفسيرها، على نحو ما نجد في الصحف اليومية مثل: الأهرام؛ والأخبار والجمهورية؛ وغيرها من الصحف المصرية والعربية والعالمية. كما تحرص هذه الصحف على تقديم صفحات تلبي احتياجات القراء الثقافية؛ والامتناعية والتفسيرية إلى جانب فقرات: الطقس؛ البيروصة؛ الإذاعة والتلفزيون، المسرح والسينما؛ وصفحات المرأة وغيرها مما يوجد له شبيه في المجالات الأسبوعية أيضاً.

ولذلك تحرص الجرائد اليومية على تنوع المضمون فيها؛ ل تستطيع منافسة المجالات من حيث تميزها بهذا التنوع. ذلك أن القارئ حين يجد صحفته حريصة على التنوع؛ يزداد "وفاءً" لـ"الصحيفة"؛ إن جاز التعبير على حد تعبير "أليبر"؛ الذي يرى هذا الوفاء "يزداد، ويشتدد في المستقبل، بفعل العادة وبفعل المصلحة. ومع ذلك فإنه لا يمكن الاستغناء عن الجريدة على صعيد الأحداث الصغيرة والخدمات اليومية التي تقدمها بتسهيلها الإجراءات العديدة للحياة اليومية. وقد أظهر الإضراب الطويل لصحف نيويورك في ديسمبر ١٩٦٢ ويناير ١٩٦٣، مدى كون الجريدة آلة ضرورية للحياة الجماعية في تجمع سكني كبير. إلا أن هذه الجاذبية لا تنطلق إلا من الجرائد المحلية وهي التي تفسر في المدن الكبرى، نجاح هذه الجرائد المحلية. أما الجرائد الوطنية، التي ليس لها قواعد إقليمية ومحلية، فإن عليها أن تقوم بجهود كي تقدم لقارئها أنباء أوفى وصفحات منوعة أكثر تشويقاً من صفحات الصحف الدورية.

ومن هنا فإن المنافسة بين هذين النوعين من الصحف تفيد الصحف الجيدة على حساب الصحف الشعبية ذات الإصدار الكبير^(١).

ويختلط جمهور الصحافة اليومية، بمجموع السكان الراشدين. ولكل فئة، ولكل نوع، وأيضاً، لكل صحيفة من الصحف الدورية، جمهور محدود بفئة اجتماعية سهلة التحديد. وبينما يكون للجريدة، بطبيعتها، ميل للقضايا العالمية، فإن ميل الصحيفة الدورية منذ أمد بعيد، يتوجّه نحو القضايا الخاصة. ولكن التطوير الحالى يميل نحو تضييق هذا الاختلاف. فمنذ عشر سنوات لا تتنى الصحف الدورية عن توسيع حقل أنبائِها، وهذا الاتجاه يوازن، نوعاً ما، بين الانضواء النسبي للجريدة في الأحداث الصغيرة، وبين تطور طرق المعيشة التي تميل إلى حصر قراءة الصحيفة في أسبوع واحد. وتقبل الصحف الدورية، كذلك، بطبيعة الحال إلى التنوع، أكثر ما يمكن، في صفحاتها لتشمل قراءتها كافة أعضاء الأسرة في البيوت التي تدخلها: وهى تقترب بذلك، من صيغة المجلة المchorة للأبناء العامة. وتبدو الصحف الشهرية من الآن فصاعداً، قادرة، بدون مخاطر، على البقاء شديدة التخصص. بيد أن عليها أن تزيد من تخصصها لأنها في الواقع تمثل نوعاً من الصحافة في تطور سريع. على الأقل، ويفقد ما تقوم به التغييرات في مضمون الصحف الدورية، فإن التغييرات هذه تسهل انتظامها على المتطلبات الجديدة لجمهورها. إن التقدم السريع في وسائل الطباعة الحديثة واستخدام الكمبيوتر؛ واستعمال ورق من نوع أجود، وتعظيم الألوان، وتصغير الحجم، كل هذا يعطى الصحافة الدورية طابعاً أشد استهواه ويزيد في تمييزها عن الجريدة التي لا يمكنها، في الوضع الراهن للتقدم التكنولوجي ولأسعار كلفة الإصدارات الكبيرة، أن تأمل في تعديل شكلها. وقد لاحظ "ريفرز" بالنسبة للصحف الأمريكية أن خطوات العمل في الصحف المسائية أسرع بعض الشيء، منه في الصحف الصباحية.. وليس معنى ذلك أن المحررين في الصحف الصباحية يتکاسلون في أثناء وقت العمل، فالواقع، أن أسرع العاملين الذين شاهدتهم فريق البحث من جامعة ستانفورد، كان محرراً في جريدة صباحية يقوم بإعداد الأخبار العالمية. ولكن، المحررين في الصحف الصباحية يستطيعون عموماً، أن يعملوا بهدوء، وبلا عصبية.

(١) بيار ألبير: المرجع السابق، ص ٤.

ويمكن إدراك سرعة العمل في صحيفة يومية ذات توزيع أكبر إلى حد ما من توزيع صحيفة إقليمية. فيقوم محرر البرقيات بإعداد أنباء الوكالات، وهو يصل بعد الساعة الثانية والنصف مساء بقليل، لكي يبدأ عمله بمجموعة الأخبار التي تجمعت لديه. وتقوم إحدى الصحفيات التي تصل مبكراً بنزع أشرطة الأخبار من المبرقات وتوزيعها على مختلف المكاتب (الرياضية، والمجتمع.. الخ) ويذهب معظمها إلى محرر البرقيات، الذي يعطي تعليماته للصحيفة عن الطريقة التي يفضلها في ترتيب الأخبار وتنظيمها، ولما كان المحرر منضبطاً ومنظماً، فإن العمل يستغرقه، فيبدو غير متسرع، ولكنه يعمل بطريقة تكاد تكون آلية، وهو يتوقف عن العمل بين الحين والآخر لكي يشرب فنجاناً من القهوة. ويأتي المراجع في الساعة الخامسة مساء، ولكن محرر البرقيات لا ينبع أحداً في عمله إلا قليلاً نسبياً، فقد طور لنفسه طريقة في العمل، وهو سعيد بها، حتى أنه يستبعد الخبر بعد الآخر بمجرد نظره. وبعض الأخبار التي يختارها تحرر بالقلم ثم يعطيها لفتاة التي تقوم بإرسالها إلى قاعة جمع الحروف عن طريقة أنبوية الضغط الهوائي. وتحجز بعض الأخبار الأخرى على هيئة مجموعة مرتبة، إما لكي تستبعد فيما بعد، وإما لكي تضاف إلى خبر آخر باستخدام القلم والمقص والصمع. ولا تستخدم هذه الصحيفة الشريط المثقب، ولذلك فإن محرر البرقيات له الحرية في تحرير الخبر تحريراً كاملاً، بدلاً من مجرد طبع ما تبعث به الوكالات.

وفي الساعة الثانية مساء، يصل مدير التحريرين، وفي الساعة الثالثة مساء، يصل رئيس تحرير الأخبار ومحرر الإقليم، وتحاول الصحيفة تغطية أخبار منطقة نائية. وفي خلال الساعة التالية يتشاور المحررون الثلاثة بإيجاز مع محرر البرقيات. ثم يذهب كل شخص إلى مكتبه. ويصبح واضحاً أن العمل يتم بأسلوب الامركزية، ولذلك على العكس مما يجري في صحيفة إقليمية صغيرة.

ويشرف مدير التحرير أساساً، على المحررين، ويوجههم في المسائل الهامة، وبخصوص جانباً كبيراً من وقته للبريد، والأعمدة التي توزعها الوكالات، والقرارات الإدارية. ومع ذلك، فقد لاحظ فريق البحث أن مدير التحرير قد قام في المساء بمراجعة أكثر من ٦٠٠٠ كلمة من البلاغات الصحفية والمواد التي ترد من الوكالات.

ويبدو أن سرعة العمل لا تختلف كثيراً في المساء، ويعمل الجميع باستمرار حتى حوالي التاسعة مساء، ثم تهدأ السرعة حتى العاشرة، وهو الوقت الذي يجب فيه أن تغلق الصفحة المعدنية وتطبع وتنقل إلى مسافة حوالي مائة ميل. وفي ذلك الوقت، يستمر محرر الأقاليم ومساعدوه في تلقي الأخبار من المندوبين في البلاد البعيدة، وعليهم إعداد صفحات لأربعة أعداد تصدر في الأقاليم، وبهذا العمل بالنسبة للآخرين فيما بين العاشرة والثانية عشرة ويختتم العمل اليومي بأخبار نتائج "البيسبول" اليلية. ومع ذلك، فإن هذا الهدوء خادع، ففي تلك الصحيفة عدد من المحررين ومساعديهم أكثر منه في الصحيفة المسائية، فهو في الحقيقة ضعف العدد تقريباً. كما أن واجباتهم موزعة على ساعات أطول.

"كلما كبرت الصحيفة، كثُر عدد العاملين فيها". هذه قاعدة تقريبية، مقنعة، ولكن ليس صحيحاً بالضرورة أن ضخامة العدد تقلل من عبء العمل. وتشترك الصحيفة اليومية الكبرى في عدد من الوكالات أكثر كثيراً مما تشتراك فيه صحيفة الصحفية وصحيفة المدينة الصغيرة، ولذلك فمن المرجح أن يكون العمل كبيراً بالنسبة لهذه الخدمات الكثيرة. وقد سخر محررو الصحيفة الكبرى التي يبلغ توزيعها نحو نصف مليون نسخة . وهم الذين نمت مقابلتهم في هذه الدراسة . من الصحف التي تنشر الأخبار من الشريط المثبت مباشرة (مثل الصحيفة التي تحدثنا عنها أولاً) (١).

جرائد الصباح وجرائد المساء

تصدر الجرائد، خاصة، في الصباح: فصورة قارئ الجريدة وهو يتناول فطوره، أوثناء ذهابه إلى عمله هي نفسها في جميع البلدان؛ "والسكنون النسبي للليل يساعد على إنتاجها وتوزيعها . على حد تعبير ألبير. الذي يقول: إن جرائد المساء، بشكل عام، جرائد المدن الكبرى، أو بالأحرى جرائد متممة لجرائد الصباح؛ بإمكانها إعطاء نتائج السباق والبورصة . وفي الولايات المتحدة، مع ذلك، حيث نهار العمل ينتهي باكراً، فإن جرائد المساء أعم . أما في فرنسا، التي لا تعرف الجرائد المسائية في الإقليم بصورة عملية، فإن في باريس خمس جرائد مسائية تؤمن ما يقارب الأربعين بالمائة من إصدار الجرائد

(١) ولIAM ريفنز وزميلاه : وسائل الإعلام والمجتمع الحديث، ص ٧١.

الباريسية، وهذه الجرائد، خلافاً لجرائد البلدان الأخرى، لها مهام وطنية، وأما في بريطانيا، فعلى العكس، فإن الصحافة الإقليمية هي، في الغالب، صحفة مسائية.

وتجدر الإشارة هنا أيضاً إلى الولايات الحديثة في الديمقراطيات الشعبية لجرائد "الأحياء الأهلة" المسائية ذات اللهجة والموضع الأقل عقائدية من الجرائد الصباحية الكبيرة^(١). وفي مصر صحفتا: المساء، والأهرام المسائي. ويصور لنا ريفن وزميله: "الصحف اليومية المسائية" في الصحفية الأمريكية؛ على النحو التالي:

"تتلقى هذه الصحفة أخبار الولاية والأخبار القومية والخارجية جميراً، من خلال نشرة تتلقاها من الأسوشيتدرس، ونشرتين تتلقاها من اليونيتدرس انترناشيونال. ويقوم بتحرير هذه الأخبار رئيس تحرير الأخبار ومساعده. وفضلاً عن تقرير مصير أكثر من مائة ألف كلمة، ترد في هذه النشرات يومياً، يقوم هؤلاء الرجال الثلاثة بتحرير كل الأخبار المحلية وتحديد مكانها في الصحفة، وقد تصل هذه الأخبار إلى عشر آلاف كلمة يومياً، كما يقومون باختيار نحو أثني عشر ألف صورة إخبارية من مائة ألف صورة تستقبلها الصحفة عن طريق جهاز التقاط الصور سلكياً. فهؤلاء الصحفيون الثلاثة يقومون بملء جميع أعمدة الأخبار فيما عدا صفحات المجتمع والرياضة والتجارة، وصفحة الرأي، وصفحات الصور القصصية.

ويقوم رئيس تحرير الأخبار بمعظم العمل بنفسه، فهو يستبعد كميات كبيرة من نشرات الوكالة، ويقسم البقية بينه وبين مساعديه. ولا كانت جميع النشرات تستقبل على أشرطة مثبتة وعلى ورق أيضاً، فإن التحرير عموماً هو عبارة عن اختيار بين رواية الأسوشيتدرس ورواية اليونيتدرس انترناشيونال للخين، مع مراجعته من أجل الدقة والأخطاء الطباعية، والبحث عن الوقفات المناسبة في الأخبار ويمكن جمع الحروف من الشريط المثبت بسرعة وبنفقات زهيدة، مع قليل من التغييرات وهذه أسباب قوية تساق ضد التحرير المتأمل، فلا تعاد الكتابة إلا قليلاً، وليس هناك وقت لذلك. وعندما يصل رئيس تحرير الأخبار بجد نحو خمسين ألف كلمة من نشرات الوكالات (وتببدأ دورة عمل الوكالة لم الصحف المسائية بالأخبار بعد منتصف الليل بقليل). وهكذا، فإن معظم رؤساء تحرير الأخبار الذين يبدعون عملهم في الساعات الأولى من الفجر، يجدون

(١) بيار أlier: المرجع السابق ص ١٨.

أخباراً كثيرة في انتظارهم، وهو يستبعد بسرعة كل شيء فيما عدا ٨٠٠ كلمة. وفي خلال الساعات السبع التالية، تستمرة الوكالات في إرسال نشراتها، ويستخدم رئيس تحرير الأخبار ومساعده أكثر من ٢٠٠٠ كلمة من النشرات الإخبارية (وذلك من بين مجموع يصل إلى ١١٠٠٠ كلمة تقريباً). وكثير من هذه المعلومات مكررة لأنه كثيرة ما تغطي الأسوشيتدبرس واليونيتدبرس إنترناشيونال نفس الأحداث)، فهم يقومون بتحرير قليل، ويكتبون العناوين، ويوزعون الأخبار في أماكنها من الصفحات، ثم يبعثون بالأخبار المتنقلة إلى حجرة الجمع حيث يتم تحويلها إلى حروف طباعية.

كما قاموا أيضاً بتحرير ستة آلاف كلمة من الأخبار المحلية ووضعها في الصحيفة، واختاروا ست عشرة صورة وزعوها على الصفحات. وخلال الساعة الأخيرة من عملهم اليومي، أعدوا بعض المواد للعدد القادم في اليوم التالي. مثلما فعلوا في اليوم السابق، عندما خصصوا الساعة الأخيرة لإعداد مادة لعدد اليوم. وفي خلال يوم واحد من العمل إذن، قاموا بتحرير ما يساوي كتاب صغير تقريباً. (وبالمقارنة تخصص دار النشر عادة ستة أشهر على الأقل، وغالباً ما تحتاج إلى سنة وأكثر بعد تسليمها نص الكتاب، من أجل التحرير والإنتاج).

وتنتاب الشكوك رئيس تحرير الأخبار لأنه يعرف أن كثيرة من قرائه يكونون قد اطلعوا، أحياناً، على الأخبار التي ييرنها، وأن قراء آخرين يكتفون بمجرد العناوين ومقدمات نفس الأخبار التي يكونون قد استمعوا إليها من راديو السيارة أو شاهدوها على شاشة التلفزيون، ولكنه يعني بإعلام أولئك القراء الذين يريدون أن يعرفوا من الصحيفة أكثر مما يستطيعون معرفته من مصادر أخرى.

وتثور أسئلة وشكوك أخرى. فما هو مقدار الأخبار الجادة التي يستطيع القراء استيعابها؟ وكم عدد القراء الذين يطليقون خبراً آخر عن فيتنام، وخبراً آخر عن محادلات السلام غير الحاسمة في باريس، وخبراً آخر عن المعركة التي لا تنتهي بين الرئيس والكونجرس؟ ومن ناحية أخرى، هل يقوم رئيس التحرير بخدمة أولئك الذين يتبعون مثل هذه المسائل متابعة جادة - خدمة كافية - إذا نشر أخباراً على خمس بوصات بدلًا من نشرها على عشرين بوصة؟^(١).

(١) ريفيرزورميلاه : السابق ، ص ٢٤٠ .

الصحف الفنية والجرائم الشعبية:

ويميز "أليير" بين "الجرائم الشعبية" و"الصحف الفنية" في فرنسا، حيث أصبح هذا التعبير واضحاً على مستوى القراء أكثر منه على مستوى المضمون؛ فيقول:

"ولدت في باريس، عام 1863، الجريدة الصغيرة *Le Petit Journal* وثمنها خمسة سنتيمات، وهي نوع من الصحافة "الصغيرة" الشعبية. بينما هو، بالعكس شديد الوضوح في البلدان الأنجلو-سكسونية وفي ألمانيا الاتحادية. نجد أن الصحافة الشعبية التي حدد صيغها الحالية في الولايات المتحدة كل من "بولتز وهرست" منذ نهاية القرن التاسع عشر، قد وجدت أسلوباً جديداً مع صيغة *Tabloid*، والحجم الصغير، وغزارة الصور، والعنوانين الضخمة، والنصوص المختصرة. فهي تبحث عن التسويق والفضائح، وترمي إلى الإثارة أكثر مما ترمي إلى الإفادة."

وقد انتقلت إلى بريطانيا، ثم في حجم أكبر إلى ألمانيا حيث أوجبت "صحافة الشارع *Boulevard-Presse*" ومن أسباب رواج هذه الصحافة، أيضاً سعرها المنخفض".^(١)

ويذهب "ريفرز" إلى أن قراء الصحف في مستهل القرن التاسع عشر في أمريكا، قد أصبحوا من الجماهير الشعبية العريضة، بعد أن كانوا فئة صغيرة من الطبقة العليا. وبعد الثورة الأمريكية أصبحت غالبية الصحف مطبوعات تجارية أو سياسية تعلم صالح رجال الأعمال الموسرين أو السياسيين. ولكن عندما أدرك التعليم التاجر الصغار والعامل الميكانيكي، والصانع الحرفى، والمزارع، وعندما تدفق المهاجرون تدفقاً أدى إلى زيادة عدد سكان المدن الأمريكية النامية، وجد الناشرون في ذلك سوقاً جديدة لصحفهم. وقد كانوا يستهدفون ذلك الجمهور الجديد المتزايد، ثم غيروا مضمون الصحف وفقاً لذلك.

في سبتمبر سنة 1833، أصدر طابع شاب أسمه "بن داي" أول عدد من صحيفة "بن" في نيويورك. وكانت تطبع يديوياً. وكان "بن داي" يبيع صحفته ببساطة بـ واحد، وهو سعر يتباين تبايناً حاداً مع ما كان يتضاده الناشرون عادة وهو ستة سنتات. وقد عول على الطلب الجماهيري في الحصول على الربح المالي، بالرغم من انخفاض هامش الربح، وقد ركز بمهارة على مبيعات الشوارع نتيجة لحركة التحضر.

(١) أليير، ص ١٩.

وبينما كانت الصحف المبيعية بستة بنسات تقدم لقارئها أخباراً مطولة مثقلة بالسياسة، كان داى يتودد إلى جمهوره بفقرات قصيرة متشوقة عن حوادث الشرطة والمحاكم، وتنفيذ أحكام الإعدام والانتحار، وعجائب الدنيا وغرائبها، والمواضيعات المحلية التافهة. وفي سنة ١٨٣٥ . عندما ساعدته الطابع المدارة بالبخار على طبع ما يكفى من النسخ لسد حاجة الطلب . كان "داى" يفاخر بأن صحفته "صن" توزع، "وهو أعلى توزيع لأية صحفة يومية في العالم". وبعد أن أثبت داى أن ذلك يمكن أن يحدث، أخذ غيره من الناشرين يوجهون صحفهم إلى الجماهير التي سيرغورها^(١).

الصحف الوطنية والصحف الإقليمية أيعبر التناقض بين هذين النوعين من الجرائد عن مهتمتين متكاملتين للصحافة اليومية: "الأولى تعتمد على تنوع مضمونها وجودة أنبائها الوطنية والعالية، والثانية تعمل على إشباع الحاجة لمعرفة أنباء المنطقة أو الحي. هذه الجاذبية للنبأ المحلي، التي تستطيع الجريدة وحدها التفرد بمعالجتها دون أن تخشى، في هذا الحقل، منافسة الراديو والتلفزيون، هي من الأسباب المتبعة لتعلق القارئ بجريدة: وهي تؤمن وجود مجموعة من الصحف المحلية، من الصحفة الأسبوعية إلى الجريدة اليومية التي تقصر حقل أنبائها، فقط على أحداث منطقة انتشارها، وعلى المشاغل وحدها لحياة قرائها اليومية.

والصحف الإقليمية، وإن كانت تابعة لسلسلة واحدة، كما في ألمانيا الاتحادية، أو ذات طبعات متعددة، كما في فرنسا، تدين بأساس نجاحها إلى صفحاتها المحلية، وفي المدن الكبرى، يمكن للضواحي السكنية أن تعطى أيضاً مادة لأخبار محصورة، بخلاف أحياء وسط المدينة حيث لا توجد مادة وحاجة لهذا النوع من الأنباء، رغم تكاثف السكان.

في البلدان التي تخضع فيها الصحافة لاقتصاد السوق، فإن الصحف الوطنية، التي لم يكن لسلطانها منازع قبل الحرب العالمية الثانية، أصبحت الآن مضطربة للصمود في وجه المنافسة المنظمة للصحف الإقليمية، وللصحافة الدورية، ولأن تعانى نتائج نمو الراديو والتلفزيون.

(١) ريفز ص ٦٤ .

ففى ألمانيا الاتحادية، فرضت أقلمة الصحافة، من السلطات المحتلة عام ١٩٤٥، وقد دعمت، ولم تعد الصحافة اليومية الوطنية ممثلة بصحيفة شعبية. أما فى فرنسا، فقد فقدت الصحافة الباريسية أهم مراكزها فى الأقاليم لصالح الصحف الإقليمية الكبيرة، لتصبح بصورة خاصة، صحفة "إيل دو فرانس Ile-de-France"، وإن هى ما فتئت تواصل توزيع بعى أعدادها فى هذه الأقاليم، فإنها تمثل إلى لعب دور الصحافة المكللة^(١). وفي إنجلترا، حيث تسيطر على السوق تقليدياً، الجرائد الوطنية، وحيث لم تعان الصحافة التحول الكامل لبنياتها خلال الحرب وبعدها، كما جرى فى البلدان الأخرى للقاراء، فإن الأزمة الراهنة للصحافة اللندنية تتعارض مع الإزدهار النسبي للجرائد الإقليمية. أما فى الولايات المتحدة، فالصحافة الوطنية اليومية ضعيفة نظراً لاتساع رقعة البلاد، أولاً، ولقوة التفرد المحلي والإقليمي، ثانياً. وإنما هناك بعض الصحف المرموقة تجد لها، خارج مناطق صدورها، جمهوراً محدوداً اجتماعياً وبخاصة الأستاذ أليير من هذه الصورة إلى أن حركة إقامة الصحافة اليومية، وتبسيط حقل إعلامها الذى هو نتيجة هذه الإقامة، يعرضان مفهوماً بكماله للصحافة اليومية؛ وبالتالي، جزئياً، عن معالجة الحياة الاجتماعية، فإن الجرائد تترك للصحف الجيدة القليلة، وحدها، النصيب المهم من "السلطة الرابعة" التى درجت، فى غالب الأحيان، على التغنى بالتفرد بممارستها^(٢).

الجرائد المتخصصة:

إن الصحافة اليومية، بطبعتها، صحفة أنباء عامة، وإن تنوع مادتها سبب من أسباب وجودها. ومع ذلك توجد فئات من الصحف المتخصصة من أهم أنواعها الصحف الرياضية والجرائد المالية.

وتشمل الصحف الدورية للأخبار العامة: الصحف الدورية المحلية:

إن كانت هذه الصحف تصدر كل ثلاثة أسابيع أو نصف شهرية أو أسبوعية، فإن إصداراتها، بصورة عامة، ضعيفة جداً، ولكنها تحتوى على عدد كبير من المواضيع،

(١) أليير، ص. ٩.

(٢) بيار أليير: المرجع السابق، ص. ٢٠.

وهي بطبيعتها متممة للجرائد، ومن المناسب أن يقرن بها العدد الكبير لصحف الأحياء التي تكثر في المدن الكبرى حيث تورّع مجاناً.

أما صحف الأحد فلها في البلدان الأنجلوسكسونية، أهمية بالغة تتوارى أمامها الفئات الأخرى للصحف الدورية من حيث إصدارها وصفحاتها، وتحتفظ صحف "اللهم السابع" في الواقع بشكل الجرائد اليومية التي تصدرها، حتى لو كانت صفحات الرياضة وفقرات التسلية^(١).

المجلات :

تعتبر المجلات وسائل تنوير وتثقيف بأسلوب جديد يصل إلى الجماهير وهي كفن تختلف عن فن الكتاب العادي، لأنها تنطوي على تحرير صحفى؛ وتجسيد المعانى، وتبسيط للحقائق؛ وإخراج صحفى؛ ونماذج تيسير الفهم لكافة المستويات الثقافية. ولذلك فإننا قد نتحدث عن "إنتاج" المجلة الصحفية؛ ولا نكتفى بالحديث عن كتابة أبوابها أو تحريرها، وما تتضمنه من مقالات وحوار ومناقشة وأحاديث صحفية واستقصاء وبحث ودراسة. بشرط أن يتم كل ذلك في إطار الواقع الاجتماعي والثقافي والسياسي؛ ويعبر عنه باصطلاحات مفهومة لجمهورها. وفي عصرنا الذي يسوده التخصص الضيق، يستطيع فن المجلة أن يربأ الصدع، ويملاً التغارات الفاصلة بين شتى التخصصات في المجتمع.

والمجلة في اللغة العربية "مشتقة" من مادة (جلا) أي ظهر ووضوح، ومنها جلية الأمر أي ما ظهر حقيقة، أي الخبر اليقين، والمجلة هنا تعنى استجلاء حقبة من العالم^(٢).

وقد جاء تحول جمهور المجلة من الصفة إلى الشعبية بعد نصف قرن من التحول الذي حدث بالنسبة لجمهور الصحفة. فقد ظهرت المجلة الحديثة رهيبة الثمن ذات الجاذبية الشعبية والتوزيع الضخم، على المستوى القومي في السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر. وفي ذلك الوقت، الذي كانت ثمار الديموقراطية كالتعليم العام قد خلقت جمهوراً عريضاً من القراء الجدد الذين يستطيعون قراءة المجلات. كما حررت الآلات الإنسان من الأعمال المملة، ومنحته وقت فراغ للقراءة. وقد أدت الثورة

(١) نفس المرجع ص ٢١.

التكنولوجية إلى ظهور المطابع السريعة، وغيرها من المعدات الازمة للناشرين كى يصلوا إلى الجماهير العريضة، وأتاحت شبكة خطوط السكك الحديدية توزيع الصحف فى أقاليم شاسعة. وأكثر من ذلك، أخذ الإعلان، على نطاق واسع، فى الظهور، عندما سعى المنتجون لتسويق منتجاتهم الجماهيرية عبر كل البلاد، وأصبحت المجلة وسيلة قومية للوصول إلى أعداد متزايدة من المستهلكين.

وقد أدى المضمون الشعبي والسعر الزهيد إلى اجتذاب عشرات الآلاف من القراء، وكان المعلنون يدفعون بسخاء للوصول إلى هؤلاء القراء. وما كان يخسره الناشر من بيع النسخ كان يعوضه من إيرادات الإعلان الذى يجذبه التوزيع المرتفع، وإعادة توزيع الدخل، وتضييق هوة التطرف فى القوة الشرائية، أصبحت الطبقة الوسطى الكبيرة سوقاً للسلع المنتجة جماهيرياً، وهذه هي طبقة القراء التى استهدفتها المجالات بوجه عام، ولم يكن سعى الناشرين وراء مجرد أعداد كبيرة من القراء، ولكنهم سعوا وراء جماعات متجانسة من القراء. وهى جماعات تربطها المصالح المشتركة. أو الصناعات أو الحرف المشتركة. حتى يستطيع المعلن فى المجلة الوصول إلى جماعة استهلاكية معينة، يرجع كثيراً أن تكون مهتمة بسلعته.

يقول ريفرز وزميلاه: "عندما تحمست المجالات للحصول على الإعلانات فى أواخر القرن التاسع عشرين، أصبحت مرتبطة بنظام التسويق ارتباطاً لا فكاك منه، وأصبح المضمون هو الطعام الذى يغرس به الناشر جماهير قراء مجلته، وهى جماهير لها قيمتها بالنسبة للمعلن، نظراً لحجمها، وتجانسها، أو لكلا السببين معاً. وعندما وصل الناشر إلى المضمون المتوازن توازناً ناجحاً يجذب القراء المغوب فىهم؛ أصبح عازفاً عن تغييره. ومن ثم، فقد أصبح كل عدد من أعداد مجلة معينة شبيهاً بالأعداد الأخرى.

ومثل هذه النمطية فى المضمون كانت نتيجة طبيعية للسوق الشعبية، والإنتاج الجماهيرى الضرورى للمجلة، إذ كان عليها أن تتنافس بنجاح فى هذه السوق.. وفي القرن التاسع عشر عندما كانت المجالات لا تزال تحرر من أجل الصحفة القليلة، كان رئيس التحرير يستطيع أن يلعب دور القاضى المترفع الذى يختار ما يشاء من بين ما يقدمه الكتاب الراغبون فى نشر إنتاجهم.

وكانت أنواع المواد التي يستخدمها والطريقة المميزة التي يعالج بها الكتاب موضوعاتهم هي التي تقرر الشخصية التحريرية للمجلة. وهذه هي التي كانت تدفع القراء للشراء. وهكذا كانت نسبة كبيرة من مضمون المجلة من تخطيط هيئة التحرير واليوم تستخدم معظم المجالات فكرة أساسية في تخطيط التحرير وفي كثير من المطبوعات تقوم هيئة التحرير بابتکار الأفكار بالنسبة لغالبية كبيرة من الموضوعات التي تنشرها المجلة، ثم يعهد بهذه الأفكار إلى بعض الصحفيين المشهورين، الذين يقومون بإجراء بحوث حول المقالات ثم كتابتها.

وهناك بعض المقالات التي يكتبها أعضاء هيئة التحرير وتكون النتيجة في كلتا الحالتين هي النمطية. وذلك مع القليل فقط من الاستثناءات.

ذلك يؤدي التقليد إلى نمطية مضمون المجلة، فعندما ينبع ناشر مستخدماً فكرة مبتكرة، أو مطروحاً لفكرة قديمة، فإن الناشرين المنافسين يندفعون لإصدار مجالات مقلدة، للحصول على جانب من السوق: وفي سنة ١٩٢٦ في الولايات المتحدة أصدر شاب أسمه دوبيت ولاس العدد الأول من مجلة صغيرة متواضعة كانت تلخص ما اعتبره أفضل المقالات التي نشرتها مجالات ذلك العصر وأطلق على المجلة اسم "ريدرز دابجست" وقد سارع القراء لشرائها. كما أصدر الناشرون مجالات على شاكلتها. وفي النهاية أصبحت مجالات "المختارات" طرaraً جديداً قائماً بذاته.

ذلك ظهرت أنواع أخرى من المجالات التي قلدت الابتكارات الجديدة الناجحة مثل المجالات البوليسية ومجلات الاعتراف، والمجلات الاخبارية. والمجلات المصورة، ومجلات المغامرات.

وقد نجحت المجلة الحديثة كوسيلة إعلام جماهيرية، لأنها، أساساً، تلعب دوراً رئيسياً في معاونة نظام التسويق، والمجلة مثل الصحيفة، استطاعت على مر السنين أن تؤثر في مجال متسع من الأدوات والمصالح. ولكنها تختلف عن وسائل الإعلام الأخرى، من حيث أن معظم المجالات موجهة إلى جماهير متجلسة، أو جماعات ذات مصلحة خاصة. والمجلات على العكس من الصحف، توزع على المستوى القومي العريض، وهكذا فالرغم من أن كثيراً من المجالات توجه إلى جماهير خاصة، فإن المجلة

قد أصبحت عموماً وسيلة إعلام جماهيرية. بمعنى أنها تتوسل إلى أعداد ضخمة في السوق القومية. على اختلاف الطبقات اجتماعياً واقتصادياً وثقافياً.

وبالرغم من ضراوة المنافسة والتذبذب، فإن إصدار مجلة على نطاق ضيق قد يكون أقرب وسائل الإعلام مثلاً بالنسبة للمستثمر الجديد. وأهم شيء هي الفكرة. فإذا كان لدى صاحب المشروع تصور مبتكر لمجلة جديدة. فمن المرجح أنه يجد المؤلفين لمشروعه. وإذا استطاع أن يدعم مجلته. في أثناء سعيه للفوز بثقة القراء والمعزين، فسوف تكون الفرصة مواتية أمامه دائماً لتحقيق نجاح متواضع. كما أن هناك أملاً بعيداً أمامه، لكن ينتهي به الأمر إلى أن يدخل في زمرة العمالقة.

وقد كان على المجالات، مثل الصحف، أن تتكيف مع الظروف الجديدة. وقد تكبدت المجالات العملاقة مثل الصحف أيضاً معظم المعاناة. غير أنه في الوقت الذي احتفت فيه معظم المجالات الأسبوعية الكبيرة العامة، وبعض المجالات الشهرية العامة. أصبحت المجالات تلبى الاهتمامات الخاصة أكثر قوة. ومن الأهمية بمكان، أن أعظم المحاولات الناجحة في النشر خلال السنوات العشرين الماضية هي المجالات المتخصصة".

وقد ازدهرت المجالات المتخصصة منذ الحرب العالمية الثانية ويبدو أنه لا يوجد الآن، اهتمام أو ذوق أو اتجاه أو ظرف من ظروف النشر يتعدى أن تكون له دورية واحدة على الأقل. وقد عرفت المجالات ذات التوزيع الجماهيري مزايا التوجه إلى الصفة.

وقد تصور كارول ستريتر المحرر بمجلة "فام جورنال" نهاية لهذا الاتجاه نحو تخدير الجمهور. فهو يتكهن بأن مجلة سوف تستطيع في غضون عشر سنوات، أن تنتخب المضمون المناسب لكل مشترك. فهناك معلومات عن اهتمامات كل مشترك تخزن على شريط إلكتروني. وعندما تذهب نسخة أحد المشتركين إلى قسم التجلييد فإن الأشرطة تمكن الحاسب الإلكتروني من إسقاط المادة المختارة وفقاً لاهتمامه الخاص وعلى العكس من العقبات الضخمة التي تقف في سبيل إنشاء الصحف والإذاعات والأفلام، فإن سهولة ولوح صناعة المجلة تفسر لنا سبب امتلاء صناعة اليوم بنقط من الوحدات الصغيرة نسبياً، وهيئات التحرير قليلة العدد، والإدارات المتواضعة بمعداداتها القليلة. ولا يستثمر ناشر المجلة رأسماله عادة في المطبع والمعدات. ولكنه بدلاً من ذلك يتعاقد على طبع مجلته.

وتشمل أنواع المجلات (١):

١ - **المجلات المصورة للأنباء العامة** : من الممكن جمعها في نوعين كبيرين: الأول: وفيه يفرد للصورة مكان هام مثلا: (بارى ماتش) في فرنسا (لايف) في أمريكا (والمصور) (وآخر ساعة) في مصر والثاني يتوجه الجهد فيه نحو نوع المقالات وتنوع الفقرات، وتكون صيغ عرضه كثيرة التنوع، انطلاقاً من الحجم الصغير من نوع "تاييم" إلى الحجم الكبير من نوع "ذاي زايت".

٢ - **الصحف الدورية الثقافية** : بالرغم من كون قسم كبير من مادة الصحافة الأدبية، والفنية، والموسيقية، والمسرحية، ينتمي إلى حقل الوثائق، فإن هذه الصحافة تساهم بشكل مباشر في الأحداث الراهنة بتقاريرها النقدية وأصدائها، وتقديمها للأعمال والفنانين، وهي تبقى بصورة ممتازة صحفة قيمة ذات جمهور محدود.

٣ - **الصحافة الدورية الوثائقية** : إن هذه المنشورات، ذات الجمهور الضيق غالباً والشخصية بطبيعتها لجمهور من الاختصاصيين الذين يجدون فيها، في الوقت نفسه، عناصر إنباء عن الوسط المهني والاجتماعي الذين ينتمون إليه، والوثائق التكنيكية الضرورية لنشاطهم الفكري أو المهني.. هذه المنشورات الكبيرة العدد والخارقة التنوع في جميع حقول النشاط الإنساني هي وربما أكثر مما هو الكتاب موطن لجتماع العلوم المعاصرة. إن مجرد فهرس مقالات المجلات الوطنية والدولية المخصصة لوضع ما هو في حد ذاته من التحديات الأولى التي يصطدم البحث بها.

"من المجلات العلمية، الممثلة لتيارات الكبرى للفكر الفلسفى أوالسياسي أوالأدبي" إلى المجلة التكنيكية الرفيعة التخصص، فإن جميع الأشكال توجد فيها ويزداد تعميم صيغة "الفيشات" أو الملفات المستقلة، المستقلة من النشرة، والتي تستطيع أن تأخذ مكانها في مجموعات الوثائق الأكثر اتساعا.

٤ - **ومجلات الرأى والأدب والفن**؛ هي المجلات التي تعنى بنشر الموضوعات والقصص والشئون العامة، والنقد الأدبي والفنى.

(١) بيار ألين: المرجع السابق، ص ٢١.

٥ - ومجلات المرأة أو المجلات النسائية؛ ومجلات الرجال؛ تجذب الرجل والمرأة من خلال تحريرها وإخراجها الفنى وتنوع موضوعاتها. والمجلات النسائية تعتبر مجلات "شعبية" بما تتطوى عليه من جاذبية فى قصصها ومقالاتها وصورها ولكنها تحول قارئها إلى ما يلائم أذواق النساء، وتحتوى هذه المجلات دائمًا أبواباً فى فنون الطهى والأزياء الخ^(١) ومن هذا النمط الصحفى مجلة "حواء" التى تصدر عن دار الهلال و"نصف الدنيا" عن مؤسسة الأهرام. ومجلات الأخبار مثل "تايم" و"نيوزويك" و"بارى ماتش" وما يصدر على منوالها، ذات أحجام صغيرة، ولكن حدودها لا تقف عند حدود الأخبار ذاتها، وهى تقدم كل أسبوع سجلًا بأحداث هذا الأسبوع. وهذا النوع من المجلات، فى انتشارها ومضمونها، يقارب الصحفة المنتشرة على نطاق قوى^(٢) ..

٦ - وتقف المجلات المتخصصة نفسها على البحث فى موضوع معين كالمسرح مثلاً أو السينما أو العناية بالطفل أو ما إلى ذلك، ومنها مجلات؛ المسرح، والسينما والقصة، التى تصدرها وزارة الثقافة، ثم مجلة الشعر التى تصدر عن مجلة الإذاعة والتلفزيون حالياً.

٧ - وتعنى المجلات الفنية والمهنية ما تدل عليه أسماؤها تماماً. فلكل مهنة وتجارة وحرفية الآن منشوراتها الخاصة، تختص بالإعلان والطبع، والتعليم، والجغرافيا والصحافة والعمال والراديو والخ^(٣) ..

٨ - والمجلات الأسبوعية للراديو والتليفزيون، تملك أرقاماً قياسية فى الإصدار، وهى موجهة بالدرجة الأولى إلى تقديم البرامج والتعليق عليها مسبقاً، ولكنها بصورة عامة، قليلاً ما تعنى بنقدتها. ولكن تنوع هذه البرامج وأهمية قرائتها المتدينين، تميل إلى توسيع مضمون هذه الصحافة، مما جعلها نوعاً من صحفة المجلات المصورة للأبناء العامة^(٤) ومن هذا النوع فى مصر مجلة "الإذاعة والتليفزيون" التى تصدر عن اتحاد الإذاعة والتلفزيون .

(١) د. على رفاعة الانتصاري؛ نفس المرجع، ٢١٦.

Brewster; Introduction to Advertising p. 290.

(٢) بيار ألبير: المرجع السابق ص. ٢١.

(٣) فيرنر زيبن: المرجع السابق ص. ٧٢.

(٤) بيار ألبير: المرجع السابق، ص. ٢٢.

وللمجلة. كما يقول فيها ميل. على الحوادث اليومية نوع من الرقابة، وهى تنقل المعلومات إلى القارئ؛ وتؤدى وظائف الفن الصحفى، من إعلام؛ وتثقيف؛ وتنشئة اجتماعية؛ وتوجيه وإرشاد؛ وتسويق؛ وإمتاع ومؤانسة، من طريق تحريرها؛ وإخراجها. والمجلات عادة لا تظهر أكثر من مرة في الأسبوع؛ الأمر الذى يتيح لكتابها ومحرريها الوقت الكافى في البحث في المسائل. والمواضيع التي تتناولها؛ عن تلك التي تظهر في الصحف اليومية، وبالتالي يكون لديها فرصة أفضل لإبراز الأحداث وتسلیط الأضواء عليها وتفسير معناها.

وقد تعرفنا على أنواع مختلفة من المجلات التي تكتب باستفاضة عن عملها وهدفها، مما قد يؤدي إلى التناقض والتضارب، ويصدر بعضها الوظيفة الترفيهية فقط، وتكون مزدحمة بالمادة ذات الفائدة البسيطة، في حين يعالج غيرها بحوثاً جادة عميقاً في المشاكل المعاصرة، ويضم بعضها المادة الترفيهية والمواد الجادة الأخرى مع تفسيرها للقارئ^(١).

والمجلة بخلافها الجميل وصفحاتها المرتبة متاز بمقابلها مع القارئ، بعض الوقت، وهو الأمر الذي تفتقر إليه الصحف اليومية عموماً. ومجلات: (الهلال) و(الرسالة) و(الثقافة) و(الحضارة) و(الزهور) و(أبوللو) و(الكاتب المصري) و(الرسالة الجديدة) تحفظ أحياناً لدى القارئ لعدة سنوات؛ أو تنتقل من قارئ لآخر كما لو كانت من الكتب النادرة.

وإذا كانت الجريدة تتوجه إلى الجمهور العام؛ فإن المجلة تتوجه . في معظم الأحوال . إلى جمهور متخصص. وتتعدد أشكال التحرير في المجلات لloffاء بوظائفها الأساسية؛ ونوعية الجمهور الذي تتوجه إليه. فهناك مجلات تتوجه إلى الأسرة، وهناك المجلات الإخبارية التي تلخص أهم الأخبار؛ وتقدم تحريراً تفسيرياً للأنباء مما لا يتيح للصحف اليومية؛ كما تقدم موضوعات عن خلفيات هذه الأنباء؛ والشخصيات العامة؛ واتجاهات الرأي العام. كما أن المجلات ذات الاهتمامات الخاصة، تصدر لقراء معينين.. وتتضمن مجلات "الظل" التي تقلل حياة الأسرة: مجلات المزارع؛ ومجلات خاصة بالشباب؛ ومجلات للأسفار والرحلات؛ ومجلات التجارة "الصناعة والتكنولوجيا والعلوم؛ والتربية ومجلات للقراء أصحاب الهوايات.

(١) أدوين امرى وآخرون: وسائل الإعلام؛ ترجمة ميشيل تكاد، ص ٢٠٠.

وللمجلات الدينية طابع خاص وتأثير كبير، مثل مجلة (الأزهر) و(منبر الإسلام). وقد صدرت في مصر جريدة إسلامية رائدة هي جريدة (الرأي العام) تقدم نموذجاً للجمع بين خصائص الجريدة، والمجلة في تقديم المضمون الإسلامي.

وهناك مجلات تصدرها الشركات والمؤسسات لأداء وظائف العلاقات العامة؛ بأسلوب جذاب؛ وتعرف هذه المجلات بالصحف الصناعية ويدهب، الأستاذ أدونين إيمري؛ إلى أن مجال النشرات الصناعية قد أحدث تقدماً كبيراً عندما أصبحت شركاتها على وعي بأهمية العلاقات العامة. ويحرر معظم هذه النشرات عدد من أصحاب الخبرة الواسعة في تحرير المجلات؛ وتخصص أموال كثيرة تحت تصرفهم لإبراز هذه المجلات في صورة مشرفة لائقة، ولكتابة مقالات وموضوعات على أعلى مستوى من التحرير الثقافي.

وتدرك شركات كثيرة أنه لابد أن يعمل بها محترفون، وذلك لكي تكون على مستوى المجلات العامة أو تتفوق عليها. وكما وضح ذلك أحد محرري تلك المجلات الصناعية الرائدة، وكان يعمل سابقاً في المجلات العامة في قوله: "لم يعد كاتب البريد أو مدير المستخدمين هو الذي يعتبر حجة في مجال التحرير الصناعي، ذلك لأن التركيز أصبح على التحرير ذاته وعلى الصحافة ذاتها". ويتجه بعض خريجي مدارس الصحافة مباشرة إلى تحرير المجلات الصناعية. وفي كثير من هذه النشرات تظهر مقالات ذات اهتمامات خاصة لا شأن لها بإنتاج الشركة التي تصدر عنها المجلة؛ وتحاط الدعاية عن الشركة بنوع من الحذر وبمستوى معين. وبعض الشركات الكبرى في الحقيقة تصدر عدداً من المجلات مخصصة للعملاء والمساهمين والموظفين، مثل ذلك: إنترناشيونال هارفستر كومباني وفورد موتور كومباني، وتصدر الاثنين 24 مجلة، للموظفين كل واحدة منها عن مصنع مختلف عن الآخر.. كما أن وبعض مجلات الشركات التي تعمل على وصولها إلى الجمهور وكذلك الموظفين توزع أكثر من مليون نسخة.

وتظهر مجلات الشركات في أحجام وأشكال كثيرة ومن الصعب القول في أي وقت معين كم منها يعد حقيقة من المجلات أو يدخل في دائتها. وكثير منها يظهر في حجم الصحف اليومية".

ونخلص مما تقدم إلى أن التحرير الصحفى . من خلال الوسائل . يستجيب من خلال الشكل والمضمون إلى البيئة التى تعمل فيها هذه الوسائل الصحفية بهدف تحقيق التفاعل بينهما وبين المجتمع، ذلك أن وسائل الإعلام لا تؤثر في النظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذى تعمل فيه فحسب، وإنما تتأثر أيضاً بذلك النظام. ومن ثم، فعليينا أن نفهم وسائل الإعلام التي تعمل فيه فهماً صحيحاً، ولكن نفهم المجتمع، ينبغي أن ندرس تركيبه وأفكاره الكبيرة ومتقداته الرئيسية، وكل ذلك معناه أن معرفة التاريخ والاجتماع والاقتصاد والفلسفة ضرورة لكي نفهم وسائل الإعلام فيما حقيقياً، ولكن نفهم طبيعة التحرير الصحفى - في هذا الإطار- من المنبع إلى المصب.



الفَصْلُ الثَّانِي

الشكل والمضمون

تنقسم فنون التحرير الصحفى إلى قسمين كبيرين هما:

أولاً: الأخبار News.

ثانياً: فنون العالم أو المذوعات الصحفية Features.

وهذه الأخيرة تشمل: التحقيق الصحفى؛ الحديث الخاص Interview؛ المقالات الصحفية Articles والافتتاحية Leading Articles.

والتحرير الصحفى يدرس مادة الكتابة من حيث اختيارها وتقسيمها وتنسيقها، وما يلائم كل فن من فنونه؛ وقواعد هذه الفنون الصحفية. والدراسة هنا دراسة تعنى بالشكل فى المقام الأول، وتوضح للدارس كيفية التوصل به فى التقديم المضمن الصحفى؛ الذى يعتمد فيه الدارس على قراءاته وتجاربه الحيوية التى تزوده بالأخبار والأراء وتكشف له عن الحقائق. وفن التحرير هنا يصنع صنيع علم البلاغة من حيث أنه: يشير فقط إلى ما يتبع فى تأليف المعانى وتنظيم الفنون أقساماً للنتاج الآثار المرجوة.

ذلك أن علم البلاغة. كما يقول الأستاذ أحمد الشايب. يميل إلى "الناحية الشكلية أو الأسلوبية فهو لا يعرض لقيمة الفكرة بل للاءاتها ولا يخلقها، لكن ينسقها، وهو يعني كثيراً بالعبارات والأساليب. حتى أن بعض الباحثين يطلق عليه علم الأسلوب". ومهما تختلف وجهات النظر فقد أصبحت البلاغة تبحث الآن فى هذه الموضوعات ولن تستطيع الإفلات من الإجابة عن هذين السؤالين: ماذا نقول؟ وكيف نقول؟.

وهما السؤالان اللذان يمثلان جوهر التحرير الصحفى. على النحو الذى يجعلنا نعنى بالنظر إلى الفن التحريري على أنه يمثل وحدة فنية لها أصولها وقواعدها؛ كما نعنى بدراسة النصوص الصحفية فى تفاصيلها؛ وفي صياغة أجزائها؛ للتعرف على البناء الوظيفي فى الجمل والمفردات؛ وما تشف عنه من دلالات.

وفنون التحرير الصحفى تميل إلى أن تنتهي إلى أجناس الأدب الموضوعية فى النثر؛ على النحو الذى يجعلنا نقول مع الجاحظ :

"إإن أراد صاحب الكلام صلاح شأن العامة، ومصلحة حال الخاصة، وكان من يعم ولا يحص. وينصح ولا يُعِش، جمعت النفوس، المختلفة الأهواء على محبته، وجُبّلت على تصويب إرادته".

وأكثر الخطاب العربية بعد ذلك يمكن أن تدرج فيما سماه أرسطو: **الخطابة الاستدلالية**، كالخطب في مقامات الصلح والمحالفة، ومراعاة حرمة الجوان وتحمل الديات، والملفخة والمجادلة، وما جرت به عادتهم من خطب عقد الزواج، ما إلى ذلك. وبهمنا هنا أن نورد في إيجاز الاعتبارات الأدبية فيما ذكروا من أحوال الخطابة والخطيب. وبعض هذه الاعتبارات يرجع إلى حال الخطيب والسامعين وبعضها الآخر يرجع إلى الأسلوب. وهي الاعتبارات التي يعتبرها علماء الاتصال المعاصرين؛ المرتكزات التي ترتكز عليها نظرياتهم في الإعلام والاتصال بالجماهير.

وعلى المحرر. تأسيسا على هذا الفهم. أن يعرف أقدار المعانى؛ وأن يوازن بينها وبين أقدار القراء في حالاتهم المختلفة. "فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما" كما يحدث في الصحف المتخصصة؛ ولكن حالة من ذلك مقاما؛ حتى يقسم أقدار الكلام على "أقدار المعانى، ويقسم أقدار المعانى على أقدار تلك الحالات"^(١). ومراعاة المقام مدار الإيجاز والتطوّل، إذ الإطالة، حين يكفي الإيجاز مداعنة للضجر والسامة؛ على حين الإيجاز في موضع الإطالة تقصير. كما يصح أن يستعمل المرسل ألفاظ خاصة في مخاطبته العامة، ولا كلام الملوك مع السوق^(٢).

وعلى المرسل أن يتلمس مواطن القبول من مستمعيه، فيطيل ما أقبلوا عليه، ونشطوا لسماعه، ويمسك عن الإطالة إذا وجد فيهم فتوراً عنه^(٣). وينبغي أن يستعمل الإيجاز في مخاطبة الخاصة، وذوى الأفهام الثاقبة؛ لأنهم يجترئون على السير من القول؛ كما يجب عليه ذلك في الموعظ والوصايا، لتكون أيسير نقلها وحفظها. وأما الإطالة ف تكون للعوام، ومن ليسوا من ذوى الإفهام. ولا بأس في هذه الحالة من تكرار المعانى وتوكيدها أو إعادة بعض الألفاظ وتrediدها؛ تحذيراً أو تهويلاً وتخويفاً^(٤). وإنما تليق الإطالة بالأئمة والرؤساء ومن يقتدى به ويؤخذ عنه. أما العامة فليس لهم إذا خطبوا سوى الإيجاز لأن الإطالة منهم. في رأى صاحب كتاب "البرهان". مداعنة التباين والاختلاف في الرأى، ولهذا المعنى يقول شاعر الخواج:

(١) من صحفة بشير بن المعتمن في الجاحظ: البيان والتبيين ج ١ س ١٣٨، ١٣٩.

(٢) البرهان في وجوه البيان لابن وهب، ص ٩٧٩٦.

(٣) المرجع السابق ص ٩٦. والجاحظ: البيان والتبيين ج ١ س ١٠٤، ١٠٥.

(٤) المرجع السابق ص ١٠٥. ونقد الثئرس ٩٧.

كنا أنساً على دين ففرقنا .. قدفع الكلام وخلط الجد باللعب
ما كان أفقى رجالاً ضلّ سعيهم .. على الجدال، وأغناهم عن الخطيب^(١)

وقد تتسم المعالجة في التحرير الصحفى بالطابع "الجدلي" من خلال التحقيق الصحفى؛ والمقالات؛ والأحاديث؛ وغيرها من فنون (المعالم الصحفية) خاصة؛ على النحو الذى يتواصل مع بلاغة الجدل فى إقرار الحجة عن طريق الحوار

وتبنى مقدمات الجدل مما يوافق الخصم عليه، وإن لم يكن في نهاية الظهور للعقل. وهذا ما يفرق بين الباحث عن الحق في ذاته، وبين المجادل الذي يقصد إلى إلزام خصميه الحجة. فإذا سبقت الحجة مما يوافق الخصم عليه فلا مطعن له فيها^(٢). والسائل في موقفه أقوى من المجيب، ولذا لا ينبغي للصحفى أن يتخير في الإجابة عن السؤال من يثق في قدرته على إجابته؛ لأنه إذا لم يجب، أو أجاب ولم يقنع، أو تلجلج في كلامه فقد ظهر عجزه^(٣).

وفي أسلوب التحرير الصحفى يستجاد عدم التكلف؛ والالتزام بالوضوح؛ وإثبات الغرض المقصود؛ وليس الأشياء والأحداث والصور من الوضوح في ذهن القارئ مثل ما هي من الوضوح في ذهن المحرر

كتاب الأسلوب ولغة الصحافة :

يقول عميد الأدب العربي في سياق حديثه عن التفكير: إنه الأداة الطبيعية التي نصلطنعها في كل يوم، بل في كل لحظة ليفهم بعضاً بعضاً وليعاون بعضاً على تحقيق حاجاتنا العاجلة والأجلة، وعلى تحقيق مهمتنا الفردية والاجتماعية في الحياة. ونحن نصلطنع هذه الأداة ليفهم بعضاً بعضاً، ولنفهم أنفسنا أيضاً. فنجد أننا نشعر بوجودنا وباحتاجاتنا المختلفة وعواطفنا المتباينة ومبولنا المتناقضة حين نفكّر. ومعنى ذلك أننا لا نفهم أنفسنا إلا بالتفكير ونحن لا نفكّر في الهواء ولا نستطيع أن نعرض

(١) المرجع السابق ص ١٠٤، ١٠٣ . والقدفع: الرمي بسوء القول .

(٢) نفس المرجع ص ١١١، وراجع كذلك الخطابة لأرسسطو الفصل الثاني من الكتاب الأول .

(٣) نفس المرجع ص ١١٩، د. محمد غنيمي هلال المدخل إلى النقد الأدبي الحديث ص ١٦٦ .

الأشياء على أنفسنا إلا مصورة في هذه الألفاظ التي نقدرها ونديرها في رؤوسنا وتظاهر منها للناس ما نريد ونحتفظ منها لأنفسنا بما نريد، فنحن نفكر باللغة ونحن لا نغلو إذا قلنا إنها ليست أداة للتعامل والتعاون الاجتماعي فحسب وإنما هي أداة للتفكير والحس والشعور بالقياس إلى الأفراد من حيث هم أفراد أيضا.

والكلمة المطبوعة في الوطن العربي مدرسة للمثقفين الذين ينقطعون عن الدراسة المتصلة بحكم نظم الحياة ومشاغلها حيث تصل بين وبين مناحي اهتماماتهم الثقافية وتكون بمثابة الحصة اللغوية اليومية أو الأسبوعية أو الشهرية والصحفية بذلك تيسّر لهم استمرار حياتهم اللغوية ومتابعة هذا المد الذي بدأوه في التعليم كما أن الكلمة المطبوعة تصبح مدرسة لعامة المتعلمين الذين لا يجدون في حياتهم ما يعينهم على ذلك ويسّر لهم أسبابه. إن عامة المتعلمين يجدون في الكلمة المطبوعة المبسطة مجال تيسير المعرفة وإتاحة أسباب اللغة، وعلى ذلك فإن لغة الصحافة ذات أثر كبير في حياة الأمة الفكرية اللغوية حيث تتيح للفكر فرصة الظهور وتمكن له من فرص النمو كما تضيف. باستمرار. إلى رصيد الفكر العربي وحياته الفنية والتعبيرية جديدا.

ولذلك تحرص الصحف الكبرى في العالم أن يكون لها دليل، يطلق عليه "كتاب الأسلوب" يتضمن مجموعة القواعد والتعليمات التي تضعها الصحفية لحريرها، وهي تشمل تهيئة النص، ومراجعته، وتصحّحه وتطابقته للأسلوب الصحفى والدقة في اللغة والمعلومات وتحاشي التعبيرات الجارحة وما إلى ذلك من الأمور التي تتحقق التناقض في أسلوب الصحيفة ككل، على النحو الذي يحفظ لها شخصيتها بين الصحف الأخرى ويحافظ على سلامة اللغة ودقتها في التعبير. وكتاب الأسلوب *Stylebook* الذي أصدرته وكالة "يونايد برس" من هذه النماذج الجيدة في مجال الأخبار

وكتاب الأسلوب في الصحف يقدم خلاصة وافية لاغنى عنها للاستعمال التحريري بصفة مستمرة. ذلك أن هذا الكتاب الدليلي يمثل مجموعة من المعايير في التحرير الصحفى لإرشاد المحررين بالصحف ووكالات الأنباء. وينذهب الأستاذ "وهنبرج" إلى أن كتاب الأسلوب الجيد يستطيع أن يقدم الكثير من أجل تحسين طريقة تقديم الأخبار والموضوعات الصحفية. يقول:

وعندما كان "لويس جورдан" محررا للأخبار في جريدة "نيويورك تايمز" كتب عن كتاب الجديدة الجديدة الذي صدر بعنوان "كتاب الأسلوب واستعماله" الذي راجعه وحرره قائلاً:

"إن الغرض من كتاب الأسلوب" هو إعطاء أفضلية على ذلك الذي يهبط بمستوى اللغة بالنزل بمستواها ويستهدف الحفاظ مثلاً على التمييز ما بين كلمتي "يتضمن" و"يستبدل"، وللافا بدعوة التعبير الجديد مثل الأفعال: يضيف ويؤلف.. ويعمل على تحاشي استعمال "أكل عليه الدهر وشرب" وتحاشي أي تعبير مبتذل أو بال، ويجتنب العامية في سياق الكلام غير الملائم، ويعي أهمية استخدامها في الوقت المناسب، وأن يستخدمها عندما يكون سياق الكلام ملائماً^(١).

ويسوق مثلاً على التغيير في أسلوب جريدة "التايمز" في ١٤ سنة منذ طبعتها الأخيرة لكتاب أسلوبها، فقد سبق للجريدة أن عرفت المرأة المتزوجة لأول مرة على أنها "مسز جون دو" أما الآن فتسميها "جين دو" للوهلة الأولى ثم "مسن دو" بعد ذلك، ويستمر كتاب الأسلوب في استعمال الألقاب الشرفية للرجال والنساء فيما عدا الأنسات (مس) ولكنه يحدّ:

"عند الإشارة إلى النساء يجب أن تتفاوت الكلمات أو الجمل التي تتضمن أن "التايمز" تتكلم بصوت رجال، فيجب أن يكون تصوير الرجال كنماذج للنساء كاستثناء"^(٢).

ومن بين الاصطلاحات المحظور استعمالها الألفاظ التي تحط من الكرامة مثل دُمية الجنس الضعيف، والمرأة الصغيرة . ويحدّ الكتاب أيضاً من المعانى الخبيثة غير الرغوبية من حيث "الدلالة" والتي قد تحمل اصطلاحات تبدو في ظاهرها حميدة مثل ريبة منزل، وشقراء، وسيمة، وجدة، ونحاته، وطلاق، وغيرها والقاعدة هي أن الكتاب يجب أن يسألوا أنفسهم بما إذا كانت مثل هذه المصطلحات ملائمة حين تستخدم بالقياس إلى الرجال في نفس سياق الكلام: وهي تستخدم أيضاً حين تعطى الأوصاف عن شخص أو جنس آخر أو دين .

(١) كتاب الأسلوب الصحفية نيويورك تايمز. نيويورك ١٩٧٦.

(٢) هوهنج: الصحفى المحترف، ترجمة ميشيل تكلا، ص ١٢٤.

إن قانون جريدة "التايمز" ضد الابتذال والسوقية والتجديفية الذى صدر فى ١٨٩٦ عندما اشتري أدولف س. أوكس الجريدة، كان مرهقا للأعصاب مع لواچ الصحف الأخرى الكثيرة. والآن فإن كتاب أسلوب "التايمز" يدعو إلى الدهشة عندما يفسر التجديفية فى هيئاتها المخفة بأنه يمكن فى بعض الحالات تبريرها^(١).

وفي حين أن كتاب أسلوب "أسوشيدبرس" يسمح باستخدام لفظ: الفحش أو الابتذال والسوقية والتجديفية طالما كان هناك سبب قوى لذلك. ومثل هذا الاستخدام لابد أن يرافقه تحذير للمحررين يكتب فوق الموضوع؛ وأن تستمر أخلاقيات الصحافة تصب أعينهم نموذجا يحتذى به.

كتاب الأسلوب الإلكتروني :

من وجهة النظر المقبولة بين المحررين فإن من الكتب المؤثرة فى الولايات المتحدة، كتاب أسلوب اب . يو بي آى، الذى روج لأول مرة بعد ٢٠ سنة فى عام ١٩٧٧ . ولأن وكالتنى الأنباء الأمريكية هاتين تغطيان الدولة الأمريكية؛ ولهم تأثير عظيم فعال خارج البلاد فإن كتابهما يقرأ بدقة بالغة .

وفي طبعته الجديدة، توجد اصطلاحات جديدة فى الأسلوب العادى، فيما عدا حالات عناوين المحاملات. فقد قررت الوكالتان إلغاء "مس" و"مسر" من جميع برقىات الرياضة واحتفظت بهما أى "مس" و"مسر" فى برقىات الأخبار ولكنها أعطت أى امرأة حق الاختيار بأن تلقب (مس). وأجريت تغييرات كثيرة هامة فى الأسلوب بسبب سيطرة الكمبيوتر فى عمل الخدمة السلكية. وكما يصف ذلك "وليم رياريت" وهو مساعد مدير تحرير "يوبي" "أى" بقوله: "إن الطرق القديمة التى كنا نعمل بها الأشياء لابد أن تهمل فى هذه الأيام بسبب التكنولوجيا الحديثة وأجهزة الكمبيوتر التى تتكلم مع غيرها من أجهزة الكمبيوتر فالكمبيوتر يحتاج إلى معلومات معينة دائما فى نفس المكان حتى يعرف ما يجب عليه عمله.. وبمعنى آخر، الكمبيوتر يخضع لبرامج تقوم بالبحث عن أشياء معينة فى مكان معين وهو يتفاعل بطرق معينة نتيجة لذلك. والغرض من وراء الحصول على نموذج تتبعه جميع الخدمات "البرقية هو تمكن

(١) نفس المراجع ص ١١١.

مستلمى المعلومات من تنمية البرامج لقبولها بطريقة موحدة .. وحدثنا "هو هونبرج" عما يسميه بدرس "هيمنجواى" الكاتب الأديب الشهير، ذلك أنه بعد سنوات من اعتزاله العمل في صحيفة "كانساس سيتى ستار"؛ يذكر "أرنست هيمنجواى" أول مبادئ كتابة الأخبار كما وصفت في كتاب الأسلوب بالصحيفة وكانت أول جملة على النحو التالي:

استخدم جملًا قصيرة. استخدم فقرات قصيرة. استخدم لغة إنجليزية قوية ولا تنس أن تصارع من أجل السلامة. كن إيجابيا ولا تكن سلبيا.

يقول تشاريس أ. فتنون في كتابه "الللمدة على يد إرنست هيمنجواى" والحاصل على جائزتي "نوبيل" و"بوليترن" عن تأثير أسلوب الكاتب.

كانت هذه أحسن القواعد التي تعلمتها في مهنة الكتابة. ولم أنسها مطلقا وليس هناك إنسان ذو موهبة، يحس ويكتب بصدق عن الشيء الذي يحاول أن يقوله ويفشل في أن، يكتب جيدا إذا التزم بهذه القواعد ..

أن صورة واحدة للتنوع المثير في الاستعمال الذي يمكن أن تكتب به اللغة، هو إصرار الصحف الكلاسيكية، لعظام سنوات هذا القرن، على أن الأفراد يجب أن يعرفوا كأشخاص. وكلمة كثير قد تعنى فرقا غير محدودة "كانساس". وبقليل من الاستثناءات فإن جميع صحفيي الإذاعة تقريبا يستخدمون كلمة "ناس" كما صدرت في الطبعة الثالثة العالمية من قاموس "ويبيستر".

ومنذ صدرت صحيفة (الأهرام) قبل مائة وخمسة وعشرين سنة، وهي مدرسة بكل ما تحمل هذه الكلمة من معانٍ على حد تعبير الأستاذ إبراهيم نافع في تصديره لـ"دليل العمل الصحفي" للأهرام Style Book - Al Ahram Style Book يقول في تصدير هذا العمل الكبير: وقد تطورت طباعة الأهرام بتطور الطباعة ومستلزماتها، فكانت الرائدة في الوطن العربي، بل كانت أول من لاحق عصر الأقمار الصناعية وثورة الاتصالات فيتناول الصور وبثها في لحظات لتكميل التعبير بالكلمة والصورة في آن واحد، وكما تطورت المعدات، تطور أسلوب الكتابة ليواكب أسلوب الحياة المتعددة دائمًا. ومن هنا يلحظ القارئ الفرق الكبير بين ما يكتب في الجريدة اليوم وما كان يكتب قبل أكثر من

مائة عام في أواخر القرن التاسع عشر ثم في مطلع القرن العشرين، ومنتصفه وأخر سنواته. ولكن الأهرام حرصت دائمًا على شيء مهم هو أن تحوز ثقة قارئها في صدق ما تكتب، ودقة ما تنشر. ولعل هذا هو ما أعادها على البقاء طوال هذه السنوات التي لا تباريها فيها مطبوعة عربية أخرى في أي مكان من وطننا الكبير.

"إذا كانت "الأهرام" مدرسة لقارئها بما تنقله إليهم من أخبار وتحليلات وأفكار وآراء حرة فإنها تعتبر أيضًا مدرسة للعاملين في الصحافة تعلم فيها ألف من المهنيين الذين لمعت أسماؤهم، وأصبحوا نجوماً في سماء الوطن العربي. أبناء مدرسة "الأهرام" أصدروا وحرروا المئات من الصحف والمجلات ووضعوا فيها خبراتهم التي اكتسبوها من هذه المدرسة".

إلى أن يقول الأستاذ إبراهيم نافع عن كتاب "الأسلوب ودليل العمل الصحفى في الأهرام": مع سنة التطور رأت الأهرام أن تصدر هذا الكتاب كدليل عمل للصحفيين الجدد. تهدف من وضعه بين أيديهم أن يكون هادياً لهم في عملهم المهني الذي يمارسونه كل يوم.. وهو يكمل بذلك الدراسة النظرية التي تلقواها في الجامعات. وهذا الدليل خلاصة تجارب زملاء من أسرة الأهرام مارسوا الصحافة سنوات طويلة، عملوا في شتى فروعها. واكتسبوا خبرات يندر أن تتوافر لصحفى آخر في الوطن العربي".

وقد نهض بإعداد هذا العمل العلمي، الأستاذ أحمد نافع، الذي يقول في تقديم الكتاب: "إذا كانت الصحافة هي ضمير الأمة، وهي عقلها الذي تتماوج فيه الأفكار، وتتواءن فيه الآراء.. وهي قائدة النهضات لبناء الحضارة وهي الوعاء الأوسع لنشر المعارف، والعمود الأعلى لرفع أراء الثقافة:

"إذا كانت الصحافة هي هذا كله، وأكثير من هذا كله فما أحراها بأن تكون ناصعة البيان سليمة اللسان نقية الوجدان، تقدم للناس خلاصة المعرفة في مجالاتها المختلفة التي تصول فيها وتتجول بالعبارة السهلة، واللغة الصحيحة، تعرض فيها حقائق الأمور جلية واضحة، وتهدى بها إلى السبيل السوى، وتصل بها إلى غايتها المنشودة.

"كانت الصحافة من قبل ملكاً لأفراد يملك أحدهم الصحفة فيقود هو خطابها كما يشاء، ويحكم على الأمور كما يشاء.. من وجهاً نظره الفردية، لا يسمح بأن ينشر في صحفته إلا ما يوافق نزعته وهواده، من الناحية السياسية ومن النواحي الاقتصادية والاجتماعية على السواء.. ولقد أصبحت الصحافة الآن مؤسسات كبيرة يقودها ضمير الأمة ويدوها إلى غايتها ومقاصدها، فهي تضم كل الاتجاهات وتنقل إلى القارئ أهم ما يتصل بحياته من شئون؛ طبقاً لحقه الدستوري في المشاركة عن طريق حق الفهم والمعرفة، فأصبحت معطياتها اقتصادية وسياسية واجتماعية وثقافية وأدبية وفنية ودينية، فهي انطلاقاً من ذلك كله تمضي إلى تحقيق المصالح العليا للأمة علمًا وحضارة وتقديماً ورخاء.. تلك هي الصحافة اليوم وتلك هي رسالتها".

ويخلص الأستاذ أحمد نافع من ذلك إلى أن "من حق القارئ أن يتلقى ما تقدمه الصحافة إليه في الأسلوب الأسهل، والبيان الأمثل، والعبارات السلسة، والكلمات الواضحة، واللغة الصحيحة. وقد يحدث أن يختلف الكتاب الصحفيون في استعمال الأخطاء الشائعة؛ فمنهم من ينكرها وتحاشاها؛ ومنهم من يجيزها لشيعها، وقد يختلفون أيضاً في بعض مواضع الهمزة وعلى أي حرف ترسم. وقد يفوت بعضهم بعض دقائق اللغة كما هو الحال في تمييز الأعداد مثلاً. لذلك كان من أهداف هذا الكتاب وضع هذه الأمور وأمثالها في نصابها الصحيح ودعوة كتاب الجريدة ومجلاتها المختلفة والعاملين فيها جمياً إلى مراعاة هذه الضوابط وإتباعها، لأن القارئ إنما يتلقى في هذه الأيام خاصة، علمه وثقافته وعارفه وضوابط لغته من الصحف، ومن حقه هو على صحفته التي يتلذذ عليها ألا تبلبل فكره بين شتات من الأشكال للكلمة الواحدة وشتات من الضوابط في لغة الكلام".

وحين نلقى نظرة سريعة على أثر الصحافة في اللغة في النصف الأول من القرن الحاضر في مصر نجد طائفة من مشاهير الكتاب في الأدب والسياسة والاجتماع كان لمقاليتهم وكتبهم التي نشرت كمقالات في الصحف أثر كبير في تطور الشعر والأدب العربي بوجه عام، وهم يشتهرن جميعاً في وفرة المحصل من المقالات في المجلات والصحف على اختلاف أنواعها، غير أنهم اختلفوا في أسلوب الكتابة فمنهم المتعمق وراء الفكر: (العقاد) ومنهم المؤثر للأسلوب الحديث القريب التناول: (المازنى) ومنهم

الأكاديمي المتمكن من الأسلوب العربي الكلاسيكي قادر على معالجة نواحي الحياة الحديثة بهذا الأسلوب: (مه حسین).

والصحافة توجه النشاط العقلی للأمة. وتاريخ الصحافة يشمل فترة طويلة من الزمن تسمح لنا بأن نتبين تأثير التطور الاجتماعي على عقلية الناس وان تتبين حرص لغة الصحافة على جوهر اللغة العربية، وسيرها طبقاً لخصائصها وأساليبها الأصيلة والعريقة.

والصحافة العربية تساهم في تجديد لغة الضاد عن طريق عاملين رئيسيين أحدهما: هو الكسب الخارجي وما يتسرّب إليها من لغات أخرى عن طريق الترجمة البرقية ثم يتّصل فيها ويصبح جزءاً ثابتاً منها.

كما أن دراسة المفردات في لغة الصحافة تتجه ناحية أخرى غير الناحية التاريخية؛ ذلك أن الكلمات لا تستعمل في واقع اللغة الصحفية تبعاً لقيمتها التاريخية وإنما على أساس أن للألفاظ في الصحافة قيمة محددة باللحظة التي تستعمل فيها. إن السياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة، ومن ذلك ما جرى في لغة الصحافة جرياناً طبيعياً من ألفاظ وأوضاع جديدة لمعانٍ شتى فقبل مثلاً:

فنان. للماهر في الفنون. أصبح على أمر ما: أى أنكره ووضع فاعله موضع الملامة. تجول في البلاد. بدل جول فيها "اكتشف الأمر. أى كشفه وأظهره لأول مرة خابره. أى فاوضه أو بادله الخبر ومنه قلم المخابرات حُكم على المجرم بالإعدام أى بالموت.. والإعدام أصلاً فقد المال، فتحوله إلى فقد الحياة.

نظام وحدوى نسبة إلى الوحدة والقياس أن يقال وحدى ومثلها كُتلوى نسبة إلى الكتلة. وتأسساً على ذلك وجدنا اللغة الصحفية تتجه إلى الوضع اللفظي لخاتف المعانى والأغراض، ولقد أضافت إلى اللغة كثيراً مما لم تعرفه من قبل، واستخدمت في ذلك النحت والقياس والاشتقاق. كما اتجهت لغة الصحافة في اتجاه الوضع المجازى عن طريق توليد اصطلاحات مجازية للتعبير عن معانٍ خاصة، يذكر منها الأستاذ أنيس المقدسى: القوة الضاربة. أى السلاح الكافى، اجتمع المؤتمر على صعيد الوزارة أى كان مؤلفاً من وزارة الدولة.

أخذ المبادرة، أى سبق غيره فى أمرها. انتهاك صارخ لحقوق الشعب، أى انتهاك واضح شديد. ناطحات السحاب. للأبنية الشاهقة العلو. توترت العلاقات بينهم أى ساءت واشتدت، صوت في الجلسة لفلان: أى كان من مؤيده وأظهر تأييده له.

كما اتجهت لغة الصحافة إلى الاشتقاد الإسمى عن طريق اشتقاد صيغ من أسماء خاصة ومن أمثلته: قنن . من القانون. نقول قنن الطعام أى تناوله بحسب قانون محدد. مول . من المال. مول المشاريع أى قدم المال اللازم لها. تطور. من الطور فنظام التطور هو التقدم من طور إلى طور عايد أو عييد . من العيد احتفل بالعيد أو هنا به. قيم . من القيمة تقييم الأشياء أى تقدير قيمتها. استجواب . من الجواب. استجوب القاضى فلانا أى طلب منه الجواب. وهكذا فإن "لغتنا تتسع لكل عظيم" على حد تعبير الأستاذ أحمد نافع الذى يقول فى "دليل العمل الصحفى": والعربية هي التى وسعت كتاب الله وسنة نبى عليه الصلاة والسلام ووسيط ما تفرع عن ذلك من تراث الإسلام وعلومه تفسيراً أو حديثاً وفقها وتشريعاً ووسيط علوم التوحيد وأصول الأحكام وعلوم الفلك والرياضيات وعلوم الطبيعة والكيمياء.. والطلب والزراعات والصناعات.. وهى الآن تتسع لكل ما يترجم إليها من اللغات الحية واللغات المنتشرة في هذا العالم الواسع الكبير شرقية وغربية، ولا تزال العربية تتسع لكل عظيم".

يقول أستاذنا الدكتور شوقي ضيف رئيس مجمع اللغة العربية من مقال بعنوان: "اللغة العربية في مواجهة القرن الحادى والعشرين" نشر في صفحة الأدب بجريدة الأهرام^(١): "اللغة العربية أقدم اللغات الحية زمنا وأطولها عمرًا وأكثرها قدرة على تمثل الحضارات السابقة عليها، تمثلت حضارات الأمم القديمة التي سبقتها في الحضارة وأضافت إليها ما جعلها ذات حضارة كبرى أذاعتتها في القارات القديمة: آسيا وإفريقيا وأوروبا، وامتازت بحيوية متأججة نفاذة بحيث لم تنازل لغة أيام الفتوح الإسلامية إلا ظفرت بها، ظفرت في العراق باللغتين: الآرامية والنبطية. وفي إيران باللغة الفارسية وفي الشام باللغتين السريانية واليونانية، وفي مصر باللغتين الديموطيقية واليونانية، وفي تونس وما وراءها باللغتين: البربرية واللاتينية وفي الأندلس: باللغة الرومانية الإسبانية.. وأهل كل هذه البلدان شرقاً وشمالاً وغرباً زايلت لغاتهم ألسنتهم

(١) جريدة الأهرام، صفحة الأدب. الجمعة ١٢/٥/١٩٩٧.

وحللت مكانها العربية، واتخذوها للتغيير عن وجدها ومشاعرهم شعراً ونثراً وعن عقولهم وألبابهم فكراً وعلوماً وفلسفة، ووأنتهم العربية. وخاصة في صنوف العلوم والأفكار الفلسفية. بكل ما أرادوا من صور التغيير مما كانت عميقة لروتينها الشديدة واستيقاقاتها الكثيرة. وقادت اللغة العربية العالم حضارياً وأدبياً وعلمياً وفلسفياً طوال ستة قرون منذ القرن الثامن الميلادي، وظلت علوم العرب وفلسفتهم تصب في أوروبا وجماعاتها منذ بدءها في ترجمتها بالقرن الحادى عشر الميلادي وموضواً يتعلمونها حتى القرن السابع عشر وأخذت تضيئ لهم مسالكهم إلى علومهم الحديثة.

وأصاب العربية ركوداً قرولاً وعادت إلى الازدهار في عصر محمد على وخلفائه. وفي هذا القرن العشرين ينفتح العرب على علوم الغرب وينشطون في ترجمة الطب والعلوم المختلفة إلى العربية ويضعون معاجم العلوم فرادي وجماعات كمعجم محمد شرف الطبى سنة ١٩٢٦ ويشتمل على أربعين ألف مصطلح طبى، ناهيك عما وضعه مجامع اللغة العربية في القاهرة وسوريا وبغداد من عشرات المعاجم العلمية، ولجمع اللغة العربية القاهرى أربعة عشر معجماً علمياً، وليس في الجامعات المصرية علم عربى يدرس فيها الآن إلا وفي المجمع القاهرى مُعجم له يعرض مصطلحاته الغربية ومقابلاتها العربية. واضح من ذلك كله. أن للغة العربية تاريخاً حضارياً مجيداً وعمر فيه منذ أربعة عشر قرناً كل ما كان لدى الأمم القديمة من حضارات وعلوم وفكرة وفلسفه، وأضافت إلى كل ذلك إضافات رائعة وقادت العالم قرولاً؛ حضارياً وعلمياً، وواكبت أوروبا قرولاً متعاقبة على علومها وفلاسفتها مما أعدها سريعاً للنهضة الحديثة.

واستطاع علماء مصر في القرن الماضي أن يستحدثوا فيها لغة علمية عصرية شاعت في العالم العربي، وعلا صوتها في هذا القرن العشرين بفضل أدباء مصر الكبار الذين ترجم أعمالهم إلى الغرب، وبفضل علمائها الذين ينقلون إليها العلوم الغربية ومصطلحاتها العلمية. وهذه اللغة الحية التي ملأت العالم شرقاً وغرباً علماً وأدباً، يدعو بعض أبنائها في بعض الصحف إلى استبدالها بالعامية التي نستخدمها في حياتنا اليومية بالسوق والمصنع والمنزل. ومن يدعون هذه الدعوة لا يعرفون تاريخ اللغة العربية: لغتنا ولغة العرب القومية، وطاقاتها اللغوية، وحملها لتراث الأمة الثقافي الدينى والتاريخي والأدبي والعلمى؛ طوال أربعة عشر قرناً، وهم أيضاً لا يعرفون شيئاً عن العامية.

- وهى فى أكثرها. فصحى محرفة كما فى مثل: سمع وفهم وعلم، بكسر أولها جميرا. ثم هى لا تحمل أى تراث ثقافى أو دينى أو تارىخى أو علمى، وهى لا تصلح أن تحمل لنا ذكرا أو علما أو دينا، إذ هى لهجة متداولة فى الشئون اليومية المؤقتة. والعربية فى ذلك مثل اللغة الفرنسية وغيرها من اللغات الغربية الحية، فجميعها لها لهجات يومية متداولة لها شعوبها غير لغاتها الأدبية والعلمية، ولم يقل أحد هناك: دعونا من لغة الفكر والعلم والثقافة والأدب. ولنتحدث فيها بالهجة اليومية. وذلك فضلا عن أنها دعوة خطيرة، إذ يتربى عليها أن تصبح للأمة العربية لغات بعدد عامتيات شعوبها التى تصل إلى نحو عشرين عامتية، وبعض الأقطار به عامتيات متعددة مثل العراق ومثل مصر، ومعروف أن عامتية الوجه البحري تختلف عامتية الصعيد، وهم بذلك يدعون؛ دون وعي. إلى تمزيق الأمة العربية إلى أمم بعد العامتيات المنتشرة فى أقطارها. ومثل خطأ الدعوة إلى العامتية الدعوة إلى الإبقاء على الإنجليزية لغة لتعليم العلوم الغربية فى جامعاتنا العربية وتعيمها فى كل سنوات الكليات العلمية، ويقولون أيضا إن العلم عالم؛ ولماذا لا نعلم شبابنا بالإنجليزية اللغة العلمية السائدة فى المحيط العلمى. ويقولون إننا إذا علمنا العلوم باللغة العربية يخشى عليهم من الانغلاق ولا يستطيعوا ملاحقة التيار العلمى资料. ونحن حين نقول بتعريب التعليم الجامعى فى البلاد العربية سنحرض أشد الحرث على إتقان الشباب للغة الإنجليزية أو إحدى اللغات الحية الأجنبية، وستوضع للشباب البرامج والمناهج الكفيلة بتحقيق ذلك، بحيث يكون أساتذة جامعاتنا مثل أساتذة الجامعات فى فرنسا أو فى ألمانيا، فهم يعلمون العلوم بالفرنسية فى الأولى أو بالألمانية فى الثانية، ويكتب نفر منهم مقالات علمية باللغة الإنجليزية، وينشرها فى المجالس العالمية. وسيكون أساتذة جامعاتنا مثلهم يعلمون الشباب فى الجامعات باللغة العربية، وسيكون منهم من يتقنون الإنجليزية أو لغة حية غريبة أخرى، ويكتبون بها مقالات علمية تنشر فى المجالس العالمية.

ويبيننا نفر لا يعرفون اللغة العربية وتراثها ويقولون: إنها لغة تراثية ولا تصلح لعصرنا إذ لا تستطيع مواكبة الحضارة الغربية ولا مجارة إنجازاتها الحضارية، وهى . بذلك . تعد مغتربة عن عصرنا، ولا تصلح له أى صلاحية. وهو كلام يُلقي على عواهنه دون تدبّر، دون معرفة بالتراث العربى، وتمثله لحضارات الامم القديمة، وإقامته

حضارة شامخة، وعيوره الأندرس وصقلية إلى أوروبا، وإعدادها العلمي لحضارتها الحديثة، كما أعدت مصر في القرن الماضي للتفوّد إلى لغة علمية حديثة شاعت في العالم العربي. وطبعي أن هذا النفر لا يعرفون اللغة العربية وتراثها ولا يعرفون أنها هي التي قاومنا بها مقاومة عنيفة المستعمرين الإنجليز والفرنسيين، حتى ولوّا على وجوههم من ديارنا العربية إلى البحر المتوسط وما وراءه. ومعروف مدى مقاومة العربية الحادة وتراثها؛ لفرنسا طوال قرن وربع قرن في الجزائر؛ حتى طردتها بعد محاولاتها الكثيرة اليائسة تعليمية وغير تعليمية، في استخدام الجنود الفرنسيين بدلاً من العربية. إن اللغة العربية لم تنازل لغة إلا ظفرت بها، وهو ظفر وانتصار كانت تستعين فيها العربية بتراثها الثقافي؛ الأدبي والعلمي والتاريخي والديني الذي ينزل منها منزلة الأرواح والأفئدة.

وهابو الغرب يعبد لنظام عالمي جديد من أهم مقوماته العولمة، وهي أن تصبح كل أمة فيه عالمية حضارياً وثقافياً، ويخشى مع هذا النظام أن تفقد الأمم خصوصياتها وهوياتها.

وفي تقديرى أن العرب لم يقبلوا هذا النظام إلا إذا اعتدل ميزانه ولم يتعارض مع شخصيتهم الحضارية والثقافية، والأمة العربية في مواجهتها القرن الحادى والعشرين بل قرون الألف الميلادية الثالثة جميعها ستظل تصر إصراراً لا يماثله إصرار على التمسك بهويتها ولغتها العربية، وتراثها الحضاري والثقافي الخالد الذي أتاح لها حياتها الطويلة الخصبة وجودها العالمي العظيم^(١).

وتساءل مع الأستاذ أحمد نافع: "من من الناس وحملة الأقلام أولى من الصحفى بسلامة اللغة وصحتها؛ وهو الذى يقود ركب الثقافة والبيان والبلاغ فى أمته وشعبه؟ ذلك أن الصحافة "ومعها وسائل الإعلام الأخرى من إذاعة وتلفزيون، تلزّم الناس من صحوهم إلى منامهم، فهى المؤثر الفعال فى طبع حياتهم وصوغها، وفي توجيه أفكارهم وتنوير عقولهم وتنقية وجدانهم وترسيخ قيمهم؛ أو هي التي تقلب ذلك كله رأساً على عقب. الصحافة هي المعلم الأول للشعوب وعنها يتعلم الناس، وبها يقتدون، فهي أعم وأشمل وأوسع تأثيراً من المدارس والجامعات، فإذا لم تتدارك

(١) د. شوقي ضيف: "اللغة العربية في مواجهة القرن الحادى والعشرين"

الصحافة الأمور التي تمسخ شخصية الأمة أو تهاونت في استشارة الأخطاء التي تشيع في لغتها، صارت تلك الأخطاء عند الناس هي القاعدة من حيث لا يدركون.. والصحفى كاتب، وكل كاتب يجب عليه أن يراعى فيما يراعى سلامة لغته وقواعدها الصحيحة وأن يتعرف على الأخطاء ليتحاشاها^(١).

ويؤكد كتاب الأسلوب في وكالة "أسوشيتيدبرس" أن هذا المرجع الدليلي للحرررين؛ يساعد على تقديم الكلمة المطبوعة تقديمًا دقيقاً، ومحكماً، ومحظياً لعين القارئ، ويجب أن يرتكز على قواعد النحو.

إن أى كتاب للأسلوب؛ كما يذهب إلى ذلك "هوهنجر" لا يمكن أن يحل محل العمل الشاق؛ والمهارة المكتسبة في الكتابة؛ والذوق الفنى؛ من مقومات الكاتب والحرر الصحفي. كما أن هذا المرجع الدليلي لا يمكن استخدامه لتقويم النقاط المهمة في قصة خبرية أو موضوع صحفي. ولا يستطيع أن يظهرنا على طريقة أفضل لتقديم الأخبار أو ترتيبها؛ إذ ليست هناك قوانين تحل محل التفكير نفسه.

الشكل والمضمون في فنون التحرير:

والمضمون يمثل نقطة البدء للتعبير في التحرير الصحفى؛ وليس هناك فاصل بين خصائص المضمون وخصائص التعبير؛ بحيث يمكن الانتقال من أحدهما إلى الآخر، وفي ذلك يقول "كروتشى": "قد يكون المضمون هو ما يمكن تحويله إلى شكل، ولكن طالما لم يوضع في الشكل، لا تكون له صفات محددة؛ فلا نعلم عنه شيئاً^(٢) ولا يصير مضموناً إعلامياً، إلا بعد وضعه في "الصورة التحريرية" الملائمة.

فاللفظ والمعنى متلازمان؛ إذ العمليات الفكرية في التحرير واحدة؛ وفيها تتجلى الصورة الإعلامية عن طريق صياغتها. ولذلك ذهب عبد القاهر في البلاغة العربية، إلى ربط الألفاظ بدلائلها في السياق من حيث تكوين الصورة الأدبية فإذا كانت العبرة بالألفاظ في مواقعها من الجمل، فليس ذلك لأنها المقصودة أولاً بالفكرة؛ إذا لا يعقل أن يقصد أولاً إلى ترتيب المعانى في استقلال عن اللفظ، ثم بعد ذلك يُستأنف النظر في

(١) أحمد نافع: دليل العمل الصحفى. الأهرام؛ مؤسسة الأهرام ١٩٩٧.

(٢) د. عبد العزيز حمودة: علم الجمال والنقد الحديث، ص ٢٥.

الجملة الدالة عليها، ولا أن يقصد إلى ترتيب الألفاظ وتواليها على نظم خاص في استقلال عن الفكر، ولكن هذا الترتيب للألفاظ يقع ضرورة ملزماً للمطلوب الأول، وهو المعنى المدلول عليه في الصورة^(١) وليس الأمر كما ذهب ابن خلدون إلى أن المعنى تابع للفظ - في مناصرته للفظ -^(٢) ولكن الأمر كما يرى عبدالقاهر. يجعل اللفظ تابعاً للمعنى بالضرورة؛ إذ الألفاظ أوعية للمعنى، وهي أدواتنا لفهم هذه المعنى. "فإذا وجب لمعنى أن يكون أولاً في النفس وجب للفظ الدال عليه أن يكون مثله أولاً في النطق"^(٣) فلا يتصور "أن يعرف المرء للفظ موضعًا من غير أن يعرف معناه، ولا أن يتلوّح في الألفاظ من حيث هي ألفاظ ترتيباً ونظمًا، وإنما يتلوّح الترتيب في المعنى؛ فإذا تم ذلك تبعتها الألفاظ وقفّت آثارهما" و"إنك إذا فرغت من ترتيب المعنى في نفسك، لم تتحت إلى أن تستأنف فكرًا في ترتيب الألفاظ، بل تجدها تترتب لك بحكم أنها حدة؛ وتابعة لها ولاحقة بها؛ وإن العلم بموضع المعنى في النفس، علم، بموضع الألفاظ الدالة عليها في النطق"^(٤). ولهذا التلازم في العملية الفكرية بين الألفاظ في السياق ودلالتها على معناها العام، يرى عبدالقاهر أنه لا يتصور بحال أن يصعب مرام اللفظ بسبب المعنى، لأنّه لا يتصور أن يحصل المرء على المعنى أولاً على حدة، ثم يبحث له عن الألفاظ الدالة عليه؛ إذ أن الألفاظ. من حيث هي ألفاظ لا تطلب بحال؛ وإنما تطلب من أجل المعنى في الصياغة والسياق. فطلب المتكلم دائمًا متوجّه إلى المعنى الذي يريد أن يصوغه في كلام تام يدل عليه، وقد تعرّض له الصعوبة بسبب اللفظ. ومن أجل ذلك تخلّصت لغة الصحافة من السجع مثلاً؛ ذلك أن صعوبة ما صعب من السجع هي صعوبة عرضت في المعنى من أجل الألفاظ وذلك أنه صعب عليك أن توفق بين معاني تلك الألفاظ المسجعة، وبين معانى الفصول التي جعلت أرداها لها، فلم تستطع ذلك إلا بعد أن عذلت من أسلوب، إلى أسلوب، أو دخلت في ضرب من المجان، أو أخذت في نوع من الاتساع؛ وبعد أن تلطفت على الجملة ضرباً من التلطف^(٥).

(١) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز ص ٤٢ - ٤٣.

(٢) د. محمد غنيمي هلال: السابق ص ٢٩٦.

(٣) عبدالقاهر الجرجاني: المرجع السابق ص ٤٢.

(٤) نفس المراجع، ص ٤٤.

(٥) نفس المراجع، ص ٤٤.

والعملية الذهنية في التحرير يتلزمه فيها المعنى؛ والألفاظ الدالة عليه في الجمل مُؤتلفة؛ وبَدَهِيَّ أن المطلوب هو المعنى؛ إذ الألفاظ من حيث هي أصوات لا تطلب أبداً، ولكن المعنى إنما تُطلب بالألفاظ من حيث دلالتها في التحرير، فأنت إنما تطلب المعنى؛ وإذا ظفرت بالمعنى فاللفظ معك، وإزاء ناظرك، وإنما كان يتصور أن يصعب مرام اللفظ من أجل المعنى أن لو كنت طلبت المعنى فحصلته، احتجت إلى أن تطلب اللفظ على حدة وذلك محال^(١)، على حد تعبير عبدالقاهر، وهنا نجد أن عبدالقاهر يمسّ مسألة جوهريّة؛ أشار إليها أرساطو وهي أن عملية النطق مستلزمة للتفكير بالضرورة. ويسلم العلم الحديث بأن التفكير على أية صورة إنما يكون بالألفاظ، على حين يفكّر المرء في صمت في ذات نفسه، واللغة هي وسيلة للوعي: "بما حولنا، والتعبير عنه"^(٢). يقول "برجسون" في مقدمة رسالته في الأفكار المباشرة للوعي: "إننا نفكّر ضرورةً بالألفاظ".

وَهِينَ نَذَهَبُ إِلَى أَنَّ التَّحْرِيرَ الصَّحْفِيَّ إِنَّمَا هُوَ فِي جُوهرِهِ تَفْكِيرٌ وَتَعْبِيرٌ؛ فَإِنَّ هَذَا الْمَذَهَبَ يَرْجِعُ إِلَى أَنَّ الْكَلْمَاتَ رَمُوزٌ لِعَانِيِ الْأَشْيَاءِ؛ الْحُسْنِيَّةَ أَوْلًا، ثُمَّ التَّجْرِيدِيَّةُ الْمُتَعْلِقَةُ بِمَرْتَبَةِ الْحُسْنِ ثَانِيًّا. فَهِيَ رَمُوزٌ لِحَالَاتٍ نَفْسِيَّةٍ هِيَ مَادَةُ الْفَكَرِ، وَالصَّوْتُ الْلَّغُوِيُّ وَظِلِّيَّةُ عَقْلِيَّةٍ، لَهَا دَلَالَاتٌ عَلَى الْكَلَامِ النَّفْسِيِّ الدَّاخِلِيِّ. وَهَذِهُ الْحَالَاتُ النَّفْسِيَّةُ الَّتِي تَثْبِرُهَا الْلِّغَةُ لَيْسَ فَرْدِيَّةً مَحْضَةً؛ لَأَنَّ دَلَالَتَهَا عَلَى الْأَشْيَاءِ وَمَعْانِيهَا لَيْسَ طَبِيعِيَّةً؛ بَلْ هِيَ وَضْعِيَّةُ اصْطِلَاحٍ عَلَيْهَا؛ فَمَعْانِيهَا الْمُشَتَّرَكَةُ بَيْنَ النَّاسِ هِيَ الَّتِي تَعْطِيهَا كُلَّ قِيمَتِهَا الْلَّغُوِيَّةَ. وَبِهَذَا وَحْدَهُ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَفْكَرَ بِالْكَلْمَاتِ؛ وَنَبْنِي حَجَجَنَا عَلَيْهَا بِوَصْفِهَا رَمُوزًا لِلْأَشْيَاءِ. يَقُولُ أَرْساطُو:

"الكلمات المنطقية رموز لحالات النفس؛ والكلمات المكتوبة رموز للكلمات المنطقية؛ والكتابة ليست واحدة عند كل الناس، شأنها في ذلك شأن الكلمات المنطقية، ولكن المحاولات النفسية التي يعدها التعبير دليلاً مباشراً عليها هي عند كل الناس، شأنها في ذلك شأن الأشياء التي تُعدُّ هذه الحالات صوراً لها"^(٣).

(١) نفس المرجع، ص ٤٩.

(٢) د. محمد غنيمي هلال؛ المرجع السابق، ص ٤٨.

(٣) نفس المرجع، ص ٤٩.

وفي التحرير الصحفى . تأسيسا على هذا الفهم . عمليات عقلية متتابعة؛ تقوم على أساس الفهم التواصلى للغة؛ فالتسمية نفسها تضيف إلى المحسوس ما يزيد به عن مجرد وجوده الحسى . فإذا قلت: (محمد) مثاد فهذه التسمية تتضمن مبدأ (الإنسانية) إضافة إلى تعينها هذا الشخص المعروف بهذا الاسم، ومبدأ (الإنسانية) عالى فى ذاته . وبذلك كانت اللغة عند أرسطو رمزاً للفكر فالنطق والفكر عنده متلازمان . ويدون الكلمات لا يتيسر فكر ولا علم ولا اتصال . وكلمة (لوجوس) Logos التي من معانيها (النطق أو العلم) معناها: اللّفظ في الأصل؛ ثم صارت تطلق على اللغة، وهي عند أرسطو مرادفة للعقل^(١) .

والإنسان لا يواجه الواقع مواجهة أولية، فبدلا من التعامل دائمًا مع الأشياء نفسها، يطّور الإنسان أفكاراً عن هذه الأشياء، وهو يغلف نفسه بخلاف من الأشكال اللغوية، والصور الفنية، والرموز الأسطورية؛ لدرجة أنه لا يستطيع أن يرى شيئاً أو يعرفه إلا من خلال نظامه الرمزي . وكما قال "ابيكتيتوص": "إن ما يقلق الإنسان ويخيفه ليست هي الأشياء، وإنما آراؤه وتخيلاته عن هذه الأشياء" .

ولقد صور "والترليان" عام ١٩٢٢ في كتابه عن (الرأي العام) صورة ممتازة للبيئة الصورية . فالعالم الموضوعي الذي يتعامل معه الإنسان يخرج عن نطاقه وعن بعده وعقله . ويضع الإنسان لنفسه في رأسه صورة للعالم الخارجي تختلف في مدى الاركون إليها . وهكذا لا يسلك الناس على أساس المعرفة المباشرة والمؤكدة بالعالم الواقعي، وإنما على أساس الصور التي صنعواها بأنفسهم، أو أخذوها عن الآخرين، ويتوقف سلوك الإنسان على تلك الصور التي في ذهنه . وهذه الصور تفك الرسائل التي يتلقاها الإنسان من العالم الخارجي، ويستخدم فيها الصور المخزنة، والتصورات السابقة، والتحيّرات، والدّوافع، والمصالح، لتفسيير الرسائل واستكمالها، وبالتالي توجيه عمل الانتباه والرؤية ذاتها، وتصبح هذه التفسيرات أو التوسيعات نماذج أو أنماطًا جامدة .

ويذهب "لberman" إلى أن هذه الأنماط الجامدة تقرر السلوك البشري . والأصل في (النمط) أنه ذلك اللوح الذي يصنع بأخذ قالب للسطح الطبيعي، وصب المعدن الطبيعي عليه، وتصبّ عقول الناس، وفقاً لنظرية (لberman) في قوالب . وهي الصور التي

(١) نفس المرجع، ص ٤٩ .

يكونونها عن العالم الخارجى، ثم تقوم العقول بتوليل الأفكار والاستجابة للمثيرات وفقاً لنماذج القوالب. كان "للمان" يكتب فقط عن العلاقة بين الرأى العام والصحف؛ ومع ذلك فإن فكرته - كما يقول ريفنز. يمكن أن تتم لتشمل جميع وسائل الإعلام. ذلك أن هذه الرسائل تعمل كمصدر رئيسي للمعرفة يزود الناس بالرسائل من العالم الخارجى. ويستخدم الناس تلك الرسائل لتشكيل الصور العقلية عن عالم الشؤون العامة.

وموقع الألفاظ من الجمل؛ بوصفها الرسائل التي بها يؤدى المعنى؛ يظهر مزية التحرير؛ ودقة استخدامه للألفاظ في جلاء الصورة. ويمكن النظر إلى الصحف ووسائل الإعلام؛ على أنها تخلق نوعاً من البيئة الصورية بين الإنسان والعالم الموضوعي الحقيقى. ولهذه النظرة معانٍها الهامة في فهم طبيعة التحرير الصحفى والإعلامى؛ وما يتميز به. خلال الوسائل. من سرعة وشمول وانتشار

والألفاظ - في التحرير بأشكاله المختلفة. هي وسائل للتفكير والتصوير الإعلامى. ويقتضى هذا الفهم الحرص على دقة الدلالة وتمامها؛ وجلائها في صورة موضوعية؛ وهي خصائص لا يمكن أن تتوافر في التحرير الصحفى والإعلامى؛ إلا بأن يؤتى "المعنى" من جهته، ويختار له اللفظ الذي هو أحسن - وأكشف - عنه؛ وأنتم له، وأخرى بأن يُكسبه نبلاً، ويظهر فيه مزية "على حد تعبير عبد القاهر، ولا تكون المزية للكلمة إلا بحسب موقعها من الجملة، لا لتنائهم معناها مع معنى جاراتها.

وأهمية المضمن؛ في التحرير الصحفى تتحصر في التعبير عنه أى وضعه في شكل من الأشكال الصحفية . وفي هذا إقرار لحرية المحرر ولكنها حرية مسئولة تلتزم بالأخلاقيات والقيم والمبادئ "والمساحة المكانية" المحددة في الصحيفة.

هذا الالتزام هو الذي يكسب المحرر؛ وصحيفته، "مصداقية" مصدرها القانون الخلقى، والواجب الفنى في صدق التعبير؛ ودلالته عن الواقع دلالة أمنية.

وقد جاء في كتاب "التقصير" الذى اشتراك في تأليفه ستة من أظهر الصحفيين والمراسلين الإسرائيلىين عقب حرب أكتوبر: "أن أخطر مظاهر التقصير في حرب أكتوبر بالنسبة لإسرائيل إنما يتمثل في فقدان قيادتها السياسية والعسكرية، للثقة التي كان الشعب يُكُنُّ لها. وكان أفح أحطائها هو خوف تلك القيادة من عدم تحمل

الشعب الأباء المؤلة عن الفشل والهزيمة ومحاولات التغطية على المسئولية الشخصية بعض القادة عن الهزيمة".

وفي هذا النص من نصوص إعلان الحرب توضيح لاهية "المصداقية" كمصطلح شاع في هذا الزمان، وهو مصطلح يشير إلى "الصدق الإعلامي" في وسائل الإعلام ، كما يشير إلى "الصدق الفني" في الأعمال الأدبية والفنية؛ فالقياس إلى وسائل الإعلام لابد من تحري الصدق والدقة والإنصاف، فيما تقدم لجماهير القراء، وهذه الوسائل هي "الرائد الذي لا يكذب أهله" وهي تقوم بدور "حذام" زرقاء اليمامنة المشهورة؛ التي كانت ظهرت على مدى ثلاثة أيام؛ فتصدق أهلها الأخبار في حين تقوم وسائل الدعاية، التي يشير إليها كتاب "التقصير" الإسرائيلي؛ بدور "حرافة" حين تتوخى الكذب الدعائي. ودور "حذام" هذا في الإعلام، تؤكد الدراسات الحديثة؛ حيث يتلخص في: إعطاء تقرير صادق وشامل وذكي عن الأحداث اليومية في سياق يعطي لها معنى.

وهذا ما اتسم به "إعلام" أكتوبر، على النحو الذي يلخصه د. محمد عبدالقادر حاتم في قوله: إن سياستنا الإعلامية تعتمد أساساً على "تقديم الحقائق للشعب والعالم بأسره بأمانة وموضوعية".

لقد تنبه "هتلر" وفرانكلين روزفلت "وويلسون" إلى أهمية الدوافع الأدبية وهم يستخدمونها لأغراض دعائية تختلف عن أغراض الإعلام. الأمر الذي يدفعنا إلى تنقية جوهر الأدب؛ وجوهر الإعلام على أساس من مفهوم "المصداقية" الذي يعني الإحساس بالتعاون والتجاوب بين "مصدر" الرسالة و"متلقيها" وهو الإحساس الذي يؤدي إلى نجاح "الرسالة" الاتصالية في الأدب وفي الإعلام. ولذلك تتجه المدارس النقدية الحديثة إلى نقد متخصص في دراسة استجابة القارئ Reader – Response Criticism

وننتقل اهتمامها من العمل الأدبي بوصفه بناء مُنجزاً من المعانى؛ إلى استجابات القارئ وهو يتتبع بعينيه الصفحة التي تحتوى النص.. وبهذا التحويل في المنظور يتحول العمل الأدبي إلى نشاط في عقل القارئ. ويتحقق نقاد هذا الاتجاه؛ على أن معانى النص هى "إنتاج" للقارئ الفرد. ويتبنى التفسير الإعلامي للأدب هذه الآراء حول العوامل الرئيسية التي تشكل استجابات القارئ، والموقع الذي يجب التمييز فيه

يin ما هو مُعطى موضوعي في النص، واستجابات القارئ الفرد؛ والنتيجة، التي يتم التوصل إليها حول المدى الذي يضغط فيه النص استجابات القارئ^(١).

وإذا كان الإعلام المصري في حرب أكتوبر؛ قد أكد على مفهوم "صدقية المصدر" Source Credibility، فإن هذا المفهوم من أهم المفاهيم التي يرتكز عليها التفسير الإعلامي للأدب؛ تأسيساً على ما انتهت إليه بحوث "الاتصال" من تأكيد للارتباط بين "صدق المصدر" و"الثقة فيه" من جانب الجمهور فالرسائل الاتصالية التي يتم بثها من "مصادر عالية التصديق" تزيد من درجة الاقتناع بالرسالة.

وأفضل طريقة لتحديد تأثير المصدر إنما تكون بدراسة المتنقى. وعلى ذلك يغدو مفهوم "الصدقية" مفهوماً أصيلاً في تفسير الفن والأدب والإعلام؛ منذ تحدث عنه أرسطو؛ ومنذ تحدث عنه البلاغيون العرب.. ومنذ حاول عدد من علماء الإعلام المحدثين تحديد الخصائص والمكونات التي تجعل المتنقى يصدق المصدر، وقبلهم قال أرسطو إنها القدرة على التمييز الحسن والأخلاق الطيبة؛ وحسن نية المصدر. ويؤكد المحدثون هذا الرأي كما يؤكدون على الخبرة والكفاءة ودرجة الثقة. ويطرح المصطلح الخاص بالصدقية؛ بالقياس إلى الأدب؛ مشكلة الصدق الفنى والواقعي من جديد؛ وهي المشكلة التي يقول فيها فلاسفة الفن إن الغاية الخلقية هي أساس كل تصديق.. ولهذا كان علينا أن ننظر إلى العمل الأدبي كُلّاً أو مجموعاً لأعلى! ولذلك أكد أرسطو أن الفضائل الخلقية والفكريّة هي أساس السعادة وأن الكلام هو الذي يجلو النافع وغير النافع ويبين العدل من الظلم، لأنه خاصة الإنسان التي تبيّن عن غيره من المخلوقات؛ والفرق بين السوفسطائي المغالط وغيره ليس في الموهبة ولكن في التصديق.

وفي بلاغتنا العربية ينتصر عبدالقاهر ملن قال: خير الشعر أصدقه، لأنه يوجب ترك الإغراء والبالغة، وتحري التحقيق والتصحيح واعتماد ما يجري من العقل على أساس صحيح.

وإذا كان البحتري قد تمرد على حدود المنطق؛ فإن الصدق الفنى بدوره يؤدى إلى مفهوم الصدقية.. على النحو الذى دفع "وردرُورث" إلى أن يقول: إن الشاعر يشعر

(١) راجع للمؤلف: التفسير الإعلامي للأدب؛ بالقاهرة دار المعارف ١٩٨٠.

ويذكر بروح العواطف البشرية؛ ودفع بالعقد إلى أن يقول: إن الشاعر العظيم إذا أتجه إلى الحياة؛ يسمعك أصوات النفس الأدبية في جهراها وجواها. والذوق الفني في التحرير الصحفى، من الأمور التي ترتبط بمسألة اللفظ والمعنى، ونشير هنا إلى ما قام به بعض علماء الجمال الألمان من بحوث تفينا في "فن التحرير الصحفى" ولاسيما حين تتحدث عن مسألة الشكل. وهؤلاء العلماء هم أصحاب المدرسة "الشكلية".

وعلى رأسهم "جوهان فريديك هربارت" **Johan Friedrich Herbart** (1776 - 1841) وعنه أن علم الجمال يجب أن يعني بخصائص الفن من حيث هو فلا يصبح أن يُلقي بالاً إلى الاعتبارات الميتافيزيقية، ولا إلى ما يثير المضمون من عواطف ومشاعر هزلية أو جدية، فهذه عناصر نفسية، خارجة في طبيعتها عن جوهر الفن. والجمال ينحصر. في فلسفة هربارت. في العلاقات؛ بين الأصوات، أو الألوان، أو الأفكار، على حسب طبيعة الفن، وعلى حسب التجارب الفنية في الحالات الخاصة^(١). وهذه العلاقات الجوهرية ليست محسوسة وإن كانت وليدة. ولا تحتاج إلى تصوير تفهم به، وتتولد من عناصر محسوسة؛ على حين الجمال يتمثل في العلاقات التي يتبعها مباشرة في الوعي حكم بالتصوير غير المشروط. وكلما ارتفع المرء في ثقافته قلت عنده قيمة اللذة، وارتفع شأن الجمال. وعماد الحكم في الجمال هو الذوق لا المنطق ولا العقل. وحكم الذوق عامٌ عالمي خالد، لا يتغير في زمان أو مكان، متى بُحثت كل العناصر في علاقاتها بعضها مع البعض الآخر في كل حالة خاصة. وقد تتقاضى الأفكار الجمالية مع الأفكار الخلقية. فالحرية النفسية، والكمال واللطف، والإنصاف، والحق؛ كلها مدركات جمالية؛ وهي كذلك أفكار أو مدركات حقيقة متى طبقت على الإرادة.

والفن حقيقة معقدة، وهي وليدة عنصرين: عنصر غير جمالي، وله قيمة نفسية أو منطقية أو اجتماعية أو إعلامية أو ما إليها، وهي ما يطلق عليه: المضمون . وعنصر جماليٌ محسض، وهو نتيجة المدركات الجمالية الأساسية، وهو ما يطلق عليه: الشكل^(٢).

(١) Croce: op. C. P. 93-94 د. عبد العزيز حمودة: السابق ص ٢٤ .

(٢) نفس المرجع، ص ٢٥

وتأسيساً على هذا الفهم؛ فإن هذه النتائج ستتضح لنا حين ندرس الأشكال الفنية في التحرير الصحفى؛ ولكننا هنا نسوق اعتبارات عامة؛ تتبعها بمشيئة الله في الفصول التالية؛ بتفصيل للنواحي الفنية في كل شكل من أشكال التحرير الصحفى. ذلك أن لكل شكل من أشكال تحرير الأخبار وفنون المعلم، قواعد يجب أن تراعى بصفة عامة في التحرير الصحفى. وهذه القواعد قد تتعدد كلها أو بعضها على حسب التطور، ولكنها في كل مرحلة من المراحل؛ تحتفظ بأفكار عامة مشتركة توحد ما بين الفنون التحريرية على نحو ما؛ مهما اختلفت تلك الفنون في درجاتها الفنية. وربما من أجل ذلك أنكر كثير من كبار النقاد نظريات "الأناس الأدبية" كنظريات الشعر، والقصة، والمسرحية وما إليها؛ ورأوا فيها مساساً بحرية الكاتب.

وعلى الرغم من ذلك؛ لا تنبغي المبالغة في هذه الناحية إلى درجة قطع الصلات بين الأعمال الصحفية التي تنتمي إلى فن تحرير واحد. إذ أن إخضاع هذه الأعمال للنظريات العامة فيه ما يساعد على إذكاء الحيوية فيها؛ إذا روعيت المرونة في الإدراك والتطبيق؛ وفيه كذلك ما ينهض بالأدب، وبفنون التحرير الصحفى؛ بوصفها جهداً إنسانياً في الإرسال والاستقبال.

الفَضْلَ لِلثَّالِثِ

مُطَبِّرُ التَّغْوِيمِ
الصَّفْنِ

"الخبر" في اللغة العربية: واحد الأخبار.. وما أتاك من نبأ عمن تستخبر.

والخبر: النبأ، والجمع أخبار.. و"أخابير" جمع الجمّ.

- فاما قوله تعالى: **(إِنَّمَا تَحْدِثُ أَخْبَارَهَا)**، فمعناه يوم تزلزل تخبر بما عمل عليها. - وخبره بكتابه، وأخبره: نبأه.

- واستخبره: سأله عن الخبر وطلب أن يخبره، ويقال: تخبرت الخبر واستخبرته، ومثله: تضعفـتـ الرجلـ واستضعفـتـهـ. وتـخـبـرـتـ الجـوابـ واستـخـبـرـتـهـ. والـتـخـبـرـ السـؤـالـ عنـ الخبرـ. وـفـىـ حـدـيـثـ الـحـدـيـبـيـةـ: أـنـهـ بـعـثـ عـيـنـاـ مـنـ خـرـاءـ يـتـخـبـرـ لـهـ خـبـرـ قـرـيـشـ، أـىـ يـتـعـرـفـ.. يـقـالـ: تـخـبـرـ وـاسـتـخـبـرـ: إـذـاـ سـأـلـ عـنـ الـأـخـبـارـ لـيـعـرـفـهـاـ.. يـقـالـ: مـنـ أـينـ حـبـرـتـ هـذـاـ أـمـرـ: أـىـ مـنـ أـينـ عـلـمـتـ؟ وـقـوـلـهـمـ: لـأـخـبـرـنـ خـبـرـ، أـىـ: لـأـعـلـمـنـ عـلـمـكـ.

- يـقـالـ: "صـدـقـ الـخـبـرـ الـخـبـرـ".

وـذـكـرـ ماـ وـرـدـ فـيـ "لـسـانـ الـعـربـ" لـابـنـ مـنـظـوـنـ، أـمـاـ الـمـعـجمـ الـوـسـيـطـ الـذـىـ أـصـدـرـهـ المـجـمـعـ الـلـغـوـيـ فـيـ عـصـرـنـاـ هـذـاـ، فـيـذـهـبـ إـلـىـ أـنـ:

- الـخـبـرـ مـاـ يـنـقـلـ وـيـحـدـثـ بـهـ قـوـلـ أوـ كـتـابـةـ.

. وـعـنـ الـمـنـاطـقـ، قـوـلـ يـحـتـمـلـ الصـدـقـ وـالـكـذـبـ لـذـاتـهـ.

وـفـىـ مـعـجمـ الـفـاظـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ^(١) نـجـدـ أـنـ وـرـودـ لـفـظـ (ـالـنـبـأـ)، يـفـتحـ أـمـامـنـاـ مـغـالـيـقـ الـتـعـرـيفـ، يـتـكـرـرـ أـكـثـرـ مـرـةـ.

١ - نـبـأـ بـالـشـيـءـ: أـخـبـرـ بـهـ وـذـكـرـ لـهـ قـصـتـهـ.

وـيـقـالـ: نـبـئـنـىـ هـلـ تـزـورـنـىـ غـدـاـ. وـنـبـئـ عـلـيـاـ أـنـهـ لـعـلـ الـقـدـرـ.

نـبـائـتـ: **(فـلـمـاـ تـبـأـتـ بـهـ وـأـظـهـرـهـ اللـهـ عـلـيـهـ عـرـفـ بـعـضـهـ وـأـعـرـضـ عـنـ بـعـضـ)** ٢/ التـحـريمـ.

نـبـائـكـمـ: **(قـالـ لـاـ يـأـتـيـكـمـ طـعـامـ تـرـقـانـهـ إـلـاـ نـبـائـكـمـ بـتـأـوـيلـهـ)** ٣٧/ يـوسـفـ.

نـبـائـاـ: **(قـلـ لـاـ تـعـتـرـفـوـ لـنـ تـؤـمـنـ لـكـمـ قـدـ نـبـائـاـ اللـهـ مـنـ أـخـبـارـكـمـ)** ٩٤/ التـوـيـةـ.

أـىـ شـيـئـاـ مـنـ أـخـبـارـكـمـ أـوـ أـخـبـارـكـمـ عـلـىـ زـيـادـةـ (ـمـنـ).

(١) محمد على النجار: مجمـعـ الـفـاظـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ الـجـزـءـ السـادـسـ، الـهـيـةـ الـمـصـرـيـةـ لـلـتـأـلـيفـ وـالـتـشـرـيفـ.

تبأئن: «قالت من أئبأك هذا قال تبأئن العليم الخبير» ٢/التحرير.

تبأها: «فلما تبأها به قالت من أئبأك هذا» ٣/التحرير.

سأتبأك: «سأتبأك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا» ٨٧/الكهف.

أتبأكم: «قل أتبأكم بخير من ذلك» ١٥/آل عمران.

«أتبأكم بما تأكلون وما تذخرن في بيوتكم» ٤٩/آل عمران.

واللّفظ في ٦٠/المائدة و ٤٥/يوسف و ٧٢/الحج و ٢٢١/الشعراء و ٨/العنكبوت و ١٥/لقمان.

لتتبأهم: «وأوحينا إليه لتتبأهم بأمرهم هذا وهم لا ينتظرون» ١٥/يوسف.

تبأهم: «يحدُّر المُنافقون أن تنزل عليهم سورة تتبأهم بما في قلوبهم» ٦٤/التوبه.

أتبأون: «قل أتبأون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض» ١٨/يونس.

تبأونه: «أم تتبأونه بما لا يعلم في الأرض أم بظاهر من القول» ٣٣/الرعد.

فتبأكم: «ثم إلينا مرجعكم فتبأكم بما كنتم تعملون» ٢٣/يونس، واللّفظ في ١٠٣/الكهف.

فلتبأئن: «فلتبأئن الذين كفروا بما عملوا» ٥٠/فصلت.

فتبأهم: «إلينا مرجعهم فتبأهم بما عملوا» ٣٣/لقمان.

تبأك: «ولا يتبأك مثل حبير» ١٤/فاطر.

تبأكم: «إلى الله مرجعكم جمِيعا فتبأكم بما كنتم فيه تختلفون» ٤٨/المائدة،

واللّفظ في ١٠٥/المائدة أيضا و ٦٠/الأنعام و ٩٤/الأنعام و ١٠٥/٩٤/التوبه و ٧/سبأ و ٧/الزمرو

٨/الجمعة.

تبأهم: «وَسَوْفَ يَبْتَهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ» ١٤/المائدة، واللّفظ في ١٠٨/١٥٩/الأنعام و ٦٤/النور و ٧/المجادلة.

تبأي: «تبأي عيادي أتبأي أنا الغفور الرحيم» ٤٩/الحجر.

تبأنا: «إني أراي أحمل فوق رأسي حبرا تأكل الطير منه تبأنا بتأويله» ٣٦/يوسف.

تبأهم: «فتبأهم عن ضييف إبراهيم» ٥١/الحجر، واللّفظ في ٢٨/القمر.

تبأوني: «تبأوني يعلم إن كنتم صادقين» ١٤٣/الأنعام.

الثبُّون: «قُلْ بَلِّي وَرَبِّي لَتَبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُثْبَّثُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ» ٧٠ /التغابن.

يُبَشِّرُ : «أَمْ لَمْ يَتَبَّأْ بِمَا فِي صُحْفٍ مُوسَى»

يُبَشِّرُ بِالْمُؤْمِنِ بِمَا قَدِمَ فَأَحَرْ : «يَنْبَأُ إِنْسَانٌ يُؤْمِنُ بِمَا قَدِمَ فَأَحَرْ» /القيامة.

٢ - **أنباء بالشيء**: **نبأ** به. ويقال أيضاً: **أنباء الشيء**.

أنبأك : «فَلَمَّا تَبَأْهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا» ﴿٣﴾

أنباءهم: «بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَتَيْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ اللَّمَّا أَقْلَلْتُكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ بِغَيْبِ السَّمَاوَاتِ»

٢٣/اللقدة.

أَنْبَيْهُمْ : « قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِيْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ »

أبيونى: «فَقَالَ أَبْيُونى يَاسِمَاءَ هُوَلَاءُ إِنَّ كُلَّمُ صَادِقِنَّ» ٣١/البقرة.

٣ - استثناء عن الشيء: طلب إليه أن ينفيه عنه، ويقال: استثناء الشيء، ويقول

من هذا: استنبأه هل يحضر؟

يَسْتَبَّئُونَا: «وَيَسْتَبَّئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِنَّ رَبَّيَ إِنَّهُ لَحَقٌ» ٥٣ / يُونس.

٤ - النبأ : «الخبر ذو الشأن والقصة ذات البال. والجمع أنباء والنبا قد يكون عن الماضي، وقد يكون عن الآتى، كما فى قوله تعالى: «لِكُلِّ نَبَأٍ مُّسْتَقْرٌ» / الأنعام، أى لكل خبر بأن شيئاً سيقع وقتٌ أو مكانٌ يقرّ فيه ويقع، أو لكل حدث جاء فيه نبأً، وقتٌ أو مكانٌ يقرّ فيه .

نبأ : «وَاتَّلَ عَلَيْهِمْ نَبَأً أَدْمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرِبَا قُرْبَانًا» /٢٧/المائدة واللطف في ٦٧/٣٤
الأنعام و ١٧٥/الأعراف و ٧٠/التوبه و ٧١/بونس و ٩/إبراهيم و ٦٩/الشعراء و ٢٢/النمل
٢٠/القصص و ٦٧/٢١/ص و ٦ الحجرات و ٥/التحفظ و ٢/النبا.

نبأ : «ولتعلمنَ نبأ بعْدَ حِينَ» /ص. ٨٨

نَبَأُهُمْ : «نَحْنُ نَقْصُ عَلَيْكَ نَبَأُهُمْ بِالْحَقِّ» ۖ ۱۳/الكهف.

أنباء : «**ذلكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ تُوحِيهِ إِلَيْكَ**» ٤٤/آل عمران، واللّفظ في ٥/الأنعام

٤٩٠ و ١٢٠ هود و ١٠٢ يوسف و ٩٩ طه و ٦٦ الشعرا و ٦٦ القصص و ٤ القمر.

أَنْبَأَكُمْ: «إِنْ يَأْتِ الْأَحْرَابُ يَوْمًا لَوْأَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ»

٢٠ / الأحزاب

أنبائهما : **﴿تَلَكَ الْقُرْنَى تَقْصُنْ هَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا﴾**

١٠١ الأعراف.

وفي الألفاظ القرآنية الكريمة، تحديدات جامعة مانعة، تيسر لنا سبيل الفهم، وتضيئ معارفنا الحديثة، التي تعتبر الخبر - النبأ، جزءاً من طبيعة الحياة طالما وجد متحدث يقول، وأذان تسمع.

إن الخبر - النبأ، عند المحدثين، تقرير عن حادث يستطيع القاريء، أو جمهور وسائل الإعلام، أن يفهمه، وهو عندهم أيضاً: كل جديد يهم أكبر عدد ممكن من الناس.. ويذهب "ولزلى وكاميل" إلى أن الخبر تقرير عن فكرة أو حادث أو صراع له صفة الحالية أو الجدة وبهم المستهلكين (جمهور وسائل الإعلام). وهناك من يقول: "إن الأخبار هي بعض أوجه النشاط الإنساني التي تهم الرأي العام وتوجهه وترشده وتسليه وتعلمه" .. أو "الخبر إبراد حادث وقع حالاً يبعث على اهتمام جمهور المستهلكين لوسيلة الإعلام، ليعلم هذا الجمهور بما يريد، بشرط ألا يخالف الخبر قواعد الذوق وقوانين خدش السمعة، وكلما أثار الخبر مزيداً من التعليقات زادت أهميته" ، وكلما أثار الخبر مزيداً من التعليقات زادت أهميته" و "الخبر هو كل ما تلوكه ألسنة الناس" وهو "سرد صحيح موقوت لأحداث وكشوف وآراء وأمور من أي نوع تؤثر في القراء أو تثير اهتمامهم" .. والخبر "هو ما حدث من أمون، وكل ما تلوى به الأحداث. وكل ما يترتب على مثل تلك الأحداث".

وقد قال اللورد نورثكيف . منشئ الصحافة الإنجليزية الحديثة. إن الشيء الوحيد الذي يساعد على زيادة توزيع الجريدة هو الخبر، والخبر هو كل ما يخرج عن محيط الحياة العادلة المألوفة . ويكون مدار حديث العامة والخاصة^(١) .

وهنالك تعريف آخر يقول: إن الخبر الصحفي هو كل خبر يرى رئيس التحرير أو رئيس قسم الأخبار في جريدة من الجرائد أنه جدير بأن يجمع ويطبع وينشر على الناس؛ لحكمة أساسية؛ هي أن الخبر في مضمونه يهم أكبر جموع من الناس يرون في مادته إما فائدة ذاتية أو توجيهها هاماً لأداء عمل أساسى؛ أو تكليفاً بواجب معين، إلى آخر ما يراه الناس واجباً يتحتم على الصحافة كأداة من أدوات الإعلام أن تؤديه

(١) د. عبداللطيف حمزة. المدخل في فن التحرير الصحفي (١٩٥٦) من ٥٥٥ جزء.

نحوهم. ومن هنا نستطيع أن نفرق بين الأخبار العادية التي تتناولها بعض الألسنة، والأخبار الصحفية التي تتناولها كل الألسنة^(١).

أما البلاغيون العرب، وفي مقدمتهم صاحب "البرهان" فيذهبون إلى أن الخبر استجلاء للبواطن، وما يوصل إليه "بالخبر" مثل الصلاة التي هي في اللغة الدعاء، والصيام الذي هو الإمساك، والكفر الذي هو ستر الشيء، فلولا ما أتنا من الخبر في شرح مراد الله . عز وجل . في الصلاة والصيام ومعنى الكفر لما عرفنا باطن ذلك، ولا مراد الله . عز وجل في الصلاة والصوم، ولا كان ظاهر اللغة يدل عليه، بل كنا نسمى من دعا مصلينا، وكل من أمسك عن شيء صائما وكل من ستر شيئاً كافراً^(٢). وفي هذا الفهم ما يؤكد المنهج القرآني في الإعلام، فقد كان القرآن الكريم نفسه الوسيلة الإعلامية المقدسة. ولا تخفي العلاقة الوثيقى بين لفظ "النبي" و "النبي"^(٣). فالنبي هو من يصطفيه الله من عباده البشر، لأن يوحى إليه بالدين، والشريعة فيها هداية للناس. وأصله النبي بالهمز من أئبأ، لأنه يُنبئ عن الله سبحانه، أو لأنه يُنبأ بما يوحى إليه، جرى فيه التخفيف بقلب الهمزة ياء كما قيل: البريّة في البريّة. وقد قرئ في القراءات السبعة النبي على الأصل. وإذا ورد النبي في الكتاب - معرفاً بالـ فالمراد به الرسول عليه الصلاة والسلام، وإذا ورد مُنكرًا أو معرفًا بالإضافة فالمراد غيره.

ونحن نذهب مع أستاذنا الدكتور حمزة رحمة رحمة الله إلى أن الإسلام دين إعلامي لأنه اعتمد على القرآن .. والقرآن آية الله تعالى في البلاغة، وفي التأثير في نفوس البشر إلى الدرجة التي سجد العرب لها، والقرآن هو أكبر وسائل الإعلام في الإسلام، وقد نص القرآن في كثير من آياته على أن الرسول مكفٌّ من قبل الله تعالى بشيء واحد فقط هو تبليغ الناس هذه الرسالة الجديدة. وأنه ليس مسؤولاً عن تصديق الناس لها أو عدم تصديقهم إياها. قال تعالى: " وما على الرسول إلا البلاغ ".

ثم إن القرآن الكريم نزلت آياته حسب المواقف والحوادث التي مرت بالرسول صلى الله عليه وسلم، يسترشد بهذه الآيات التي نزل بها الوحي في كل حادثة من هذه

(١) جلال الدين الحمامصي. المندوب الصحفى من ٢٣٠٢٤ " د. إبراهيم أمام المرجع السابق ص ٩٧ .

(٢) البرهان في وجوه البيان ص ١١٢ .

(٣) معجم ألفاظ القرآن الكريم الجزء السادس ص ٨٨ .

الحوادث وفي كل موقف من هذه المواقف. وكانت بعض آيات الكتاب تنبئ الرسول بما سيحدث له ولأصحابه في المستقبل. وكانت بعض آياته تقف الرسول على أخبار المشركين والمنافقين وما كان يتباهى هؤلاء وهؤلاء من المؤامرات ونحو ذلك. كما كانت بعض آياته تندد حالة المسلمين في كثير من المواقف التي تمر بهم وترشدهم إلى الصواب في هذه المواقف. يقول الدكتور حمزة^(١):

"إذا نظرنا إلى القرآن الكريم من جميع هذه النواحي الإخبارية وما يتبع هذه الأخبار من نقد وتحليل لواقف المسلمين والمنافقين ورسم الطريق الذي يسلكه المسلمون تجاه المنافقين ورسم الآداب التي يجب على المسلمين أن يعاملوا بها الرسول، نقول إذا نظرنا إلى القرآن الكريم من هذه الناحية فقط أمكننا أن نعتبر هذا الكتاب المقدس صحيفه الإسلام، إذا صرحت بهذا التعبير ولكنها صحيفه من طراز آخر يمتاز بالصدق كأحسن ما يكون الصدق وبالنراة في التوجيه والإرشاد كأحسن ما تكون النراة، ولا غرو - فإنها صحيفه الله تعالى ومن أصدق من الله قيل".

"وأهم من ذلك كله أن هذه الصحيفه الإلهيه كان لها الأثر كل الأثر في خلق مجتمع جديد في الجريدة العربية، هو المجتمع الإسلامي الذي يختلف اختلافاً تاماً عن المجتمع الجاهلي. يدلنا على ذلك أنه أصبح المجتمع الإسلامي الجديد على يد الرسول مجموعة من القيم والمفاهيم مخالفة كل المخالفه للقيم والمفاهيم التي كانت للعرب في الجاهلية. وبعبارة أخرى أصبح المثل الأعلى للMuslimين على يد الرسول شيئاً مغايراً كل المغايره للمثل الأعلى للعرب في العصر الجاهلي".

وتأسيساً على هذا الفهم، يمكن تحديد الطبيعة الجوهرية للخبر، وهي التي تفيد اليوم علوم النفس والاجتماع؛ في وضع قاعدة لاستنباط هذا الفن، الذي حدده القرآن خير تحديد، بحيث يمكننا أن نذهب إلى أن الخبر الإعلامي هو بيان للعلاقات المتغيرة بين الإنسان والإنسان وبينه وبين بيته. والخبر - هو "كل قول أفادت به مستمعه ما لم يكن عنده" ، ويعلمنا ابن وهب، أن من الأخبار "أخباراً تقع بها الفائدة ولا يحصل منها قياس يوجب حكماً. فمن ذلك الخبر المنفي، فإنه يفيينا انتفاء الشيء الذي ينفيه ولا

(١) د. عبداللطيف حمزة: الإعلام في صدر الإسلام ص ٣٩ .

يحصل فى نفوسنا منه حُكْم، ويقول إن "الكذب إثبات شىء لشىء يستحقه، أو نفى شىء، والصدق (الإخبارى) إثبات شىء لشىء يستحقه، أونفى شىء عن شىء لا يستحقه.. والhalb فى القول إذا كان وعدا دون غيره، وهو أن يعمل خلاف ما وعده، فيقال: "أخلف فلان وعده" ولا يقال "كذب".

"والنسخ فى الحكم تبديله برفعه ووضع غيره مكانه. وأصله فى اللغة وضع الشىء مكان غيره إذا كان يقام مقامه، ومنه قوله - عَزَّ وَجَلَ - "ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخیر منها أو مثلها"^(١).

"والنسخ لا يكون فى الخبر، لأن الخبر إذا تبدل عن حاله بطل، وفي بطلان قول الصادق وجود الكذب لا محالة، وليس يجوز للصادق أن يخبر بخبر فيكون ضده ونقضه صدقا إلا أن يكون خبره الأول معلقا بشرط استثناء ، كما وعد الله - سبحانه - قوم موسى - عليه السلام - دخول الأرض المقدسة إن أطاعوه في دخولها، فلما عصوه حرمها عليهم فلم يدخلها منهم أحد".

فإذا كان الخبر - هو كل قول أفادت به مستمعه ما لم يكن عنده، فما هي الظروف أو خصائص الأحداث التي من شأنها رفع كل قول إلى مرتبة الخبر "المفيد" ذى القيمة الإخبارية بحيث يكون سرده "مفيدة" للمستمع أو القارئ، باعتماد الجمهور

في الإجابة عن هذا التساؤل نقول إن الخبر لا يخرج في مفهومه عن الدائرة التي حددها القرآن الكريم الرسالة الإعلامية المقدسة؛ للخبر - النبأ، من حيث أنه "نو شان" ، وقصة "ذات بال" وقد يكون النبأ عن الماضي، وقد يكون عن الآتى كما في قوله تعالى: «لَكُلَّ نَبَأٍ مُسْتَقْرٌ»^(٢) أى لكل خبر بأن شيئاً سيقع، وقت أو مكان يقر فيه ويقع، أو كل "حدث" جاء فيه نبأ، وقت أو مكان يقر فيه، وعلى ذلك يمكن القول إن "الحدث" ذا القيمة الإخبارية هو الحدث الذي من شأنه التأثير في العلاقات السياسية أو المادية، أو غير ذلك من العلاقات أو تغييرها على نحو ما؛ ذلك أن "الحدث" الذي له قيمة خبرية هو الحادث الذي يغير الأوضاع القائمة أو يوقع بها اضطرابا، أما الخبر فهو سرداً مثل هذا الحادث".

(١) سورة البقرة الآية ١٠٦ .

(٢) سورة الأنعام الآية ٦٧ .

وعلى ذلك فإن "التغيير" سواء أكان واقعياً أو مرتقباً، يغدو العنصر الجوهرى في الخبر الواقع - أن - الخبر لابد أن يكون جديداً والتغيير لابد أن يكون ذا قيمة بالنسبة لجمهور وسائل الإعلام، فيؤثر أحياناً في نفوسهم، كأن يثير قلقهم على أمر يعندهم من أمور الحياة ويبعث فيهم أحياناً آمالاً كبيرة يعتقدونها على الوزير الجديد أو حتى على الطفل الجديد. ولكن ما دامت الظروف باقية على ما هي عليه يوماً بعد يوم، فليس شئ ما يحرك مشاعر الجمهور العادى سواء إلى أعلى درجات الإنسانية أو إلى أدنى تلك الدرجات. أما إذا حدثت حادثة فأوقعت اضطراباً في الأوضاع القائمة وأثارت نذيرها، كبيرة كان أو صغيرة، آمال جمهور وسائل الإعلام أو مخاوفه، فإن الفرد سواء جهل التغيير الذي طرأ على العالم أو أهمل متابعته، لا يقوى إلا في النادر على اجتناب المخاطر أو استثمار الفرص التي ينطوي عليها ذلك التغيير.

وحيث أن "كل نبأ مستقر" كما جاء في القرآن الكريم، فإن الأخبار التي تتعلق بالمستقبل كأخبار المجالس والمؤتمرات والمشروعات وما إليها هي الأخرى تتعلق بتغييرات وشيكة الواقع، فلا ينبغي "عزل الأحداث في حد ذاتها عن سياق ظروفها ومعنى هذا أن الظروف نفسها تبعث على الاهتمام، والواقع أن أحداث المستقبل إنما "تلقي ظلالها" على الحاضر، وعلى المتذوب الصحفى تبعة خاصة هي أن يبصر جمهوره بقرب وقوعها" ^(١).

ولا يكاد يكون هناك شك، فيما يذهب إليه علماء الصحافة من أن الخصائص الجوهرية للخبر إنما تكمن في التغيير الذي يحدث أثراً في الحالة القائمة، كما يمكن حول هذا التغيير وهو يمكن تبعاً لذلك، في التغيير الذي يحتمل أن يطرأ على الحالة في المستقبل. ومن المؤكد أنه إذا جرت الأمور في الغد على نحو ما هي عليه اليوم تماماً، أصبحت قراءة الصحيفة، في صباح اليوم التالي باعثة على الملل، والأسئلة التي تجول في خاطر الصحفى، دائمًا هي: "ماذا حدث؟" و"ماذا يجري الآن؟" و"ألا من جديد؟" و"ألمة ما يثير؟" و"هناك ما يؤذن بجديد؟" فإذا لم يطرأ جديد على ألوان النشاط المتعددة في المكاتب والمصالح ودور الحكومة وعاصمة الدولة، وإذا لم تكن هناك أحداث وشيكة الوقع من شأنها أن تثير بالحاجة تغيير أو اضطراب في الحالة القائمة والظروف

(١) استفتاء الأنبياء في (ستانلى جونسون وجوليان هاريس) ص ٢٧ وما بعدها.

الرتيبة، فقد يبدو أنه لا أخبار في ذلك اليوم، فإذا كان عنصر التغيير هو الذي يمثل الحدث الخبرى عن الحدث غير الخبرى، فإن مدى هذا التغيير وأثره على الجماعة هو المقياس الذى على أساسه يتم "تقويم" الخبر.

الخبر الإعلامى:

يقول العالمة ابن سينا^(١): " لما كانت الطبيعة الإنسانية محتاجة إلى المعاورة لاضطرارها إلى المشاركة والمجاورة، انبعثت إلى اختراع شيء يتوصل به إلى ذلك، ولم يكن أخف من أن يكون فعلا، ولم يكن أخف من أن يكون بالتصويم، وخصوصاً الصوت لا يثبت ولا يستقر ولا يزدحم، ف تكون فيه مع حفته فائدة وجود الإعلام به مع فائدة أنهائه إذ كان مستعيناً عن الدلالة بعد زوال الحاجة عنه، أو كان يتصور بدلاته بعده، فمالت الطبيعة إلى استعمال الصوت ووقفت من عند الخالق بآلات تقطيع الحروف وتركيبها معاً ليدل بها على ما في النفس من أثر، ثم وقع اضطرار ثان إلى إعلام الغائبين من الموجودين في الزمان أو من المستقبليين إعلاماً بتدوين ما علم، أما لينضاف إلى ما يعلم في المستقبل، فتكمل المصلحة أو الحكمة الإنسانية بالمشاركة، فإن أكثر الصنائع إنما تمت بتلاحم الأفكار فيها والاستنباطات من قوانينها واقتفاء التأثر بالتقدم وافتداه به، أو لينتفع به الآتون من بعد وإن لم يُحتاج إلى ما يُضاف إليه يكمل به، فاحتياج إلى ضرب آخر من الإعلام غير النطق، فاختبرت أشكال الكتابة، وكله بهداية إلهية والهام الإلهي.

فالخبر الإعلامى إذن؛ شيء مجرّد، من حيث جوهر طبيعته، ولكنه كما يُعلّمنا ابن سينا، يتّخذ وسيلةً الصوت والكتابة، وهو لذلك يرتبط في عصر ثورة الإعلام، بالجنس الإعلامي من حيث الإفادة بمقومات الوسيلة الإعلامية ذاتها، فيصبح لدينا: فن الخبر الصحفي، وآخر للخبر الإذاعي وثالث للخبر المرئي.. ونبأ هنا بدراسة فن الخبر الصحفي تأسيساً على أن تقويم الخبر الإعلامي إنما يتم بطريقتين: تقويم الخبر وفقاً للوسيلة؛ ثم تقويم الخبر وفقاً للخصائص الذاتية:

(١) ابن سينا: الشفاء المنطق، ٢٧٧، العبارة تصدر ومراجعة د. إبراهيم مذكور وتحقيق محمود الخطيبى (١٩٧٠) ص. ٢.

فن الخبر والإعلام الكلاسيكي.

إن نوعية الجنس الصحفي كفن إعلامي كلاسيكي، إنما تعود إلى وضوح طبيعته، وقد أجريت تجارب ودراسات عديدة حول خصائص كل وسيلة من وسائل الإعلام، وقدرتها على التأثير في الناس. وتشير نتائج التجارب التي أجرتها لازار سفيف Lazarsfeld ودوب Doob ووابلز Waples وبرلسون Berleson إلى أن المطبوعات كالكتاب والصحيفة والمجلة واللافتات لها مميزات هامة تجعلها تتفوق على غيرها من الوسائل الأخرى، وأهم هذه المميزات أن القارئ يستطيع أن يسيطر على الوسيلة بالطريقة التي تلائمه، فهو يستطيع أن يطلع على الأخبار والموضوعات التي يرغب في الاطلاع عليها، ويراجع ما يريد أن يراجعه بالسرعة التي تناسبه، وفي أي وقت يشاء^(١) وتشير التجارب إلى أن المواد الصعبة يفضل أن تقدم عن طريق الكلمة المطبوعة، ومن الأفضل استخدام المطبوع للوصول إلى الجماهير المتخصصة والجماهير صغيرة الحجم^(٢).

وفي المطبوع، نطلب إلى الكتاب ما نسميه عناصر المعرفة، ونطلب إلى الصحف معلومات وعناصر وأخبارا.

والجريدة - كما يقول جورج دوهاميل - ضرورية لرجل القرن العشرين فهي تفتح عينه عندما ينهض من فراشه فتوقظه وترميه بحقيقة من الواقع والآراء، و"الجريدة إفطار الصباح، وهي مكتوبة على نحو يحرك الخيال، وهي تثير النفس وتقصّ الحوادث وتعرض الآراء، وفي كل يوم تلأجأ إلى حيل جديدة، في الطباعة، كما تخصص للصور التي لا تطلب أي جهد مكانا يزداد يوما بعد يوم، فهي تسعى إلى استهواه القارئ وهي لاشك تقدم إليه أفكارا وقواعد وقليلا من عسل الأدب، ومن جوهر الفلسفة، ولكنها تحمل إليه قبل كل شيء زادا من أحكام الحوادث اليومية التي ماتزال حارة".

ويذهب بعض الباحثين إلى أن الكلمة المطبوعة تحتاج إلى مساهمة من جانب القارئ أكبر من تلك التي تتطلبها الوسائل الأخرى من جمهورها، لأن "تكوين" الرسالة

(١) د. إبراهيم أمام : الإعلام والاتصال بالجماهير من ١٧٥.

(٢) د. جيهان شتي: الأسس العلمية لنظريات الإعلام ص ٣٤٢.

المطبوعة أقل اكتمالاً، ولا تواجه القارئ بمتحدى يسمعه، كما يفعل الراديو، أو يشاهده كما هو الحال في حال السينما أو التليفزيون. ولهذا يسمع المطبوع بحرية أكبر من التخييل وتوزيع الظلال والتفسيرات وما إلى ذلك. فالقارئ لا يحس بأنه جزء من عملية الاتصال كما يحس مستمع الراديو أو مشاهد الفيلم، ولكنه مضطري إلى أن يساهم بشكل خلّاق في نوع من أنواع الاتصال غير الشخصي. ويفترض بعض الباحثين أن مثل هذه المساهمة الخلاقية مزايا إقناعية.

وتلعب الصحافة اليوم دوراً هاماً فيحضارات الحديثة، ولا جدال - في أن للصحافة تأثيرها القوى على الجماهير، ففضلاً عن إيمان الناس بصدق الكلمة المطبوعة إيماناً يقترب من القداسة والاحترام، نجد أنهم يتأثرون بمضمون الصحف تأثراً عميقاً^(١).
ولا ننسى سحر "الكلمة المطبوعة" في مصر - أو كما يقول العقاد^(٢)، في جدتها قبل أن تبتذلها كثرة التداول" وتدخلها الألفة في عداد اليوميات الريتيبة التي تنتظر في أوقاتها ولا تحتاج إلى لهفة في الانتظار".

ويذكر العقاد^(٢). كمثال على تأثير الصحافة في مصر في مطلع القرن العشرين، أن "أعيان الريف كانوا يحبون أن يشتركون في الصحف اليومية لأنها مظاهر الوجاهة والأهمية" في القرية أو البلدة الصغيرة. ولم يكن بالقليل بين مظاهر الوجاهة اليومية أن يحضر سامي البريد إلى الدار يومياً ليدق الباب على مسمع من الجيران وينادى بصوت يشبه المنادى باسم "المحكمة" في ساحة القضاء: .. "بوسطة".

فإذا بالحى كله يتربّب "سامعاً" جديداً بعد هذا النداء، يحيط بأنباء الأرض والسماء، ويتحدث عن المكسوف و "الإنجلاصير" وملك "الفرنسا". أو "الجمهور" كما كانوا يسمون عنه منذ أيام حملة نابليون، وبالله من "واقع" وراء الخيال!.

والصحافة دخلت إلى الناس مع الديمقراطية في موكب من ضروب العرفان الحديث، فدخلت مع الديمقراطية العلم، والصناعة، والآلة الطابعة وهذه جميعاً - على حد تعبير الدكتور أحمد زكي - "أشياء تعمل كلها للتقدم جاءت الناس في أوقات متقاربة،

(١) د. إبراهيم إمام "فن العلاقات العامة والإعلام" ص ٢٠٣ .

(٢) عصر العقاد: صفحات مطوية في تاريخ الصحافة الوطنية، القاهرة مؤسسة مختار ١٩٩٠ .

يحمل بعضها بعضاً، ويؤازر السابق منها اللاحق، فكأنما كانت هي والناس في الزمان على ميعاد. ومع هذا النمو، الذي كادت تضيق به الأرض موضعاً، وتضيق به حيل الناس مسرحاً، جاء التعقيد. فكل شيء هواليوم مُعَقَّد: الحكم تعقد. الصناعة تعقدت. صلة الرجال بالآلة تعقدت، صلة الناس ذوى الآلة، والناس ذوى العضل والناس ذوى القلم، زالت عنها البساطة وحل محلها التعقيد، حتى كاد الحكم أن يكون محنة، يمشي أصحابه على مثل الصراط، على يمينهم الفشل وعلى يسارهم النجاح، فإنهم وصلوا الصحفة بشعورهم إلى آخر الحبل سالمين، فهذه مشيئة من الله والأقدار. والحكم شعوب وحكومات ونواب. والحكم شرطة وجيش والحكم قضاء وعدل" وأريد أن أريد فأقول: والحكم صحفة. وكثيراً ما ضعف الحكم فكانت الصحفة فوق الحكم. أذكر بذلك الصحفى资料 法国的 Clemenceau (1841 - 1929) كان إذا كتب - كتب بأحرف من نار وعصف بالحكومات كما تعصف الأعاصير بالبيوت الرقيقة. وسموه بالنمر لأنه ما يهاجم في صحفته إلا أسال دماً. فمن أجل هذا سميت الصحفة بصاحبة الجلالة؟! والحق أن الصحفة اليوم دخلت في حياة الناس كما دخل الهواء والماء، أو كما يقول الفيلسوف الكبير "هيجل": إن قراءة الصحف اليومية أصبحت صلة الصبح عند الإنسان الحديث" فقد أصبحت قراءة الصحف يومياً شيئاً معتاداً للقراء" ولا يستطيعون الإلقاء عنه" ولا شك أن هذا التكرار أو الإيقاع المستمر المتواتر من أهم سمات الفن الصحفى، وإذا كان المنطق يقول، إنك إذا أردت أن تتصور قيمة الشيء فعليك أن تتخيل أنك فقدته. فهب أننا فقدنا الصحفة يوماً، وطال اليوم فكان أسبوعاً، فما فوق ذلك، أفتدركى أي شر يقع فيه الناس؟ لقد أظهر الإضراب الطويل لصحف نيويورك في ديسمبر ١٩٦٢ ويناير ١٩٦٣؛ مدى كون الجريدة آلة ضرورية للحياة الجماعية في تجمع سكنى كبير. ويدرك الدكتور أحمد رزكى^(١) - أنه حضر زماناً انقطعت فيه المواصلات في العاصمة الكبيرة، فلا ترام، ولا حافلة، ولا تكسية، ولا حنطور: " واستحبينا الحمير؛ فكانت دواب هذه الأيام، ففى هذه الأيام انقطعت بين الناس روابط المدنية بانقطاع مواصلاتها، واعتبرى الناس شيئاً كثيرة من هلح وهو هلح امتنز بالشيء الكثير من الوحشة. وأوحش من هذه الأيام التي انقطعت فيها

(١) مجلة العربي ع ٢٩٤ ابريل ١٩٦١.

مواصلات الأجسام، وحشة احتجبت فيها الصحف فكان احتجابها تقليعاً لمواصلات ما بين الأنفس، لم يُدر حى ما كان يجرى فى سائر الأحياء، ولا عرف قريبٌ ما دهى قربه وأقرباءه فى أطراف المدينة. واحتجب الخبر الذى كان يأتى مع الإفطار صباحاً، ويأتى مع الإمساء فيطمئن الناس بأن السلام سائد أو هو غير سائد، فيعدون للتأثيرات صنوفاً من الحذر كثيرة".

من هذه الصورة يتضح ما تحظى به الصحافة من احترام عظيم وثقة كبيرة يكمنها الشعب لها، وخاصة في مصر وغيرها من الأمم المتقدمة، ومع أن التجارب التي أجريت في مصر وسوريا والأردن ولبنان مجتمعة، قد أثبتت أن ٦٣٪ من الجماهير العربية تفضل الإذاعة على الصحافة، فقد كانت النتيجة عكس ذلك بالنسبة لمصر وحدها.

ويرد الدكتور إمام. ذلك إلى تاريخ الصحافة المصرية الحافل بمواصفات الجهاد الوطني الشريف، والدليل على ذلك أن كثيراً من الأميين في مصر يشترون الصحف ليقرأها لهم بعض المتعلمين أو يجتمعون في المقاهي، أو الدور الريفي للاستماع إلى تلاوة الصحف^(١).

والصحيفة تتفوق على الوسائل الأخرى كإذاعة أو السينما من حيث أنها تعطى القارئ حرية كاملة في اختيار الوقت المناسب لقراءتها، كما أن القارئ يمكن من إعادة أو مراجعة ما قرأ، في أي وقت يشاء. لذلك كانت الصحف والمجلات والمطبوعات، بوجه عام من أصلح الوسائل لنشر الموضوعات المعقدة" والدراسات الصعبة ذات التفاصيل المتشعبية.

ويذهب "ماكلوهان". إلى أن للصحافة وظيفة "اعترافية" بمعنى أنها تثير شعور استشفاف "خفايا الشكلة" بحكم شكلها نفسه، بعيداً عن محتواها، فصفحة الجريدة تكشف خباباً عمل مجموعة اجتماعية ما وتفاعلها مع عملها ومجتمعها ولذا نجد أن الصحافة تبدو في حرية أكين حين تكشف عن النواحي القبيحة للحياة. وكما يقول المثل: إن الأخبار الحقيقة هي الأخبار الرديئة، أخبار رديئة عن شخص أو بالنسبة له، في سنة ١٩٦٢ حرمت مدينة "ميلا بوليس" من الصحف لعدة شهور وكان مدير الشرطة

(١) فن العلاقات العامة والإعلام ص ٢٠٣

يقول: "صحيح أن الأخبار تتفصى ولكن فيما يتعلق بعملى فأرجو أن يظل بلا صحف إلى الأبد، فالجرائم تقل بدون صحف لا تتحدث عنها، وبالتالي لا تروج لها بين الناس.

وحتى قبيل الاستخدام التلغرافي، اقتربت صحف القرن التاسع عشر كثيراً من الشكل الفسيفائي بتعبير "ماكلوهان"، وقد انتشر استخدام الطابعات الدوارة (روتاتيف) قبل ظهور الكهرباء بعده عقود. ولكن الجمع اليدوى للحروف ظل مفضلاً على كل الوسائل الميكانيكية حتى اختراع الليونتيب، حوالي ١٨٩٠. لقد أصبح بإمكان الصحافة بفضل الليونتيب، أن تكيف شكلها حسب امتحان التلغراف والطابعات الدوارة بصورة أفضل، وإنه لمن الغريب أن "الليونتيب"، الذى حل مشكلة بطء الجمع اليدوى القديمة، لم يكن من اختراع قوم كانت هذه المشكلة تخصّهم، لقد أنفقت ثروات طائلة عبّا على اختراع آلات جمع الحروف، إلى أن جاء شخص يدعى "جيمس كاليفان" كان يبحث عن وسيلة لكتابة واستنساخ مذكرات مُختزلة بطريقة سريعة، فتمكن من أن يزاوج بين آلة الجمع والآلة الكاتبة، لقد حلّت هذه الآلة مشكلة جمع الحروف المطبعية. هذه المشكلة التي كانت من طبيعة مختلفة تماماً.

والخبر هو أول ما تعطيه الصحافة: ولكن يناهض الخبر خطورةً تفسيرُ هذه الأخبار والكشف عما وراءها من محاجبات الأمور" وما لابسها من خافيات الأعراض والأهداف، في شتى بقاع الدولة الواحدة، وفي سائر الدول والأصقاع، في زمان قد يكون ما بين دولة ودولة أقرب مما يكون أحياناً بين طرف وطرف من الدولة الواحدة متaramية الأطراف.. يقول الدكتور أحمد رزكي^(١).

"وأنا إذا تحدثت عن الخبر الذي تأتى به الصحافة، انصرفت الأذهان إلى الخبر السياسي، والخبر السياسي لاشك خطير، ولكن وضعه فوق الأخطار جميراً داء قديم. إنه إلى جانب الخبر السياسي توجد أخبار مناشط الحياة وما غلا من الحاجات وما رخص، أخبار الصادر والوارد من البلاد. أخبار الأزرق جميعاً، من رزق عامل ورزق كاتب. وأخبار الناس في مجتمعهم، في أفراحهم وفي أحزانهم وفي مجرى العيش السوية التي لا تصل بأفراح وأحزان، والأمن له خبر واحتلال الأمن له خبر أكبر وقد

(١) المرجع السابق ص ١٠.

تشيع الجريمة في الناس فتحتل مكان الصدارة من الصحف كما يحدث اليوم حين تاحت الجرائم الجنسية رؤوس صحف، في بريطانيا وأمريكا. وال الحرب لها خبرها، والسلام له خبره. والمخترعات والمبتدعات فيما يضر الناس وما ينفع لها خبرها".

إن زيادة وسائل سرعة نشر الأخبار أوجئت بطبيعة الحال طرقاً جديدة لتقديم النص إلى القارئ. وفي سنة ١٨٣٠ كتب الشاعر الفرنسي "لامارتين": "إن الكتاب يصل متأخراً أكثر مما ينبغي" مثيراً بذلك إلى أن الكتاب والجريدة شكلان مختلفان تماماً، يقول ماكلوهان: "إذا أبطأنا في جنى الأخبار وفي جمع حروف النصوص، فلا بد أن يحدث تغيير ليس في المظهر الخارجي للصحف فحسب، بل في أسلوب من يحررها كذلك. وأول تغيير كبير في الأسلوب حدث في بداية القرن الثامن عشر، حين اكتشف أديسون Addison وستيل Steele للصحيفتين الشهيرتين: "تاتلر" Tatler "سبكتاتور" Spectator تقنية جديدة للكتابة تتماشي مع شكل المطبوع؛ هي تقنية الأسلوب الثابت المباشر

وليس من قبيل المصادفة أن يكون جمال الدين الأفغاني ويعقوب صنفوا والأستاذ الإمام محمد عبده ومصطفى كامل وأحمد لطفي السيد ومحمد حسن هيكل وعبدالقادر حمزه، من رواد الصحافة المصرية الذين جمعوا بين الثقافتين العربية والأوروبية، وقد استطاع هؤلاء بجهودهم الرائعة أن يكتشفوا لغة الفن الصحفى العربى؛ التى تقترب من لغة الأدب؛ وتنماز بالسلامة والواقعية والتبسيط^(١)).

إن تقنية الأسلوب الصحفى الجديد، كما يقول ماكلوهان؛ تقوم على التوجه إلى القارئ مع الاحتفاظ بمستوى الأسلوب ذاته، من أول النص التحريرى إلى آخره. وبهذا الكشف وصل هؤلاء الرواد فى الصحافتين الأولية والערבية، الكلام المكتوب بجوهر المطبوع، وخلصوه من تنوع نغم اللغة المنشورة، بل اللغة المخطوطة أيضاً. وإنه من المهم أن نفهم جيداً ظاهرة تطابق اللغة على المطبوع. ذلك أن التلغراف، أعاد فصل اللغة عن المطبوع، مما أدى إلى ظهور هذه الأصوات غير المفهومة التى يطلق عليها "مانشيت" أو الأسلوب التلغرافى. هذه الظواهر لا تزال تصايق رجال الأدب بعادتهم المتكلفة

(١) د. إبراهيم أمام : دراسات في الفن الصحفى ص ٤٥.

باتخاذ الأسلوب المستمر الذى يقلد التماهى المطبعى، "فللماشيات" ، والعنوانين الرئيسية لصفحة الأولى أسلوب مثل:

رسالة للرئيس مبارك من الملك فهد.

الخريطى: علاقات قوية تربط مصر والسودان

الأمير عبد الله يلتقي
موسى والبازار الأزلاض

تلسم الرئيس مصطفى مبارك رسالة من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزىز خال استقبابه من الدكتور عبد العزىز الفريز رئيس الدولة ليس العزاء السعودى.

وصرح الدكتور الفريز على المقابلة بفرساله عطاق بكل سايم البالدين

الذى ينطلي على العلاقات العربية والتى تزدهرها فى مختلف المجالات.

ومنها إذا كانت هناك مملكة بينها أحد وزراء السعودى زيارة إلى قطر أسم

وزير الرسالة التى تم تسلمهها إليه الرئيس مبارك قال الوزير السعودى إن قطر أسم

من وزير الخارجية سعود موسى

رسالة طفولى ما استطاع قوله إنما من أخ لأخى عاصى الدين

والدكتور إسماعيل مختار الرئيس

مسئل مبارك للشئون السياسية مصر

الاختصاص وزير الخارجية السعودى

الذى ينطلي على الملك عبد العزىز العزاء.

ووجه الله وكانت أمالاً ناصمة من قبل

الأخضر سعود الفريم.

الأخضر سعود الفريم.

تلسم الرئيس مصطفى مبارك رسالة من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزىز خال استقبابه من الدكتور عبد العزىز الفريز رئيس الدولة ليس العزاء السعودى.

وصرح الدكتور الفريز على المقابلة بفرساله عطاق بكل سايم البالدين

الذى ينطلي على العلاقات العربية والتى تزدهرها فى مختلف المجالات.

ومنها إذا كانت هناك مملكة بينها أحد وزراء السعودى زيارة إلى قطر أسم

وزير الرسالة التى تم تسلمهها إليه الرئيس مبارك قال الوزير السعودى إن قطر أسم

من وزير الخارجية سعود موسى

رسالة طفولى ما استطاع قوله إنما من أخ لأخى عاصى الدين

والدكتور إسماعيل مختار الرئيس

مسئل مبارك للشئون السياسية مصر

الاختصاص وزير الخارجية السعودى

الذى ينطلي على الملك عبد العزىز العزاء.

ووجه الله وكانت أمالاً ناصمة من قبل

الأخضر سعود الفريم.

الأخضر سعود الفريم.

AL-HAYA, SATURDAY, 2, DECEMBER, 1979, EX-10

وأشنطن تعتبر أن هناك خطوة في الطريق الصحيح

نانياهو يلقي تجميداً الاستيطان في مناطق حدتها حكومة العمل

موسى بعد لقائه بالوفد الإسرائيلي:

لن يتم إنقاذ السلام بوعود إسرائيلية.. بلا مصداقية
قرار إسرائيل بإعادة الانتشار.. عام وغامض

ويذهب ماكلوهان كذلك إلى أن معالجة الخبر ونشره لم يكونوا النشاط الرئيسي للعالم الميكانيكي والصناعي، في حين أنه الان النشاط الأساسي والمصدر الأول للثروة في العالم الكهربائي.. ففي نهاية العصر الميكانيكي كان الناس لا يزالون يعتقدون أن الصحافة والراديو بل والتليفزيون أيضاً، إنما هي أشكال من الإعلام يمولها صانعوا ومستهلكو المنتجات "الحقيقية" كالسيارات، والصابون، والبنزين، وكلما تقدّم الآلة الذاتية (الآوتوميشن) نفوذها يصبح من الواضح أن السلعة الأساسية هي الإعلام، وأن الأموال الحقيقة إنما هي ثانوية بالنسبة لحركة الإعلام.

ويذهب إلى أن الجريدة لم تتجه منذ البداية إلى شكل الكتاب، ولكن نحو شكل فسيفسائى يقوم على المشاركة. ومع زيادة سرعة المطبعة وجنى الأخبار، أصبح هذا الشكل الفسيفسائى أحد المظاهر السائدة للمجتمع البشري. وبالفعل فإن هذا الشكل ينطوى على مشاركة ايجابية أساسية لنشاط المؤسسات الديمقراطية. وفي الوقت نفسه لا يمكن قطعاً أن يقوم الكتاب أو الأدب مقامها. يقول ماكلوهان:

"إن أول ما يبحث عنه قراء الصحيفة هو ما يعرفونه من أخبار، فحين نشاهد حدثاً أو مباراة، أو هبوطاً في سوق الأوراق المالية، أو عاصفة رملية، فإننا نبادر بالبحث عن وصف ما حدث. لماذا؟ إن الإجابة عن هذا السؤال أساسية لفهم وسائل الاتصال لماذا يحب الطفل أن يكثر من الكلام عن أحداث اليوم بشكل غير مترابط؟ كيف نفسر تفضيلنا لروايات وأفلام تكون شخصياتها وديكوراتها مألوفة لدينا؟ أن يرى الناس المنطقيون تجربتهم، أو يتعرفوا عليها في أشكال مادية جديدة؟ هبة من هبات الحياة التي لا تقدر.. والتجربة المنقوله إلى وسيلة جديدة من وسائل الاتصال تجعلنا نرى أو نسمع، تماماً نسخة سائغة لوعي سابق" إن الصحافة تنقل الإحساس الذي شعرنا به باستخدامنا لحواسينا. وباستخدامنا لحواسنا ولقدراتنا نستطيع أن ننقل ونغير العالم الخارجي، إلا جوهر ذاتنا ذاته، وإن احتدام النقل يفسر لماذا يرى الناس غريزياً أن يستخدموا كل حواسهم على الدوام. وهذه الإمتدادات الخارجية لحواسنا وقدراتنا والتي نسميها وسائل اتصال، نستخدمها على الدوام بقدر ما نستخدم عيوننا وأذاننا. للأسباب نفسها، وعلى العكس، فإن "رجال الأدب" يعتبرون هذا الاستخدام المنتظم وال دائم للوسائل تحقيقاً، وفي عالم الكتب فإن الأمر ليس مؤلفاً لهم.

ويقصد ماكلوهان بالشكل الفسيفسائى للصحافة: أسلوب، الصورة الجماعية أو المشتركة التي تستلزم مشاركة في العمق، وهذه المشاركة جماعية أكثر منها خاصة، وجامعة أكثر منها مانعة. وبعد أن كانت الأخبار بالنسبة للصحافة القديمة شيئاً خارجاً عنها، ولم تكن للصحيفة سلطة عليها، أصبحت اليوم تشعر بأن الأخبار توجد لكى تروى وتحكى. وليس هذا فحسب، وإنما لكى تستقى ويبحث عنها، بل ولકى تصنع" وإن المصطلح المعروف باسم "المانشيت". والذى يسميه ماكلوهان "صنع العناوين الرئيسية" غامض إلى حد الغرابة. حيث أن وجود حدث في الصحيفة يعني في الوقت

نفسه أن يكون الحدث خبراً، وإن يصنعه وهكذا فإن "صنع العنوان الرئيسي" يعني عالماً كاملاً من الأعمال والخيالات في وقت واحد. غير أن الصحافة هي عمل وخيال يُصنعاً يومياً، وهي - أى الصحافة - تُصنع تقريراً من كل ما يمكن أن نجده في المجتمع و"بواسطة الفسيفساء" تغدو صورة أو قطعة من المجتمع.

وإذا نظرنا إلى الصحافة فسنجد أنها بالتعبير الماكلوهانى: "فسيفساء"، وتنظيم يستلزم المشاركة، وضرب من العالم الذي يجب أن نصفه بأنفسنا، ويغدو من السهل أن نعرف لماذا هي ضرورية للحكومة الديموقراطية. وفي تحليل للصحافة بعنوان: الفرع الرابع للحكومة يلاحظ "كاتر" Cater بدهشة دون أن يعرف الكيفية، أن الصحافة هي التي تربط مختلف الخدمات بعضها البعض من ناحية، وبالأمة من ناحية هذه الخدمات التي تتشعب وزارات الحكومة إلى شعوبٍ من أجلها.

ويذهب ويكمام ستيد Wicham Steed من أعلام الصحافة، إلى أن من الصعب على الصحيفة أن ترتفع عن مستوى القراء، ولذلك كان من الصدق أن يقول: إن للأمة الجريدة التي تستحقها، كما يصدق حين يقول أيضاً: إن الذوق العام للجمهور قد يتأثر بالصحف التي تؤثر في العوائل المنحطة للقارئ. ذلك أن الصحافة كما يقول العقاد^(١): "تابعة للأمة التي تعيش فيها، وليس سابقة لها ولا متقدمة عليها، وإذا اتفق في موقف من المواقف النادرة أن تقدمت الصحافة على أمتها فتلك ولا ريب عارضة لا تدوم. لأن الصحافة إذا تقدمت أمتها على الدوام انقطعت عنها. وليس في وسع صحيفه من الصحف أن تنقطع عن قارئها وعن البيئة التي تكتب لها، وهي مضطربة إلى الرجوع إليها يوماً بعد يوم، أو أسبوعاً بعد أسبوع، أو شهراً بعد شهر، كما تضطر جميع الصحف اليومية والمجلات الدورية". يقول العقاد:

"إن الصحافة المثلث هي صحفة مستقلة في آرائها ملخصة في نصائحها أمينة في أداء رسالتها، خادمة للثقافة والأخلاق فيما تنشره من موضوعاتها وأخبارها.

"وفي مقدورك أن تؤدي هذه الشروط بعبارة أخرى مرادفة لها كل المرادفة وهي أن الصحافة المثلث هي صحفة الأمة الميررة الرشيدة. والتمييز في الأمم شرارة من ثمرات التعليم والفطرة المستقيمة.. فإذا كانت الأمة متعلمة قوية الفطرة فلا تشترط

(١) عصر العقاد، السابق ص ١٢٩.

فيها شروطاً للصحافة لأنها لن تروج فيها إذا هي خالفت شروط الاستقلال والأمانة، والخدمة القومية التي تقدم مصلحة الوطن على مصالح الأحزاب والأفراد.

"ونحن نلمح أثر التقدم في صحفتنا كلما لمحنا أثر التقدم في أقوامنا وجماهيرنا فنحن اليوم خير مما كنا بالأمس، ونحن غداً فيما نرجوه. خير مما نراه اليوم".

وقد بين "ويكام ستيد" مهمة الصحافة في جمع الأخبار التي تهم الرأى العام وإعلانها وتفسيرها، وهذه المهمة مفيدة قيمة ما في هذا شئ وفيها كثير من المسئولية ولكن فيها أيضاً كثيراً من الشرف والفضار.

والصحافة صورة حديثة من الخدمة الاجتماعية قد نهضت وانتعشت بفضل الطباعة، ولم تثبت أن ازدادت نهوضاً وانتعاشاً وامتلاط حياة ونشاطاً بفضل الانتقال من المرحلة البدائية إلى المرحلة الميكانيكية، فأمكن بذلك أن تجمع الأخبار وأن توضع في إطارات معدنية وأن تنشر على الناس بكميات كبيرة.

وربما حان الوقت الآن لدراسة التغيرات التي أحدثتها اختراع التليفون والراديو والتلفزيون؛ في الصحافة، فقد سبق أن رأينا - عند ما كلوهان - أن التلغراف هو العامل الأساسي الذي شارك أكثر من غيره في خلق الصورة الفسيفسائية للصحافة الحديثة بكتلة مقالاتها التي لا رابط بينها ولا صلة، إن هذه الصورة الجماعية للحياة المشتركة، التي حلّت محلّ وجهة النظر أو التوجيه الصحفى، هي التي تخلق المشاركة في هذه الوسيلة. وحين ألغى التلغراف الزمان والمكان من الأخبار فقد خفّ من حميمية شكل الكتاب، وبالمقابل دعم صورة الجمهور الجديد في الصحافة.

ولعل أهم أثر للتلغراف، هو ما تميّز به لغة الفن الصحفى اليوم. ونذكر أن "ويكم ستيّد" قد لجأ إلى الصحفى الكبير "سى. ت. ستيّد" يسأله النصّ في ميدان الصحافة، فقال: "ستيد" "ستيد" :

"كل ما يحضرك في الكتابة أسرع ودونه، وبعد أن تدونه تصور أنك سوف ترسله بالبريد وأنت في بلدك إنجلترا إلى استراليا على نفقتك الخاصة بحيث تكلف الكلمة الواحدة شلن، وعلى هذا ينبغي أن تتحذّف ما لا فائدة منه ولا غناء فيه، وستجد في النهاية أنك حذفت كثيراً وأبقيت قليلاً ولكن هذا القليل هو ما ينبغي أن ترسله إلى صحفتك".

وإن كان التلغراف قد قصر الجملة، فنستطيع أن نقول مع ما كلوهان إن الراديو قصر عمر التحقيق، وأن التليفزيون أعطى أسلوباً استهمامياً للصحافة والواقع أن الصحافة ليست فقط فسيفساء للمجتمع الإنساني بصورة عن بعد، ساعة بساعة. ولكن تكنولوجيتها هي نفسها فسيفساء مكونة من تكنولوجيات المجتمع. وحتى في اختيارها لما هو جدير بالنشر، تعلن الصحافة عن تفضيلها للأشخاص الذين لهم بعض الشهرة في السينما والراديو والتليفزيون والمسرح. ويتبع هذا الواقع فهم طبيعة الصحافة كوسيلة للاتصال. وبالفعل فإن الناس الذين لا نسمع عنهم إلا من الصحف هم أناس عاديون في الواقع!.

تقويم الخبر:

يبين مما تقدم أن تقويم الخبر يقوم على أساسين، الأساس الأول هو تقويمه وفقاً لخصائص الجنس الإعلامي. والأساس الآخر هو تقويمه وفقاً لخصائصه الذاتية. ذلك أن الخبر - ككل، شيءٌ مجرد، وكما يبين من التعريفات المتباينة حوله، لا يقوم وفقاً للوسيلة الإعلامية التي تنشره أو تذيعه فحسب، ولكنه تأسيساً على الفهم القائل بأن الخبر سرد علاقات الإنسان المتغيرة مع بيئته يصبح ذا قيمة خبرية، عندما يغير من الأوضاع القائمة. وهذا نتساءل عن الخصائص التي ينبغي توافرها في الخبر حتى يكون هاماً في نظر وسائل الإعلام، وما هي الأساسات التي تجعل خبراً من الأخبار يتقدم لينشر أو يذاع؟.

وللإجابة عن هذا السؤال؛ نتتبع - رحلة الأخبار مع أسرة عادية ، ولتكن أسرة السيد "زيد" الذي استرعى انتباهه في الصفحة الأولى من صحيقته عنوان على أربعة أعمدة حول:

٦ ■ ١٩٩٧ نوڤمبر ■

مجلس «الدوما» ينادى بلتسين إقالة وزير ماليته

ويطالع السيد "زيد" العنوان بسرعة، ولكنه لم يكن مهتماً بمتابعة الخبر أكثر من ذلك؛ فيكتفى بالعنوان ثم ينتقل إلى عنوان آخر أكثر إثارة "وهو":

الأشغال المؤيدة لجنايني زرع حديقة فيلا مفروسة بنبات البانجو في السويس

يستعرض السيد (زيد) الفقريين الأوليين من هذا الخبر مكتفيا بذلك. فالجنايني لم يكن معروفا للسيد زيد. إلا أن الذى اجتذب انتباهه فى العنوان هو كلمات: الأشغال المؤيدة - جنايني.. حديقة فيلا - السويس. هذه الكلمات كانت الدافع القوى وراء اهتمامه بالخبر، وذلك لأنه من موايد مدينة السويس، وإن كان قد اغترب عنها لسنوات طويلة. أما الكلمات الأخرى فقد جذبت انتباهه؛ لأن زراعة المخدرات منوعة بطبيعة الحال؛ ولكن أن يزرعها "البستانى" فى "حديقة منزل مخدومه" فذلك هو غير المألوف. انتقلت عينا السيد زيد؛ بعد ذلك فوقيعا على عنوان جديد وفي حقيقة الأمر؛ فإن هناك العديد من الاعتبارات التى تكمن خلف اختيار هذا التنظيم أوذاك وتحصل بموقف الجمهور من الموضوع واهتماماته.

والتحرير الصحفى - كما تقدم - يرتكز على تحويل الأحداث؛ والمعلومات؛ إلى أخبار ومواضيعات؛ ومقالات، وتمرُّ هذه العملية فى ثلاثة مراحل: البحث، الاختيار، والكتابة (التحرير فى قالب صحفى)، وتم جميع هذه المراحل عبر دورات معقدة أوبيسيطة، أبسط دورة منها تتعلق بحدث منظور وفهم وقرب، مما يير عمل المندوب الصحفى. وتنتهى عملية الاختيار عندما يطلع المندوب على الحدث ثم ينقله ليحرره سكرتير التحرير فى قالب صحفى. ولا يبقى من الدورة إلا الطباعة والنشر، ولكن، فى الحقيقة، إن عدداً كبيراً من الأسباب يتدخل فى عملية الاختيار^(١). فالبحث عن المعلومات، هو أساساً، من واجب المندوب، وتحرير الخبر من واجب المندوب أيضاً؛ جزئياً ولكنه من مسؤولية سكرتير التحرير الأساسية. وهاتان العمليتان، أى البحث عن الخبر وتحريره، تشكلان المرحلة الأولى والثانية من الوظيفة الصحفية، والاختيار بعد البحث، يمثل المرحلة الأولى، ولو قام به المراسل أو المندوب أو سكرتير التحرير أو محرر الأبواب الثابتة. وليس هناك صحفة تستطيع نشر كل ما يحدث فى العالم ليحررها،

(١) فيليب جابار: تقنية الصحافة؛ ترجمة فادي الحسيني .

أو ما يصل إليها، عبر الوسائل العديدة الموضوعة تحت تصرفها، وأول عمل للصحفى عندما تبدأ الدورة الإعلامية، هو أن يختار الواقع الذى سيحولها بالتحرير إلى أخبار فعلى كل صحفى أياً كانت وظيفته، أن يأخذ قراراً بالاختيار، عدة مرات أو عشرات المرات فى اليوم. وهذه الاختيارات المتعددة تتصارع وتتدخل لتثير تدريجياً كتلة وقائع اليوم المتخصمة، ولتؤدى إلى "موجز" الصحيفة. مراسل الصحيفة أو وكالة الأنباء هو "الديديبان" الذى يقوم بدور "حذام" كما تقدم؛ وهو "الذى يمثل الصحيفة فى المكان المعين، وهو أول من يختار ويقرر ما هو جدير بأن يعرف خارج المجموعة الإنسانية؛ التى يقوم فيها بدور آذان بقية العالم ويعونهم. ومسؤولية المراسل كبيرة، فإذا أهمل واقعة لها عواقب مهمة، فما من أحد يستطيع تحرير غيابه. وإذا نقل جميع الواقع الذى تصل إلى حد علمه، خوفاً من إهمال واقعة مهمة، فيكون قد أغرق التحرير فى أوراق لا قيمة لها وباختصار لا يكون قد قام بعمل صحفى. والمذوب الموجود على مسرح الأحداث لا يتمتع بصلاحية الاختيار؛ لأن وجوده فى هذا المكان المعين يعنى نهاية الاختيار.

ولكن عليه أن يقف أمام التفاصيل المختلفة ويستوضح قبل أن يأخذ قراراً. وسلسلة القرارات هذه، سلسلة غريبة إجمالاً. فإذا وقع المذوب تحت تأثير حركة الأحداث التى يراقبها، قد لا يجد الوقت الكافى للتفكير والاختيار^(١).

وسكرتير التحرير، هو آخر من يختار. فقبل أن يفرغ كتلة المواد، التى ستصبح أنباء اليوم، فى قالب صحفى، عليه أن "يشدد ويختصر ويهمل بعض العناصر. وهذا الاختيار يؤله أحياناً، لكنه يعلم أن المنفذ الوحيد أمامه هو قراره الحازم فى أن يقدم أولاً يقىم؛ للجمهور هذا العنصر الإعلامى أو ذاك. فى جميع الحالات الاختيار حاسم؛ فلما راسل يستطيع أن يضاعف إرسال الكلمات عشر مرات، إذا رأى ضرورة لذلك؛ والمذوب يستطيع أن يكتب عشرة أسطر زيادة على المطلوب. أما سكرتير التحرير فهو سجين المساحة الموضوعة تحت تصرفه.

فالتأكيد على أهمية الاختيار، هذه المرحلة المجهولة من نشاط الصحفى، أمر ضرورى، لأن هذه المرحلة، وإن كانت لا تترجم إلى عمل ملموس، تمثل المرحلة الأولى التى

(١) نفس المرجع ص ٢٤.

تحدد حركية الإعلام، والاختيار يصبح سهلاً في الحالات المتطرفة، على أن الانتقاء عملية دقيقة لا تترك لذوق التحرير وحده، بل تتم من خلال موازين دقيقة منها ما هو عام، ومنها ما يتعلق بالمؤسسة الصحفية.

وترتبط المعايير العامة لل اختيار في التحرير الصحفى بالحدث نفسه؛ وهذه المعايير هي الدلالة؛ والحالية الإعلامية. أما المعايير الخاصة بكل مؤسسة صحفية؛ فهي ترتبط بجمهورها، ويمكن تلخيص هذه المعايير في معيار واحد هو معيار الأهمية.

أولاً: الحالية الإعلامية:

إذ الأخبار كما نعرف إنما تعنى شيئاً جديداً، ولا يشترك الجمهور في ذلك مطلقاً. فهو حين يفتح صحيفة أو حين يجلس أمام الراديو أو التلفزيون في موعد الأخبار، إنما ينتظر جواباً عن سؤال عام: "ماذا حدث من جديد؟".

وقد نجد بعض التطرف في السعي الدائب وراء الآنية التي تميز الصحافة المعاصرة، فالرکض وراء السبق الصحفى، أى وراء الخبر الجديد الذى سينقل، يجرى أحياناً على حساب الخبر، وإذا كان هذا السباق يشكل حافزاً للصحفيين، فهو يصطدم بلا مبالاة الجمهور، ولكن، ومهما يكن الأمر، فهو قانون من قوانين الصحافة الحديثة، ومن العبث تجاوزه، فوكالة الأنباء ومحطة الإذاعة التي تسبق غيرها في نقل حدث مهم، تكتسب شهرة كبيرة. وأخيراً رغم أن الصحافة المكتوبة تمتاز بدوريتها البطيئة، نوعاً ما، بالمقارنة مع الدفق المتواصل من الرسائل التي تتلقاها، فإن لكل طبعة، دقيقة مصيرية، بعدها لا يمكن لأى خبر يصل إلى التحرير أن يعرف طريقه إلى النشر، ومن عادة الجمهور أن يقرأ ويسمع، ولا يلاحظ عموماً أن صحيفة ما خسرت السباق إلا عند وجود الأحداث المهمة. والشيء نفسه يقال عن حالة الحدث الذى تنقله الصحيفة إليه، فالقارئ لا يدرك أن السرعة غير ممكنة، وهى محدودة بالإمكانات التقنية، وهو يقرأ حقيقة ما جرى أثناء نومه، عند تناوله الإفطار.

يقول الأستاذ فيليب جابا:

"هذه الحاجة إلى الآنية واضحة عندما يستحدث الإعلام جمهوره، أو قسماً من الجمهور إلى التحرك الإيجابي، وهنا يؤدى تأخر النشر إلى عواقب سيئة، في حالة

الإعلان عن مظاهر سياسية أو نقابية أو رياضية أو ثقافية، والشيء نفسه يقال، اليوم، عن تأخر نشر أخبار حركة البورصة، وأسعار المواد الأولية. كما أن تأجيل نشر بعض المراسيم والقوانين التي تدعو إلى ضبط التصرفات مباشرة، وتأجيل نشر إنذارات الحرب أو الفيضانات التي تتطلب استعدادات على المستوى الوطني والعائلي والفردي، يؤدي إلى عواقب سيئة.

وعندما تكون المصلحة الفردية بعيدة عن المساس، فالوحدة الوطنية والعالمية، في أيامنا هذه، أوجدت الحاجة إلى معرفة ما يجري في الطرف الثاني من البلاد أو من العالم، فور حدوثه. فالحالية إذًا من أهم عناصر التقويم الصحفى. مما يعني أن يواصل الصحفى جهاده؛ ليطلع وينقل، في أسرع وقت ممكن، الأحداث المعبرة عن أهمية والجديرة بالاهتمام. فالأخبار التي يتاخر نشرها، تقل نسبة الاهتمام بها. والخبر الذي يمكن أن يحتل خمسة أعمدة في الصفحة الأولى عند تذليله بـ "عاجل - من مندوينا الخاص"، لا يستحق أن يكون أكثر من خبر على عمود؛ في إحدى الصفحات الداخلية، لوعلم به التحرير عند قراءته في صحيفة أخرى.^(١)

والخبر لا بد أن يكون قريبا من حيث المكان، ومن الثابت أن أحداثا تقع في مصر تهم المصريين أكثر مما تهم سكان أمريكا الجنوبية مثلا، العكس صحيح، فإن الجمهور يهتم بحدث بسيط يقع قريبا منه. أكثر مما يهتم بحدث أكثر أهمية يبعد عنه أميلا وأميلا كإضراب عمال المناجم في جنوب إفريقيا مثلا. واليوم تشكل الأنباء ذات الطابع المحلي البحث الأساسي الذي يبني عليه الصحفيون توزيع صحفهم.. وتدل البحوث على أن النبأ الذي له أهمية دولية - فيما عدا الأحداث الرئيسية - لا يثير سوى اهتمام ١٠٪ فقط من القراء في المدن الكبيرة.

وتراعى الصحف هذا القرب المكانى مراعاة دقة، وتفرق من أجل ذلك بين الطبعة التي توزع في العاصمة والطبعة التي توزع في الأقاليم، فإذا وقعت الحادثة في العاصمة عنيت بها الطبعة التي توزع في العاصمة عناية تامة، وتقل هذه العناية

(١) نفس المرجع ص ٢٥.

بالقياس إلى طبعة الأقاليم أو المدن أو الطبعة الدولية، والعكس بالعكس، فالناس بعامة، أكثر ما يكونون اهتماما بالأحداث الواقعة قريبا منهم من حيث المكان والزمان.

والقرب قد يكون مكانيا وقد يكون زمانيا أو نفسيا، ويرتبط القرب الزمانى بالحالية الإعلامية، وكلما كان الخبر جديدا كان اهتمام القراء به عظيما، وهناك مثل يقول: "ليس هناك أقدم من صحيفة الأمس" ولذلك نجد المحرر يكتب الخبر مستعملاً كلمة "اليوم" إذا كانت الصحيفة مسائية، أو كان الخبر مذاعاً بالراديو أو التلفزيون، ويستعمل كلمة "الأمس" إذا كانت الصحيفة صباحية، والزمن عامل هام جدا، حتى أن ساعة أو ساعتين قد يغيرا من قيمة القصة الخبرية؛ وخاصة إذا كانت صحيفة منافسة تكتب عنها، وما يدل على أهمية القرب الزمانى أن "آخر خبر هو أكثر الأخبار لفتاً لأنظار القراء. ولكن قاعدة الجدة الزمنية لا تسري على كل القصة - كما يقول كارل وارين - فقد يضطر المحرر إلى تضمين موضوعه إشارة إلى ما سبق أن نشر من قبل عن نفس الموضوع، ولكن هذه القاعدة لا بد أن تطبق على الجملة الأولى، ومن الواضح أن قاعدة الجدة لا تطبق على الوقت الذي حدث فيه الخبر، وإنما تطبق على وقت إذاعته.

ويستخدم القرب الزمانى والمكاني والنفسى في قياس خصائص معينة للخبر ولكن بعد أن يعترف بقيمة الخبر فعلا، وذلك لتقرير: هل يروج ذلك الخبر أو لا يروج وأين يكتب له الرواج، وهل يستحق الخبر عناء تقصى أطراقه أم لا، والقرب النفسي يحتل أهمية كبيرة، مما يحدث لطلابنا في الخارج قريب إلى نفوسنا، ولذلك يظفر بالنشر مهما بعدي المسافات^(١) ومع أن القيم الخبرية لا تقرر في حد ذاتها أهمية الخبر بل تقرر طبيعته فقط، فإنه كلما زادت القيمة الخبرية لحدث من الحوادث، زاد اهتمام الناس به، وزادت بالتالي أهميته.

ثانياً: الجدة الإنسانية:

قل أن يكون لبعض الروايات شأن إذا رويت باعتبارها حوادث منفصلة أو مستقلة. فالقتل مثلاً حادث فردٍ مستقل ذو قيمة خبرية لما ينطوي عليه من عنصرى الصراع والكارثة، والانتخاب حادث مستقل له قيمة خبرية بسبب الصراع

(١) د. إبراهيم أمام: دراسات الفن الصحفي ص ١١٧.

(وكذلك الفوز والهزيمة) وبسبب النتائج التي تترتب عليه. وإذا أفلت سجين مقيد من جندي الشرطة فهو خبر يستحق النشر بسبب جدته. ولكن الحادث الفردي نفسه لا تروي عنه الصحفة إلا خبراً صغيراً. ولهذا فإن سكرتير التحرير أو محرر أخبار العاصمة قد يطلب من المندوب تحويل هذا الخبر الموجز إلى قصة ذات زاوية إنسانية، وعندئذ ينشر الموضوع في عمود كامل من أعمدة الجريدة. وفي هذه الحال لا يقتصر المندوب على الحادث في حد ذاته، بل يذهب إلى ما وراء الحادث ليتقصى الاعتبارات الإنسانية التي تكشف كل من له ضلع في الحادث. فكيف تركت السيدة أطفالها وحدهم في السيارة؟ ولماذا؟ وكيف تعلمت العدو السريع؟ وما هي أحوال أسرتها؟ والسارق: من هو؟ وما إلى ذلك. وهكذا ينقب المندوب عن الاعتبارات الإنسانية للحادث الذي وقع.

وينبغي ملاحظة أنه فيما يتعلق بالمواضيعات التي يمكن وصفها بأنها تستهوي الزرعة الإنسانية، يتعين على المندوب أن يذهب إلى ما وراء الحادث نفسه ليتقصى ملابساته الإنسانية، فهو يسعى عادة إلى جمع المواد التي يحتاج إليها كتاب الروايات، مثل العواطف والوقائع المتعلقة بحياة المرء والحوادث المسرحية والوصف والدعاوى والمطامع والأمال. وما هذه بأحداث، ولكنها ملابسات تحيط بالأحداث. ومن الأحداث ما تسهل كتابته من الزاوية الإنسانية وما يصعب تناوله من تلك الزاوية. وما أكثر الحوادث التافهة التي ما كانت لتستحق النشر استناداً إلى قيمتها الخبرية الضئيلة، ولكنها اكتسبت من الملابسات الإنسانية ما جعلها من حيث الكم ومن حيث الكيف محوراً للروايات الإعلامية التي تعالج الزاوية الإنسانية. ثم إن هناك من الأحداث البالغة الأهمية ما يكون مرتبطاً بنسيج من الظروف.

والأشخاص والعواطف والصالح المتضاربة؛ يقتضي تجرئتها إلى أخبار موجزة تحتاج إلى جهد واع؛ وقد تجرد الحادث من كثير من جوانبه الهامة. ومن هذا القبيل حادث إغراق الأم لأطفالها الأربعة في النيل حزناً على شقيقها الذي قالت إنه مات وتدين فيما بعد أنه لا يزال على قيد الحياة، وأنها مصابة بمرض نفسي وسبق علاجها بجلسات كهربائية بإشراف أحد الأطباء وكانت تغادر قريتها وتهبم على وجهها في البلاد المجاورة. ومن هذا القبيل أيضاً: إحالة طبيبين لمحكمة الجنایات استدراجاً طالبة وحاولاً الإعتداء

عليها، وكذلك ما ينشر من مثل هذه الأخبار التي مرت حالة راهنة وعرضت على الجمهور قضية الاختطاف والاغتصاب، مما يهىء الرأى العام لاتخاذ إجراءات رادعة.

ويكتسب الحادث أهمية من سياق الظروف المحيطة به. فإذا شب حريق في خيمة لا يوجد بها شيء، كان هذا حادثاً تافهاً، أما أن يشب حريق للمرة الثانية في خيمة السيرك القومى بسبب ماس كهربائى أتى على جزء كبير من الخيمة، فقد يكون لهذا الحادث أهمية كبيرة، لما ينطوى عليه من الصراع من أجل السيطرة على النيران وإخمادها تماماً قبل أن تمتد إلى حيوانات السيرك وإلى مسرحي البالون والسامر المجاورين. ولهذا لا يسعنا أن نقيس القيمة الخبرية لحادث فردى إلا من حيث نوع الحادث. أما وطأة الحادث أو اثره أو عاقبته فإنها تقادس بسياق الحادث أى بملابساته وظروفه. فقد يقع حادثان متشابهان من حيث موضوعهما، فيمزق أحدهما نسيج الظروف تمزقاً هينا بينما يقطعه الآخر تقطعاً شديداً. وقد تتكرر حوادث الاختطاف أو سقوط الطائرات، غير أن تمزق هذه الحوادث لحالة القائمة لا ينحصر عن أنسجة متشابهة من الزوايا الإنسانية الخلاية، كما أنها لا تتساوى في عواقبها الاجتماعية.

ويتضح من ذلك أن الأخبار ذات الزوايا الإنسانية إنما تنشأ عن حادث عادى تقاس أهميته الخبرية بمدى تغييره لحالة قائمة، فيما اصطلاح عليه من قيم خبرية. أما هل تنشأ الأخبار على هذا النحو، أى أن تكون قصة ذات زاوية إنسانية لا خبراً عادياً مجرداً، فإن ذلك يتوقف على الظروف التي يميط عنها الحادث اللثام بعد أن يمزق الحادث هذا النسيج. وأحياناً يبدو الحادث في بعض الأحيان عامراً بالعواطف البشرية وبالفارقations المختلفة التي تزيد أهميتها على أهمية الحادث نفسه، وفي هذه الحال تتضاءل أهمية الحادث في حد ذاته. وكثيراً ما يسوق المحرر حوادث إخبارية مجردة ولكنه يضيف إليها بين الحين والآخر ملابسات من أضواء الزوايا الإنسانية ليجذب اهتمام القارئ ويحمله على قراءة هذه الحوادث. فالزاوية الإنسانية اصطلاح مفيد يطلق على وصف المواد التي تتدفق من خلال الحادث، وهي قيمة روائية قصصية لا قيمة إخبارية، ويمكن اعتبارها رديفاً للصراع والعاقبة والكارثة والتقدم والجدة والشهرة والوقتية وما إلى ذلك من القيم الخبرية. وكما يقول "جونسون وهاريس" فإنه ما من حادث إلا ويمكن معالجته من الزاوية الإنسانية إما معالجة كاملة، وإما معالجة جزئية، وإما معالجة تخلو من كل اعتبار للزوايا الإنسانية.

لا يقصد بهذا العنصر التهويل أو المبالغة ونحو ذلك، ولكن يقصد به إثارة اهتمام أكبر عدد من الناس. فمن الأخبار ما يمس جماعة قليلة من الناس في المجتمع فلا يؤيه له كثيراً في الصحف ووسائل الإعلام. ومن الأخبار ما يمس أكبر عدد ممكناً من أفراد المجتمع، أو يمس مرفقاً من أهم المرافق الحيوية في هذا المجتمع، أو يمس مشكلة من أكبر المشكلات السياسية أو الأخلاقية أو الاقتصادية التي تهم المجتمع، وإذا ذاك ترى وسائل الإعلام تخصص لهذا الخبر الضخم مكاناً ظاهراً في صدرها.

وعنصر الضخامة يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالدلالة الإعلامية، ومدى اهتمام الناس بها. تقول القواعد الأولى في علم حساب الأخبار أن نسباً حادثة أصابت ألف شخص أهم من نسباً حادثة أخرى أصابت ١٠٠. وقرار قاض في المحكمة أو تفسيره لإحدى مواد القانون إجراء فني بحت، ولكنه في الوقت ذاته يؤثر في حياة الملايين. ويستطيع الصحفي أن يكتب موضوعاً مثيراً يبين فيه نتائج القرار على حياة العامة.

وقد لا يهتم "زيد" من الناس إذا قرأ أن شركة النقل العام على خلاف مع عمالها، ولكن إذا قال له المندوب إن العمال سوف يبدأون غداً إضراباً عاماً؛ وأنه سوف يسير على قدميه إلى عمله أو سوف يدفع جنيهين إضافيين إذا أراد الركوب، فإن الخبر يدخل دائرة الاهتمام الشخصي في كل بيت.. وأهمية الخبر لا تقادس بمدى ما يحدثه من تغيير واضطراب فحسب، وإنما بضخامته، أي عدد الأشخاص الذين يؤثرون فيهم الخبر.

وإذا اجتمعت أهمية شخصية من الشخصيات مع أهمية الموضوع وضخامة عدد المهتمين بها، فلابد أن يكون الخبر صالحاً للنشر في الصفحة الأولى، أو في إحدى الصفحات ذات الأهمية الكبرى، ذلك أن الأسماء تصنع الأخبار، كما يقولون، وأن الأسماء اللامعة تصنع الأخبار الهمامة، فإذا سلمنا بصحة هذا القول، فكيف ينطبق مبدأ تغيير الحالة القائمة على هذه القيمة الخبرية التي يلوح أنها ثابتة غير متغيرة؟ يجب "جونسون وهاريس" على ذلك بأن المبدأ يصح بالنسبة للأغراض السياسية وحدها. وإن لم يكن صحيحاً مئة في المئة، فإذا كانت الأسماء وحدها هي صانعة الأخبار لما احتاج الأمر إلى ترقب الأحداث حتى تساق الأسماء في الجريدة، فلابد للرجل الشهير من أن يفعل شيئاً يعدل به وضعاً قائماً إذا أريد لإسمه أن ينتشر في

وسائل الإعلام، والسياسيون يدركون جيدا، حتى ولو لم يفطن إلى ذلك المندوبون والمحرون، أن أهمية الإسم اللامع ترجع إلى قدرة صاحبه على تغيير حالة قائمة.

الأسماء والشهرة: وقد تكون الشهرة مؤقتة سواء كانت لأشخاص أو أماكن أو أشياء أو حوادث تثير اهتمام القراء، مثل اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون أو معركة انتخابية، أو أحداث لبنان، وقد يستمر أثرها على الناس مثل قضية ووترجيت، أو قضية "مونيكا" أو موضوع تحديد النسل، وسيصر ملايين الناس على معرفة التفاصيل إذا وقع حادث لإنسان مثل "نيكسون" أو "جاكلين كينيدي" أو "أوناسيس" أو "كليتون" أو "الأميرة ديانا".

إذا قال "زيد" البقال: يحب إرسال كل السائقين السكارى إلى السجن، فليس في هذا القول خبرا، لأن "زيدا" إنسان غير مسئول ولا يهم الرأى العام. ولكن إذا أعلن "عمرو" رئيس الشرطة في المدينة هذا التصريح، أصبح خبرا ينشر في مكان بارز وكل إنسان يحب الأبطال والساسة البارزين في الهيئة الاجتماعية، وكذلك يحب الرياضيين والفنانين. ومليين من الناس يقبلون منهم على قراءة قصص المكتشفين والرحلة و厶غامرات أصحاب الملابس.

يقدم لنا الأستاذ الحمامصي، مجموعة من المعادلات الطريفة التي تبين عناصر الغرابة والإثارة في الخبر فيقول:

"رجل غربي تزوج من غير أن يطلق زوجته السابقة، ثم يستمر بعد ذلك في عملية الزواج من واحدة بعد الأخرى حتى يصبح عدد زوجاته "أربعاً، ثم يكتشف أمره وتقف زوجاته الأربع أمام المحكمة شاكيرات خروجه على الدين والقانون.. مثل هذا الخبر يتتطور في صحفة الغرب ليصبح قصة يتحدث عنها الناس جميرا، ويقاد صاحبها إلى المحاكمة وتنتوسح الصحف في النشر عنها، بينما مثل هذا الخبر في أي بلد يدين أهله بالدين الإسلامي لا قيمة له لأن القانون والدين يبيحان للزوج أن يتزوج أربعاً.

ولكن إذا حدث في بلد إسلامي وجود امرأة تزوجت أكثر من رجل فأصبح العدد ثلاثة أو أربعة، هنا يمكن أن يتتطور الخبر ليصبح قصة صحفية تشغيل القراء!

ومعادلة أخرى:

نبأ عن صراف بنك + زوجة + ٧ أولاد = صفر.

بينما أن نبأ عن صراف بنك - ١٠ آلاف جنيه من الخزينة = خبرا.

أو نبأ عن صراف بنك + زوجة + عشيقه - ١٠ آلاف جنيه = خبرا أكثر أهمية.

ومعادلة ثالثة:

نبأ عن : رجل عادى عمره ٨٠ سنة + حياة عاديه = صفر.

ونبأ عن رجل عادى عمره ٨٠ سنة + رحلة مغامرة = خبرا.

رجل عادى عمره ٨٠ سنة + زوجة شابة ١٨ سنة = خبرا.

رجل عادى ٨٠ سنة + زوجة شابة ١٨ سنة + توائم = خبرا أكثر أهمية.

ومن المعروف أن القبض على سكير في الشارع ليس خبرا، ولكن إذا كان هذا السكير رئيس جمعية منع المسكرات صار خبرا. وقصة القرى الذي باع ترام العباسية لصرى من أقصى الصعيد قصة خبرية طريفة، وطبعى أن للقصة ذيولاً كأن يركب الصعيدي الترام ويحاول الحصول على الإياد من الكمسارى، ومثل هذا النوع من القصص الطريفة لا يمكن أن يهمل بمجرد اختفاء العناصر الإخبارية الأخرى، بل يكفى أن يكون "غريباً" لكي يكون "خبرًا" ذلك أن مثل هذا الخبر قد يعيش في أذهان جمهور القراء أكثر مما يعيش خبر استقالة موظف كبير بسبب خلافه مع بعض زملائه في العمل.

وتذهب بعض الصحف إلى أن عناصر التشويف والإثارة والطرافة والروعة من أهم سمات الخبر الجيد. وهناك تعريف للنبأ يقول إنه ما يخرج عن المألوف فيصبح بارزاً. ويلاحظ الدكتور إمام أن عنصر التشويف ينطوى على الابتعاد عن الموضوعات الجافة المجردة، غير أن جوهر الفن الصحفى يكمن حقيقة في تقديم الخبر الجاد، والموضوع المفيد، والمعلومات الدقيقة بأسلوب شائق ممتع مفهوم، مثير للتفكير، وليس مثيراً للغرائز الدنيا. وذلك يتطلب بطبيعة الحال تنوع الموضوعات وشمولها حتى تجد كل فئة من القراء بعيتها.

خامساً، الدلالة الإعلامية:

ومعيار الدلالة الإعلامية يقوم على النظرية المتعلقة بجوهر الإعلام، كأساس عام للقيم الإعلامية، وكل ما له قيمة إعلامية مما يغير حالة قائمة أوينذر بتغييرها أو يترتب على حوادث وقعت فعلاً أو هي بسبب أن تقع، وهي حوادث تتميز بدلالة، تقوم على: الصراع ومراكز الاهتمام الإنساني، ففي المجتمع ألوان شتى من الصراع، ولعاظمها أهمية إخبارية، فكل صراع فعلى - كما يقول جونسون وهاريس. إنما يمثل تعديلاً ظاهراً لوضع قائم، وهو صراع ينذر في شكله المادي بإحداث إصابات أو إلحاق ضرر كالحرب والاضطرابات والحملات السياسية والمناقشات البرلمانية الحادة، فإن لها في صدر الصحف متسعاً، ولكن تلامح النظريات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والمناقشات التي تدور بين المفكرين والعلماء، قد تستحق إذا قيست بنتائجها وعواقبها أن يضفي عليها من القيمة الإعلامية أكثر مما يضفي عليها فعلاً، وهناك أنواع عديدة من الأخبار التي يكون الصراع عنصراًها الغالب أى الكفاح ضد قوى متفوقة مثل: صراع الإنسان مع الطبيعة، وصراع الفرد مع المجتمع المنظم، وصراع الكتل السياسية مع الكتل الاقتصادية بالحروب والحملات والإضرابات.

كما أن كل صراع يسفر عادة عن فوز فريق وهزيمة لفريق. وكثيراً ما ينجم عن ألوان الصراع الرتيبة في الحياة، - والتي تفتقر في حد ذاتها إلى عناصر التقويم الصحفى - نماذج من النجاح المشرق، كما نجد في المخترعات وأساليب العلاج الجديدة التي تصدر عن المعامل ولكنها مع ذلك من أمارات التقدم.

وكذلك القصص التي تحملنا على التساؤل عما سيحدث؛ تستثير اهتمامنا باستمرار كقصص: العمال الذين أطبق عليهم النجم وقصص المغامرات والاستكشافات. ويدعى أن الحادث ذا القيمة الصحفية هو الحادث الذي ينشئ سلسلة متصلة من الأحداث تؤثر في كثير من الناس، أو الحادث الذي من شأنه أن يتسبب في مثل تلك السلسلة. أى أن يكون حادثاً كثير العواقب والنتائج. ومن الأحداث ما تزيد عواقبه على غيره. فتفسح لها الصحف مجالاً أرحب من غيرها وتفرد لها العناوينات الضخام، لأنها أحداث ذات قيمة إعلامية. فقد اصطلح على أن للعواقب جميعاً قيمة إعلامية.

وفي بعض الأحيان يساق الجنس بوصفه قيمة خبرية. ويبدو. على هامش الكلام كما يقول جونسون وهاريس - أن للجنس مقدرة كبيرة وشهرة دائمة في تغيير الحالة القائمة والحق الأضطراب بها. وقد رأينا منذ أعوام كثيرة أن زواج أميرة من أميرات البيت المالك في مصر إذ ذاك. هي الأميرة (فتحية) اخت فاروق من شاب مسيحي هو رياض غالى. أثار للجرائد المصرية أثمن الفرص للكتابة الصحفية، على نحو ما نجد في "أخبار اليوم". وكذلك ملابسات حادث مصرع الأميرة "ديانا" و"دودي الفايد" في باريس؛ وما أشيع عن شروعهما في الزواج.

فالدلالة الإعلامية هي أساس الانتقاء من الكم الغفير من القصص والأحداث التي تصل إلى الصحف، حيث لا تتوفر المساحة لنشر كل ما يصل إليها، لذلك يتحتم على المحرر المسؤول أن يتخذ قرارا في اختيار ما ينشر وتحديد حجم المساحة المكانية المخصصة له، وأساس هذا الاختيار هو: الدلالة الخبرية، التي تشير إلى درجة أهمية كل حادث من الأحداث، ومدى الاهتمام الذي يستقبله به القارئ.

ويطبق هذا المقياس على الحدث نفسه، وعلى مدى تأثيره في الزمان والمكان: ففرق أحد الأكواخ لا يعني شيئا إلا بالنسبة إلى سكان الكوخ، محلياً، أما الفيضان، الذي يغرق إقليماً في بلد ما، فينتقل صداه حتى يبلغ أبعد البلدان؛ فتتذرع إلى إرسال المساعدات لإنقاذ الباقيين على قيد الحياة، بعد فقدان محاصيلهم.

ومع أن جوانب مقياس الدلالة متعددة؛ فالتحليل السريع يؤدى إلى ملاحظتها بنسبة تكفى لتقرير ما إذا كان يجدر بنا نشر الحدث أم لا، والمغزى الذي يجب أن ننوه به من خلال هذا الحدث. ولكن في بعض الأحيان يختفي مقياس المغزى ولا يظهر إلا بعد الفحص الدقيق. فعلى الصحفى أن يكون على استعداد دائم لمواجهة هذا الموقف. وقد لا يضطر سكرتير التحرير لواجهته إلا مرة في اليوم أو في الأسبوع، أما المندوب فقد لا يواجهه إلا مرة في السنة. ولكن في موقف كهذا تظهر حقيقة الصحفى الذي يجلّ نفسه عن الخطأ جهده، ولا نقول إنه لا يخطئ أبداً. ولكن على الصحفى أن يتمتع بدقة ملاحظة خارقة. كما يقول الأستاذ "جايار" ليتخيل" المضاعفات الدولية التي ستنتじ عن اغتيال أمير نمساوي، في يوم ٢٨ حزيران عام ١٩١٤، في مدينة بلقانية. وينتظر من الصحفى أن يكون قادرًا على القيام باكتشاف كهذا وبمعنى معاكس، قد نعطي لحدث

ما مغزى ليس له؛ لأن نعتقد بأن مظاهرة شعبية كبيرة ستغير وجه التاريخ؛ في حين أنها ستنتهي كأنطفاء نار القش. والمخاطر هنا أقل؛ لأن الحدث، في هذه الحالة، له على الأقل مغزى مباشر وهو جدير بأن يكتب عنه، ولو كان شأنه عابراً.

ومعرفة مغزى الحدث، تتطلب من الصحفي ثقافة واسعة. فالمعروفة والتفكير النقدي سلاحان يجب أن يشحذا الحكم السريع. لأن الصحفي إذا لم يدرك مغزى الحدث قبل غد، أو قبل دقيقة من توقف المطبعة، يكون قد فاته الوقت، ولا فائدة من الخبر، الأمر الذي لا يمكن التسامح فيه صحفياً.

سادساً: معيار الأهمية:

وينبغي قياس المادة الصحفية بحسب أهميتها النسبية، كما يحدث عندما يتزاحم خبران في الجريدة على مساحة معينة متاحة فيها، كذلك ينبغي قياس الخبر حسب أهميته الذاتية الأصلية حتى يستطيع تقرير المساحة التي تفرد له والموضع الذي يبرز فيه. وقد تفاصل أهمية الخبر بوطأته "أى بمدى ما يحدث من تغيير واضطراب) وبسعته "أى عدد الأشخاص الذين يؤثر فيهم الخبر كما أن ارتهان الخبر بقرب مكان وقوعه وبوقته، إذا أخذ على أنه وصف للقيمة الإعلامية، يفيد بوجه خاص لا في قياس طبيعة الخبر بل في قياس أهمية نشره في جريدة معينة. وثمة قيمة إعلامية أخرى هي نتيجة الحادث أو عاقبته. وب بهذه القيمة تفاصل أهمية الخبر لا طبيعته الجوهرية.. ومع أن القيم الإعلامية لا تقرر في حد ذاتها أهمية الخبر بل تقرر طبيعته ليس إلا؛ فإن المشهود أنه كلما زادت القيمة الإعلامية لحادث ما، زاد اهتمام الناس به، وزادت وبالتالي أهميته.

وفى قراءة السيد "ريد" - مثلاً - للصحيفة يتضح أنه فى بعض الأحيان يكتفى بمطالعة العنوان فقط وهو عنوان يقوم عادة على ٥ أو ٦ كلمات تعطى تلخيصاً موجزاً لحتوى الخبر هذا العنوان فى الواقع له وظيفة هامة من حيث أنه قد يغرى القارئ بقراءة تفاصيل الخبر أو يدفعه إلى الانصراف إلى مطالعة خبر آخر. فالقارئ يتخذ قرارات فورية بأن يقرأ الخبر كله أو يكتفى بمقدمته. أولاً يقرؤه على الإطلاق وينصرف عنه إلى خبر آخر. فلم يكن يهم هذا القارئ أن يقرأ تفاصيل أو حتى مقدمة خبر إضراب

عمال المناجم في جنوب أفريقيا، في حين اكتفى من المثال الثاني بقراءة مقدمة الخبر، أما المثال الثالث فقد قرأه كله بنهم، ولم يكتف بما أوردته الصحيفة؛ لأن ظماء لمعرفة المزيد من التفاصيل لم يكن قد ارتوى، وكان يتمنى لو أن الصحيفة استمرت في سرد المزيد من التفاصيل.

ومعيار الأهمية يرتبط بالحدث نفسه؛ وبموقع الجمهور منه، هذا الجمهور، الذي من أجله يعمل الصحفى، فإذا أهملنا هذا المقياس، تصدر جميع صحف العالم متماثلة في الشكل والمحظى.. وأول مظهر من مظاهر مقياس الأهمية، هو المصلحة المباشرة والموضوعية، أي اهتمام الجمهور بخبر يدعوه إلى التحرك؛ كإصلاح التشريع التجارى أو القوانين المدنية، أو التعبئة أو الإعلان عن مظاهره. وفي جميع هذه الحالات تكون مصلحة الجمهور واضحة، عدا الحالات التي لا يمثل الخبر فيها إلا المصلحة الفكرية، حتى لا نقول إنه لا يبالى بها واقعيا.

وفي حال احترام الخبر مصلحة الجمهور يكون قد اتصف بالأهمية والحالية، وإليهما يجب أن نضيف الصفة الدرامية للواقعية. كمكانة الذين قاموا بها. وهي نتيجة عكسية لما نسميه المسافة السيكولوجية بين مكان الحدث وجمهور الخبر، وهذه المسافة ترتكز على قاعدة البعد الجغرافى؛ فحريق متجر في بروكسل يهم الجمهور资料ى أكثر مما يهمه حريق مخزن في مانيلاد. ولكن هذه المسافة السيكولوجية تتأتى أيضاً عن معرفة الجمهور المثقف بمكان الحدث، وعن إمامه بتاريخ بلد الحدث وآنيته. فجمهور جزيرة مدغشقر يهتم بانتصار رياضي فرنسي أكثر مما يهتم به الجمهور الإنجليزى لأن جمهور مدغشقر نظراً لثقافته ولسياسة حكومته ولصادره الإعلامية، يتبع بانتظام الأخبار الرياضية الفرنسية؛ وهذا ما لا يفعله المواطن الإنجليزى. كما أن الجمهور الكندى يهتم بالتغيير الوزارى في الهند، إذ كان رئيس وزرائها يقوم بزيارة كندا، أكثر من اهتمامه بالتغيير نفسه لو حصل بعد شهر من الزيارة^(١).

ومن هنا فإن التزام الصحفى بمعرفة جمهوره معرفة كاملة، أمر جوهري، يساعد في ذلك الاستطلاعات الدورية أو غير الدورية التي تقوم بها المؤسسات

(١) نفس المصدر ص ٤٠.

المتحصصة، كما تساعد رسائل القراء أو الاتصال الشخصي. وعلى الصحف أن يتحرر من تقديره الخاص، وتقدير محيطه لأهمية الحدث، باستثناء الصحف الدورية التي يتوجه فيها التقنيون إلى التقنيين والذين مختلف مصلحتهم عن مصلحة الجمهور.

وعند وقوع أى حادث، يطلب من الصحفي أن يضع نفسه مكان القارئ، أو المستمع، ويسأل السؤال المزدوج التالي: "هل يهتم جمهورى بهذا الحادث؟" وعند الإجابة بنعم، يستطرد في البحث عن العناصر التي تهمه أكثر من غيرها؟ وهذا لا يعني أن يهبط الصحفي ليقرن مستوى القارئ، ناسيا دور الصحافة التثقيفي.

وإذا تساءلنا: لماذا نقرأ الأخبار في الوقت الذي نستطيع فيه أن نستبدل ذلك بشيء آخر؟ فإننا نجد أن السيد "زيد" - كنموذج للقارئ - يخصص جانبا من وقته لقراءة صحفته الصباحية وللاستماع إلى نشرات الأخبار في الراديو لأنه يشعر بأن ذلك يعطيه نوعا من المكافأة النفسية. ولكنه من أجل الحصول على هذه المكافأة ينفق قدرًا من الجهد وقدرا من المال، فهو يدفع خمسين قرشا يوميا لشراء صحفته، كما يتحتم عليه أن يقطع مسافة معينة على قدميه للحصول عليها، ومن ناحية أخرى فهو يخصص جانبا من وقته لقراءة صحفته على حساب بدائل أخرى يمكن أن تدخل إلى نفسه قدرًا أكبر من السرور، مثل مشاهدة البرامج التلفزيونية الخفيفة أو الجلوس على المقهى أو زيارة الأصدقاء أو الأقارب، كما أن القارئ "زيد" يحتاج إلى راديو ترانزستور وإلى أن يتبع نشرات الأخبار في مواعيدها المعلومة، ويقتضي ذلك منه تنظيم وقته ليتمكن من تلبية هذه الاحتياجات جمیعا.

لذلك فإن اتجاه القارئ "زيد" أو "عمرو"؛ لقراءة صحفته أو للاستماع إلى نشرة الأخبار إنما يتحدد بما يسمى: **عنصر الانتقاء** **Fraction of Selection** يقول ويلبور شرام:

"نستطيع أن تزيد من قيمة عنصر الانتقاء من خلال التقييم لدى الفائدة المرجوة التي تعود عليك من قراءة الصحفة أو من الاستماع إلى نشرة الأخبار، ومن مدى الجهد الذي يتطلبه ذلك بالقياس إلى وسائل الاتصال الأخرى. من هنا يأتي دور المحرر الصحفي فهو يستطيع أن يقوم بدور معين لزيادة قيمة عنصر الانتقاء هذا لدى القراء، بمعنى أن يضمن أن المزيد من القراء سيقبلون على قراءة خبر أو موضوع صحفي يستمرون في قراءته حتى النهاية.

على سبيل المثال يستطيع المحرر أن يزيد من العائد الذى يحصل عليه القارئ عن طريق تدعيم الأخبار ذات الصبغة العامة بأسماء شخصيات معروفة أو مشهورة مثل أسماء رؤساء الجمهوريات والشخصيات العامة ورجال الأعمال وكبار الأدباء والفنانين والفنانات وما إلى ذلك.

كذلك فإن الاهتمام بقراءة القصة الخبرية يزداد بتقديم جوانب من الحياة الشخصية واللامع الإنسانية للأشخاص الذين ترد اسماؤهم في القصة. وتهتم الصحف الآن بنشر المزيد من هذه المادة واللامع الشخصية أكثر مما كانت عليه الصحف في الماضي، وخصوصاً في مجال الأخبار الرياضية لأن الكثيرين من القراء يكونون قد شاهدوا المباراة الرياضية سواء في الملعب أو عن طريق التليفزيون قبل أن يقرؤوا عنها في الصحف.

وتسرد الصحف أيضاً المزيد من المعلومات عن الشخصيات التي تتضمنها الأخبار الرسمية كأخبار الحكومة أو السياسة الدولية. ومن جهة أخرى فإن المحرر يستطيع القيام بدوره للإقلال من كمية الجهد المطلوب من القارئ. فمثلاً تستطيع الصحف أن تبرز في صفحتها الأولى إشارات أو تلخيصات عبارة عن سطرين يتضمنان العناوين أو بضعة أسطر تتضمن لب الخبر أو الموضوع الصحفى؛ مع إحالة إلى قراءة التفاصيل في صفحة من الصفحات الداخلية. لأن بعض القراء في هذه الحالة قد يهتمون بقراءة فقرتين فقط؛ وهنا يجدون الكفاية في الإشارة المنشورة بالصفحة الأولى. أما إذا كانوا أكثر اهتماماً فيمكنهم قراءة المزيد من التفاصيل في الصفحات الداخلية. وفي ذلك تقليل لجهد القارئ⁽¹⁾.

ويقصد "شرام" بالجهد الأقل ما يتضمنه الاصطلاح من معنى: وهو أن القارئ أو المشاهد أو المستمع يتخد أقل الطرق مقاومة في سبيل اختياره لما يعرضه الإعلام. وقد ألف "جورج زيف" الأستاذ بجامعة هارفارد كتاباً يثبت فيه ما أسماه "مبدأ أقل الجهد" ومبدأ زيف. بتعبير بسيط . هو أنه عندما يقوم الشخص بحل مشكلاته المباشرة، ينظر إليها من خلال ما يعتقد أنها مشكلاته المستقبلة. وهو يحاول أن يقلل

(1) Shramm: The press and Effects of Mass Communication p. 19.

من العمل الذى يجب أن يعمله لكي يحل مشكلاته المباشرة ومشكلاته المستقبلة، ويعتقد زيف أن مبدأ أقل الجهد أساسى لكل سلوك إنسانى. ويرى "شرام" فى السلوك الاتصالى بضعة عوامل تؤدى إلى بذل أقل جهد:

والتوافق: هو أحد هذه العوامل. فعندما تتساوى كافة الظروف الأخرى يقوم المرء باستخدام وسيلة الإعلام التى تتوافق له. بحيث تصبح فى متناول يده، فالأسرة تكون أكثر ميل لمشاهدة التليفزيون فى غرفة معيشتها الخاصة عن اخراج السيارة من "الجراج" وقيادةها إلى دار السينما، والبحث عن مكان لإيواء السيارات وشراء التذاكر ثم مشاهدة الفيلم، وسوف تفضل تلك الأسرة نفسها برنامجا واضح الصورة بطبيعة الحال، على برنامج صورته مهزومة أو باهتة. وبالإضافة إلى ذلك، فإن بعض أفراد الأسرة لا يهتمون اهتماما خاصا بالفيلم المعروض على الشاشة. وإنما يشاهدونه، لأن فى مشاهدته جهدا أقل من مغادرة الحجرة.

والزمن عامل آخر يتصل بمبدأ أقل الجهد، فوقت الفراغ يأتي فى فترات مختلفة بالنسبة لخائف الأشخاص. فبعض الناس يجد أن الترام مكان مناسب لقراءة الصحف، والبعض الآخر يرى فى ركوب السيارة من العمل وإليه وقتا مناسبا للاستماع إلى الراديو، كما أن ساعات النهار التى تكون الأسرة فيها خارج البيت وقت مناسب للكثير من ربات البيوت كى يستمعن إلى الراديو أو يشاهدن التليفزيون. ويعتبر جهاز التلفزيون جليسا إلكترونيا بالنسبة لكثير من الأنس فى الفترة التى تسبق وجبة العشاء.

ويذهب إلى أن الأدوار الاجتماعية، والعادات، والتقاليد، يمكن أن تؤثر أيضا فى اختيار وسائل الإعلام، لأن الاستمرار فى أنماط السلوك الاجتماعى، كما أن اختيار مواد الإعلام ليس، فى الحقيقة سوى مجرد فعل اجتماعى معتاد. ويفسر "شرام" الفائدة المرجوة بأن الشخص يتخير من وسائل الإعلام المتاحة له، ما يعتقد أنه سوف يعود عليه بأكبر فائدة.. ويصنف الفوائد إلى نوعين كبيرين: فوائد عاجلة وفوائد آجلة، وقد يخفف المضمون الذى يعطى فوائد فورا من التوتر، أو يساعد على حل المشاكل، وهو يشتمل عادة على القصص المتصلة بالحوادث والفساد والجريمة والكوارث وشئون المجتمع والرياضة، وكلها تعطى إثارة تخيلية، دون التعرض لضغط المشاركة الفعلية. أما المضمون الذى يؤتى ثماره فى المستقبل، فقد يعد بمعلومات نافعة من أجل الفعالية

الاجتماعية، وهو قد يزيد من التوتر بدلًا من تخفيفه ولكنه يعد الماء باشباع حاجاته، وحل مشكلاته. وقد يشتمل ذلك على مواد حول الشؤون الاقتصادية والمسائل العامة والمشكلات الصحية والاجتماعية.

الصدق الإعلامي ومبدأ الإنصاف:

عجب الأستاذ زيارات رحمة الله، في "الرسالة" منذ أكثر من خمسين عاماً، لابن آدم "المخلوق الوحيد الذي يرى الشيء الواحد بعينيه الاثنتين أبيض تارة وأسود تارة أخرى على حسب الصبغ الذي يلونه به الهوى. وضرب لذلك أمثلة شتى، منها أن "راديو بارى" أذاع آنذاك، أن فريقاً من الطلاب الهنود تظاهروا في "مبانى" فاعتبرتهم فئة من الشرطة الإنجليز فتفرقوا في شوارع المدينة بعد أن أصيب نفر منهم بجروح، ثم عقب المذيع على هذا الخبر بأن الاعتداء على المتظاهرين بالضرب ينافي المدنية، ويجافي الخلق، ويضم الذين ارتكبوا بالقسوة الوحشية والبربرية الأثيمة، ثم أعلن المذيع في هذه الإذاعة نفسها أن مليوناً من جنود المحوار قد اقتحموا بالدبابات الثقيلة والطيارات المنكضة والسيارات المدرعة منازل ستالينجراد على الروس وفيهم النساء والأطفال والشيوخ والمرضى، فدكوا كل بناء وسحقوا كل حي، وركموا أشلاء القتلى في الحجرات والطريقات على صورة لم يرها الراءون ولم يروها الراونون، ثم أخذ هذا البوح البشري بهذه بفضل هذا النصر على المدينة، وينوه بعظيم أثره في مستقبل الإنسانية". ويمكننا اليوم، أن تضيف آلاف الأمثلة في هذا المعنى، مما نسمع ونقرأ ونؤكّد شقاء الإنسانية بين العقل والهوى. وإنه - على حد تعبير الأستاذ العقاد رحمة الله^(١). لشقاء باق لن يزول أبداً - ولن يزال الهوى يربينا الشيء شيئاً ولون لونين ما دمنا نحس ونرى، وقد

أعى الهوى كل ذى مقل فلست ترى

إلا صحيحاله حالات مجنون

وهذا نقص لا ريب فيه .. تلمسه فيما نسمع وفيما نقرأ. في الإذاعات وفي الصحف، وفي صور الحياة اليومية التي لا يخطئها من يرقبها: "فهل هو نقص لا يوازن جانب الجمال؟ وهل هي آفة لا عزاء فيها لبني آدم؟ وهل نغير ما طبعنا عليه من هذه

(١) عصر العقاد؛ صفحات مطوية في تاريخ الصحافة المصرية؛ بالقاهرة؛ مؤسسة مختار

الخلقة بما طبعت عليه سائر المخلوقات من توافق وتشابه حالات؟ إننا لا نستطيع للأسف لأن الإنسان - كما يقول العقاد^(١) - لا ينقص إلا من حيث يزيد، فهو يعرف الخطأ لأنّه يعرف الصواب ويختلف في هندسته من حيث يتقن النحل هندسته كل الإتقان، لأنّه أعلم بالهندسة من النحل؛ لا لأنّه أجهل منه بفنونها وأنواعها. فهو يشتري الخطأ بثمن؛ لأنّه لا يشتري الصواب إلا مخلوطاً به مضافاً إليه.. نحن نرى الشيء أشياء لأنّنا نرى.. كان العقاد يقول لبعضهم والألمان يدخلون باريس: إنهم سيهزمون وكان يقول بعضهم والألمان يتقدّمون في الأرض الروسية إنهم سيهزمون. فكانوا يقولون: ولكننا نرى أنّهم سيتّصرّون لأنّهم متّصرّون.. فيقول لهم: ما هذا برأي.. هذا لمس بالعين هذا ما تبصّرون كما تبصّر كلّ عين حيوانية تفتح أجنفانها، وإنما الرأي غير هذا الرأي ما يبصّر بالانهزام وأنت تنظر إلى النصر الملوّس فإن لم يفدنّا الرأي هذه الفائدة فلا خير فيه.. وهكذا يبصّر الإنسان وجوه الرأي لأنّه لا يرى الشيء على حالة واحدة ولا يستوفيه كلّه في صورة حاضرة.. يقولون في الصعيد: إن نوّاتيا سمع مضغاً قوياً في مخزن الخبر الجاف من سفينته فأشفق من نفاد المؤونة في الطريق وصاح مغصباً: من الذي يقضى في الخبز قضم الحمار؟ فقيل له: ابنك حسن؟

قال: اسم الله عليه! هو الذي يقرش هكذا قرش الغوير؟.

والرجل قد صدق بعض الصدق فيما سمع من قضم حمار ومن قرش غوير، فإنّ أكل ابنه من الخبز يسره ولا يؤذيه. وإن انطلاق الغريب عليه يؤذيه ولا يسره، ويبقى أن يسمع المسافر الذي لا يسمع حماراً ولا غويراً ولكنّه يسمع الصوتين على حسب ما عنده من الزاد^(١).

ولا تختلف هذه الصورة كثيراً عن صورة الصحف، حين لا تتحرى الصدق والدقة والإنصاف في جمع الأخبار وتحريرها وعرضها عرضاً موضوعياً، وحين تعتمد على الشائعات، وتخلط الخبر بالرأي. إن على وسائل الإعلام انتقاء الجدير من الأخبار بالنشر، في إطار مبدأ الأنصاف.

(١) المرجع السابق من ٣٢٤.

والصدق الإعلامي ومبدأ الإنصاف يقتضيان نقل الخبر نقلًا صحيحة وتسجيل المعلومات المتصلة به تسجيلاً صحيحاً كذلك. وغنى عن البيان أن الخبر أساس تصرفات الحكومات، والأفراد والهيئات، والشعوب، فضلاً عن أنه من أهم مصادر التاريخ في نهاية الأمانة، وفي ذلك إلزام لوسائل الإعلام بتحري الصدق والدقة في الحصول على الأخبار من مصادرها الموثوق بها ثم المحافظة على سرية هذه المصادر حتى رأى أصحابها ذلك، ثم الأمانة الكاملة في نقل الخبر ذاته. ومعنى ذلك كما يقول الدكتور عبداللطيف حمزة رحمة الله . أنه ينبغي على الصحف حرصاً منها على ما يسمى بالسبق الصحفي ألا تستهين بهذه الأمانة أو تعبت بسرية الأخبار . وينبغي أن نحذر في وسائل الإعلام ، الشائعات التي تلبس ثوبها محترفاً من التنكر بحيث تبدو كالمعلومات وذلك من أجل جعل الخبر يبدو أكثر تماسكاً مما هو عليه بالفعل . وإذا ما سمع الشخص المعلومات المزعومة بوعي فإنه سيكتشف ضعفها الشديد في حالات كثيرة . وهكذا فإن الواقع يثبت أن الصحف لم تكتسب شيئاً بالفعل من جراء الباس الشائعة ثوباً يجعلها صالحة للنشر، فليس هناك من صحيفة تحترم نفسها تذيع الشائعة وهي تعلم أنها مجرد شائعة، ويجب أن تقتصر المعلومات الإخبارية على مواد يكون لديها من الأساليب القوية ما يجعلها تؤمن بصدقها، في إطار من مبدأ : الصدق الإعلامي والإنصاف.

ويعني هذا المبدأ الإعلامي، أن وسائل الإعلام مسؤولة عما تذيع أمام السامعين وجمهور القراء، حيث لا يتحدث الإعلاميون باسمائهم الخاصة، وإنما يتحدثون باسم هيئة قومية ، الأمر الذي يفرض أداء وظيفة الإعلام ، على النحو الذي لا يخل بمتطلبات الموضوعية والدلاله وثقة السامعين.

الصدق الإعلامي بين حذام وخرافة:

فالخبر في وسائل الإعلام، له قدسيته بمعنى أن تكون للحوادث فور وقوعها قدسية خاصة، وأن تعامل معاملة الحقائق التي لا تقبل التحوير والتزييف والتلوين والتغيير والتبديل، والإعلاميون أحجار بعد ذلك في تفسير هذه الحقائق بما يتفق مع السياسة التي يرونها أو الهدف الذي يسعون إليه، ولكن في أماكن أخرى، غير مكان الأخبار ذلك أن أهمية الصدق الإعلامي في الأخبار، لا يختلف عليها اثنان في القديم والحديث، نتيجة لما جربته الإنسانية من عواقب الصدق وعواقب الكذب.

فوسائل الإعلام . يمكن أن تقابل لفظ "السفير" في القول العربي المأثور: "إذا كذب السفير بطل التدبير" والسفير هو الرسول المصلح بين القوم أى إذا لم يصدق في البلاغ والإعلام بطل السعي، ويقال إن رئيس الولايات المتحدة الأسبق الرئيس روزفلت، عندما أعلنت أمريكا الحرب على ألمانيا وحلفائها، أوصى أهل الدعاية ألا يقولوا عن العدو غير الصدق، وهو في ذلك كان يرى أن الصدق أحسن آخر الأمر عاقبة، والإنجليز أقرب إلى هذا الرأى. ولكن وقائع الحياة في سلمها وحربها، كثيراً ما تكون أقوى من أن يثبت رجل عند نصيحة أو يصدق عند رأى، والمسألة عند الاثنين - كما يذهب إلى ذلك الدكتور أحمد زكي^(١) - "من أمريكان وإنجليز، لم تكن ولن تكون مسألة أخلاق، ولكن مسألة منفعة". وهي أن يكسبوا ثقة ساميهم من أهل الأرض، وهي في السياسة أمر عظيم، وهي في الإعلام أوجب لأنها تقوم في وظائفها على أساس من الحقيقة التاريخية والأخلاقية.

ونجد في أقوالنا العربية: لا يكذب الرائد أهله، أى الذي يرسله القوم في التماس الثجعة، وهي الذهاب لطلاب الكلاً في مواضعه.. وإذا كان "ماكلوهان" يذهب إلى أن وسائل الإعلام توسيع من حواس الإنسان، وأنها تعمل كامتداد له، فإننا نجد أنها ليست كذلك فحسب، ولكنها تقوم في معنوياتها ووظائفها على أساس من الامتداد المعنوي والوظيفي في تاريخ الإنسانية، ويتبين ذلك من تراثنا الميثولوجي، فوسائل الإعلام - كالرائد لا تكذب أهله، ولكنها كذلك تقوم بدور "حِذَام" زرقاء اليمامة المشهورة، حينما تتلوخى الصدق الإعلامي، وتقوم بدور "خرافة" حين تتلوخى الكذب الدعائى، "وحِذَام" هي التي زعم أنها كانت تبصر على مسافة ثلاثة أيام، وذكرها عنها أن حسان بن تبع الحميري أغار على قومها بني جديس وأراد أن يفاجئهم من حيث لا يعلمون فحمل أشجاراً في وجه جيشه لئلا تبصرون الزرقاء فتذعر قومها، وكان "الخبر" قد نمى إلى جديس فصعدت الزرقاء إلى رأس حصن لهم ورأته الأشجار تسعى فقلت:

أقسم بالله لقد دب الشجر أو حمير قد أخذت شيئاً يجر

فلم يصدقوها حتى طرقوهم حسان وفتى بهم فقيل البيت المشهور:

(١) مجلة العربي ١٠٩٤ . ديسمبر ١٩٧٦ .

إذا قالت حذام فصدقواها

فإن القول ماقالت حذام

ودور "حذام" هذا في الإعلام هو ماتؤكدده الدراسات الحديثة، وتقارير اللجان المعنية بدراسة أثر وسائل الإعلام في المجتمع، وذكر منها ما ذهبت إليه لجنة حرية الصحافة من أن أولى وظائف هذه الوسائل في المجتمع المعاصر هي إعطاء "تقرير صادق وشامل وذكي عن الأحداث اليومية في سياق يعطي لها معنى، ويجب أن تكون وسائل الإعلام دقيقة، تميز بين الواقع والأراء وتفصل بينهما ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً. وتقول اللجنة إنه في المجتمعات البسيطة يستطيع الناس غالباً أن يقارنوا تقريراً ما عن الواقع، بغيره من مصادر المعلومات ولكنهم اليوم لا يفعلون ذلك إلا بالقدر المحدود. ومن ثم فإنه لم يعد كافياً أن تروي الواقع بصدق - كتقرير دقيق عن بيان أصده سياسي مثلاً. فمن الضروري حالياً ذكر الحقائق حول هذه الواقعه - فنفترض مثلاً دوافع السياسي ومصالحه والموقف السياسي الذي أصدر فيه البيان".

إن مشكلات الغد لن تكون هي مشكلات اليوم، ولكن وسيلة الإعلاميين لمنع تداعى المجتمع هي دائم القيام بدور "حذام" العربية، التي ينبغي لها أن "تصدق" أهلها في تغطية الأخبار ذات الدلالة. وإذا أخفق الإعلام في ذلك فإنه سيتحمل قسطه من المسئولية عن أية مأساة تحدث، كما فعل الإعلام المصري عام ١٩٦٧ حين أدى بجماهيره إلى حالة من "الذهول" لأن وسائل الإعلام لم تقم بدور "حذام" التي "تقول" فتصدق، وإنما بدور مناقض لهذا الدور ونعني به دور "خرافة" الذي تشير إليه أساطيرنا، من أن رجلاً من بنى عذرة أو من بنى جهينة يقال له خرافة اختطفه الجن ثم رجع إلى قومه فكان يحدث بأحاديث مما رأى يعجب الناس منها فكذبواه، ثم صاروا يسمون كل حديث كاذب "حديث خرافة". ومن أحاديث خرافة، في وسائل الإعلام، يبين ما يسمونه بالكذب البليح، أو الكذب "الملون" إلى آخر تسمياتهم، في تبرير التغريب بالشعوب، كما كذب الحلفاء (الإنجليز ومن معهم) على رجال المخمور (الألمان ومن معهم) بمثل ما كذب رجال المخمور على الحلفاء. وتنتهي الحرب ونعلم أنها كان فرية حرب أذيعت لغاية! والألمان سمعوا بأن جماعة الإسكتلنديين نازلون إلى الميدان. وهم رجال يلبسون أشباهها مما تلبس النساء جيبات أو سكريتات *Skirts* فزعم أهل الدعاية الألمان لجذبهم أن هذا إنما كان للين فيهم يشبه أنوثة النساء، فلما التقوا بهم خاب ظنهم فيهم فقد أعطى الإسكتلنديون الألمان درساً قاسياً في قسوة القتال ذكروه طويلاً.

وحيث تتحرى الصحف الحقيقة فإنها تغدو من "الوسائل" التي يوثق بخبرها، ولا يقبح في صدقها، وتتجافي عن القول الزور، كما نتعلم من لغتنا العربية، التي لا تغدو فيها هذه التأكيدات من باب المزادف، وإنما لإحساس أهلها بقيمة الصدق الإعلامي، وهذا هو المقصود بأن وسائل الإعلام تقوم بدور "حذام" العربية، حين لا تكذب أهلها.

على أن الكذب - حديث خرافه - لا نقول مأذون به في الدعاية ولكنه أمر واقع أو كما يقول الدكتور أحمد ركي . فإن الذي يمارسه كمن يمارس خلط طعام بسم، وهو قد يصنع الدعاية لأهله، فهو إن راد قتل، وكان المقتول من أهله، والصدق لا يتجرأ كما أن الكذب لا يتجرأ وإن اتخذ أواناً راهية أو غير راهية، فهناك صدق إعلامي وكذب دعائي، والكذب الدعائي قد يتوصل بالحذف في الخبر وقد يكون أحضر ما فيه، وتسأل الداعي فيقسم لك بالله إنه لم يقل إلا صدقاً، وقد صدق. ولكن أكثر الأمم تحاول أن يكون ما في دعايتها من الصدق أكثر كثيراً مما فيها من تحويل وتزيين، وذلك إبقاء على قيمة الدعاية وقيمة مصدرها، وأن يبقى لها احترامه، فقد تسوء الدعاية بالبعد عن الواقع، ولا سيما في الدعايات الداخلية حتى يصبح في الأمة من يقول: "لا يا أخي، هذا كلام جرائد، أو هذه كذا وكذا، والخير لك أن تنصرت لإذاعة كذا ففيها الخبر اليقين.

وفي نظرية الإعلام المستفادة من الدعوة الإسلامية، يأمرنا الله - عز وجل - باستعمال الحق والصدق، ووصف نفسه بهما: فقال: «وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلَاءٌ»^{١٢٤} النساء. وحدثنا «فَذِلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ»^{١٢٥} يونس وقال: «وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدْقِ وَصَدَقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ»^{١٢٦} الزمر. و «وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ رَهْوَقًا»^{١٢٧} الإسراء.

ويذهب ابن وهب^(١) - إلى أنه "لولم يكن في شرف الحق والصدق إلا أن جميع الأمم على كثرتها واختلاف طبائعها وهمها تدحهما وسائل الناس إنما يقصدون بقولهم وفعلهم إصابتهما، فلا ترى أحداً إلا وهو يريد أن يصدق في قوله، وأن يصيّب الحق في اعتقاده وفعله، حتى أن الكاذب إنما يكذب ليُصدق على كذبه، فطلب الصدق قصده ونيله ويعيشه، والمبطل إنما يقصد الحق فيخطئ في الوصول إليه وطلب الحق قصده، وإن

(١) البرهان في وجوه البيان ص ٢٢٦ وما بعدها.

كان من الموهين على الناس فإنما يزخرف لهم باطله حتى يقيمه مقام الحق الذى يقبله ويعمل به. وكفى بهذا فضيلة للحق والصدق ولن عرف بهما ونسب إليهما، فإن الصادق الحق عظيم المزللة عند الله. عز وجل وعند خلقه، والكاذب المبطل ساقط المجل عند الله - عز وجل - وعند خلقه فالعالق حرى بلزوم شرف المزلتين وطلب أعلى الدرجتين - إن شاء الله.

"ولما علم الله . سبحانه . أن الباطل والكذب قرينان مع طبائع كثير من عباده ، ملائمان لشهواتهم، مطابقان لداراتهم، وكان طول استماع الكذب وعاشرة أهله مخوفين على أخلاق الناس، خلقيين بأن يصيرا عادة لهم على طول الملابسة، نهى الله . سبحانه . عن القعود مع المبطلين، كما نهى عن الخوض في الباطل وذم مستمعي الكذب كما ذم الكاذبين، فقال عز وجل : « وَقَدْ نَرَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنَّ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكَفِّرُ بِهَا وَيُسْتَهْنَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَحْوِضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مَلَئْتُمْ ٤٠ النَّسَاءَ، وَقَالَ فِي ذِمْنِ قَوْمٍ : « سَمَاغُونَ لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلسُّحْنَتِ » ٤٢ / المائدة.

وقال الشاعر:

فسامع القول كمن قاله ومطعم المأكول كالأكل

ولما أمر الله - عز وجل - كما نصّ الحكماء بذلك؛ لما قدمناه من الاحتياط على الناس لئلا يصير ذلك عادة لهم، ولأن استماع الكذب والصبر على معاشرة المبطلين على باطلهم رضى بذلك، ومن رضى بالباطل فهو مبطل، ومن قنع بالكذب فهو كاذب، ويهرّب من استماع كذبهم وباطلهم ما أمكنه ذلك، فإن اضطررته ثقته إلى حضور ذلك أو استماعه؛ صدف عنه ولم يرّعه سمعه وكان كالغائب عنه، فإن ذلك أولى به في اصطلاح أخلاقه وتأديب نفسه.

ويرتبط بمبدأ الصدق الإعلامي ما تسميه البلاغة العربية: بالحديث النافع، والنافع من الحديث ما كانت عواقب القول فيه والاستماع له والعمل عليه مفضية بسامعه إلى نفع عاجل أو آجل، والضار ضد ذلك. فمن النافع طلب الحوائج ومنه الشكر للنعم، ومنه حفظ السر، ومنه معاقبة الذنب، ومنه التنصل من الذنب، ومنه السؤال ومنه الأخذ بشهود الحديث في حكياته". وتأسّيسا على هذا الفهم يذهب العلماء إلى

تحديد آداب مهنة التحرير وصفات الكاتب. ومن ذلك ما ذكر القلقشندى من أن الكتابة صناعة روحية لا تتم إلا بآلة مادية لتدل على معنى من المعانى امتلاً به ذهن الكاتب. والمقصود بالروحية: الألفاظ التي يتخيلها الكاتب في وهمه، ويضم بعضها إلى بعض في ذهنه ليؤلف منها صورة باطنية تقوم في نفسه. والمقصود بالمادية هو الخط الذي يخطه الكاتب بقلمه، ويعيد به الصورة القائمة في ذهنه حتى تصبح صورة محسوسة ظاهرة بعد أن كانت صورة باطنية.

ويتحدى القلقشندى عن صفات خاصة في الكاتب أو المحرر عد من هذه الصفات عشراً هي:

صفة الإسلام، وصفة الذكورة، وصفة الحرية، وصفة التكليف، وصفة الاستقامة، وصفة البلاغة، وصفة الهمة، وشرف النفس، وصفة العلم، وصفة الكفاءة؛ لأن غير الكفاء من الرجال يضر بالملكة ويوهن قوى الدولة.

هذا كله فضلاً عن صفات أخرى، منها أن يكون الكاتب قوى النفس حاضر البديهة، جيد الحدس، حلو اللسان، جرئ الجنان، ظاهر الأمانة عظيم النزاهة، كريم الخلق، مأمون الغائلة، مؤدب الخدم، مليح الرزى عطر الرائحة، تظهر عليه النعمة، ويصدق فيه وفي إخوانه قول الشاعر:

وشمول كأنما اعتصروها من معانى شمائل الكتاب

ويضيف القلقشندى في موسوعته "صبح الأمى في صناعة الإنسا" في ذكر آداب الكتابة والتحرير، فيرى أنها على ضربين:

الأول - حسن السيرة، يعني أن يتمتع الكتاب والمحررون بمجموعة من الأخلاق الكريمة وعلى رأسها تقوى الله في السر والعلن، وقصد الآخرة في كل ما يصدر عن الكاتب من رأى وعمل، ثم البعد عن مواطن الشبهات والريب، ولزوم العفة في كل ما يتصل بالدولة من أشغال ومهام، والاعتدال في طلب اللذة والاكتفاء منها بما يقيم المروءة، وذلك بالطرق المحمودة لا الطرق المذمومة، فإن هذه الأخيرة لا تناسب قدر الكاتب ومنزلته من السلطان أو منزلته من الرعية. ومن هنا أوجب القلقشندى على الكاتب أن يتحلى بصفة الإخلاص، وصفة النصيحة، لأن السلطان ائتمنه على نفسه وملكه، فلا

ينبغي أن يستر عنه دقيناً ولا جليلاً من أحوال الرعية ومنها: كتمان السن، وصفة الشك، وصفة الوفاء، وحسن اختيار الوقت الذي يصلح للعرض أو الطلب، وحسن الوساطة، فيقول ما معناه: "ينبغي للكاتب أن يتوسط لمرءه وسيه عند أميرهم أو سلطانهم، وعليه أن يتتجنب القدر في أكفائه ونظرائه ليكون ذلك داعياً إلى محبته والوثوق به وإمساك الألسنة عن الطعن فيه.

الثاني - حسن المعاشرة - يقول القلقشندى إنها على خمسة أضرب وهى: معاشرة الملوك والعظماء - معاشرة الأكفاء والنظراء - معاشرة الأتباع والمرءوسين - معاشرة الرعية على وجه العموم - معاشرة من يمت للكاتب بصلة أو بحرمة مهما كان نوعها. وربما من أجل ذلك كله تذهب البلاغة العربية إلى تقسيم الخبر إلى قسمين، يقين وتصديق^(١) فاليقين ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

"أحدها خبر الاستفاضة والتواتر: الذي يأتي على السن الجماعة المتباينة همم وأراؤهم وبليانهم، ولا يجوز أن يتلاقوا فيه ويتوطأوا عليه، فذلك يقين يلزم العقل الإقرار بصحته، وبهذا النوع من الأخبار ألزمنا الله . عز وجل . حجج الأنبياء . عليهم السلام . ونحن لم نشاهد ولم نر آياتهم ولم نسمع احتجاجهم على قولهم، وذلك من تسخير الله . عز وجل . الناس حتى تقوم الحجة ، إلا فكل أحد من الناس يجرون عليه الصدق والكذب، فإذا تواترت أخبارهم كان ذلك حقاً لما قدمنا، وليس التواتر فعلهم فيجوز أن يفعلوا ضده وإنما هو شاهد لصدقهم، ودليل عليه والدليل غير المدلول عليه، فقولهم محتمل للصدق والكذب، لأنه فعلهم وهم ممكرون مختركون، والتواتر والاستفاضة معنى آخر ليس من فعلهم ولا اختيارهم، وهو دليل الصدق إن وجد. وليس هذا في أخبار العدول (المذكور المقبولو الشهادة) دون الفساق (أى الذين لا تقبل شهادتهم لعصيانهم وخروجهم عن طريق الحق)، ولا المؤمنين دون الكفار لكنه في أخبار الجماعة كلها، ولو كان لا يقبل من التواتر إلا ما أتى به أهل الإيمان لم يكن لأحد من المخالفين علوم ينقلونها، ولا أخبار يرثونها".

"والثاني - خبر الرسل - عليهم السلام - ومن جرى مجراه من الأئمة الذين قد قاموا البراهين والحجج من العقل عند ذوى العقول على صدقهم وعصمتهم وظهور

(١) ابن وهب : البرهان في وجوه البيان ص ٨٨ وما بعدها.

المعجزات التي لا يجوز أن تكون بنوع من الحيل، وليس في طبع البشر الإتيان بمثلها على أيديهم، فدللت من ليس علم المعقولات والتمييز بين المتشابهات من شأنه، على أن هذه الأشياء إنما أجريت على أيديهم ليعلم أنهم عن الله . عز وجل . نطقوا، وعليه في أخبارهم عنه قد صدوا ، فتعم الحجة الغافل والجاهل والمغيب والعاقل، فلا تكون للناس على الله حجة بعد الرسل .”

والثالث: ما تواترت به أخبار الخاصة به مما لم تشهده العامة، فإن تواترهم في ذلك نظير تواتر العامة وقد بين الله . تعالى لزوم ذلك ووجوب التصديق به فقال: «أولئك لهم آية أن يعلمه علماء بنى إسرائيل»^{١٩٧} الشعرا، فجعل علم العلماء وهم الخاصة، به حجة على العامة.

وأما خبر التصديق فهو الذي يأتى به الرجل والرجلان والأكثر فيما لا يوصل إلى معرفته من القياس والتواتر، ولا أخبار المعصومين، ولا يعلم إلا من جهة الآحاد، وذلك مثل الفتيا في حوادث الدين التي ابتلى بها قوم دون آخرين فسألوا عنها فخبروا بالواجب فيها، فنقولوا ذلك ولم يعرفه غيرهم، وليس يقع ذلك في أصول الدين التي يتساوى الناس فيها وفي فرضها، والناس محتاجون إلى الأخذ في معاملاتهم ومتاجراتهم ومكاتباتهم، فإن ذلك أجمع مما لا يقوم البرهان على صدق الخبر به من عقل ولا تواتر ولا خبر معصوم، وإنما يعمل في جميعه على خبر من حسن الظن به، ولم يعرف بفسق ولم يظهر منه كذب .”

الإعلام وعلم تمييص الخبر:

وفي النظرية الإعلامية تبين لنا قيمة الصدق الإعلامي؛ حين ننظر في تقويم الخبر والإنصاف في روايته.. ويقول ابن وهب أيضا^(١). إن الأشياء إذا بينت بذواتها للعقل، وترجمت معانيها وبواطنها للقلوب، صار إما ينكشف للمتيدين من حقيقتها معرفة وعلماً مركوزين في نفسه. وهذا البيان على ثلاثة أضرب:

- فمنه حق لا شبهة فيه، ومنه علم مشتبه يحتاج إلى تقويته بالاحتجاج فيه، ومنه باطل لا شك فيه.

(١) نفس المرجع ١٠١ وما بعدها.

فأما الحق الذى لا شبهة فيه فهو علم اليقين، واليقين ما ظهر من مقدمات قطعية؛ كظهور الحرارة للمتطلب عند تقاد اللون، وسرعة النبض؛ أو عن مقدمات ظاهرة في العقل كظهور تساوى الأشياء إذا كانت مساوية لشىء واحد، وكظهور زيادة الكل على الجزء، أو عن مقدمات خلقية مسلمة بين جميع الناس كظهور قبح الظلم، وكل خبر أتى على التواتر من العامة، أو التواتر من الخاصة، أو سمع من الأنبياء والأئمة وكل هذا يوجب العلم، ومن شك في شيء منه كان آثما.

وأما المشتبه الذى يحتاج إلى التثبت فيه، وإقامة الحجة على صحته، فكل نتيجة ظهرت من مقدمات غير قطعية ولا ظاهرة للعقل بأنفسها ولا مسلمة عند جميع الناس، بل تكون مسلمة عند أكثرهم، أو يظهر للعقل تفسيرها وتغير الفحص عنها والاستدلال عليها. وأما الباطل الذى لا شبهة فيه، فما ظهر من مقدمات كاذبة مخالفة للطبيعة مضادة للعقل، أو جاء في أخبار الكاذبين الذين يخربون بالمحال وما يخالف العرف والعادة، وذلك مثل اعتقاد السوفسقائة أنه لا حقيقة لشيء من الأشياء وأن الأمور كلها بالظن والحسبان.. فإنهم مبطلون في دعواهم .. ولما أن كان الله . عز وجل قد أمرنا أن نعتقد الحق ونقول به، وأن لا نعتقد الباطل ولا ندين به، فقال عز وجل «**وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ**» ٢٩/ الكهف.. وجوب أن يحتاط العاقل لنفسه ودينه فلا يعتقد إلا حقا، ولا يكتب إلا بباطل ولا يقف إلا عند شبهة حتى لا يكون من شهد بما لم يعلم، أو كذب بما لم يحط بعلمه.

ويستهل ابن خلدون مقدمته بفصل تحت عنوان في «فضل علم التاريخ» يتحدث فيه عما يعرض للمؤرخين من المغالط والأوهام ويدرك شيئاً من أسبابها، وهي نفس الأسباب التي يعنى إليها الكذب في رواية الأخبار في وسائل الإعلام اليوم، حين تعتمد على النقل غثاً أو سميماً، دون أن تقوم أخبارها بمقاييس الحكمة أو الوقف على طبائع الكائنات أو مقارنتها بأشباهها. ولقد أدرك ابن خلدون أن الكذب بطبيعته متطرق إلى الخبر نتيجة لما يلي:

١ - التشويش للأراء والمذاهب: فإن النفس إذا كانت على حالة من الاعتدال في قبول الخبر أعطته حقه من التمييز والنظر حتى تتبين صدقه من كذبه، وإذا خامرها تشويش لرأى أو نحلة قبلت ما يوافقها من الأخبار، وكان ذلك الميل والتشويش غطاء على عين بصيرتها عن الانتقاد والتمييز فتفتح في قبول الكذب ونقاشه.

وكلام ابن خلدون يشير إلى النقص الذي يحبه جماعة من أصحاب المذهب الاجتماعيه ويفرضون دوامه ويحضرون على الاقتداء به في فهم التاريخ وتوجيه الإعلام، ومن هؤلاء الذين يقول العقاد فيهم إنهم يجعلون الهوى فرضاً لزاماً في معالجة كل حقيقة من حقائق الحياة، ويكتبون التاريخ فيذمون من لا يستحق الذم، وينثون على من لا يستحق الثناء، لأنهم يستوون المصلحة المذهبية، ويعلنون أن الخروج من هوى المصلحة في تقدير الأمور مستحيل.

فاما أنه مستحيل فلا، كما يقول العقاد^(١). لأن الإنسان يعرف الفرق بين صوابه وهواه، وإن أحب هواه وأثره على الصواب، فإذا كانت له قوة حلق تصبح المعرفة غالب الهوى بالجمع بين معرفته وقوته خلقه، وأصبحت مصلحته نابعة لما يلزمها من جادة قوية في الرأيين. ولكن أصحاب الدعاية في كل المذاهب الوضعية يغلوون هوى المصلحة، لأن الخروج منه مستحيل وإنما يغلوونه لأن تغلبيه نافع لهم فيما يقدرونها ويفسرون به الأمور وليس الشيوعيون وحدهم هم الذين يغلوون الهوى في تفسير التاريخ وتصوير الحقائق والواقع في الإعلام فهذه خلية شائعة بين جميع الناس ملحوظة بين أصحاب المذهب فرضاً لامناص منه ولم يجعلونه عيباً يصححونه، ويخلون من إعلانه، وهذا هو الفارق الكبير بين الرأيين.. فعلينا أن نعترف بالهوى ولا نجهل صنيعه في الأمم والأفراد، ولكن علينا على الأقل في وسائل الإعلام. أن نغالبه ما استطعنا كلما عرفناه . واقتربنا عليه. وهذا هو الواجب في كل عيب من العيوب أيا كان سببه وأيا كان الناظر إليه.

٢ - الثقة بالناقلين وتمحيص الروايات. ويرجع إلى التعديل والتجريح^(٢). ولقد رأينا كيف أن وسائل الإعلام، لم يعد كافياً أن تروي الواقع بصدق، حيث لم يعد في مقدور الإنسان أن يقارن تقارير الواقع بغيرها من المصادر، كما كان في مقدوره في المجتمعات البسيطة، ومن هنا نستعيض اصطلاح "التعديل والتجريح" من علم "الحديث" في تمحيص الخبر الذي نقدمه من خلال وسائل الإعلام التي أصبحت محل "الخبرة الأولية". وقد عنى نقاد كثيرون بعنصر الثقة في هذه الوسائل منهم "أيريون" الذي قدم سنة

(١) فن المقال الصحفى في أدب العقاد؛ هيئة الكتاب.

(٢) ابن خلدون وتحقيق الدكتور على عبد الواحد والي : المقدمة ج ١ ص ٢٦٠.

1911 في سلسلة من المقالات نموذجاً لما أتى بعد ذلك من نقد كثير للصحف وكان جوهر الإتهام: أنك لا تستطيع أن تصدق ما تقرؤه أو تسمعه لأن المعلقين وكبار رجال الأعمال والحكومات يسيطرون على الصحافة والإذاعة.

والأخبار تتأثر بنظم الحكم السائدة، وهي في هذا الأمر صنفان: صنف فيه الدعاية والدعائية والاعلام استئثار واحتكار، وصنف فيه الدعاوة حرفة، ولكن يركبها من سباع الغاب ذئب ونمر على حد تعبير الدكتور احمد زكي. ولعل ذلك هو ما دفع بالكاتب الفرنسي جاك كايزر⁽¹⁾ إلى أن ينوي صحافة اليوم في كتابه "موت حرية" ذلك أن "التوتر الدولي يزداد بسبب الإعلام الكاذب المشوه الذي يستغل لصالح جهات معينة. وهذا الإعلام الكاذب من شأنه أن يقضى على الثقة المتبادلة بين الشعوب وبين الحكومات ويثير الأحقاد، ويغذى القوى التي تعمل من أجل الحرب".

فإذا كانت الأخبار لا بد أن تتصف بالجدة والطرافة وإثارة الاهتمام فإن علينا أن نحتاط فيه "بتصحیح المقدمات التي أنتجه، وحراستها من المغالطة.. فإذا صحت ميزناها على كم وجه تقال أن كانت مما يقع فيه اللفظ على معانٍ كثيرة، وننظر أى وجه منها هو مراد المتكلم في قوله، فإذا ميزنا ذلك استخرجنا فصولها التي تنفصل بها عن غيرها حتى يظهر الحد الذي يفرق بينها وبين ما يبأينها. فإذا فعلنا ذلك صحنا التشبيه والحقنا كل شيء بما يشبهه.. و"إن كان مما أتى من جهة الخبر عن الآحاد والجماعات القليلة العدد، احتيط في ذلك أولاً بعرضه على العقول، فإن بآينها وضادها فهو باطل، وإن لم بآينها وكان مما يحوز في العقل وقوع مثله ثبت في أمر نقلها حتى لا تؤخذ إلا من ظهرت عدالته، ولم يتمهم بكتاب، ولا وهم في خبره ولم يكن فيما أخبر به جاراً إلى نفسه ولا دافعاً عنها، ولم يعارضه خبر مثل خبره يبطل ما أخبر به.

"وبجميع ما ذكرناه قد جاء القرآن وجرت الأحكام، فقال الله عزوجل «وأشهدوا ذوي عدُلٍ مِنْكُمْ» ٢/الطلاق، وقال: «إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ إِنَّمَا فَتَبَيَّنَوا» ٦/الحجرات.

التعديل والتجريح: وإذا كانت الثقة بالناقلين والرواية من أهم عوامل الكذب في رواية الأخبار" كما يذهب إلى ذلك ابن خلدون، فإن العلاج كما يرى، يرجع إلى التعديل والتجريح، وهو مصطلح مستفاد من علم الحديث الشريف.

(1) Jacques Kayser: *La Mort d'une Libert'e*, pp. 176-177.

وهذا العلم كما يعرف المطلعون من أضخم العلوم الإسلامية وأحكمها منهجاً وأقواها علمية. لقد احتاط لفنهم وتشددوا في شروط الراوى والمروى عنه، ولم يكتفوا بالقواعد المحررة لتصحيح السند كما توهם بعض الباحثين المحدثين رحمة الله، بل عنوا كما يقول الأسد سعيد الأفغاني . بنقد المتن عنابة باللغة ووضعوا له من الضوابط والمعايير ما لم يسلم منها إلا كل حديث قوى بالغ الصحة، أما الأحاديث المكذوبة على رسول الله فقد رسموها بالوضع وألقوا فيها المؤلفات ليحذرها الناس.

إذا كان من منهج المحدث إذا وصل إليه الحديث الموضوع أن يطرحه أرضاً ويعمى لطبيته، فإن مهمة الإعلامي الباحث عن الأخبار أن يبادر إلى هذا المنهج والإفادة منه في تسليط الأضواء الكاشفة حتى يهتدى إلى أجوبة عن أسئلته لكي تتحقق وظائف الإعلام في المجتمع على النحو السديد. والإذاعة مثلاً تستقى أخبارها من المراسلين في الخارج ومن المنذوبين في الداخل ومن المعوظين الخاصين فضلاً عما يرد على وكالات الأنباء القومية والأجنبية من أخبار وبرقيات وأنباء عاجلة أو خاصة، وقد تستقى الإذاعة بعض أنبائها من الإذاعات الأخرى. ويمكن الاعتماد على الصحف كمصادر لأنباء الإذاعة، وذلك في حالة انفراط الجريدة بتصريحات خاصة، أو استيقائها من مصدر مباشر على أن هذه المصادر ينبغي أن تخضع أنباؤها جميراً لمنهج التجريح والتعديل تحرياً للأمانة والدقة والصدق، وإذا كان المحرر عند صياغته الخبر لا يذكر المصادر التي يعتمد عليها في تحرير الخبر إلا إذا كان لديه من الأسباب الخاصة ما يدعوه إلى ذلك: كأن يرغب في زيادة تأكيد الخبر بذكر المصدر الذي ورد فيه، وذلك في حالة نسبة تصريحات لسؤال أمريكي مثلاً إلى مراسل وكالة أمريكية في واشنطن حتى يزيد المحرر من عامل الثقة لدى السامعين في صحة الخبر، ومع ذلك فإن ذكر مصدر الخبر لا يعفى الإذاعة تماماً من مسؤوليتها نحو الأخبار التي تزيعها الأمر الذي يجعل انتهاج منهج التعديل والتجريح، أمراً ضرورياً في الأخبار المذاعة، "إذ ليس من المحتم في كل الأخبار أن يحشر المحرر في صلب الخبر أسماء بعض المصادر التي اعتمد عليها، توخيها ليس الاستماع من جانب ولتجنب ما يوحيه التكرار من عدم صحة الخبر من جانب آخر^(١)!".

(١) محمد إسماعيل محمد: الكلمة المذاعة ص ٦٤٠.

وتذهب معظم الإذاعات إلى ضرورة أن يرمي المراسلون والمذيعون للمصدر الذى استقى منه الخبر كمراجع للعودة إليه عند الحاجة.

فوسائل الإعلام حين تحرص على الدقة في الرواية الخبرية، تفيد كثيراً حين تستضئ بمنهج التعديل والتجرير، كما تفيد من تشديد علماء المسلمين على ضرورة الأمانة والدقة في النقل، ففي مقدمة كتاب "معجم البلدان" يقول لنا ياقوت إنه كان ينقل عن المصادر بكل دقة وأمانة، وسواء أكان المذوق حقاً أو باطلأ فإن الصدق في إيراده، كما يقول ياقوت، له أهميته في البحث العلمي عند العلماء لأنه ييسر للطالب اطلاعه على آراء أهل الخبرة في ذلك العلم^(١). وللعالم أن يؤثر مصدراً على غيره من المصادر، وعندما تناقض ترجمة رجل ما في مؤلف ترجمة أخرى في مؤلف آخر فإن المصدر الأخير يجب لا يعتبر خطأ تاريخياً لا قيمة له، بل بالأحرى يجدر بالعالم أن يذكر الروايتين^(٢).

أما النقل عن الذاكرة فلم يكن يعتبر نقلًا دقيقاً، وإليك ما يقول الصولى عن قيمة ذكرياته عن الخليفة الراضي: "... وما حكى من ألقاظه التي مرت وما أحكىه من كلامه بعد، فهو كما أحكىه أشبه أو مقارب، إذ كنت لا أقدر على أن أحفظ لفظه على حروفه وإنما أحفظ معناه"^(٣).

أما الروايات الشفوية التي كانت تدون فيما بعد التأليف، فبالرغم من أنها كانت لا تحتوى على جميع الكلمات التي وردت في الأصل، وبالرغم من أنها كانت تختلف قليلاً عن أسلوب العبارة الأصلية، فإنها احتفظت بالمعنى المقصود بكل دقة وأمانة^(٤).

ويذكر روزنثال أن أصحاب الكتب التاريخية كانوا شديدي الحرص على ذكر المصادر التي يأخذون عنها. فإن السبكي الألب مثلاً، كان ينصح المؤرخين بأن يذكروا المصدر كل مرة أتوا فيها على خبر تاريخي.

(١) ياقوت: معجم البلدان ج ١ ص ٩. دكتور فرانثز روزنثال: ترجمة الدكتور أنيس فريحة: مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي ص ٢٢٢.

(٢) ياقوت: إرشاد، ج ٥ ص ٢١٥ (ط مرجليوت، المرجع السابق ص ١٢٣).

(٣) عصر العقاد: ص ٢٣٦.

(٤) أبو حاتم الرازي: كتاب أعلام النبوة. في الرازي السابق ٢١٦.

وعلى مر الزمن ازدادت المصادر الأدبية ازدياداً عظيماً، وكذلك بعده شقة الزمن بين العالم وبين المصدر الذي يأخذ عنه، ولذا كان يشعر بأن الوسيلة الوحيدة ليقى نفسه من سهام المتقدين تتمثل في أن يذكر المصدر الذي أخذ عنه بكل دقة وأمانة. وبهذه الأمانة العلمية (استطاع السيوطى) المتوفى سنة ١٥٠٥، أن يقول بكل ارتياح إنه ليس في جميع مؤلفاته الكثيرة خبر أو رواية أو رأى لم يدعم بالاستشهاد. وكان المؤلفون الذين يحرضون على ذكر مصادرهم يشعرون بأنهم قاموا بما عليهم لأن العبرة في صحة الخبر أو كذبه إنما تقع الآن على كاهل صاحب المصدر.

ونخلص مما تقدم إلى أن وسائل الإعلام ينبغي عليها أن تروي الأخبار وليس عليها أن تصنعها. وحذار من رواية نصف الحقيقة دون الحقيقة كلها، وإلا حق على المندوب قول القائل: "وما آفة الأخبار إلا رواتها". فالخبر لابد أن يكون رواية صادقة كامنة فيقيقة سليمة بعيدة عن الهوى لما وقع فعلاً من أحداث شهدتها بعض الناس وصاروا بذلك رقباء على عمل المندوب. والخبر سواء أكان بسيطاً مجرداً أم طويلاً مركباً، هو ما اجتمعت له عناصر الصدق والواقعية قبل أن تجتمع له مقوماته التي تقوم على الشقيقات الخمس. وتحتم علينا قواعد الإعلام في التصور الإسلامي؛ مراعاة الصدق والدقة الموضوعية والإنصاف في عرض وجهات النظر المتباعدة وهي القواعد المستمدة من القرآن الكريم: «إذا جاءكم فاسق بنباً فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين»، والمستمدة أيضاً من السنة النبوية، وأصول الحديث الشريف.

سياسة الصحفة:

وأخيراً نصل إلى عنصر هام من عناصر التقويم الصحفى. وهذا العنصر هو سياسة الوسائل الصحفية، فضلاً عن طبيعة كل وسيلة منها، ويجب أن يتافق الخبر مع السياسة العامة للتحرير سواء من حيث الموضوع أو اللغة أو طريقة العرض، فالوسيلة الصحفية بالقياس إلى الجمهور تمثل شخصية اعتبارية، وهو يستشهد بها كما لو كانت شخصاً من الأشخاص، ويسايرها ويقرها على رأيها أو يخالفها الرأى ويعنفها كما يفعل الصديق مع الصديق.

وأما ما يميز الجمهور من ترابط وتطابق منسجمين في مظهر الوسيلة وفي إجراءتها في نشر الأخبار فينتج عما يسمى "سياسة التحرير الصحفية" ويقصد بها.

على حد تعبير توماس بيرى: الوجهة التى تختار الصحيفة اتباعها فى إجابتها عن سؤالين بالغى الأهمية:

١ - ماذا ستنشر؟

٢ - وكيف ستنشر ما تنشر؟

أما هذه الوجهة فقوامها الإجراءات والقواعد والمبادئ التى أقرتها وسائل الإعلام لتسهى بها فى عملها، وهكذا فإن سياسة التحرير الصحفية تهيمن على كل وجوه الوسيلة، من نوع الأخبار التى تنشرها إلى حجم الحروف التى تعتمدتها فى الطباعة، فسياسة التحرير فى جريدة محافظة تحمل تلك الجريدة على أن ترفض موضوعا عن غراميات أحد الأشقاء، أما سياسة التحرير فى صحيفة شعبية فإنها تدفع هذه الجريدة إلى تصدير الموضوع وإبرازه ضخما وقد تكون الصحيفة شيوعية أو يسارية أو يمينية، فتعتمد فى اختيار أخبارها على لونها السياسى فليس غريبا أن تكون أخبار الشيوعية وأحزابها فى العالم أهم الموضوعات فى الصحافة الشيوعية، فى حين أن الموضوعات الدينية تظفر باهتمام الصحف الدينية^(١).

وهنالك حالات كثيرة تؤثر فى تكييف سياسة الوسيلة الإعلامية، ومع أن بعض هذه الحالات أكثر أهمية من غيره، إلا أن لكل منها تأثيرها فى اختيار مواد النشر والإذاعة وفى الطريقة التى ت تعرض بها هذه المواد. ومن هذه الحالات الأحوال المالية حيث يحتل الوضع المالى الصدارة فى جميع الأحوال التى تؤثر فى سياسة التحرير الإعلامية . وتفرض هذه الحالة إرضاء الجمهور من جميع المستويات، والسعى الدائب لتطعيم الوسيلة الإعلامية بعناصر جديدة من الاستهواء، وزيادة الجاذبية للاحتفاظ بالجمهور القديم واكتساب جمهور جديد.

وأما مسئوليات الإعلام، فإن سياسة التحرير تتأثر بهذا المفهوم تأثرا عميقا حيال المجتمع، والأفراد، والحكومة، فالوسائل الإعلامية تتباين عن غيرها فى مفهومها لما يجب أن تنشره وتذيعه وللكيفية التى تنشره بها وذلك وفق فهمها لتلك المسئوليات.

(١) د. إبراهيم إمام: المرجع السابق ص ١١٨ .

ولكل وسيلة طابعها الخاص، الذي تميز به لدى جمهورها، وهكذا فإن الصحيفة تصبح راديكالية أو يسارية، أو محافظة أو عملية، أو متزمنة. وقد تكون رفيعة المستوى، أو من المصحف التي تعتمد على الإثارة، الخ. على أن الطابع الخاص للوسيلة لا ينفصل عن الأحوال الأخرى التي تؤثر في سياسة التحرير الإعلامية بل إن هناك علاقة وثيقة بين الطابع الإعلامي ونظرية الوسيلة إلى مسئoliاتها. ويتأثر طابع الوسيلة الإعلامية بنوع الأخبار التي تنشرها أو تذيعها، والطريقة التي تكتب بها تلك الأخبار، وطريقة معالجتها للموضوعات، ونوع إخراجها الفنى، وليس في مقدور إنسان أن يغفل أثر متطلبات جمهور الوسائل الإعلامية في السياسة التحريرية، ولذلك تحاول الوسائل استقصاء رغبات القراء بعدد من الطرق، ومنها دراسة محتويات ومناهج أكثر الصحف أو الإذاعات نجاحاً، ويؤثر الاجتهد السياسي تأثيراً كبيراً في السياسة التحريرية، لأن كثيراً من القضايا الكبرى التي ترد في الأخبار تتأثر بالعمل السياسي، وبالتالي فإن جريدة ما حين تجد نفسها تعارض أو تؤيد فئة سياسية، تتخاذل موقفاً من تلك القضايا على نحو ما نجد الصحف المستقلة والصحف الحزبية، أما الأسباب الوطنية فهي أقوى العوامل تأثيراً في سياسة التحرير الإعلامية، ولكن الدرجة التي تبدي بها وسيلة الإعلام ولاءها الوطني تراوح بين التمييز العتيد والتعبير الصارخ الصارم. فهناك صحف تسلك مسلك الوفاء والتحفظ في التعبير عن ولائها الوطني، تقابلها صحف ترفع بيارق ولائها على كل صفحة من صفحاتها، كما أن هناك فارقاً واضحَاً بين ولاء جريدة ما في زمن الحرب وزمن السلم. ففي زمن الحرب تتبارى كل الصحف والوسائل الإعلامية في الحماس الوطني، وهكذا يتبيّن لنا كيف أن سياسة التحرير الصحفية — من أهم عوامل التقويم الصحفى. في اختيار الخبر ومقوماته فتفضل واحداً على غيره وتهمل الآخر أهتماماً تاماً.

القابلية للنشر والإذاعة :

والقابلية للنشر والإذاعة مقياس من مقاييس التقويم الصحفى للخبر الجيد، والصحفى الناجح يدرك بحسه ومرانه أن خبراً من الأخبار له أحقيّة وأولىّة على خبر آخر وينبغي قياس الأخبار بحسب أهميتها النسبية، وفقاً للجنس الإعلامي من جهة ومعيار الدلالة الإعلامية من جهة أخرى، كما يحدث عندما يتزاحم خبران في الجريدة

على مساحة معينة متاحة فيها. ومن العنصرين الكبارين: الجنس الإعلامى والدلالة الإعلامية، يتكون ما يسمى، بالقيم الخبرية، فإن وجدت هذه القيم أو أنتهت أمكن الحكم على ما للخبر من قيمة، وبالتالي على مدى ميل الجمهور إلى مطالعته أو الاستماع إليه: فهذه القيم الخبرية، كما يقول - جونسون وهاريس - نافعة في قياس أهمية الأحداث، فإن طبقة تطبيقا سليماً أمكن معرفة هل هذا الحادث أو ذاك يدخل في عداد الأخبار أو لا يدخل في عدادها.

على أننا يجب أن ننظر عند تقويم الخبر، إلى وسائل الإعلام، نظام للاتصال البشري، حيث تتخذ هذه الوسائل دلالة جديدة وكبيرة في عالم تحل فيه "الاتصالات الثانوية" كالصفحة المطبوعة والراديو والتلفزيون والفيديو، محل الخبرة الأولية، على حد قول سى، رايت ميلز، وقد لعبت وسائل الإعلام دوراً رئيسياً في تحويل النظام الاجتماعي إلى مجتمع جماهيري، وأكثر من ذلك يرى "ميلز" أن وسائل الإعلام أداة ذات أهمية متزايدة للسلطة في يد الصفة بالمؤسسات الحاكمة، وهي لا تقوم فقط "بترشيح" خبرة الإنسان عن الواقع الخارجي، وإنما تساعد أيضاً على تشكيل تلك الخبرة، فهي التي تقول: من هو، وماذا يريد أن يكون، وكيف يستطيع أن يظهر أمام الآخرين؟ وهي تقدمه برصيد ضخم من المعلومات مما يحدث في العالم، ولكنها تقدمها في لغة وصور من الأنماط الجاهزة والرغبات.. ولذلك فإنها غالباً ما تحيط الفرد في محاولاته للربط بين حياته الخاصة وحقائق العالم الخارجي الأكبر، ويتربّ على ذلك أنه كلما اعتمد الإنسان أكثر فأكثر على وسائل الإعلام، للحصول على المعلومات والنصائح، تعرض أكثر فأكثر لما تقوم به التنظيمات الاجتماعية من استغلاله وتسخيره.

وعلى مر السنين، أخذ النقاد يقدمون الأفكار الرئيسية التالية، في عبارات مختلفة^(١): تستخدم وسائل الإعلام قوتها الضخمة لخدمة مصالح ملاكها، الذين يروجون لوجهات نظرهم وخاصة في السياسة والاقتصاد، في حين يهملون وجهات النظر المعاشرة، أو يقلّلون من شأنها.. وسائل الإعلام أداة في يد المشروعات الاقتصادية الكبيرة بوجه عام، وتحكم المعلنون أحياناً في سياساتها ومضمونها.. تقاوم وسائل الإعلام التغيير الاجتماعي، وتعمل على استمرار الوضع الراهن.. تهتم

(١) ريفز وزميلاه: مرجع سابق ص ٢٥٧ وما بعدها.

وسائل الإعلام، عموماً في تغطيتها للأحداث الجارية، بالأمور السطحية والمثيرة أكثر من اهتمامها بالأمور الهامة. وهي تقدم الترفيه في مادة تفتقر إلى المضمون، وتعوزها القيمة الفنية.. وتهدم وسائل الإعلام الأخلاق العامة بالخطر. تنتهك وسائل الإعلام، بلا مسوغ، حياة الأفراد الخاصة وتحط من كرامتهم ، وليس الصعوبة التي يلاقيها بعض المتهمين في الحصول على محاكمة عادلة بسبب النشر، سوى وجه واحد لهذه المشكلة.. يسيطر على وسائل الإعلام أفراد من طبقة اجتماعية واقتصادية واحدة، ويواجه القادمون الجدد صعوبة البدء في مشروعات إعلامية جديدة. ونتيجة لذلك، يتعرض سوق المعلومات المفتوحة والحرّة للخطر، ويقول "أروين" أن الامتيازات التي طالب بها المعلنون كانت تصل أحياناً إلى حد التغيير الكامل في سياسة التحرير، ولكن الامتياز الغالب كان يتعلق بنشر مواد صالح المعلن وأسرته وشركائه في العمل، وذهب النقاد الأوائل، إلى نتيجة رجع إليها العلماء بعد ذلك بعشرين السنين. وهي أن الكثير من عيوب الصحافة لا ينجم فقط عن التأثير الضار للإعلان، وإنما عن الطبيعة التجارية للنشر.

ومن النقاد الأوائل أبتون سنكلير الذي أصدر سنة ١٩١٩ كتاباً بعنوان "الصك النحاسى" وهو عنوان يؤكد ما رأه من سلبيات صارخة في الصحافة، وكان سنكلير قد اشتهر من قبل كمصلح، وفي سنة ١٩٠٤ وبعد عامين من انضمامه للاشتراكيين، أصدر "الغابة" وهي قصة طويلة تفضح أحوال مخازن شيكاغو، وقد كتب الخلود لقصة "الصك النحاسى" كما كتب الخلود لمؤلفها. ففي سنة ١٩٢٦ صدرت الطبعة التاسعة من الكتاب، وفي سنة ١٩٣٦ أعيد طبعه في نسخة منقحة. النصف الآخر عبارة عن أقوال شهود آخرين عن الإساءة إلى الصحافة الحرة إساءة بالغة.

يقول سنكلير أن إمبراطورية رجال الأعمال تحكم في الصحافة عن طريق أربع حيل: أما الحيلة الأولى التي تمثل أسلوباً مباشراً فهي ملكية الكثير من صحف الأمة. والحيلة الثانية، هي امتلاك أصحاب الصحف وهي وسيلة مهمة للغاية، فاللعب بأطماع الناشرين وبممارسة الضغط على أسرهم، وباحتراكمهم في الأندية، ويعقد اتفاقيات ودية معهم، يستطيع كبار رجال الأعمال إحكام قبضتهم على الصحافة. والحيلة الثالثة التي يسيطر بها رجال الأعمال على الصحافة هي الإعلانات الإعلانية، وهي وسيلة تجعل الناشرين مستعدين لحذف الأفكار المعادية لصالح المعلنين، كحذف

الأخبار المحرجة لهم أو الضارة بهم، ويقول سنكلير إن رجال الأعمال يلجأون في النهاية إلى الرشوة الصريحة، من أجل الترويج لوجهات نظرهم، وفرض رقابة على الأفكار المعارضة لهم. ويتافق مع سنكلير في اعتقاده بأن المتأمرين يستغلون الصحافة في تحقيق أغراضهم؛ "جورج سلدن" الذي يعتبر من أنشط نقاد الصحافة الأمريكية، وقد أرسى قواعد الفكرة الرئيسية التي بني عليها انتقاداته التالية في كتابه "حرية الصحافة" الصادر سنة ١٩٣٥، وشهد سيلدن بنفسه قوى الفساد في مجالات المال والسياسة والمجتمع والإعلان وحاول إثباتها بالمستندات.

ويجد فريق من النقاد، ومن بينهم بعض الصحفيين قصورا في المعايير السائدة لتقدير الأخبار، وفي بعض الأسلالب الفنية، لعرضها، ومن الانتقادات المألوفة والمكررة على مر السنين، أن الصحف تيزّ المواد المثيرة والسطحية والساذجة على حساب الموارد الجادة. فهي تعطى قدرا من المساحة والاهتمام بحادث قتل فظيع أو مشكلة زوجية أو مؤتمر للمرأة أو اغتصاب امرأة، أكبر مما تعطيه لدورة هامة للأمم المتحدة. وهناك اتهام شائع آخر وهو أن الأسلوب الفنى لعرض الأخبار - كالعنوانين، والبناء الهرمى المقلوب فى صياغة الأخبار والموضوعية الأسطورية - تمنع القارئ من رؤية صورة متسقة للأحداث الجارية.

وقد وجهت لجنة حرية الصحافة، في سنة ١٩٤٧، اتهاما للصحافة بأن المواطن محروم، إلى حد بعيد، من المعلومات والمناقشات الضرورية، لأن الصحافة مشغولة بتغطية أخبار التفاهات والصراعات، وقد أدى اضطرار الصحافة إلى اجتذاب جمهور كبير إلى أنها أصبحت تيزّ "الاستثناء بدلا من العادي، والمثير بدلا من الجاد".

وتكمّن كثير من الأنشطة ذات الأهمية الاجتماعية القصوى، وراء ما ينظر إليها تقليديا على أنها أحداث قابلة للتغطية الأخبارية، مثل الزيادة في عدد الآلات المتحركة، والنقص في عدد الأشخاص الذين يراقبون الآلات وطول ساعات وقت الفراغ، وزيادة الخدمات المدرسية بالنسبة لكل طفل، وانخفاض حدة التزمر، والمفاضلات الناجحة حول عقود العمل، والنهضة الموسيقية في المدارس والارتفاع في مبيعات كتب التراجم والتاريخ.

وتقول اللجنة، إنه بدلا من أن تقوم الصحافة بتغطية أخبار هذه التطورات تغطية وافية، فإنها تهتم اهتماما غير مناسب بالشغب والإضراب والقتل.

و قبل ذلك بكثير كان "والتر ليمان" قد شكك فى القدرة الفنية للصحيفة على تغطية الظروف الاجتماعية الكافية وراء الأخبار الهامة، فيقول فى كتابه "الرأى العام" إن الصحف لا تفعل أكثر من تعين مذوبين لها فى نقاط التسجيل. كمراكز الشرطة والمحاكم مثلا، حيث لا يلتقطون سوى الحالات الشاذة من الأحوال الاجتماعية، فقد يسترعى انتباه المندوب الصحفى رجل أعمال يعلن إفلاسه، مثلاً ولكنه غير مؤهل لاكتشاف الظروف التى أدت إلى هذا الموقف، إلا بعد حدوثه فعلاً، وفي رأى "ليمان" أن ذلك هو ما يحصل عليه القارئ من الصحيفة، عن الظروف الاجتماعية بصورة مشوهه وهى صورة تشبه كثيراً الكليشيه الظلوي الذى يصور خلال شبكة واسعة للغاية.

ويوجه بعض النقاد اتهاماً للصحف بأنها قد أخفقت فى إعطاء القارئ صورة متسقة للأخبار، ففى سنة ١٩٣٩، ناشد "سيدنى كوير" الصحف أن تزيد من مقدار التغطية الإخبارية المعمقة، قائلاً: إن تغطيتها للأخبار السيارة محتاجة إلى مزيد من التطوير فالمطلوب هو محاولة ربط نتائج العلوم الاجتماعية المتطورة سريعاً بالصحيفة، حتى يستطيع القارئ أن يفهم، لا الحديث السطحي فقط، وإنما ما يمكن وراءه أيضاً. وقد اقتبس عن "ايرتون ايرمان"، أحد الفلاسفة بجامعة كولومبيا ملاحظة يستصوبيها، وفيها يصف الصحيفة بأنها: "أسوأ طريقة ممكنة للحصول على صورة متسقة للحياة في عصرنا.. فإذا أمكن تصوير عقل قارئ الصحيفة بأنها: "أسوأ طريقة ممكنة للحصول على صورة متسقة للحياة الصحافية بعد عشر دقائق من القراءة، فإن الصورة لن تكون خريطة وإنما تفجيراً".

ويقترح "هيربرت براكنز" لإعطاء القارئ صورة منظمة ومفهومة عن الحياة في عصرنا أن تعطى الصحف مزيداً من الاهتمام بالتفصير والعلوميات الخلفية، وأن يقوم محرروها بإعادة كتابة البرقيات الإخبارية من أجل اتساقها واستكمالها بالحقائق الإضافية المستمدة من إدارات البحث التابع لها، ويوصى بالإضافة إلى ذلك، بأن تعنى الصحف عناية كبيرة بتنظيم الأخبار، لكي تكون مفهومة: فقد تخصص الصفحة الأولى بأكملها للخصائص موجزة، ولكنها وافية، عن جميع الأحداث الكبرى، مصنفة بحسب الموضوع. وفي داخل الصحيفة تقدم تقارير أكثر إسهاماً، تضم أحياناً بضعة أخبار مستقلة، وقد تقسم بحسب الموضوع، وهي طريقة تشبه إلى حد ما طريقة المجلات الإخبارية في تجميع أخبارها.

ويذهب بعض النقاد إلى أن العناوين المضللة التي تكتب لجذب القارئ العامي وللإثارة فراغ محدد، تسهم في التصوير المشوش للأحداث اليومية. ويشكوكثير من الصحفيين من أن مقدمة الخبر التي تحتوى على الإجابات عن الأسئلة الخمسة المعروفة، ببنائها الهرمى المقلوب، رغم فائدتها العملية: تجعل الأخبار مملة ومكررة. وقد كتب "هيربرت براكر" يقول: ربما أصبحت تلك الصيغة أكثر أهمية من الغاية المستهدفة أصلا، وأن المرء ليتساءل إذا ما كانت مزاياه في التطبيق تبرر نتائجها الغريبة في كتابة الأخبار. "ويرى النقاد أن القارئ يُفاجأ بأهم الحقائق في أول جملة أو فقرة، فيختل الترتيب المنطقي للأحداث. ويرى الخبر على أجزاء في تكرار يضيع معه كل التشويق والإثارة.

والانتقاد الآخر الموجه للصحف هو تمسكها بالموضوعية وكأنها تقيمة، ويوجه الاتهام للصحفيين بأنهم يخافون من التعليق في أعمدة الأخبار لدرجة أنهم يغشون القارئ، فهم إذ يقدمون الحقائق الموضوعية فقط بدلاً من تفسيرها، يقدمون غالباً، أخباراً مشوهة وناقصة وغير مفهومة، وإذا حاولون عرض كافة وجهات النظر بالنسبة لوقف جدل، فإنهم غالباً ما يمنحون الكاذب المعروف بكذبه نفس الثقة التي يمنحونها للصادق المعروف بصدقه. ولذلك فإن الموضوعية التي يعتزون بها، ليست، في أغلب الأحوال من الموضوعية في شيء، وإنما هي نوع من التحرير، ويعرف النقاد بأن على الصحفي الذي يفسر الأخبار أن يسير في طريق ضيق بين الحقيقة والرأي، ولكنه يجب أن يسير في ذلك الطريق إذا أراد أن يضع الحقائق في السياق الذي يعطيها معناها.

الفَصِيلَاتُ الْمَرْأَتَعَ

بناء الرسالة وتحرير
الخبر الصحفى

يراعى المرء في قوله ثلاثة أشياء: أولها: وسائل الإقناع، وثانيها: الأسلوب أو اللغة التي يستعملها، وثالثها: ترتيب أجزاء القول^(١)! وهكذا يذهب أرسطو إلى تبيان أنواع الحجج التي تنتج الإقناع^(٢)، ومقتضيات الأسلوب اللغوية وترتيب أجزاء الكلام. وقد عنى علم البلاغة الحديث بعملية الإقناع عناية كبرى توفر لها ما لم يتوفّر لأرسطو من حقائق علمية توصل إليها علم النفس الحديث عن السلوك الإنساني. وقد أجريت معظم التجارب السينكولوجية الخاصة بتغيير الاتجاهات خلال الربع الثاني من هذا القرن، ويرجع الفضل في إضافة قدر كبير من المعلومات إلى "هوفلاند" وزملائه وتلاميذه في جامعة "بيل" الأمريكية، فقد ساعدته دراساته على بناء نظرية اتصال، وعلم بلاغة حديث؛ يقوم على أساس علمي^(٣).

وحين تتحدث عن الأسس الإعلامية لتحرير الأخبار، فإننا نتحدث في الحقيقة عن مصطلح "الرسالة الإعلامية" في نظرية الاتصال، مدركون أن الشكل التحريري لا ينفصل عن مضمون الرسالة بحال من الأحوال، الأمر الذي يحدد للمحرر الصحفى مثلاً الأدلة التي يعتمدها والتي يستبعدها، والحجج التي يفصل فيها القول وتلك التي يجب عليه استبعادها، ونوعية الاستعمالات التي سوف يستخدمها ومدى قوتها، ذلك أن فن الخبر كرسالة إعلامية – إنما هو نتاج عديد من القرارات بالنسبة للشكل والمضمون على السواء، وأغلب تلك القرارات لا يمليها الهدف الإقناعي للرسالة الإعلامية – فحسب؛ وإنما تتمليها أيضاً خصائص الجمهور ومهارات المحرر وما إلى ذلك^(٤). إذ لا يكفي "أن يعرف ما ينبغي أن يقال، بل يجب أن يقوله كما ينبغي" – على حد تعبير أرسطو في "الخطابة".

ولكل كلام جزءان جوهريان هما: عرض الحالة ثم البرهنة عليها، ولا يمكن الاستغناء عن أحدهما بالآخر، ولا تقديم ثانيهما على أولهما، لأن البرهان لا بد أن يلى الحالة التي يراد أن يبرهن عليها، وقد يزداد عليهما مقدمة في البدء وخطامة في آخر الكلام، وبهذا تكون أجزاء القول عامة ثلاثة:

(١) أول الكتاب الثالث من الخطابة لأرسطو.

(٢) د. محمد غنيمي هلال: المدخل إلى النقد الأدبي الحديث من ١١٧ - ١٢٨.

(3,4) Carl Hovland Communication and Persuasion: Psychological Studies of Opinion Changgem 1963, Ch 3, pp. 56-98.

١ - المقدمة.

٢ - الغرض - ويقصد به ما يشمل عرض الحالة والبرهنة عليها.

٣ - ثم الخاتمة.

وتقتضى وحدة العمل الفنى إدراك الموضوع، بما يتضمنه من أفكار، ثم تنظيم المعانى أو وحدات المضمون بحيث تكون مرتبة منسقة لتنجلى وحدتها، وفيما يخص النثر مثلاً، فقد أدرك العرب إدراكاً كاماً هذا الترتيب، كما في الخطابة والرسائل.

إن الوحدات الأساسية في أي رسالة إعلامية تمثل في المعلومات؛ والحقائق، والأفكار، وعناصر الأحداث، وما إلى ذلك مما يكون مادة الخبر ومضمونه، ثم تأتى المرحلة التالية لاستقاء الأخبار، وهي مرحلة صبها في الرموز اللغوية في قالب إعلامي يمثل شكل الرسالة التي يستقبلها القارئ، أو المستمع أو الشاهد.

ويمكن التعبير عن مادة الخبر بالفاظ ورموز مختلفة، وعن طريق استخدامات متنوعة تتبع للغة فعالية أكثر في تحقيق التأثير الإتصالى للرسالة الإعلامية، ولكن اللغة تتصل مع ذلك أساساً من أسس التحرير الإعلامي، لأن الرسالة لا تقوم على اللغة وحدها وإنما تقوم كذلك على استخدام اللغة في قوالب فنية؛ وأشكال تحريرية تشمل: الأسلوب، والاقناع، وتنظيم أجزاء القول جمياً في بنية الخبر الإعلامي ذاته.

وتشير نتائج الأبحاث إلى أن الإقناع يصبح أكثر فاعلية إذا حاولت الرسالة أن تذكر نتائجها أو أهدافها بوضوح؛ بدلاً من أن تترك للجمهور عبء استخلاص النتائج بنفسه.. فقد وجد الباحثان "هوفلاند" و"ماندل" أن نسبة الأفراد الذين عدلوا عن اتجاهاتهم إلى الناحية التي ناصرتها الرسالة، بلغت الضعف بينما قدم المتحدث نتائجه بشكل محدد، وذلك بالمقارنة إلى نسبة الذين غيروا اتجاهاتهم بعد أن تعرضوا لرسالة ترك المتحدث نتائجها ليستخلصها الجمهور ولكن بعض الباحثين، يشيرون إلى أن نتائج "هوفلاند" و"ماندل" ترجع إلى الاختلافات في فهم الجمهور للرسالة.

ويذهب هؤلاء إلى أنه بالسيطرة على مستوى الفهم لم يحدث اختلاف في قدر تغيير الرأى الذي يسببه تقديم النتائج بشكل محدد؛ إذا قومنا بتركها ضمنية، فقد أظهرت دراسات كثيرة أن الإعلام الذى يهدف إلى تغيير الاتجاهات ينجح بينما ينفع

الحقائق دون أن يحاول تغيير الاتجاهات التي كان المفروض أن تتغير بعد التعرض لتلك الحقائق. في هذه الحالة، فإن المعلومات الواضحة، والحقائق التي تذكر بوضوح، يتم نقلها بنجاح أكبر في حين أن ترك هدف الرسالة ضمني قد لا يحقق التأثير المرغوب. وقد وجد "كائز" و"لازار سفيلد" أنه "كلما كان المضمون الذي يقدمه الاتصال محدداً أزداد احتمال التأثير به".

تنظيم أجزاء الرسالة:

ومما لا شك فيه أن المضمون الإعلامي وأساليب تقديمها، وتنظيم أجزاء الرسالة الإعلامية من أهم عوامل النجاح في التحرير الصحفي. ومن التساؤلات الهامة في هذا المجال: هل يجب أن يبدأ الفرد بالحجج القوية أم يحتفظ بها حتى النهاية؟ وهل المضمون المحدد الهدف بوضوح، أكثر فاعلية من المضمون الذي يترك هدفاً ضمنياً ليستنتجه المتلقى؟

هناك في حقيقة الأمر، عدد من الاعتبارات التي تكمّن خلف اختيار هذا التنظيم أو ذاك، وهي تتصل بموقف الجمهور من الموضوع ودواجهه واهتماماته.

وفي دراستنا للتقويم الصحفي؛ تبين أن اختيار الأنبياء أو الموضوعات الصحفية؛ إنما يقوم على أساس معايير؛ بمقتضها يتم تحويل الحدث إلى خبر أو موضوع؛ ثم يحدد الصحفي مادة هذا الخبر أو الموضوع. والصحفى شاهد حىً على الأحداث؛ ولكنه يقوم بعمل انتقائى في المحل الأول؛ إذ عليه أن يبحث عن العناصر التي لا تأتى من تلقاء نفسها. وانتقائى، لأنه يختار ما يهم الجمهور.

وبما أن الأمر يتعلق بترجمة حقيقة الحدث إلى كلمات، في أكبر قدر ممكن من الأمانة، لهذا وُجدت قاعدة أقدم من الصحافة نفسها، تحدد بُنية كل رسالة إعلامية، وهي سلسلة الأسئلة التي تعارفنا عليها منذ قرون: وهي: من، ماذا، أين، متى، كيف، ولماذا، فالإجابة هو الجواب عن هذه الأسئلة؛ وأهميتها النسبية تتغير وفقاً للخبر؛ ولكن في جميع الحالات يجب الإعلام الأكثر تبسيطًا عن الأربعة أسئلة الأولى على الأقل، ولا يوجد إعلام متكامل دون الإجابة عن الأسئلة الستة.

إن البناء الموضوعي، الذي سنتعرف عليه فيما بعد، يمكن أن يتم بوسائل مختلفة، ولكنه يركز دائمًا على تجميع المواد المشتملة على الأجوية عن الأسئلة الستة.

ولقد تطور فن الخبر في وسائل الإعلام مستجدياً لطلبات الحياة كما يحياها جمهور المثقفين يومياً، وأصبح يعتمد على عناصر الجدة والأسلوب المباشر والسرعة والتنوع، إلى أنه يسعى إلى نقل المعلومات بشكل يتفق تماماً مع سرعة عصرنا هذا، وأصبح يستهدف الإفشاء بالحقائق التي ينطوي عليها بسرعة ووضوح.

ويمكن تقسيم أجزاء الرسالة الإعلامية في فن الخبر إلى قسمين رئисين هما: المقدمة أو صدر الخبر ثم هيكل الخبر وصلبه العام ويضاف إلى هذين القسمين قسم ثالث لا يقل عندهما أهمية في الخبر الصحفى ونعني به "عنوان الخبر". وتعنى هذه العناصر جميعاً في الرسالة الإعلامية بتحقيق غرض عام، هو نشر الأخبار بدقة ووضوح لمساعدة القارئ أو المثقف على الفهم. وفي جميع الأحوال، يعبر الصحفى عن الحقيقة الموضوعية، ويبعد تماماً عن الذاتية في اختيار الألفاظ أو في بناء الخبر والإجابة عن الأسئلة الستة المعروفة. وكانت الأخبار في القرن الماضي تروى بالطريقة الأدبية، فيسير الكاتب بالقصة رويداً رويداً نحو حل العقدة في نهاية الخبر، ولكن الخبر الإعلامي الحديث له قوالبه الجديدة، القائمة على السرد المباشر وإعطاء كل الحقائق في أقصر عبارات ممكنة، والابتداء بالعقدة، أو تقديم أهم عناصر الخبر في البداية مباشرة، وهذا ما يسمى بأسلوب الهرم المقلوب.

وقد جاء هذا الأسلوب العام في تنظيم أجزاء الرسالة الإعلامية متاثراً بعوامل تشكيل الهيكل الذي يتكون منه الخبر، وهي: شكل الخبر والوقت والمساحة المتوفران، لتسجيله، ومهارة المحرر.

الهرم المقلوب:

ويعتبر هذا الأسلوب من أقدم أشكال الأخبار وأكثرها ملاءمة وأعظمها نفعاً وأقلها ضرراً. ويقضي هذا الأسلوب بأن نبدأ في تحرير الخبر بالعناصر المهمة أولاً، وهذه المرحلة تتطلب حاسة إعلامية ذوقاً وتدريباً ومراناً طويلاً. ولا بد أن تحرك هذه البداية انتباه القارئ وأن تثير اهتمامه. والفرق بين المحرر الناجح وغير الناجح إنما

يكون في هذا الاختيار الدقيق لمقدمة الخبر، فقد يكون هناك تناقض في موقف إنساني مثير كالرجل الذي يلقى القبض عليه ليلة زفافه، أو العالم الذي يموت قبل استلامه جائزة الدولة التقديرية بعدة أيام، وهناك المقدمة التي تحتوى على تصريح مقتبس من رئيس الجمهورية أو رئيس الوزراء.

ويمكنا تصور هرمين، واحداً في وضع طبيعى، والأخر مقلوباً. وهنا نجد أمامنا صورتين واضحتين للفروق الرئيسية بين رواية الخبر والقصة الخيالية أو الأدبية، فقاعدة الهرم المقلوب تمثل الفقرتين الأولى والثانية من القصة الإخبارية، إذ المقدمة هي أهم جزء في الخبر، حيث تتركز عناصره.

وهذه الطريقة في رواية الأنباء، قد جاءت نتيجة للتنافس على القراء ومحاوله لفت أنظارهم، وهناك ثلاثة أسباب لاتبع أسلوب الهرم المقلوب في تحرير الخبر الصحفى:

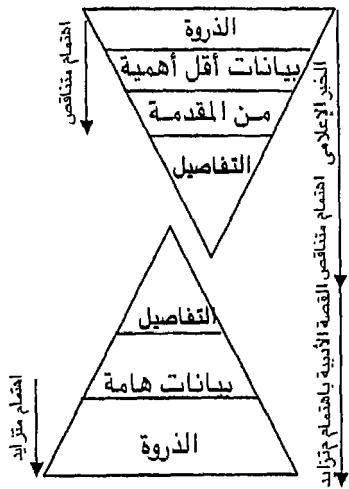
١ - الهدف الأول لوسيلة الإعلام صحفة أو إذاعة الخ، هو تقديم الأنباء للرجال والنساء الذين ليس لديهم سوى وقت قليل لمعرفة الأحداث.

٢ - ويرى رؤساء التحرير - وهم على حق - أن المقدمة الخبرية تدفع القارئ إلى صلب الخبر، وهذا القارئ نفسه لا يهتم في قليل أو كثير بالخبر إذا كانت المقدمة جافة لا حياة فيها.

٣ - والعامل الثالث هو ضيق المكان في الصحفة والحيز الزمانى في الإذاعة والتليفزيون، فنظراً لكثره المواد نجد أن كل موضوع يتعرض للاختصار طول رحلته؛ وهو ينتقل من مكتب إلى مكتب قبل أن ينزل إلى غرفة الجمع أو نشرة الأخبار، وقد تضطر الحاجة إلى اختصاره في اللحظات الأخيرة، وفي هذه الحالات يمكن الاختصار من المؤخرة حتى لا تعاد كتابة الموضوع من جديد ويضيع بعض الوقت.

ومع ذلك فكثيراً ما ترى بعض الصحف تخرج على أسلوب الهرم المقلوب، ونجد المحرر يثير اهتمام القارئ ولا يشبع فضوله بمعرفة السر إلا في الفقرة الأخيرة.. ولكن هذه الطريقة كما يقول كارل وارين - تتطلب معرفة فائقة. ومع ذلك فإن ٩٠٪ من القصص الخبرية تتبع أسلوب الهرم المقلوب.

فالأسلوب الهرمى إذن، يختلف عن الأسلوب الأدبى فى القصة والمسرحية مثلا، ذلك أن الأسلوب الأخير يبدأ بالتفاصيل، ويتردج فى سرد تفاصيل القصة، أو تطورات المسرحية حسب حبكة القصة حتى يصل فى النهاية إلى "الذروة": فالكاتب هنا يحاول



أن يستدرجك معه من التفاصيل الأقل أهمية منتقلًا بك إلى التفاصيل المثيرة فى اهتمام متزايد، ليترك فى نفسك الرغبة فى معرفة ما ستصل إليه الذروة^(١)، أما الأسلوب الهرمى فى الخبر الصحفى فالوضع "مقلوب" كما رأينا. فنحن فى المقدمة نحاول أن نقدم أهم ما فى الخبر من معلومات فى صورة مركزة، محددة بحيث تثير فى القارئ الرغبة الشديدة فى معرفة تفاصيل هذه الكلمات القليلة الهامة، ثم نحاول بعد ذلك أن نقدم للقارئ فى هيكل الخبر تفاصيل ما أجملنا وأبرزنا فى المقدمة الهامة؛ فى اهتمام متناقض.

على أن العاملين حديثا فى ميدان الصحافة والإعلام ، وبصورة خاصة أولئك الذين يسعون إلى تحسين العمل فى هذا الميدان، لا يكفون عن انتقاد أسلوب الهرم المقلوب، على أساس أنه يتضمن أخطاء فى التسلسل الزمنى لتاريخ الأحداث ... ويقولون إن هذا الأسلوب يرغم المحرر على ذكر القصة الإعلامية ثلاثة مرات، مرة فى العنوان، وأخرى فى المقدمة وثالثة فى هيكل الخبر ذاته. وهم يصفون أسلس هذا الأسلوب بأنه مضحك؛ لأنهم يعتقدون بأنه يعرقل رواية الخبر؛ طالما أن جوهره يأتى فى المقدمة بدلا من أن يأتي قبيل النهاية. وهناك انتقاد آخر يوجه إلى أسلوب الهرم المقلوب هو أن هذا الأسلوب لا يتقييد بتاريخ ولا يضيره أن تكون القصة قد حدثت قبل أيام من تاريخ صدور الجريدة.

وعلى الرغم من وجاهة هذه الانتقادات فإن أسلوب الهرم المقلوب الذى يقوم على أساس ترتيب الأحداث وفق أهميتها. ما زال يعتبر الأسلوب الوحيد القائم على الترتيب المنطقي، من الوجهة الإعلامية. ولهذا المصطلح فائدة فى التفرقة بين ترتيب

(١) جلال الدين الحمامصى: المندوب الصحفى ص ٩٤.

الأحداث حسب وقوعها وفق الترتيب الزمني - وبين إعادة ترتيبها بمعرفة المذوب والمحزن ثم أن المصطلح - كما يقول جونسون وهاريس - يحمل في تصاعيده معنى خافيا هو أن إعادة ترتيب الأحداث أمر لا يتم عشوائيا، بل يتم وفقا لخطة ومبداً معقولين. والمبدأ الذي يتبع هو ترتيب الأهمية قياسا على ذوق الجمهور الملتقي. ولذلك فإن صدر الخبر أو مقدمته يمثل الواجهة الأساسية في هذا الأسلوب الهرمي، لأنه يشتمل على أهم ما يحتويه الخبر من مواد.

ويرتبط استعمال الأسلوب الهرمي عند مراسلى الصحف عموما باختراع التلغراف وهو الاختراع الذى فرض إرسال الأنباء بسرعة ودقة، ولقد أدرك المحررون منذ سنوات أسباب القصور فى أسلوب الهرم المقلوب، الأمر الذى أدى خلال السنوات الأخيرة إلى اتباع أساليب جديدة فى كتابة التحقيقات والأخبار المحللة، والحملات الصحفية، والأخبار ذات الطابع الأقل أهمية، أو تلك التى تتميز بأهمية متوسطة.. ولقد استعانت الصحف بعض الأساليب المتبعة فى تحرير الخبر الإذاعى وكذلك الأخبار الأسبوعية والمجلات المنشورة وغير ذلك من وسائل الإعلام، أما بالنسبة إلى هؤلاء الذين يريدون من الصحف أن تتخلى عن دورها الإعلامى كوسيلة لنقل الأخبار، تأسيسا على أن الراديو والتليفزيون أسرع من الصحف، فإن الدرس الذى تعلمناه فى ربع القرن الماضى، يدلنا على أن الجماهير ما تزال تريد قراءة كل ما تسمع أو تشاهد من أحداث. وليس هناك محرر يعتقد أن الجمهور يعرف كل شيء عن حادث معين مجرد أن الحادث أذيع فى الراديو أو التليفزيون لمدة دقائق قليلة، قبل صدور الصحيفة.

وهناك الكثير من أساليب تحرير الخبر يمكن أن تكتشف وفقا لمتطلبات الجمهور، ولكن طبيعة الجنس الصحفى من بين أنجاس الإعلام تحتم استخدام أسلوب الهرم المقلوب الذى يعتبر - حتى الآن - من أفضل الطرق لرواية الأخبار التى تتفق مع العنوان، فى الجنس الصحفى والإعلام الكلاسيكى.

أولاً: تحرير المقدمة أو صدر الخبر.

ولقد رأينا كيف تتكون الرسالة الإعلامية من جزئين أساسين. أولهما: المقدمة أو صدر الخبر، وثانيهما: الهيكل أو صلب الخبر.

والمقدمة في الخطابة بدء الكلام، وهي نظير المطلع في القصيدة، والمدخل في المسرحية، والاستهلال في الموسيقى.. وللملامح كذلك مدخل مثل المأساة والملهاة، ويهدف هذا المدخل إلى التمهيد للموضوع، حتى لا تبقى عقول السامعين مغلقة دونه، وليتسمى لهم متابعة ما يعرض عليهم من براهين وأحداث، فهو ميروس يبدأ ملحمته "الإلياذة" هكذا: "تغنى يا آلهة الغناء بغضب البطل.." وهو ما يشعر بموضوع الإلياذة، وهو غضب أخيلوس. ويبداً "الأوديسا"، هكذا: "قصى على، أى إلهة الشعر من أخبار.." وهو ما ينبيء عن أن موضوعها معرفة أخبار أوديسوس في عودته.

أما المقدمة الصحفية: فهي (صدر الخبر The Lead)، وهي تهدف إلى فتح شهية القارئ أولاً، ثم إلى تشجيعه على الاستمرار في القراءة ثانياً، ولا يخفى أن نجاح أية جريدة يقاس في بعض الأحيان بالوقت الذي يقضيه القارئ في قرأتها. لذلك يذهب علماء الصحافة إلى أن المقدمة والقدرة على كتابتها بمهارة ودقة وجاذبية، هي مفتاح النجاح في تحرير الأخبار وبالتالي تحرير الموضوعات الإعلامية الكبيرة، ولهذا فإن المقدمة يجب أن تلقى عناية كبيرة في التمرن عليها من كل صحفى ناشئ يرغب رغبة صادقة في أن يتعلم التحرير على أصوله السليمة الصحيحة⁽¹⁾.

ولنفرض أن جمعاً من الناس قد احتشد حول حطام سيارة في إحدى زوايا شارع ما؛ خارج حديقة عامة، وجاء أحد المارة وأمسك بالسائق من ذراعه ووجه إليه السؤال التالي:

ـ مرحبا بك يا زيد.. ما الذي حدث ؟

ـ قتل طفلاً .. قفزت السيارة من المنحنى.

وحقيقة الأمر أن سائق السيارة في إجابته هذه قد قام بدور المحرر الذي يلخص الأخبار؛ فهو قد أجاب على السؤال الهام الذي يمكن أن يوجهه إلى أى شخص يعمل في

(1) جلال الدين الحمامصى: المرجع السابق ص ٥٨.

تحرير الأخبار، ويمكن تشبيه حقائق الخبر الصحفي بمحطة للسكك الحديد ملأى بعربات من جميع الأنواع، والمندوب أو المحرر، هو عامل التحويلة المنوط به مهمة ربط العربات في القطار فهو ينظر أمامه في المحطة ويختار منها قاطرات تجر العربات؛ وهذه القاطرة هي المقدمة، وهي أهم جزء في القطار، ثم يربط فيها بعد ذلك عربات الركاب والبضاعة والمراقبة والسبنسة.. التي هي صلب القصة.. وعندئذ يكون القطار معداً للسير.

وإذا كانت مقومات الخبر واضحة فإن المندوب لا يجد صعوبة كبيرة في اختيار المقدمة ولا يحتاج الأمر إلى مهارة أو إلى خبر خاص لاكتشاف الخبر المشوق الذي يستهل به موضوعه، ولكن الأمر يختلف في المثال التالي:

"تصادمت سيارتان في طريق صلاح سالم .

"تهشممت السيارتان .

كان في السيارة الأولى السيد زيد إبراهيم وحرمه، وفي الثانية السيد عمرو عبدالباقي، وكلهم من سكان مصر الجديدة.

"وما كادت سيارة زيد تسقط سيارة عمرو حتى انطلقت حصاة من إحدى عجلاته وأصابت عمرو في وجهه.

"فاضطرب عمرو، وأضطربت عجلة القيادة في يده، وتصادمت السيارتان وتهشمتا وأصيب زيد وحرمه بجراح، وهما يرقدان الآن في المستشفى". والآن نراقب أحد المندوبين وهو يستعرض أوراقه لاختيار أحسنها، وأمامه الحقائق التالية:

- ١ - تهشممت سيارتان على طريق صلاح سالم (مقدمة محتملة).
- ٢ - أصيب زيد وحرمه من مصر الجديدة بجراح (مقدمة أخرى).
- ٣ - زيد وحرمه في مستشفى هليوبوليس وقد انكسرت أذرعهما (مقدمة ثالثة قد تكون أفضل من سابقيها).
- ٤ - حصاة أصابت عمرو في وجهه فأفقدته سيطرته على السيارة (هذه هي المقدمة).

وهكذا يستهل المندوب موضوعه على الوجه التالي:

”حصاة صغيرة انطلقت من عجلة سيارة مسرعة فأرسلتاليوم شخصين إلى المستشفى، وعندما أصابت الحصاة سائق السيارة الثانية في وجهه فقدت السيطرة على عجلة القيادة والمصابون هم“

إن المندوب في الواقع يحاول الإجابة على سؤال: ماذا حدث. لأن الإجابة على مثل هذا السؤال تتطلب إحصاءات وسجلات تجعل من لغة الخبر شيئاً مزurga. ومع ذلك فإنه في حادث من هذا النوع يتحتم على المحرر أن ينقل القارئ إلى مسرح الحادث، حتى يجعله يراه، ويلمس آثاره، كما فعل المندوب في المقدمة السابقة حيث نقل القارئ وجعله يتخيّل ما حدث وكيف وقع الحادث، وكيف أنه يختلف عن حوادث الاصطدام الأخرى، فمقدمة من هذا النوع يمكن اعتبارها مقدمة خاصة لا عامة، لأنها استغفت عن الكثير من الأشياء غير الضرورية التي يمكن إيرادها في صلب الخبر حسبيما يقتضي الأمر. فالمقدمة في الخبر الصحفي تقدم الحجج أو العناصر الرئيسية في البداية وما يليها في الأهمية بعد ذلك، فهي تتبع ترتيباً هرمياً يقدم الحجج الرئيسية في البداية Primacy. وقد أظهرت بعض الدراسات أن الحجج التي تقدم في البداية تترك تأثيراً أكبر من تلك التي تؤجل لنهاية الرسالة الإعلامية، بينما أظهرت دراسات أخرى نتائج عكسية.. ولكن ما الذي يجعل العناصر التي تقدم أولاً في حالات النهاية أكثر فاعلية في حالات معينة؟ إن فعالية الرسالة الإعلامية تتوقف على قدرة المتلقين على فهم المضمون وتذكره. وحينما لا يستوعب المتلقى أيها من العناصر المؤيدة أو يتذكرها فالمعتقدات والتوقعات التي تبني عليها لن تتأثر بشكل عام، ولذلك تعنى الدراسات الإعلامية ببحث احتمال أن الفعالية المتنوعة لترتيب الذروة والترتيب الهرمي المتأخر لها سوف يتوقف على أيهما ييسر إعلام المتلقين.

وتؤسساً على هذا الفهم فإن علماء الإعلام يذهبون إلى أن المقدمة لابد أن تتصف بالرونة الكافية بحيث تتشكل وفقاً لنوع الحادث أو الخبر مع الحذر من الحشو بالتفاصيل، وقد تكون المقدمة اقتباسية تحتوى على عبارة جرت على لسان مسؤول كبير مثل ”قرارنا هو القتال“. وقد توجه المقدمة إلى القارئ نفسه مثل ”أنت الآن مطالب بجريدة جديدة“ وهناك المقدمة التساؤلية مثل: ”هل تستأنف أمريكا تجاريها الذرية؟“ أما المقدمة الساخنة فهي تحتوى على معلومات متيرة تخطف الأبصار وتجعل القارئ مشوقاً إلى متابعة الخبر.

الشقيقات الخمس:

ويراعى في تحرير الخبر أن تشتمل المقدمة على الرواية كلها إن أمكن. فالسؤال الآن: ما الذي تتألف منه "الرواية كلها"؟ ما الذي يريد الناس معرفته عن حادث إخباري، وكيف يتضمن للمرء معرفة إن كان قد عرض جميع المعلومات الرئيسية أولاً؟ فمثلاً: في حادث سطو على بنك .. لا توجد هناك وقائع جوهيرية تزيد على الواقع الجوهيرية التي يشتمل عليها حادث اصطدام سيارة؟ وألا يختلف كل حادث عن غيره من الحوادث من حيث نوعية المعلومات التي تساق في المقدمة الخبرية؟ إن الأحداث وإن اختلفت وتبينت من حيث فحواها فإن لقمة الخبر مهمة محددة تؤديها. ومن حسن حظ المندوب والمحرر الصحفى أن العقل البشري قادر على أن يوجه عدداً محدوداً من الأسئلة المختلفة، فليس لحب الاستطلاع - على حد تعبير جونسون وهاريس - إلا ستة أنياب أو مخالب بعض بها المجهول أو يمزق حجبه، وما تلك الأنابيب الستة إلا أسئلة ستة موجزة منها خمس شقيقات هي: من؟ ماذ؟ متى؟ أين؟ لماذا؟، وأخت سادسة غير شقيقة هي: "كيف؟". ولعل السبب في اعتبار "كيف" اختا غير شقيقة، يرجع إلى أن الإجابة عليها متضمنة في حالات كثيرة في إجابات الشقيقات الخمس الصريحة.

هذه الأسئلة الستة على طرافتها ووضوحيها، تمثل العناصر البسيطة الواضحة من الناحية اللغوية: أي الموضوع والإسناد والخصائص والصفات وظروف الزمان وظروف المكان المتعلقة بالوقت والمكان والكيفية والسبب أو العلة. ويتبادر ذلك أنه متى أمكن تقديم هذه العناصر جميعاً تقديمها سليماً بلغياً في مقدمة الخبر، فإن هذه المقدمة تكون قد أدت مهمتها في سرد الرواية كلها، سواء كانت تلك الرواية مطولة أو صغيرة، ويتبادر ذلك أيضاً أن بقية الرواية قد لا ت redund أن تكون توسيعاً في حالة العوامل القليلة، يتاسب طولها مع ما يقتضيه الحادث الخبرى المعين.

ولقد كانت الصحافة العالمية قبيل الجزء الأول من ١٨٦٥ م تكتب أخبارها بلغة أدبية دون مراعاة لقواعد معينة أو دراسات علمية. وفي إبريل ١٨٦٥ م قتل الرئيس الأمريكى إبرا هام لنكولن، وكان أول تقرير خبرى كتبه مندوب وكالة الأنباء الأمريكية الأسوشيدىبرس فى واشنطن هو:

“أطلق الرصاص على الرئيس هذا المساء وهو في المسرح ومن المحتمل أن تكون الإصابة قاتلة.”

هذا الخبر البسيط، القصير، اشتغل على أغلب العناصر التي يمكن أن يبادر القارئ بطلها:

من هو الذي أصيب؟ الرئيس ابراهام لنكولن.

أين أصيب الرئيس الأمريكي؟ .. في المسرح.

متى أصيب لنكولن؟ .. مساء اليوم.

وطبعاً أن القارئ يهمه أن يعرف بعد ذلك إجابة عن سؤال آخر هو:

ولماذا أطلق الرصاص على الرئيس الأمريكي؟

ومتى عرف القارئ السبب الذي دفع المتهم إلى إطلاق النار، فإنه يريد أن يعرف أيضاً إجابة أخرى عن سؤالين آخرين هما:

ماذا حدث بالتفصيل؟ وكيف حدث؟

وعندما تكتمل كل الإجابات المطلوبة يحس القارئ أنه قد ألم بكل التفاصيل التي يهمه أن يعرفها، وما زاد على ذلك من بيانات إنما هو مزيد من التفاصيل التي لا يمكن لرواية إعلامية أن تكتمل بدونها، وهي في نفس الوقت التفاصيل التي تميز الصحفيين بعضهم من بعض، والتي توفر نتيجة ليقظة المذوب الصحفي ومحاولته جمع أكبر قدر من التفاصيلات.

والشقيقات الخمس والأخت السادسة - كيف - مما يندرج تحت باب “الاستفهام” وفي لغتنا العربية قد يكون – الاستفهام سؤالاً عما لا تعلمه لتعلمها، فيخصص باسم الاستفهام، ومنه ما يكون سؤالاً عما تعلمه ليقررك به، فيسمى تقريراً.

وتهدف الأسئلة الستة إلى تحقيق الغرضين معاً، كما أنها ليست كل شيء في “الموضوع الصحفي”， ولكنها في حقيقة الأمر المفاتيح الازمة لفتح الأبواب المؤدية إلى كل التفاصيل - على حد تعبير الأستاذ الحمامصي - وليس كل موضوع صحفي مما تتوفر فيه الإجابة عن كل هذه الأسئلة فوراً، فقد يصادفك حادث وليس فيه إلا إجابة

واحدة على استفهام واحد منها.. وهنا تقود الأسئلة الأخرى إلى معرفة بقية التفصيلات التي تعطى للموضوع وحدة إعلامية.

ويطلب هذا الأسلوب في كتابة المقدمة الصحفية أن نجيب، عن الأسئلة التي تخطر على بال أي شخص عادي يكون في موقف يحتم عليه إعلان حدث ما.

وسواء كان الخبر مجرد خبر عادي أو خبراً ضخماً الأهمية، فيجب أن تتضمن المقدمة: حقائق الرواية الجوهرية. ولقد ذكر أحد محرري الأنباء المحلية قواعد صناعة الأخبار من ألفها إلى يائها عندما صاح مجيباً عن سؤال مندوبيه، قائلاً "أسرد الخبر كله في الفقرة الأولى، وحافظ على التشويق طوال ما تبقى من العمود".

على أن أفضل المقدمات الصحفية لا تكتفى بمجرد إشباع الفضول الأولى للقارئ فحسب، ولكنها تفتح شهيته إلى الاستزادة، من القراءة كما تقدم. ويمكن القول إذن أن على المحرر الصحفى أن يتتأكد من أن مقدمته التحريرية تؤدى الوظائف الخمس التالية:

١ - تعرض ملخصاً للموضوع الصحفى.

٢ - تكشف عن هوية الأشخاص والأماكن ذوى العلاقة بالموضوع.

٣ - تبرز الطابع المميز للخبر.

٤ - تعطى آخر الأنباء عن الحدث.

٥ - تثير اهتمام القارئ إذا أمكن لتابعة قراءة الموضوع.

ويميل الاتجاه الحديث إلى تحقيق هذه الأمور كلها بأكثر ما يمكن من السرعة والإيجاز، ومع أن رودولف فليش، أحد مستشاري وكالة الأسوشيتدبريس في "الإنقرائية" أو تيسير القراءة، يصر على أن المقدمة المبنية على أساس الإجابة عن الشفقيات الخمس، قد أصبحت قديمة العهد، فهناك كثير من التقاليد العظيمة والقديمة التي ما تزال حية، وعلى الرغم من ذلك فقد كان من شأن نشرات الأخبار المذاعة من الراديو والتليفزيون ، ومن شأن المجالات الخبرية أن حفظت الصحف وبنهايتها إلى ضرورة إدخال المزيد من الأساليب في كتابتها وتيسير القراءة، وتظهر آثار ذلك الاتجاه السائد الآن نحو الاختصار للفقرة الاستهلاكية في المقدمة الخبرية.

ويذهب "بوند". إلى أن المقدمة العادلة ينبغي ألا تزيد في مجموعها على الثلاثين كلمة، ويستطيع كتاب العناوين أن يرووا النبأ في عشر كلمات.

ويشير هذا الاتجاه الحديث في كتابة المقدمة إلى أهمية الخبر أو الموضوع الصحفى؛ ويعد ذهن القارئ للتفاصيل التي ستتبادر

وعملية إعداد ذهن القارئ تتوقف بطبيعة الحال على الشفقيات الخمس، أيهن أقوى أثراً وإشارة في الحادث، فالذى لا شك فيه أن هذا الأثر يختلف باختلاف الأحداث وباختلاف أمزجة القراء. ومن هنا تبدأ النظرية الأولى في كتابة الخبر بسؤال هو: "أى الشفقيات أكثر أهمية كى نبدأ الإجابة عنه؟".

وتتوقف الإجابة عن هذا السؤال على عامل أساسى يتصل "بواقعية الخبر ذاته، وما فيه من وقائع، وأخيراً يرضى ذوق الجمهور

١ - الإسم - (من؟)؟

مثال ١ - "وجه الرئيس السادات أمس نداء عاجلاً إلى كافة أطراف الحرب الأهلية في لبنان" يطالبهم فيه بوقف هذه المأساة الدامية التي تندى بأوخر العواقب، ليس فقط على أطراف الأزمة اللبنانية، بل على الأمة العربية بأسرها".

في هذا المثال نجد أن اسم الرئيس السادات جاء في بداية الخبر. ومعنى ذلك أن الإجابة جاءت من السؤال : "من؟" .. ذلك أن الخبر حينما يتعلق بشخص أو مكان أو شيء مشهور فلابد من تصديره في مقدمة الخبر، لأن الاسم كاف في حد ذاته لتهيئة الذهن وجذب الاهتمام.

وما لم يتفوق عنصر غير "من" على سائر العناصر وجب أن تكون الأولوية للإسم الكبير. وعلى نفس القياس يمكن الاستهلال "بما" إذا تعلق الخبر بمكان أو بشيء ذي أهمية قصوى.

مثال ٢ - "يرتفع علم مصر ابتداء من ظهر اليوم فوق حقول بترويل أبو رديس التي يدخلها الخبراء المصريون في الساعة الثانية عشر ظهراً، ويزور هذه الحقول بعد غد المهندس أحمد هلال وزير البترول الذى يحضر شحن أول دفعة من إنتاج هذه الحقول إلى معامل التكرير بالسويس نحو نصف مليون برميل تبلغ قيمتها ٥ ملايين دولار".

٢- الشىء (ماذا؟) :

مثال ٣ - "اصطدم مقدما سيارتين فى طريق صلاح سالم فأدى ذلك إلى نقل سائق السيارة السيد زيد العامل بشركة (...) إلى مستشفى الحسين الجامعى، وهو فى حالة سيئة صباح اليوم.

يلاحظ أن خبر الحادث هو الذى تقدم على غيره من العناصر الأخرى فى المقدمة، لأن المذوب شاهد الحادث بنفسه، أى أن الاستفهام (ماذا؟) هنا أهم.

مثال ٤ - "كشف جواهر وخليل داخل مومياوات الفراعنة" .. فقد تضمن تقرير البعثة المصرية الأمريكية المشتركة الصور التى التقطت بالأشعة للمومياوات الملكية أنها قد كشفت عن جعران كبير فى حجم الطبق وعلى شكل قلب، داخل مومياء الملكة نجمت (أى الجميلة) زوجة الملك حريحور فى الأسرة الـ ٢١ بالإضافة إلى ٤ تماثيل صغيرة أخرى داخل بطنها لأولاد الإله حورس".

وهذا الخبر كذلك يبدأ بالإجابة عن "ماذا اكتشف" فى بداية الخبر، لأن خبر الإكتشاف أهم من الإجابة عن العناصر الأخرى فى الاستهلال.

٣- الزمان (متى؟) :

مثال ٥ - "بعد خمس عشر دقيقة من وضع علامة "الخطر" بمعرفة شرطة المرور عند تقاطع المبتديان مع مترو حلوان، أصيب السيد زيد السائق فى النقل العام إصابة شديدة فى حادث سيارة وقع عند ذلك التقاطع.

مثال ٦ - "خلال ٦٠ يوما من لحظة وقف القتال تسحب أمريكا كل قواتها من فيتنام وتفرج هانوى عن كل الأسرى.. أذيعت أمس فى كل من باريس وواشنطن وهانوى، نصوص اتفاقية إنتهاء الحرب واستعادة السلام فى فيتنام عند منتصف ليلة السبت - الأحد".

فإذا كان عنصر الزمان قلما تفوق أهميته غيره من العناصر، إلا أن هناك من الظروف كما تبين فى المثالين السابقين، ما يجعل عنصر الزمان شأنًا كبيرا، فلعنصر الزمان أهمية واضحة فى حادث المبتديان، كما أن له أهمية تتتصدر مقدمة الخبر

الثاني لتحديد موعد سحب أمريكا قواتها من فيتنام بعد حرب طال مداها، مما يسوغ وضع هذا العنصر في منزلة الصدارة على ما عداه.

٤ - المكان .. (أين) !

مثال ٧ - "من أعلى برج الجزيرة، وقف شاب يهدد بإلقاء نفسه إذا لم تتحقق رغبته في الحصول على وظيفة حكومية تقدم لها مع آخرين" ^(١).

فلو أن هذا الشاب وقف مثلاً في نافذة الدور الثاني وهدد بإلقاء نفسه لما استحق تحديد المكان في بداية الخبر ولكن وجوده في أعلى برج القاهرة . وقد يكون الحادث الأول من نوعه.. هذا السبب يفسح المجال للشقيقة "أين". المكان الأول فعنصر المكان يتقدم غيره من العناصر بسبب اختيار "مكان الانتحار" وذيع شهرته.

٥ - السبب .. (لماذا؟) :

كثيراً ما يكون سبب الحادث أو الحافز عليه عنصراً من عناصر الخبر، فإذا عز على المتذوب أن يتبعين سبب الحادث أو علته، فقد تضيع عليه فرصة استهلال خبره بعنصر مشوق.. وللتمثيل على ذلك نورد المقدمة الاستهلالية التالية:

مثال ٨ - "بسبب إسراع السائق ليكون إلى جوار فراش أمه المحترضة أصيب إصابة خطيرة في حادث نقل على أثره إلى مستشفى الحسين الجامعي.. فقد اصطدمت مقدمة السيارة التي كان يقودها السيد زيد بسيارة أخرى واقفة عند تقاطع شارعى .. و...". وهكذا يحرض المتذوب على أن يبرز سبب الحادث في المقدمة الاستهلالية للخبر نظراً لأهمية التساؤل (لماذا؟) في هذا الحادث بالذات.

مثال ٩ - بأمر الجان .. نفذت سيدة حكم الإعدام في صديقة لها عمرها ١٩ سنة زاعمة أنها تنفذ أوامر الجان والغريب أن الفتاة استسلمت للقتل دون أي مقاومة وأن السيدة قامت بإبلاغ الشرطة بجريمتها".

مثل هذا الخبر كان من الممكن أن يبدأ بالطريقة التقليدية "قتل سيدة صديقة لها.." ثم نبدأ بعد ذلك في رواية الأسباب .. ولكن من الواضح أن السبب قد تقدم غيره

(١) الحمامصي: المتذوب الصحفي ص. ٦١

من العناصر، لأن السيدة المريضة توهمت أن الجان هم الذين أصدروا إليها حكم الإعدام في صديقتها فنفذته على الفور!

ويمكن تسمية هذا النوع السببي من أنواع المقدمات بـ"مقدمة الدافع" حيث تكشف دائماً عن الدوافع والأسباب في حادث من الأحداث، تؤدي إلى نتائج معينة.

٦- مقدمة الطريقة (كيف؟)

والتساؤل "بكيف" يصلح أحياناً في المقدمة الصحفية ليكشف عن "الطريقة" أو كيفية حدوث الحدث، ومن أمثلة ذلك:

مثال ١٠ - اندفع السائق من نافذة السيارة عقب اصطدام مقدمتها بسيارة أخرى فنقل إلى المستشفى في حالة سيئة.. وقد وقع الحادث للسيد زيد في طريق صلاح سالم.

وهنا يبرز المندوب "طريقة" وقوع الحادث للسائق، حين يقدم عنصر الإجابة عن "كيف" على سائر العناصر المكونة للخبر

التجديد في تحرير المقدمة الصحفية:

وفي تحرير المقدمات الصحفية؛ في صدر الخبر؛ أو الموضوع الصحفى؛ وفنون العالم من: تحقيق؛ وحديث؛ وتقرير؛ ومقال؛ يستطيع المحرر استهلال الخبر أو الموضوع عن طريق عدة أشكال تعتبر في حد ذاتها نوعاً خاصاً من أنواع المقدمات الخبرية، لأنها لا تحرض على مراعاة استخدام العناصر الستة في صدر الخبر، ولعل المقصود من هذه الطرق الجديدة هو أن تكون وسيلة من الوسائل التي يراد بها إضفاء الوضوح والتميز على طابع الخبر. ويلاحظ أن معظم الطرق الجديدة من المقدمات الخبرية يعتمد على عنصر الترقب والانتظار اعتماداً كبيراً لإثارة اهتمام القارئ من هذه الزاوية، وربما "ورد في المقدمة عنصر من العناصر الاستفهامية الستة، غير أن بقية العناصر ترد عادة قبل أن يصل القارئ إلى نهاية الفقرة الثانية أو الثالثة من الخبر" (١).

وقد أثبتت عدة أشكال من هذه الطرق صلاحيتها للقراءة وأصبحت بمثابة قواعد قياسية تقريراً في كتابة المقدمة، ولكنها لا تنفصل عن طبيعة المادة الخبرية بحال من الأحوال، ذلك أن هذه الطبيعة هي التي تملئ على المحرر اختيار الطريقة الملائمة للمقدمة الخبرية.

١ - المقدمة الساخنة:

يقول "هوارتون": إذا استطاع المحرر أن يحتفظ في أسلوبه بعامل الإثارة الذي أودعه العبارة الأولى، لكن أحد طلبة الجامعة من الكتاب الأفذاذ، فقد بدأ ذلك الطالب قصته: "بحق الشيطان.. قالت الدوقة وهي تشعل سيجارتها.. الخ.

وتقوم المقدمة الساخنة على أساس من حشد جميع عناصر الإثارة في الجملة الأولى من الجمل التي يشتمل عليها الصدر وهي الجملة التي تقوم مقام العنوان في معظم الأحيان.

(١) د. حمزة: المراجع السابق ص ٩٧.

مثال ١ - رئيس جمعية منع المسكرات يدخل السجن بتهمة ضبطه سكرانا في الطريق.. قال له القاضى: لقد ارتكبت جريمة فادحة في حق الأخلاق.. الخ.

هذا النوع من المقدمات يثير الاهتمام، فهو يعطى القارئ من المعلومات ما يكفى لتحرير شهيته إلى المزيد منها، لا أكثر. وبعد المقدمة، تسرد القصة عادة حسب تتابع وقائعها الزمنية بحيث يحب القارئ أن يتبعها حتى النهاية. ليبلغ ذروتها. ويستعمل المحررون هذا النوع من المقدمات في الأخبار القصيرة بصفة رئيسية على أساس النظرية القائلة بأن استعماله في الموضوعات الطويلة يجعل القراء يحجرون عن الخوض فيها فقرة بعد فقرة.

مثال ٢ - "عاملان بالمطار يسرقان ملابس داخلية مصدرة للخارج من أجل استعمالها الشخصى.. فقد انتهت العاملان فرصة تكسن صناديق وأكياس الملابس بمخازن المطار وقاما بسرقة مجموعة من فانلات "جيبل" المعدة للتصدير. قام النقيب على فوزى بمباحث المطار بضبط المسروقات مخبأة داخل "الدواىب" الخاصة بالمتهمين وقد اعترفا بالسرقة وقالا إن الهدف من السرقة هو الاستعمال الشخصى وليس بقصد المكسب.. ومن المعروف أن هذا النوع من الفانلات غير متوافر فى السوق المحلى."

٢ - مقدمة الصورة:

من طرق التجديد في صدر الخبر أن تعمد إلى رسم صورة حية للشخص الرئيسي في القصة الخبرية، حتى تتمكن القارئ من تخيل القصة بسهولة، دع القارئ يرى الشخص كما تراه ويتخيل الحادث كما رأيته بنفسك، .. وهذه المقدمة تفيد في تحرير فنون المعالم؛ كما تستخدم في الخبر أيضا:

مثال ٣ - كانت عيناه نصف مغمضتين وكان وجهه لا يعبر عن شيء عندما أرتفع عمرو عبدالباقي على المقدع والنائب العام يصفه بأنه قاتل لا قلب له".

مثال ٤ - "خطوات متزنة مثل نغمات موسيقاه الهدائة الرائعة، والأنظار كلها مرکزة عليه، تقدم الطفل (و هنا يذكر اسم الطفل) إلى المنصة الكبرى في قاعة الاحتفالات بجامعة القاهرة ليصافح نائب رئيس الجمهورية الذى جاء إلى الحفل ليقلد هذا النابغة الصغير نيشان الفنون تقديرا من الدولة لنبوغه.. لم يلتفت الطفل

يميناً أو يساراً.. لم يهزة دوى التصفيق الذى انبعث من كل ركن في القاعة الكبرى، نظرة واحدة هي التي جعلت الدموع تترقرق في عينيه، إنها نظرة أمه إليه التي كانت تجلس إلى جانب نائب رئيس الجمهورية، لقد تقدم منها وقبل أن يقدم بده لصافحة نائب الرئيس انحنى على يدها وقبلها قبلة الوفاء، واحتضنته أمه.. دوّت القاعة بالتصفيق الذي لم تشهد القاعة مثله من قبل.

هذا التصوير "البسيط" في الأفاظه - كما يقول الأستاذ الحمامصي - والذي روعي فيه أن يكون كل لفظ فيه معبراً ببساطة لا تعقيد فيها، هو الذي يحرك مشاعر الجماهير القراءة و يجعلها تحس أنها ترى ملامح "الصورة" الخاطفة التي مضت بين تقدم الطفل من مكانه إلى حيث طبع على بد أمه قبلة الوفاء..

٣ - المقدمة المقارنة :

من طرق التجديد كذلك: الاعتماد على المفارقات والتناقضات... وفي هذا النوع من الالىات يقابل المحرر بين المفارقات والأضداد؛ ك مقابلته بين الصغير والكبير، والملهأة والملأة، والماضي والحاضر:

مثال ٥ - "أقيم هنا احتفال عظيم من خمسين سنة .. فقد احتشد الناس جمِيعاً لمشاهدة عملية إرساء الحجر الأساسي لأول مبنى ارتفاعه ستة طوابق يقام في المدينة. أما اليوم فلم يحفل بارسأة الحجر الأساسي لعمارة "هالى" التي سترتفع إلى خمسة عشر طابقاً.

فالقابلة بين الأضداد تجد طريقاً سهلاً إلى قلوب القراء ونفوسهم فإذا وقف عمالق في السيرك يصافح قزماً فإن هذا المنظر يثير الجماهير أكثر مما يثيره منظر كل واحد منهم على حدة، ونفس الشيء ينطبق على فنون التحرير الصحفى.

مثال ٦ - "لقد كانت الوحش الضاربة في الغابة حيوانات أليفة يلهو بها (فلان) وهو يصيد النمور في الأسبوع الماضي.. واليوم يرقد صاحبنا في المستشفى بسبب فاروليد

مثال ٧ - "حصل عبد السميم إبراهيم أمس على جائزة مائة جنيه لأنَّه ساق سيارته التاكسي ٢٥ عاماً دون أن يرتكب حادثة أو توقع عليه مخالفة مرور واحدة.. وبعد

أن غادر مكان الحفل في طريق عودته إلى منزله ليحتفل مع أولاده بهذه الجائزة صدم طفلة صغيرة في الطريق فماتت لفورها وبات ليلته في السجن^(١).

٤ - المقدمة التساؤلية:

اختلف علماء الصحافة في هذه الطريقة فبعضهم يرى أن استهلال القصة الخبرية بسؤال فيه غموض على القارئ" ويعنده عدم نقل معلومات جديدة إليه، وإنه من واجب الصحفي أن ينقل الأنباء إلى القارئ لا أن يقدم إليه سؤالاً. ورغم وجاهة الحجة، فإن بدء القصة بسؤال قد يكون بداية ناجحة في بعض الأحيان لإثارة اهتمام القارئ.

مثال ٨ - "هل من حق الزوج أن يصف زوجته إذا رفضت أن تغلق الباب؟ تلك هي المشكلة التي واجهت القاضي (وهنا يذكر اسمه) في محكمة الأحوال الشخصية. وقد قضى بالنفي^(٢).

وتعد الطريقة التساؤلية بعيدة الأثر متى كان قوام مشكلة من المشكلات التي يعز الاهتماء إلى علاج لها مثل:

مثال ٩ - "كيف يمكن إنقاص عدد ضحايا حوادث المرور؟

"هذا سؤال بحثه اليوم ثلاثة من كبار المسؤولين في المدينة هم: المحافظ ومدير المرور ونقيب السائقين بعد أن تلقوا نبأ وفاة شخص سابع نتيجة لحوادث المرور في هذا الشهر^(٣).

وستستخدم المقدمة التساؤلية كذلك في الأخبار ذات الصلة بواجب الجمهور إزاء بعض الإجراءات الحكومية وغير الحكومية ، مما يكسب الخبر نوعاً من الجدية والأهمية. حتى ولو لم يكن فيه سوى التنبيه فقط :

مثال ١٠ - هل دفعت الضرائب المطلوبة منك؟".

يذكر ابن وهب في "البرهان" أن أنواع البحث والسؤال التي يمكن الإفادة منها في المقدمة التساؤلية، تسعه أنواع:

(١) الحمامصي : المرجع السابق ص ٨٠.

(٢) كارل وارين : المرجع السابق ٦٠ .

(٣) جونسون وهاريس : المرجع السابق ص ١٢٤ .

أولها: البحث عن الوجود بـ "هل" تقول "هل كان كذا وكذا" فيقال .. "نعم" أو "لا" (وذلك في الفقرة التالية للفقرة التساؤلية في المقدمة بطبيعة الحال، كما رأينا في الأمثلة المتقدمة).

والثاني: البحث عن أنواع الموجودات بـ "هل" كان كذا وكذا فيقال .. "نعم" أو "لا" (وذلك في الفقرة التالية للفقرة التساؤلية في المقدمة بطبيعة الحال، كما رأينا في الأمثلة المتقدمة).

والثالث: البحث عن الفصل بين الموجودات بـ "أى" نقول: "أى الأشكال المربع؟" فيقال: "هو الذي تحبط به أربعة خطوط".

والرابع: البحث عن أحوال الموجودات بـ "كيف" تقول: كيف الإنسان". فيقال: منتصب القامة".

والخامس: البحث عن عدد الموجودات بـ "كم؟".

والسادس: البحث عن زمن الموجودات بـ "متى" تقول: "متى كان هذا؟" فيقال في زمن الرشيد".

والسابع: البحث عن مكان الموجودات بـ "أين" تقول "أين زيد؟" فيقال: "في الدار" و"من" لا تستعمل إلا في المسألة عمن يميز ويعقل.

والثامن: البحث عن اشخاص الموجودات بـ "من" تقول "من خرج؟" فيقال زيد".

والناسع: البحث عن علل الموجودات بـ "لِمَ".

٥ - المقدمة الاقتباسية :

وقد تسمى "مقدمة الحديث المنقول"، ذلك أنه في بعض الأحيان تبرز عبارة صغيرة أو جملة مقتضبة في تصريح أو حديث خاص، وتظل وحدها أهم نقطة في الحديث كله، ومثل هذه العبارة جديرة بأن تتصدر المقدمة الصحفية، ولكن يجب على المحرر أن يشرح تلك العبارة في صلب الخبر:

مثال ١١ - "أستطيع أن أقتل أى واحد منكم بثلاثمائة دولار".

"هكذا أعلن رئيس البوليس (وهنا يذكر اسمه) على ثلاثمائة من أعضاء نادى (كذا) الذين اجتمعوا أمس. ثم استطرد رئيس البوليس يقول: "لقد هبطت أسعار القتلة المحترفين كثيرا في العام الأخير"(١)."

وفي معالجة الأخبار السياسية وغير السياسية ذات الصلة بالجمهور والتى قد يكون فيها تحديد مصائر وسائل معينة، ينبغي أن تبدأ المقدمة بجملة مقتبسة أو عبارة قوية:

مثال ١٢ - "قال وزير الخزانة إن قانون تعديل ضريبة كسب العمل سيصدر خلال أيام .."(٢).

فمن الأفضل أن تبرز في مقدمة الخبر كلاما "منسوبا" إلى مصدر مسئول.

مثال ١٣ - "إن ثقتي كاملة في الوزير (وهنا يذكر اسمه) ولن يخرج من الوزارة" .. بهذه الكلمات قال (وهنا يذكر اسم المسئول) كلمته الخامسة في مؤتمره الصحفى الذى عقده أمس(٣).

وهنا يستشهد المحرر بقول هام موجز أفضى به صاحبه، والأغلب أن يكون شخصا، مسئولا أو مشهورا أو ذا حيادية:

مثال ١٤ - "السادات يعلن : "المصالحة الوطنية اللبنانية تمثل خطوة السلام القادمة" وذلك في الكلمة التي ألقاها الرئيس السادات في ختام أعمال المؤتمر الاستثنائي للقمة العربية".

٦ - المقدمة الوصفية:

إذا كانت مقدمة "الصورة" تعنى بالشخص أو الأشخاص الذين اشتركوا في صنع الخبر، فإن المقدمة الوصفية تعنى بالمنظر الذى وقع فيه الحادث إذا كان أهم من الأشخاص، ويوسع المحرر في هذه المقدمة أن يعد المسرح لتمثيل قصته الصحفية، فيصف المشهد المعنى بالخبر أو الموضوع؛ وأكثر ما يكون ذلك في الحفلات والمهرجانات والمعارض العامة، والحدائق، والأماكن التي تصنف فيها الأحداث ونحو ذلك:

(١) كارل وارين : المراجع السابق ص ٦١.

(٢) الحمامصى : المراجع السابق ص ٨٢.

(٣) الحمامصى : المراجع السابق ص ٨٢.

مثال ١٥ - "نفد منه الوقود، وليس عنده مظلة، ولكن الحظ حالفه، واستطاع طيار ذو أغصاب من حديد أن يهبط مضطراً ليلة أمس في عاصفة ثلجية بالقرب من مطار (...)" دون أن يصاب بأذى إلا من خدشات بسيطة في جناح الطائرة.

مثال ١٦ - "بريق أحضر يخطف الأ بصار أضاء ليلة أمس نصف المحافظة عندما شاهد الناس طريقاً من نار يصل الأرض بالسماء ويسقط منه شهاب ملتهب في بحيرة راكدة بالقرب من (وهنا يذكر أسم المدينة) ^(١)."

مثال ١٧ - تحولت معارك سيناء - التي بدأت صباح يوم الأربعاء - إلى أكبر صدام، بالدبابات في تاريخ الحروب في العالم يدور فيه قتال شرس وعنيف بين الدبابات ومئات العربات المدرعة وبطاريات المدفعية والصواريخ المضادة للدبابات وكذلك قوات الطيران والدفاع الجوي..

"وقد ذكر خبراء وزارة الدفاع الأمريكية الذين يتبعون المعركة، مع كل الدوائر العسكرية في العاصم الكبرى، أن معركة الدبابات الحالية ربما تكون لها نتائج هامة في سير القتال كله، وأضاف الخبراء أن هذه المعركة الضخمة قد لا تنتهي قبل بضعة أيام أخرى".

٧- المقدمة الإذاعية:

ومن طرق التجديد في صياغة صدر الخبر أو الموضع الصحفى؛ أيضاً الطريقة التي تسمى بالخطاب المباشر أى توجيه الخطاب إلى القراء مباشرةً، غير أن هذه الطريقة، أقرب للإذاعة وبها أشبه، ولذلك نسميتها بالقمة الإذاعية الشخصية التي تستثير الاهتمام. فالحرر يخاطب القارئ مباشرةً أو ضمناً، باستعمال ضمير المخاطب "أنت" ومن شأنه أن يحمل القارئ على التضامن معه بالنسبة إلى القول الذي يتبع.. وغالباً ما يبدأ هذا الأسلوب بعبارات مثل: "لوأنك فكرت قط" أو "لوأنك شاهدت أو قرأت قط".

مثال ١٨ - إذا كنت تظن أنك تتحمل الكثير عندما تضطر إلى الاستماع إلى شقيقتك الصغرى وهى تتمرن على البيانو، فارث لحال (فلان) الذى كان عليه أن

(١) كارن وارين: المرجع السابق ص. ٦٠

يسمع خلال الثلاثين سنة الماضية إلى ٢٠٠٥٠٠ طفل وهم يعزفون على البيانو، ومع ذلك يحب عمله".

مثال ١٩ - لا تتوقع رحمة من خبير الأرصاد الجوية، لأنه يتken باستمرار موجة البرد.

وإذا كانت الأصالة تأبى النمطية التي تتعدى حدود القول العام، فإن طريق التجديد أمام المحررين المارسين الذين يخترعون كل يوم جديدا في كتابة صدر الخبر أو مقدمة الموضوع الصحفى؛ تقضى من المحررين التفكير الدائب؛ ابتداء من جمع المعلومات عن خبر من الأخبار، وحتى لحظة كتابتها، لإيجاد مقدمة مناسبة: يختار لها هذا العنصر أو ذاك؛ من العناصر؛ والذي يتقدم غيره في الأهمية، حتى ليتمكننا أن نذهب إلى أن الطريقة المثلث لاكتساب الخبرة التحريرية إنما هي في ممارسة تحرير المقدمات الصحفية.

ثانياً: حلقة الاتصال في الهيكل الصحفى

بعد الانتباه من كتابة المقدمة ووضعها في صيغتها النهائية تبدأ المهمة الثانية وهي سرد الموضوع. ويشبهه "وارين" المقدمة بالرأس والأكتاف من التمثال، والصلب بمثابة الجسم، وعلى المحرر أن يلائم بين هذين الجزئين ملاءمة تامة.

ذلك أن فنون التحرير الصحفى تعتمد على لغة النثر، وهي فنون أقرب ما تكون إلى فن الترسيل في تراثنا، والرسيل من : "ترسلت - أترسل - ترسلا" وأنا مترسل كما يقال "توقفت بهم - وأنهت - توقفا، وأنا متوقف ولا يقال ذلك إلا فيما ينكر فعله في الرسائل... ويقال "أرسل - يرسل - إرسلا - وهو مرسل، والاسم "الرسالة" أو "راسل" يراسل وهو مراسل، وذلك إذا كان ومن يراسله قد اشتراكا في المراسلة.. وأصل الاشتراك في ذلك أنه كلام يراسل به من بعيد، فاشتق له اسم الترسيل، والرسالة من ذلك".

فإذا كنا نتفق على أن المحرر يقوم بدور "المرسل" في نظرية الإعلام وأنه يقوم بتحريك "الرسالة" "الإعلامية" وهي هنا فن الخبر أو الموضوع الصحفى، فإنه لابد كما يقول علماء البلاغة. أن يكون "عارفاً بموقع القول وأوقاته واحتمال المخاطبين به، فلا يستعمل الإيجاز في موضع الإطالة فيقصر عن بلوغ الإرادة ، ولا الإطالة في موضع الإيجاز فيتجاوز في مقدار الحاجة إلى الإضمار والمللة"

ومن أجل ذلك عنى القدامى من الصحفيين بوضع قواعد يستطيع المحرر المبتدئ، إتباعها، فلا بد بعد كتابة المقدمة أن يعثر المحرر على جسر يربطها دون افتعال أو التواء ببقية الخبر وغالباً ما يكون هذا الجسر جملة أو جملتين على الأكثرين:

مثال ١ - "وصف (تيرز) مدير إدارة حدائق الاقتراح بأنه سخيف وليس فيه نوع من الاقتصاد، ورفض مشروعه لبناء حديقة حيوانات صغيرة تكلف ٢٥ ألف دولار في الجزء الشمالي من حدائق جرين ميدلز".

"وقد ناقش جرين المشروع مع أعضاء جمعية الحيوان في المدينة أثناء مأدبة أقيمت في فندق شيراتون".

"وكيف نحصل أولاً على مبلغ ٢٥ ألف دولار؟ تساءل جرين... . وهكذا جاءت الفقرة الثانية جملة واحدة تربط بين المقدمة والموضوع وغالباً ما تكون هذه الفقرة جواباً عن أحد الأسئلة الستة، وعادة ما تكون جواباً عن سؤالٍ: أين .. ولماذا؟

ومع أن الخبر قد لا يتطلب حلقة الاتصال هذه؛ إلا أنها في الواقع كما يذهب إلى ذلك الاستاذ الحمامصى . تخدم واحدا من الأغراض الآتية:

(أ) أنها "تكميل" بعض البيانات الأساسية التي قد لا يكون لها مكان في المقدمة خشية أن تسبب ازدحاما بها .

(ب) أنها توفر المكان لبيان واقعة أو أكثر أهمية من وقائع المقدمة .

(ج) إنها قد تفسح المجال أمام تسجيل تصريح منسوب إلى شخصية رسمية وهذا التسجيل يعطي قيمة للخبر، وفي نفس الوقت يدعم ما جاء في المقدمة .

(د) تفسر واحدة من الشقيقات الخمس، وهي في الغالب "لماذا" .

(ه) تلخص ما سبق حدوثه في فقرة سابقة - إذا ما كان الموضوع الصحفى تكميلاً لموضوع سبق نشره في اليوم السابق أو منذ فترة زمنية غير محددة .

ويذهب بعض العلماء إلى أن الجهد المستمر لتقدير الجمل إنما يكون في الغالب على حساب الوضوح، ولذلك يجب على محرر الأخبار أن يكون أثناء معالجته لمادة خبرية، هادئاً متجرداً موضوعياً، في معالجة الحقائق التي قد يكون جمعها بنفسه أو تلقاها من مصادر أخرى، وعلى أية حال عليه أن يختار أهم حقيقة في مجموعة الحقائق المعروضة أمامه ليضع منها المقدمة، ويأتي بعد ذلك دور تحرير هيكل الخبر، وهنا عليه أن يشرح المقدمة، وأنثناء هذه العملية كلها عليه أن يتذكر ضرورة استعمال الجمل القصيرة نسبياً، والمرتبة في فقرات قصيرة، ومكتوبة بألفاظ مألوفة وكثيرة التداول، وبلاغة واضحة قوية، كما يجب أن يكون الخبر في مجموعه قصيراً .

والإصرار على ذكر مصدر الخبر - شخصاً أو مؤسسة أو جماعة - يسبب للمحرر غير الخبر الواقع في حيرة تؤدي إلى تشويش مقدمته، وليس من الضروري أن تذكر أسماء المصادر أو القابهم أو أماكن عقد المؤتمرات الصحفية في المقدمة، ذلك أنها ستجد مكانها الطبيعي في حلقة الاتصال التي تمثل الفقرة الثانية في أغلب الأحوال . وعلى الرغم مما يتمتع به الفن الصحفى من حرية في نقل المعلومات، إلا أنه لا يجوز لأى محرر أن يضمن وجهاً نظره الخاصة في خبر ما، وإنما يحتفظ بها ليكتبهما في

مقال أو تعليق، ولذلك يلقى مبدأ فصل أعمدة الأخبار عن أعمدة المقالات الافتتاحية تأييدها عاماً من جميع الأوساط الصحفية المسئولة. وإن لم توجد هناك اتفاقية عامة حول أين تبدأ هذه وأين تنتهي تلك. فالهدف واضح على أقل تقدير، وعندما يوضع موضع التنفيذ يصبح موضع معالجة خاصة^(١).

ويرتبط اصطلاح "التنويع اللطيف" بحلقة الاتصال، وهيكل الخبر أو الموضوع الصحفى؛ بوجه عام اتصالاً وثيقاً، ويعنى به علاج الرتابة في تحرير الأخبار والفنون الصحفية الأخرى، فمثلاً كثيراً ما يلاحظ في نشرات وكالات الأنباء أن كلمة "قال" استعملت في كل فقرة من فقرات الخبر، ولما كانت كلمة "قال" هي الكلمة الصحيحة، وتمنع "التنويع اللطيف" فليس هنالك من سبب يحول دون استعمالها مرة بعد أخرى ولكننا يمكن أن نستخدم كلمات مثل "صرح" و"أعلن" و"أكذ" الخ وفقاً لطبيعة المعلومات المتضمنة في الخبر بطبعية الحال.

ويقوم تحرير الخبر على مبدأ وضع فكرة واحدة في كل جملة، كوسيلة للتوضيح كتابة الأخبار، ومن المؤكد أنه لا توجد قاعدة سواء أكانت مكتوبة أو متفقاً عليها، تجبر محرر الأخبار والمواضيع الصحفية؛ على تكديس كل المعلومات في المقدمة، ولذلك فإن حلقة الاتصال تقوم بدور أساسى في تحقيق هذا المبدأ، بحيث تظل أقوى المقدمات تأثيراً هي التي تقود اهتمام القارئ إلى هيكل الخبر أو الموضوع الصحفى.

وغالباً ما يكون اختصار فقرات الأخبار من المعضلات بالنسبة إلى محرر الأخبار عديم الخبرة، ولعله يكون قد اعتمد على الجمل الطويلة التي يبدأ المبتداً فيها في أول الصفحة، ولا يأتي الخبر إلا في آخرها، ولذا فإنه يشعر بأنه من الصعب عليه فهم معنى الفقرة في دنيا الصحافة، ولا يمكن أن يدرك بسرعة أن المقصود بالفقرة هو خلق انتباه عند القارئ.

وعندما يكتب الخبر بطريقة الفقرة الكاملة فإن كل فقرة باستثناء الأولى يمكن فصلها عن الأخرى، ويقصد من هذه الطريقة إتاحة الفرصة لاختصار الخبر من نهايته، ولو

(١) نفس المرجع ص ٨٤، ٩٢.

افتراضنا أن المحرر المسئول عن الإخراج لم يكن متبيهاً وقطع فقرة من آخر الخبر فإن ذلك لا يسبب إلا مشكلة ضئيلة.. وأنه لتقليد متبع أن تحرر الأخبار بصيغة الماضي للصحف، والعنوانين بصيغة الحاضر في معظم الأحيان. وذلك بهدف تحقيق صفة الفورية الإعلامية على صفحات الصحف.

وإذا كان النقاد يذهبون إلى أن أسلوب الهرم المقلوب يرغم المحرر على ذكر القصة الخبرية ثلاث مرات أو أربع، مرة في العنوان وثانية في المقدمة، وثالثة في حلقة الاتصال ورابعة في صلب الخبر ذاته.. فإن هذا التكرار ليس عيباً في الأسلوب الصحفى في التحرير؛ كما يذهب إلى ذلك هؤلاء النقاد.

ونذكر هنا ما تذهب إليه البلاغة العربية من أن الإطالة مستحبة في مخاطبة العوام، ومن ليس من ذوى الإفهام ومن لا يكتفى من القول بيسيره، ولا يتفق ذهنه إلا بتكريره، وإيصال تفسيره .. ولالمعروف أن جمهور الصحافة جمهور عام وليس جمهوراً خاصاً .. يقول ابن وهب: "ولهذا استعمل الله عز وجل - في موضع من كتابه تكرير القصص، وتصريف القول، ليفهم من يبعد فهمه، ويعلم من قصر علمه، واستعمل في موضع آخر الإيجاز والاختصار لذوى العقول والأبصار

ويقول: إن الإطالة "تحسن وسط الكلام في تفسير الجمل، وتكرار الوعظ، وإفهام العامة، ويليق ذلك بالائمة والرؤساء ومن يقتدى به، ويؤخذ عنه".

ثالثاً: الأنماط التحريرية في بناء الهرم

وشكل الهرم المقلوب الذي توجد قاعدته إلى أعلى يصبح أسلوباً خبراً عاماً، يقوم على مبدأ أساسى هو مبدأ "الأهمية والدلالة الخبرية" ولذلك تتضمن المقدمة "أهم" حادث أو حقيقة ، ثم يستمر بناء الهرم قائماً على ما يلي ذلك أهمية، سواء أكان حادثاً أم حقيقة أم تفصيلاً من التفصيات ، ثم الأقل أهمية، فال أقل، وهكذا ..

على أن هذا الأسلوب الهرمي في تحرير الخبر يمكن أن يتضمن في ثناياه، ثلاثة أنواع من الأنماط التحريرية ، تقوم في منطلقها وصلبها على طبيعة المادة الخبرية ذاتها، فالخبر الذي يقوم في جوهره على الواقع أو الحقيقة يصلح له: النمط السردي. والخبر الذي يقوم في طبيعته على "العمل" أو "الحركة" يصلح له نمط "القصة الخبرية"

وأما الخبر الذى يتعلق بتصريحات أو أقوال منسوبة لأشخاص أو "حديث منقول" فيصلح له: "النمط الاقتباسى".

على أن هذه الأنماط التحريرية ليست قوالب جامدة تصعب على التجديد، ففى مقدور المحرر المتمرس أن يتبع فطا جديدا يتفق وشخصيته، وطابع الخبر أو الموضوع الصحفى ذاته.

١ - النمط السرى:

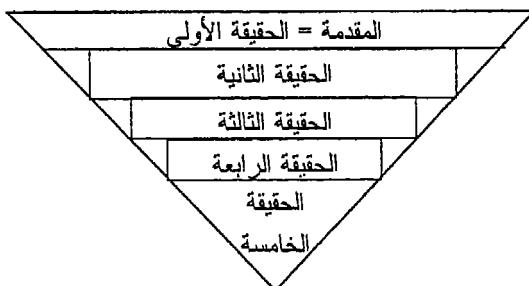
ويقوم هذا النمط السرى فى تحرير الخبر، على أساس من طبيعة الخبر كما تقدم، وهى هنا تقوم على "الواقع" أو "الحقائق" المرتبطة برباط وثيق. ويتطلب هذا النمط التحريرى^(١):

(أ) التوفيق فى اختيار المقدمة وتطبيق ما درسناه حولها.

(ب) ترتيب الواقع بعد ذلك حسب أهميتها - (وهذا هو الأهم).

(ج) الربط بين هذه الواقع أو الحقائق - ربطا متجانسا بحيث يخرج الخبر مستكملا فى نهاية الأمر؛ لكل الاعتبارات الفنية.

وهكذا نجد أن الأسلوب الهرمى فى هذا النمط السرى يتكون على النحو التالى:



فالأجزاء التى يتكون منها النمط السرى، هي المقدمة والتى تتضمن الحقيقة الأولى التى تمثل الأهمية الأكبر بين زميلاتها، ثم تليها الحقيقة الثانية وهى التى تمثل بعدها مكانا مهما، وهنا توسع فى سرد الحقائق .

(١) الحمامصى : المراجع السابق ص ٥٩

مثال ١:

المقدمة - الحقيقة الأولى:

"مصر تشهد اليوم أول انتخابات من نوعها لاختيار مجلس الشعب الجديد.. يتوجه اليوم ٩٠٥ مليون ناخب وناخبة إلى ١٥ ألف لجنة انتخابية في أول انتخابات من نوعها لمجلس الشعب يتم اجراؤها في إطار التنظيمات السياسية الجديدة."

الحقيقة الثانية:

"وقد بلغ عدد المرشحين في هذه الانتخابات ١٦٠ مرشحاً يجري التنافس بينهم لاختيار ٢٤٦ عضواً للمجلس الجديد الذي حدد يوم الخميس ١١ نوفمبر موعداً لعقد جلسته الافتتاحية."

الحقيقة الثالثة:

"ومن هذا العدد من المرشحين: ١٧١ من تنظيم الأحرار الاشتراكيين (اليمين) و ٥٢٧ من تنظيم مصر العربي الاشتراكي (الوسط) و ٦٥ من تنظيم التجمع الوطني التقدمي الوحدوي (اليسار)، و ٨٩٧ مرشحاً، الخ."

وهكذا لا نجد صعوبة في تركيب النمط السردي القائم على الحقائق أو الواقع، ومفتاح التنظيم الصحيح في هذا النمط التحريري هو تقدير قيمة المعلومات التي تم جمعها حسب ترتيب أهميتها، في فقرات مختصرة مركزة يزيد الارتباط بينها من قوة الخبر وتسلسله، بحيث ينتقل الخبر من الحقيقة الأولى إلى الثانية إلى الثالثة وهكذا.

٢ - نمط القصة الخبرية:

القصص في اللغة هو تتبع الأثر لمعرفة المكان الذي نزل به أصحابه وسلكه، والمعنى اللغوي أقرب إلى الدلالة الصحفية للقصة كما سنرى. ومن هنا - كما يقول الأستاذ العقاد، رحمة الله، للحكاية عن القوم أنها قصة، لأن من يحكى عنهم يتبع أثرهم ليعرف خبرهم فهو يقص سيرتهم في الزمان كما تقص السير في الواقع والجهات.

وقد وردت الكلمة في القرآن الكريم بالمعنىين في سورة واحدة. فجاء في سورة الكهف: "فَارْتَدَا عَلَى أَثْارِهِمَا قَصْصاً" بمعنى تتبع الأثر لمعرفة الطريق، وجاء فيها: «نَحْنُ نَقْصٌ عَلَيْكَ نَبَأْهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فَتِيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزَدَنَاهُمْ هَذِهِ» بمعنى تتبع الخبر في التاريخ.

ويذهب العقاد^(١) إلى أن كلمة القصص في القرآن الكريم تنصرف على عمومها إلى معنى الهدایة إلى الأخبار والآثار الباقية من سير القرون الغابرة، وهي تساق في الكتاب لمقاصد كثيرة تجمعها كلها هذه المقاصد الثلاثة:

فهي تساق للعبرة والموعظة، أو تساق للقيقة وتبنيت العزيمة أو تساق للتعليم والهدایة.

وتنلى قصص العبرة والموعظة في القرآن الكريم لذكر الأحياء بمصائر الغابرين من الأمم الأولى، وكانت توصف بأنها أساطير الأولين من الكلام المسطور أى المكتوب، وقد تكون الكلمة إحدى الألفاظ التي تعرّبت عن اليونانية لأن، "الاستوريَا" عندهم بمعنى الخبر المسجل أو المعروف، ولا يبعد أن يكون اليونان قد أخذوها عن العرب، لأنهم أخذوا الكتابة عن الأمم السامية، وسبّقهم عرب الشمال وعرب الجنوب إلى رسم الحروف، ولا تزال أسماء "الألفا والبيتا والجما" عندهم منقوولة من الألف والباء والجيم، بل يرجح أن كلمة "كلموس" اليونانية أى "القلم" منقوولة عن العربية، لأن القلامة أصلية فيها ومن مادتها "القسم والقسم والقطم والقطم والقرم" وكلها تفيد القطع كما يفيده التقليم، وكذلك السطر والشطر بمعنى الخط أو القط في العربية، يقال سطره وشطره وخطه وقطه بمعنى واحد، فليس من بعيد أن تنتقل هذه الكلمات مصاحبة للكتابة التي لا شكل في انتقالها من الأمم السامية إلى اليونان.

وقد ترددت في القرآن الكريم أخبار الأولين على سبيل العبرة والموعظة وكان مدارها جمِيعاً على تحذير الأمم الباقية من الاغترار بالملائكة.. كما اغترت بها الأمم الخالية، وكانت هذه العظات - كما يقول العقاد كذلك^(٢) - ألزم العبر ل تلك الأمم التي آمنت بالأوثان والأرباب ولم تؤمن بالوحدانية، فإنها إذا علمت أن أربابها لن تحميها من الكوارث، ولا تقدر على إصاباتها بها، ذهب إيمانها بتلك الأرباب، ووجب عليها أن تبحث عن قوة إلهية تملك القدرة التي عجزت عنها معبوداتها.

وفي القرآن غير القصص التي تدعو إلى العبرة بمصير الكافرين أنباء تروى عن الأنبياء الذين أرسلوا إلى الأمم الغابرة فكذبتمهم وتنكّرت لهم، ثم ظهرت دعوتهم، وحافت النّقمة بمن كذبوا وأنكروهم، وبقيت قدرتهم ليتّفع بها من يعمل عملهم،

(١،٢) فن المقال الصحفى في أدب العقاد، القاهرة، هيئة الكتاب ص ٢٦٢.

ويقفوا أثراً لهم، ويلاقى من قومه مثل ما كانوا يلقونه من أقوامهم.. "وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما ثبتت به فؤادك" كما جاء في سورة هود .. وهذه على الجملة حكمة القصص، والتى جاءت في الكتاب عن جهاد الرسل وعاقبة الصبر على الدعوة، تثبّتها للأفئدة وتبشّرها للدعاة والمصلحين بعاقبة الصبر على الجهاد.

والقصة الخبرية، لا تخرج في دلائلها الحديثة، عن محاولة قصّ النبأ بالحق، ومن هنا كان الفرق كبيراً بينها وبين القصة الأدبية الخالصة، فالقصة الأدبية ليست مقيدة بقصّ الحقيقة، لأنّ مجال الخيال أمامها طلق فسيح، والوصف فيها أدبي من حيث الحياة والأشخاص ومجال الأحداث، وصراع الأشخاص النفسي، ولذلك كانت القصة الأدبية حديثة النشأة، تختلط فيها الحقائق الإنسانية بالأمور الخيالية فتبعد كثيراً عن حقيقة الواقع، لما يتميز به الأدب من ذاتية يستبعدها التحرير الصحفى الموضوعى من خصائصه.

وليس القصة الأدبية الحديثة تقريراً عن التجربة، كما نجد في القصة الصحفية، ولكن الأدبية تصوّر حتى التجربة، يوحى بمعانٍ تعتمد على خيال الكاتب وتتراءى من خلال موقفه الخاص فضلاً عن الموضوعية التي تتميز بها القصة الصحفية، فإن هناك اختلافاً في البناء الفنى بين النوعين القصصيين، فالنوع الأدبي يقوم على التسلسل من البداية حتى الوسط والذروة ، في النهاية، أو كما يذهب أ.م فورستر في كتابه عن "القصة" فإنها تقوم على السرد المجرد لعصر أساسى وبدائى، وهو يسميه الإغراء الواقع تحت باب "ثم". وهو يقدم سواه على أنه الجوهر الوحيد بينها، لأنّه سيبقى دائماً هو الجوهر في رواية القصص والخيط الذي يربط بين مراحل السرد. فقد تحاشت شهرزاد بلوغ المصير الذي بلغته الفتىيات لأنّها عرفت كيف تحسن استعمال هذا السلاح. سلاح التشويق الذي هو كما يشير إليه "فورستر" مرة أخرى، الأداة الأدبية الوحيدة التي لها أثرها في الطغاة والمتوحشين.. فهي لم تعيش إلا لأنّها عرفت كيف تجعل الملك شهريار حائراً بالاستمرار فيما سيحدث بعد ذلك..

وكانت تتوقف كلما يدركها الصباح، في منتصف جملة ما وتتركه فاغراً فاه. فتسكت شهرزاد عن الكلام المباح.

وإذا كانت الصحافة يجب أن تفيد من هذا العنصر، فإن عليها أن تطوعه لطبيعتها وخصائصها وأسلوبها المتميز، ونعني به أسلوب الهرم المقلوب، حيث تبدأ

القصة الخبرية بالذروة في بداية المهرم، على النقيض مما تفعل القصة الأدبية التي ترجى الذروة إلى أن يدرك شهزاد الصباح.

فالقصة الصحفية تنشر الفكرة الأساسية أولاً، ثم جسم الخبر أو التفاصيل بعد ذلك، بمعنى أنها تورد أحدث تطورات الخبر في المقدمة أو الصدر، ثم تتبعه بسرد بسيط يلتزم فيه المحرر جانب التتابع الزمني بعد ذلك، والصحيفة حين تستعمل كلمة "القصة" كلفظ عام يشمل المواد الخبرية، فإنما تستخدمها بمعنى مختلف عن المعنى الأدبي للقصة، حيث تلتزم الصحيفة بالواقع الحية التي تحدث بالفعل، فهي تحكى عن المجتمع متتبعة "أثر" كل "عمل" أو "حركة" تتميز بها الأحداث، وهي تقص "سيرة" الأشخاص والشهداء وبيانات أخرى تفصيلية من الواقع اليومي المعاش. فهي إذن تجد مثلها الأعلى في الدلالة القرآنية لقصص "النبا" بالحق، وتتبع الخبر والأثار تسوقها للعبرة والموعظة، والمقدرة، على تثبيت العزيمة، وللتعليم والهداية، أو هكذا تتصور رسالة القصة الصحفية فيما ينبغي أن تكون.

والقصة الخبرية على هذا النحو هي التي تروى "الأنباء" المتعلقة "بعمل" أو "حركة" إلا أن طبيعتها تشتمل في الغالب على الواقع والأحداث ووصف الأشخاص، وشهادة الشهداء والمذكريات وما إلى ذلك، مما يتتصف بالحركة والحيوية في واقع الحياة اليومية.

وفي بناء هذا النمط الخبرى لا ينبغى على المحرر أن يصوغها على أساس من النمطين السابقين، فيكتفى بكتابة المقدمة أو صدر الخبر، ثم ينتقل إلى سرد الموضوع بترتيب الحوادث دون اعتبار للمعلومات الهامة التي قد تتضمنها القصة أو تفسير تلك الحوادث وتصويرها، ولكن حرصا على ألا تفقد القصة أهميتها - يجب أن يحرص على أن يكون هناك رباط وثيق بين وحداتها المختلفة؛ حتى وإن كان على حساب تطوير الحوادث في بعض الأحيان.

وهذا ينهض سؤال هام هو: **كيف يستطيع المحرر أن يصوغ قصته متناسقة قوية الأسلوب ويبقى في الوقت ذاته على الحقائق بارزة في ذهن القارئ؟**

والجواب: أنه يمكن بلوغ هذا الهدف بسرد ملخص كامل للقصة في المقدمة، أي يضع المحرر فيها كل النقاط الهامة، ثم يتبع ذلك بملخص أوسع، وفي النهاية يعرض،

التفاصيل. وكل جزء من هذا التصميم الثلاثي يمكن تشبيهه بمثلث يضيق من أسفل تدريجياً، ولكن في نطاق الأسلوب الهرمي الذي يتميز به تحرير الأخبار:

الفقرة الأولى: مقدمة تمثل ملخصاً كاملاً للقصة.

الفقرة الثانية: تفاصيل جديدة.

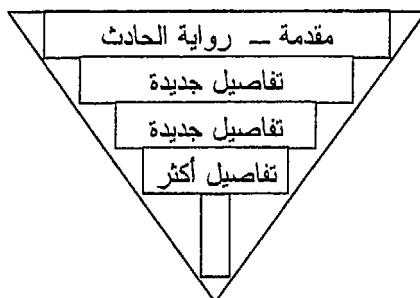
الفقرة الثالثة: تفاصيل أكثر.

وهكذا تمضي الفقرات موضحة التفاصيل الجديدة الواحدة تلو الأخرى.

المقدمة ١ - رواية الحادث.

"فوجئ العالم أمس بنباً اغتيال الملك فيصل بن عبد العزيز على يد ابن أخيه الأمير فيصل بن مساعد الذي وصفه البيان الرسمي السعودي بأنه "مختل العقل والشعور".

ومن الواضح أن هذه المقدمة على الرغم من إيجازها الشديد، قد وضحت ماذا حدث؟ ومن الذي اغتيل؟ ومن الذي اغتاله؟ وما هي صفتة؟. وفي الإمكان بطبيعة الحال أن تتسع المقدمة لتشمل بيانات أكثر من ذلك.



ولكن - كما يقول الأستاذ الحمامصي. ليس من المصلحة أن نزيد فيما تتضمنه المقدمة من معلومات، مادامت قد اشتملت على الأهم، ذلك لأن رواية الواقع الأخرى بعد ذلك قد تتطلب التوقف عن المضي في السرد المسلسل، لأن ما جاء في المقدمة نفسها يحتاج إلى مزيد من التفصيات.

والصعوبة التي يواجهها المحرر بعد كتابة المقدمة هي كيف ينتقل منها إلى الفقرة الثانية إلى الثالثة وهذا، ولكن يتعجب على هذه الصعوبة فإن عليه أن يجعل الفقرة الثانية مخصصة لتفاصيل جديدة تلى المقدمة في الأهمية . فمثلاً السؤال الذي يتบรร إلى الذهن بعد قراءة المقدمة هو:

”كيف تم اغتيال الملك؟ ولماذا سمح للقاتل ”المختل الشعور“ باقتحام مجلس الملك“؟ وهنا يجب أن نحدد ما نكتبه في الفقرة الثانية:

٢ - تفاصيل جديدة.

”وقد جرى حادث الاغتيال أثناء وجود الملك فيصل في مجلسه الذي تعود أن يحضره صباح كل يوم ويستقبل فيه أفراد أسرته في قصره بالرياض.

وكان الأمير القاتل أحد الذين حضروا هذا المجلس أمس وقد تقدم إلى الملك الذي كان يتصدر قاعة المجلس فتظاهر بالسلام عليه. ولكن ما أن اقترب منه حتى أخرج مسدساً أطلق منه الرصاص على الملك عدة طلقات، وقد نقل الملك على الفور إلى مستشفى الرياض في محاولة مستعجلة، لإنقاذه إلا أنه لفظ أنفاسه هناك.“.

وهنا نجد أن هناك إعادة لرواية بعض ما جاء في المقدمة. ولكن في شيء من التفصيل، وخاصة في الإجابة عن المسؤولين الخاسرين بكيفية الاغتيال ودخول القاتل إلى مجلس الملك، وكان من المفروض أن تأتى على سرد أسباب ارتكاب هذه الجريمة، ولكن صحفة (الأهرام) التي نشرت هذا الحادث في صفحتها الأولى تذكر في الفقرة الثالثة:

٣ - تفاصيل أكثر

”ورغم أن الحادث كما ذكر أول بيان سعودي قد وقع في الصباح فإن راديو الرياض الذي كان المصدر الوحيد للخبر الذي صدم الأمة العربية ومختلف العواصم لم يشر إليه إلا في الساعة الثانية عشر ظهرا..“.

ولم يشر البيان الأول إلى موت الملك ولكنه أشار فقط إلى حادث الاغتيال ونقل الملك إلى المستشفى للعلاج؛ وأوضح أن البيان قد أكد على عدة نقاط ارادة إبرازها هي:

- أن الحادث وقع أثناء وجود الملك فيصل في مجلسه أى بحضور كل الذين تعودوا أن يحضروا هذا المجلس.

- أن مرتكب الحادث مختل الشعور.

- أنه قام بما قام به منفردا.

- أنه ”ليس لأحد علاقة بما أقدم عليه.“.

ونلاحظ هنا أن الصحيفة قد أعادت رواية بعض ما جاء ذكره في المقدمة، ولكن مع شيء من التوثيق والتفصيل، وخاصة حول علامات الاستفهام التي تدور في الأذهان عند قراءة مقدمة وعنوان القصة الصحفية.

وبنفس الطريقة التي ينبغي فيها تحديد الواقع التي وردت في المقدمة فإن على المحرر أن يختار منها الواقعية التي تلى ما سبق في الأهمية ويزيدها تفصيلاً لتتضمنها الفقرة التالية وهكذا، إلى نهاية القصة الخبرية.

وهكذا نلاحظ أننا لا نمضى في تسجيل الواقع كما حدث، بل نقدم ونؤخر ما نشاء لنجعل القارئ على بينة من الظروف التي أحاطت بهذا الحادث، ونحن بهذه الطريقة - كما يقول الاستاذ الحمامصي - لا نسبب له ارتباكاً، أو ننقله من واد إلى واد آخر، لأن كافة البيانات الهامة قد سجلت في المقدمة، وهو بعد أن يقرأ قصة يرى في تكوين هيكلها أن توافر البيانات التي تجعله يعيش في الجو الكامل للحادث وما أحاط به من ملابسات قد يرجع تاريخ بعضها إلى أسابيع وإلى شهور مضت. ومع المضى بعد ذلك في سرد ما تجمع لدى المحرر من بيانات تكمل القصة على أساس مراعاة الدقة في جمع المعلومات.

فالمندوب - المحرر حين يستقي الأنباء المتعلقة بعمل أو حركة مثل الحوادث المفاجئة - الصدام - الحريق.. الخ.. يعرف أن مهمته هي جمع الحقائق واضحة بارزة، حقائق واضحة ملموسة. وعندما يذهب إلى مكان الحادث يلقى ضجيجاً واحتلاطاً وهستيريا وشاعرات، ولكنه يتخطى تلك العقبات كما يقول وارين، إذ أن عليه أن يحتفظ بتوازن تفكيره وأن يسأل كثيراً وينهى المبالغات والتحسينات جانبها، وأن يميز بين الحقيقة والكذب، ويجب أن يصل إلى الأشخاص الذين يستطيعون ذكر الحقيقة وأن ينقل أخباره إلى الصحيفة دون إبطاء، حتى يكون قد "قص الأنباء بالحق".

٣ - النمط الاقتباسي في تحرير الخبر:

وطبيعة هذا النمط الاقتباسي في تحرير الخبر أو الموضوع الصحفى، تقوم على الخطب والبيانات والرسائل وإلى حد ما الأحاديث الخاصة والصحفية، والتي تعتمد جميعها على تسجيل المعلومات التي تذاع مكتوبة أو شفوية ويدونها المندوب في

ملحوظات صغيرة. وهذه الأنباء جمِيعاً يمكن وصفها بأنها تعتمد اعتماداً كلياً على أقوال مقتبسة^(١). والاقتباس هنا ينصب على ما تضمنته البيانات أو الخطاب أو التصريحات، أو ما يرد في الأحاديث الصحفية.

وقد يبرز هذا النمط الاقتباسي في تحرير الخبر قبل اختراع الراديو، لأن الصحف كانت وحدها هي الأداة التي تنقل إلى الناس الخطاب العامة، وحتى الراديو كما يذهب إلى ذلك وارين. لم يستطع أن يقلل من اعتماد الجمهور على الصحف في هذه الناحية، لأن الصحف تلخص الخطاب وتركته، فيقبل القارئ عليه.

وتعامل جميع الخطاب على هذا النحو؛ سواء أكانت رسمية، ألقيت في مناسبات خاصة أم ملاحظات مرتجلة قيلت في اجتماع عادي.

وهناك ثلاثة عناصر لابد من مراعاتها عند تحرير النمط الاقتباسي:

- ١ - المتكلم.
- ٢ - السامعون.
- ٣ - الخطبة أو البيان.

وهناك اعتبار رابع هو ما قد يحتاج إليه أي من العناصر الثلاثة من تفسير أو شرح. أما نسبة كل من هذه العناصر الثلاثة في الخبر الاقتباسي، فإنها تتوقف على الأهمية النسبية لكل منها، ولكن لا تكمل الخطبة أو البيان ما لم يتوافر لها العناصر الثلاثة جميعاً.

والأغلب أن تكون الخطبة أو البيان أهم هذه العناصر الثلاثة، فطبعي أن يكون السؤال الأول الذي يعرض للمحرر عند الاستفسار عن اجتماع ما؛ هو:

"ماذا قال المتكلم؟ فإذا كان لكلامه أهمية، استحق النشر، ولم يكتف بايقاد خبر موجز عن عقد الاجتماع. وكثيراً ما يكون خبر الاجتماع ذريعة. كما يقول جونسون وهاريس. أو سبيلاً لنشر الخطبة أو البيان.

(١) الحمامصي: المراجع السابق ص ١٠٥.

والخطب العامة والمحاضرات والأحاديث والعظات والبيانات التي تداعى، بالراديو تعتبر مادة للصحافة لا تناسب ويعتمد عليها المحررون كثيراً. وقد أصبحت الخطب والمناظرات تلعب دوراً هاماً في حياة الناس، ويستطيع الصحفي أن يجد فيها مادة لصحيفته، ولابد للصحيفة أن تختار أحسنها مثبتة بذلك نظرية داروين التي تقول إن البقاء للأصلح^(١).

وتتطلب هذه المهمة من المذوب مقدرة على تدوين النقاط واللاحظات وجمع الحقائق الأخرى، فإن لم تكن لديه نسخة من الخطاب أو البيان تلقاها مسبقاً وجب عليه أن يدون البيانات العامة ونقط التحول في الموضوع وأن يلخص الحجج التي يسوقها المتكلم، مقتبساً أقواله حرفيًا في بعض الأحيان. يعتمد المذوبون الأذكياء على حديث خاص مع المتكلم بعد انتهاء حديثه، وقد يطلب منه معلومات أو احصائيات لمساعدة القراء على تكوين فكرة أوضح عن الموضوع.

وعند ترتيب المواد المتعلقة بخطاب أو بيان أو حديث الخ، يتعين على المذوب أن يبحث عن موضوع الحديث وعن أقسامه المنطقية وعن الأقوال المثيرة أو الغريبة الواردة فيه، لأن الحديث قد يشتمل على عنصر هام واحد أو أكثر من عنصر شأنه في ذلك شأن بقية أنماط التحرير الصحفي.. والأحاديث الجيدة تدور عادة - كما يقول جونسون وهاريس - حول موضوع رئيسي ويشتمل على الحجج التي تؤيد هذا الموضوع، غير أنه ليس من عمل المذوب أن ينقل الخطاب أو الحديث كله، فمسئوليته أمام القراء تقتصر على كتابة خبر صحيح دقيق ذي أهمية خيرية. وقد يبرز المحرر في صدر الخبر ما يراه باعثاً على اهتمام القراء، وقد لا ينقل منه إلا الأجزاء التي يرى أنها تستحق النشر على أن هناك اعتبارات كثيرة تحدد أهمية أي خطاب أو حديث هام: أولها: **شخصية المتحدث**، فكل كلمة يقولها رئيس الجمهورية تعتبر خبراً، بينما يصبح صبي المدرسة بأعلى صوته طوال النهار، وصياغه لا يهم الناس في قليل أو كثير، فإذا قال الصبي: "يجب إبادة الذباب من الشوارع جميعاً" فلن يهتم أحد بهذا القول، أما إذا قال هذا الكلام وزير الصحة مثلاً فإن الصحف تنشر هذا التصريح - وحين يقول رئيس الجمهورية: "ليس أمامنا سوى التضامن والعمل الجماعي" فإن هذا القول يجب أن يتتصدر الصفحة الأولى.

(١) كارل وارين: المرجع السابق ص. ١٠٠.

هذا هو الاعتبار الأول.. أما الاعتبار الثاني فيتعلق بمدى اختصاص المتحدث في الموضوع فحديث الشيخ الشعراوى عن الإسلام، وعالم الفلك عن الكواكب أو الشهب، وعضو البرلمان عن السياسة، ومعنى الأورا عن الصوت، ورجل الأعمال عن المنافسة التجارية.. كل ذلك يكون مادة للقراءة.

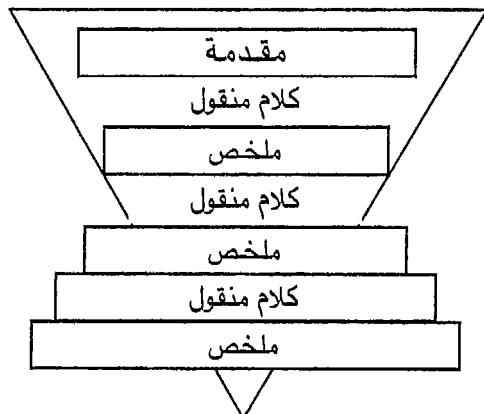
والاعتبار الثالث هو عامل التوقيت، فإذا أصاب البلاد وباء الانفلونزا فإن بياناً لوزير الصحة عن طريق الوقاية والاحتياطات التي اتخذتها الدولة قد ينشر في الصفحات الأولى، أما إذا تحدث في نفس الوقت عن الطاعون البقري فينشر حديثه في سطور قليلة في ذيل إحدى الصفحات الداخلية.

والاعتبار الرابع هو الأثر الذي يتركه الحديث، فإذا وقف زعيم حزب اليمين يهاجم أو يسخر من زعيم حزب اليسار، وأثار هذا التصريح موجة من المناوشات كان لدينا موضوع هام، ولكن يجب على المتذوب أن يتلوخى الدقة والحذر في مثل هذه المناسبات حتى لا يخرج بالموضوع عن غرضه الحقيقي. وأآخر هذه الاعتبارات أن يطمئن المتذوب أن الخطاب أو البيان الذي ينقله جديداً إذا لاحظ كما يقول وارين - أن بعض رجال السياسة خاصة يرددون خطاباً قالوها من قبل في أماكن أخرى.

و قبل أن نبدأ في كتابة موضوع للصحيفة عن بيان أو حديث أو خطاب؛ نذكر ما سبق من قبل عن ربط عribات القطار، إذ ينطبق المثل على هذه الناحية. وأحسن الوسائل - وأقربها إلى قلوب القراء - هي ألا نقدم هذه التصريحات كما يوزعها أصحابها، بل وفقاً للشكل الهرمي، فكثيراً ما نقرأ في الصحف:

"أذاعت وزارة التموين البيان التالي، وفيما يلى نص البيان، ثم تنشر الصحف البيان بعد ذلك كله كما وزعته الوزارة بلا تدخل من جانبها؛ يهدف إلى "إراحة القارئ" عن طريق غربلة ما جاء في هذا البيان، وتقديم الفقرات الهامة على الأقل أهمية معدمة بما جاء في بيان الوزارة من أقوال مقتبسة.. إن القارئ في الحالة الأولى يحس في ذلك إهاماً من الجريدة وعدم تقدير له. فالذى لا شك فيه أن المحرر فى مثل هذه الحالة لم يفكر فى أن يقرأ البيان إلا لكي يشتق منه سطراً أو أكثر للعنوان، أو ربما قراء.. ولكن لم يفكر فى تقديمها للقارئ بالصورة التى تيسّر له طوعية القراءة وتجعله يضع عينيه مباشرة على ما يهمه فى هذا البيان.

والنمط الاقتباسى هو أصلح الأنماط التحريرية للخبر القائم على الحديث المنقول: تصريحاً أو خطبة، أو بياناً، ويقوم هذا النمط على شكل مستطيلات كثيرة وصغيرة، ويمكن تبويتها في: "ملخص - وكلام منقول - وملخص - وكلام منقول .. وهكذا" أي عبارات منقولة رأساً عن المتحدث تربطها فقرات تفسيرية.



ومن أمثلة ذلك ما نشرته صحيفة "الأهرام" (١).

المقدمة - ملخص:

أعلن الرئيس السادات أن نتائج مؤتمر القمة السادسى فى الرياض والتى جاءت عميقه ومدروسة وعلى مستوى المرحلة سوف تتعكس على القضايا العربية الرئيسية وسوف تنقل القضية العربية بالتأكيد إلى مرحلة جديدة.

وقد أدى الرئيس السادات بهذه التصريحات قبل أن يغادر الرياض فى طريق عودته إلى أرض الوطن، حيث وصل إلى القاهرة بعد ظهر أمس يرافقه أعضاء الوفد المصرى. وكان فى استقباله لدى وصوله إلى مطار القاهرة السيد حسنى مبارك نائب الجمهورية وكبار رجال الدولة والمسئولين.

(١) ٢٠ أكتوبر ١٩٧٦.

عبارة منقوله.

وقال الرئيس فى تصريحاته التى أدلى بها لوكالة الأنباء السعودية: "إن ما حدث فى اليومين الماضيين خلال اجتماع الزعماء العرب كفيل بالرد على كل من تصور أن الخلافات بين الأشقاء العرب قد عصفت بالاجماع العربى، وماحدث فى الأيام القليلة الماضية هنا فى الرياض، أمر لا بد أن يلتفت له كل من حاول أن يرسم للعرب صورة غير صحيحة. وأظن أن الذى حدث فى اليومين الماضيين على المستوى العربى والمستوى العالمى كفيل بالرد على كل من تصور أن التضامن العربى قد انتهى".

ملخص.

وأكيد الرئيس فى تصريحاته أن ما أسف عنه مؤتمر الرياض لن يظهر أثره فقط على الأمة العربية أمام العالم الخارجى، بل سينعكس أيضا على قضيابنا الأساسية فى العالم وهى قضية النزاع العربى الإسرائيلي.

عبارة منقوله:

وأضاف الرئيس أن "بقية القضايا الأخرى الخاصة بنا، وهى وجود بعض الخلافات بين بعض الأخوة والأشقاء، لابد أن تنتهي، كما انتهت فى الرياض فى اليومين الماضيين خلافات كثيرة. واتفقنا على بناء كبير وأسس كبيرة، ستعود بغير شك على لبنان وشعبه وعلى الفلسطينيين بالخير. بمعنى أننا سنخرج من هذه المحنة الأليمية التى تعرض لها اللبنانيون والفلسطينيون خلال السبعة عشر شهرا الماضية وكان المفروض أن تخرج هذه القرارت فى هذا الوقت بالذات لكي يعرف العالم من هم العرب..".

ملخص.

وأكيد الرئيس أنه كان فى قمة السعادة لأن القادة العرب فى الرياض، واجهوا العالم كله بحقيقة فهمهم للمسؤولية سواء على مستوى الأمة العربية أو على مستوى العالم الذى نعيش فيه.

عبارة منقوله.

ثم قال الرئيس: "إنه بعد حرب أكتوبر أصبح العرب القوة السادسة في العالم، ولكن البعض تصور أنه بالخلافات التي تحدث بيننا أنشأنا فقد مركتنا، ولكن قد ثبت اليوم أننا القوة السادسة وفي سبيلنا أن نتقدم لكون أقرب من ذلك كقوة خامسة. كما ثبت لهم أنه مهما حدث ومهما كان فإننا عندما نجتمع كأخوة، فكل شيء يذوب ونعود أخوة متضامنين.

ملخص.

وكان الرئيس السادس قد غادر الرياض ظهر أمس، حيث كان على رأس مودعيه الملك خالد بن عبد العزيز والأمير فهد بن عبد العزيز النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء وكبار رجال الدولة.

وهكذا يحس القارئ أن المحرر قد بذل جهداً في تحرير التصريحات، واستخلاص النقاط الأساسية التي يهمه الاطلاع عليها، ثم إبرازها وتدعمها بألفاظ وجمل مستخلصة من واقع البيان. ذلك لأن الجمهور كما يقول الاستاذ الحمامصي. كلما رأى هذا الذي ترويه الصحفة مدعماً بكلام رسمي وجمل مختارة كلما ارتاح إلى ذلك، ولأن القارئ يهمه أيضاً أن يحكم بنفسه وأن يقرأ الكلام الرسمي ويقسمه ويحلله، فالصحفى هنا يحلل البيان ويختار بياناته، ويقدمه للقارئ مجزءاً، ثم يدعمه بكلام الرسمي، فيعطي للقارئ ما يريده، وفي نفس الوقت يقدم له ما يمكنه من الاطلاع على البيانات والأقوال الرسمية ليفسرها تفسير الشخصى. ولهذا السبب فإن بعض الصحف لا تكتفى فقط بتقديم هذا الهيكل الهرمى للبيان، وإنما تورى نص البيان بعد الانتهاء من وضع البيانات الهامة في صورة الهيكل الهرمى، وعلى هذا الأساس فهناك حالتان:

الأولى: أن نقدم الهيكل الهرمى من غير نص البيان، وفي هذا الحالة يتحتم أن يكون الهيكل متكاملاً، كما رأينا في النموذج المتقدم.

والثانية: أن نقدم البيان مع الهيكل الهرمى، وعندئذ فإن تقديم الهيكل الهرمى يكون ملخصاً ومركزاً منعاً للاطالة والتكرار، كما نجد في النموذج التالي:

قرار من مؤتمر الرياض

بوقف القتال فوراً في لبنان

٩ قرارات هامة يصدرها مؤتمر القمة السادس

– قوة أمن عربية رابعة من ٣٠ ألف جندي تتولى تنفيذ القرار تحت اشراف الرئيس سركيس.

– وقف القتال تماماً اعتباراً من بعد الخميس.

– لجنة من السعودية ومصر وسوريا والكويت لتنفيذ اتفاقية القاهرة في ٩٠ يوماً.

– رفض تقسيم لبنان واجراء حوار للمصالحة الوطنية.

– جدول زمني لاعادة الحياة الطبيعية إلى لبنان.

أصدر مؤتمر القمة قراراً بوقف اطلاق النار فوراً وإنهاء القتال بصورة نهائية في لبنان. وطالب المؤتمر كافة الأطراف الالتزام بوقف القتال التزاماً كاملاً، كما قرر المؤتمر تعزيز قوات الأمن العربية ليصل عدده إلى ٣٠ ألف جندي ولتصبح قوة ردع تعمل داخل لبنان تحت إمرة الرئيس اللبناني الياس سركيس شخصياً.

وأجمع المؤتمر في بيان رسمي صدر مساء أمس – بعد اجتماع ختامي عقده الملك والرؤساء للتتوقيع على القرارات التي اتخذها رؤساء الدول الست – على رفض تقسيم لبنان تحت أي صورة والحفاظ على وحدته، وعدم التدخل في شؤونه الداخلية، كما دعا البيان إلى اجراء حوار سياسي، يهدف إلى تحقيق المصالحة الوطنية الداخلية في لبنان، وتم الاتفاق على تنفيذ اتفاقية القاهرة وملحقاتها التي أعلن رئيس منظمة التحرير الفلسطينية السيد ياسر عرفات التزامه الكامل بها.

وتقرر – تدعيمما لذلك – تأليف لجنة تضم ممثلين من مصر وسوريا والكويت وال سعودية، تتولى بالتنسيق مع الرئيس اللبناني، كل ما يتعلق بتنفيذ بنود اتفاقية القاهرة، وذلك لمدة ٩٠ يوماً تبدأ من تاريخ إعلان وقف إطلاق النار، كما جددت الدول العربية المجتمعها بمقررات مؤتمر القمة في الجزائر والرباط، بدعم المقاومة واحترام حق شعب فلسطين في الكفاح.

وكان المؤتمر قد بدأ اجتماعه الأخير في الساعة السابعة والنصف مساء أمس، للنظر في البيان والقرارات التي أعدها وزراء الخارجية العرب، وأنهى المؤتمر الذي عقد حول مائدة مستديرة بقصر الضيافة بالرياض أعماله في الساعة الحادية عشرة والنصف، وشهده الملك خالد بن عبد العزيز والوفد السعودي، والرئيس أنور السادات وأعضاء الوفد المصري، والرئيس حافظ الأسد والوفد السوري، والرئيس اللبناني الياس سركيس والوفد اللبناني، والسيد ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية وأعضاء الوفد الفلسطيني.

نص البيان الرسمي

وفيما يلى نص البيان الصادر عن مؤتمر القمة السادسى فى ختام جلسته التى عقدها مساء اليوم ، بناء على مبادرة من المملكة العربية السعودية ودولة الكويت.

اجتمع فى الرياض، فى الفترة من ١٦ إلى ١٨ أكتوبىن كل من الرئيس محمد أنور السادات رئيس جمهورية مصر العربية، والرئيس حافظ الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية، والرئيس الياس سركيس رئيس الجمهورية اللبنانية والسيد ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية، وصاحب السمو الشيخ صباح السالم الصباح أمير دولة الكويت وصاحب الجلالة الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية فى مؤتمر سادسى لبحث الأزمة فى لبنان ودراسة وسائل حلها والاتفاق على الخطوات الازمة لوقف نزيف الدم فى لبنان، واللجوء إلى الحوار بدلا من القتال، والحفاظ على أمن لبنان وسلامته واستقلاله وسيادته، وحماية المقاومة الفلسطينية، ممثلة فى منظمة التحرير الفلسطينية.

وقف إطلاق النار

وانطلاقا من موقع الالتزام بالمسؤولية القومية والتاريخية، بوجوب تعزيز الدور العربى الجماعى، بما يكفل حسم الموقف فى لبنان - والحلولة دون تفجره فى المستقبل، وانطلاقا من الحرص على تجاوز سلبيات الماضى ورواسبه، وضرورة التحرك إلى المستقبل بروح المصالحة والسلام والبناء والتعدين، و توفير الضمانات الازمة لاستقرار الحياة الطبيعية فى لبنان والحفاظ على مؤسساته السياسية والاقتصادية

وغيرها وصيانته السيادة اللبنانية واستمرار الصمود الفلسطيني، درس المؤتمر الوضع في لبنان والخطوات والإجراءات الازمة لاعادة الحياة في اطار الحفاظ على سيادته واستقلاله وتضامن الشعبين اللبناني والفلسطيني والضمان العربي الجماعي لكل ذلك. وقرر اعلان وقف اطلاق النار وإنهاء القتال بصورة نهائية والالتزام به التزاماً كاملاً من كافة الأطراف، كما قرر تعزيز قوات الأمن العربية الحالية لتصبح قوة ردع تعمل داخل لبنان تحت إمرة رئيس الجمهورية اللبنانية شخصياً.

تنفيذ اتفاقية القاهرة

وقد اجمع المؤتمر على رفض تقسيم لبنان تحت اي صورة وبأى شكل قانونياً أوواقعاً، صراحة أو ضمناً، وعلى تأكيد الالتزام بالحفاظ على وحدة لبنان الوطنية وسلامته الإقليمية وعدم المساس بوحدة أراضيه أو التدخل في شئونه الداخلية بأى صورة. ودعا المؤتمر كافة الأطراف اللبنانية لإجراء حوار سياسي يهدف إلى تحقيق المصالحة الوطنية وتبني دعائم الوحدة بين أبناء الشعب اللبناني وتم الاتفاق على تنفيذ اتفاقية القاهرة وملحقاتها التي أعلن رئيس منظمة التحرير الفلسطينية التزامه الكامل بها، وفي هذا الصدد قرر تأليف لجنة تضم ممثلين عن المملكة العربية السعودية، وجمهورية مصر العربية، والجمهورية العربية السورية ودولة الكويت، تقوم بالتنسيق مع رئيس الجمهورية اللبنانية فيما يتعلق بتنفيذ اتفاقية القاهرة، وتكون مدتتها تسعين يوماً من تاريخ إعلان وقف إطلاق النار.

الالتزام بقرارات الرباط والجزائر

وقد أكد المؤتمر التزامه بمقررات مؤتمر القمة العربية السابع في الرباط باعتماد منظمة التحرير الفلسطينية مثلاً شرعاً وحيداً لشعب فلسطين.

٤ - النمط المركب

والنمط المركب هو النمط التحريري الذي يتناول وقائع متعددة. ولقد تناولنا فيما تقدم الأخبار التي تتعلق بحدث واحد فقط، سواء كان واقعة من الواقع أو قصة صحافية تقوم على حركة أو عمل، أو خطبة أو تصريحاً أو بياناً من البيانات. على أن

مهمة المذوب أو المحرر ليست دائمًا على هذا النحو اليسير، فقد يقف أمام خبر تعدد فيه الحوادث الهامة أو الزوايا التي تتساوى في أهميتها الظاهرة .. كيف يتمنى له أن يعالج الخبر المتعدد العناصر؟

إن النمط المركب في تحرير الخبر هو الحل لهذه المعادلة الصعبة.

فهو يحتاج إلى تنسيق وقائع كثيرة، ويتضمن وحدات كثيرة كلها أخبار جديدة ووقائع كثيرة، وقد يتناول بعضها المستقبل، يضرب كارل وارين، مثلاً على ذلك:

- مات أربعة سكان: إحدى المدن الكبرى بالأنفلونزا في أربع وعشرين ساعة وقد فهم المحرر المسؤول أن هذا المرض منتشر، فيكلف أحد المذويين بمقابلة وزير الصحة، ويعلم المحرر المسؤول أن هناك خمسين إصابة بالأنفلونزا وفي ذات الوقت يتقرر إغلاق مدرسة وعزل فندق ويجتمع المسؤولون في وزارة الصحة لبحث التدابير الوقائية.

- وفي يوم آخر تتشتعل ستة حرائق في حي من أحياء هذه المدينة نشبت أربعة منها بسبب حرق بالية مبللة بالكيروسين، ويعلم المذوب الصحفي أن البوليس قد عثر على قنابل حارقة يشتبه في أمرها، وبينما كانت وابورات الإطفاء في طريقها إلى أماكن الحريق انقلبت إحداها وأصيب سائقها وبعض من فيها.

وكل واحدة من هذه الحقائق - على الرغم من أنها تصل إلى مكتب المحرر المسؤول بطرق مختلفة ومن مصادر مختلفة - تعتبر جزءاً من موضوع واحد، ونشر كل منها على حدة ينتج عنه تكرار لا مبرر له وضياع لوقت القارئ، وشغل حيز أكثر من الورق، وقضاء على الموضوع فاهتمام القارئ لا ينصب على الحوادث في ذاتها، بل على الربط بينها. وكثير من الصحف تضع عناوين ثابتة للأخبار المركبة التي تحدث بين وقت وأخر، فجميع حوادث السيارات تحت عنوان السرعة، والأخبار السياسية تحت عنوان السياسة، وأخبار البوليس تحت عنوان الجريمة، وأخبار التعليم تحت عنوان المدارس، وهكذا.

وإليك مثل عن خبر مركب⁽¹⁾:

تعرضت مدينة، والمناطق المحيطة بها لأمطار غزيرة لا تنتقطع منذ يومين، وقد بلغ اشده ليلة أمس، وفاضت مياه النيل وكلف أحد المذويين بكتابة خبر تحت عنوان الفيضان.

(1) نفس المرجع ص ١٢٨.

وعندما زار هذا المندوب منطقة الرياح وجد أن عشرات البيوت قد غرفت وأن مائة وخمسين شخصاً قد خرجن من بيوتهم إلى العراء، وعلم أن رجلاً فقيراً كان ينام على حافة النهر قد غرق وهو يسبح طلباً للنجاة وأن سيارة تقل بعض السياح قد أشرفوا على الموت ولكنهم أنقذوا في آخر لحظة.

ووجد المندوب أن خمسة وسبعين شخصاً من اللاجئين يقيمون الآن في المساجد ومراكز الشرطة وأن الهلال الأحمر يتولى العناية بهم، وعلم أيضاً أن البوليس أقام دوريات تطوف أثناء الليل بالأحياء الغارقة وأن جثة الغريق قد وجدت وعرف صاحبها.

وتلقى أحد المراجعين بالصحيفة بالטלيفون أن رجال الأعمال بدأوا حملة الاكتتاب بعشرة آلاف دولار لمساعدة الضحايا، ويتلقي مراجع آخر من مصلحة الأرصاد أن الطقس غداً سوف يكون صحياً وأن الأمطار سوف تتوقف، بينما تصل أنباء من المدن الواقعة عند أعلى النهر تقول إن المياه آخذة في الارتفاع وأن ذروة الفيضان سوف تصل تلك المدينة ظهر غد.

وعندما يصل المندوب إلى مكتبه يتلقى المعلومات التي جمعها الآخرون ويجد رسائل تلقها الصحيفة من مدن أخرى وقصاصات مما نشر في الصحف المسائية. وعليه بعد ذلك أن يعرف المساحة المخصصة للموضوع ليبدأ في صياغة قصة شاملة مركبة.

وكتابة الخبر المركب، لا تختلف عن كتابة الأنماط التحريرية الأخرى من حيث عنايتها بالقديمة والهيكل الخبرى، ولكن كيف يتمنى للمحرر أن يكتب المقدمة من مجموعة مختلفة من الزوايا؟

هناك ثلاثة أنواع لخدمات هذا النوع من الأخبار:

أولاً: تركيز جميع النقاط الهامة في فقرة واحدة شاملة.

ثانياً: اختيار أهم نقطة للبداية بها.

ثالثاً: الربط بين الطريقتين الأولى والثانية، ونخالص منهما إلى مقدمة متكاملة.

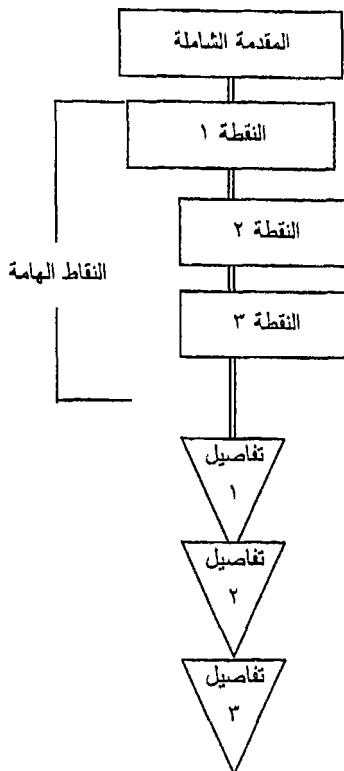
والنقدمة الشاملة: هي أكثر الالامات شيوعاً، تستعمل عادة عندما تتساوى الأهمية بين جميع النقاط، كما يذهب إلى ذلك "وارين" مثلاً:

"قتل شخصان وأصيب أربعة بجراح في سلسلة من حوادث المرور وقعت أمس عندما خرجت آلاف السيارات إلى الحادائق تقل الناس الذين جذبهم شمس الشتاء الدافئه".

وهكذا نلاحظ أن المقدمة قد اتسعت، ولم تركز على حادث واحد، بل إنها ربطت بين الحوادث جميعاً، وتركزت حول الزاوية العامة؛ وهي حوادث المرور، وأوضحت النتائج الإجمالية؛ ثم تركت التفاصيل لهيكل الموضوع الصحفى نفسه.. أما عن هيكل الخبر الصحفى فيجب - كما يقول الأستاذ الحمامصى - أن يراعى فى كتابته الانتقال من المقدمة إلى إبراز النقاط الهاامة التى جاءت فى المقدمة نقطة نقطة، ثم يعود إلى إبراز التفصيل الكامل لكل نقطة من هذه النقاط.

وهنالك بعض المصاعب التى يواجهها المحرر المبتدئ تحرير الخبر المركب على هذا النحو: فى هيكل الخبر تبسيط فى شرح النقاط التى وردت فى المقدمة، وقد يعمد المبتدئ بعد أن يهتدى إلى العناصر التى لها جاذبية فى المقدمة، إلى التخلى عن بعض تلك العناصر تماماً فلا يشير إليها بعد ذلك فى هيكل الخبر أو لعله لا يعود إلى الإشارة إليها إلا فى موضع من الرواية سقيق. ويحذر "جونسون وهاريس" من ذلك لأنه يخل بالغرض المقصود من الهيكل الخبرى، وهو الإسهام فى شرح عناصر المقدمة، كما أنه يخل بمبأأ الترتيب المنطقي.

وإذا كانت لعنصر ما قدرة على استئمالة القراء سوافت تقديميه فى المقدمة وابرازه فى صدر الخبر، فلا ريب فى أن ذلك العنصر يستحق أن يكون له موضع فى هيكل الخبر، وأن يكون الموضع ظاهراً "فلا يدفن تحت أطباق من الواقع التى تقل عن هذا العنصر شأنًا وأهمية".



ويقول جونسون وهاريس كذلك: إن جسم الخبر أو هيكله مجال لإضافة عناصر ثانوية ولتوسيع في إيرادها، وهي عناصر لم ترد مجملة في المقدمة. ولتحقيق هذا الغرض يتسع على المذوب أن يكون قادرًا على التفرقة بين تفاصيل العناصر التي ترد في المقدمة من ناحية، والعناصر الثانوية الأخرى من ناحية أخرى. وحتى تتضح هذه التفرقة بجلاء، نجد أن القاعدة الثابتة في هذا الشأن فحواها: أنه إذا كانت العناصر الهامة تلخص في المقدمة قبل الاستطراد في ذكر تفصيلاتها، فإن جميع العناصر الثانوية ينبغي تلخيصها عند تقديمها إلى القراء قبل الاستطراد في عرض تفاصيلها. بعبارة أخرى، إن المقدمة ليست الموضع الوحيد الذي تلخص فيه عناصر الخبر، وأنه وجب تلخيص تلك العناصر في موضعها المنطقي من هيكل الخبر قبل الاستطراد إلى ذكر التفاصيل.

أما المقدمة الثانية: فهي التي تقوم على اختيار أهم نقطة أو عنصر للبدء بها، وهذا يمكن إيراد العناصر الثانوية الأخرى ملخصة في الفقرة الثانية، حيث لا يقتصر

الأمر في هذا النوع على جملة استهلاكية واحدة، أو اعتبارها "كتلة استهلاكية" على تعبير "جونسون.. وهاريس" .. ومتى أورد الخبر الفقرة المشتملة على تلخيص للعناصر الثانوية، عاد إلى العنصر الهام البارز فساق جميع التفاصيل المتعلقة به. ويراعى الترتيب المنطقي عند تناول كل من العناصر الثانوية والعنصر الهام البارز والمثال التالي يوضح هذا المنهج^(١).

أكد الملوك والرؤساء العرب في البيان الذي صدر أمس في ختام أعمال المؤتمر الاستثنائي للقمة العربية، التزامهم بالعمل على توفير الضمانات اللازمة لثبت وقف إطلاق النار في لبنان والحفاظ على المقاومة الفلسطينية. كما أعلن الملوك والرؤساء رفضهم تقسيم لبنان تحت أي صورة وأكدوا الالتزام بعدم التدخل في شئونه الداخلية.

وقد جاء بيان الملوك والرؤساء العرب متضمناً قرارات محددة في ثلاثة من القضايا العربية المصيرية وصفها الرئيس السادات في خطابه في ختام المؤتمر بأنها تشكل خطوة هامة ورئيسية على طريق التحرير واستعادة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني. والقضايا الثلاث التي تناولتها القرارات بالعلاج هي القضية اللبنانية، قضية التضامن العربي، وقضية حماية المقاومة الفلسطينية.

أولاً : القضية اللبنانية:

١ - الترحيب بأعمال مؤتمر القمة السادس في تفاصيل العنصر الهام البارز
الرياض، والمصادقة على قراراته.

١

٢ - التزام الملوك والرؤساء العرب بالعمل على توفير الضمانات اللازمة لثبت وقف إطلاق النار واستعادة الحياة الطبيعية.. كما أكدوا على تعزيز قوات الأمن العربية ودعمها لتصبح قوة ردع تعمل تحت إمرة رئيس الجمهورية اللبنانية شخصياً.

٣ - رفض تقسيم لبنان، تحت أي صورة وبأي شكل، قانوناً أو صراحة، أو ضمناً، وتأكيد الالتزام بالحفاظ على وحدة لبنان وعدم التدخل في شئونه الداخلية.

٤ - درس الملوك والرؤساء الوضع في الجنوب اللبناني وأعربوا عن قلقهم البالغ إزاء الاعتداءات الإسرائيلية.

(١) جريدة الأهرام في ٢٧/١٠/١٩٧٧.

- ٥ - التأكيد على تنفيذ اتفاقية القاهرة التي تنظم العلاقة بين المقاومة الفلسطينية والسلطة اللبنانية، والتي أعلن رئيس منظمة التحرير الفلسطينية التزامه الكامل بها.
- ٦ - تشكيل لجنة تضم ممثلين عن المملكة السعودية وجمهورية مصر العربية والجمهورية العربية السورية، ودولة الكويت تقوم بالتنسيق مع رئيس الجمهورية اللبنانية فيما يتعلق بتنفيذ اتفاقية القاهرة وتكون مدتها ٩٠ يوماً من تاريخ إعلان وقف إطلاق النار.
- ٧ - مساهمة الدول العربية في إعادة تعمير لبنان وإزالة آثار النزاع المسلح والأضرار التي حلت بالشعبين اللبناني والفلسطيني.
- ٨ - إقرار إنشاء صندوق خاص للإنفاق على قوات الأمن العربية الرادعة على أن تساهم كل دولة من الدول العربية فيه حسب طاقتها.

ويشرف رئيس الجمهورية اللبنانية على الصندوق، ويوضع - بالتشاور مع الأمانة العامة لجامعة الدول العربية والدول المساهمة بنسبة ١٠٪ على الأقل، نظاماً عاماً للصندوق يوضح طريقة الإنفاق منه وتصفيةه عند انتهاء مدة، ويعمل بالنظام الحالى لقوات الأمن العربية إلى أن يتم وضع نظام جديد لها.

وقد تقرر تحديد مدة الصندوق بفترة ستة شهور قابلة للتجديد بقرار من رئيس مجلس الجامعة الذى ينعقد بطلب من رئيس الجمهورية اللبنانية.

(علم مندوب الأهرام أن نفقات قوات الأمن تبلغ ١٥ مليون دولار شهرياً وقد أعلنت السعودية إسهامها بـ ٢٠٪ من النفقات والكويت بـ ٢٠٪ والإمارات بـ ١٥٪ وقطر بـ ١٠٪. وعلم المندوب أن مصر أعلنت مساهمتها بـ ١٠ مليون دولار كما أعلنت موريتانيا مساهمتها بمبلغ ٢٥ ألف دولار).

ثانياً: القضية الفلسطينية:

تفاصيل العنصر الأول من العناصر الأخرى
--

١ - أكد الملوك والرؤساء العرب الالتزام بمقررات مؤتمر الرباط باعتماد منظمة التحرير الفلسطينية ممثلاً شرعياً وحيداً لشعب فلسطين.

٢ - مطالبة دول العالم وشعوبه بإدانة العدوان الإسرائيلي

المستمر في الأرض المحتلة، وأعمال الإرهاب والتشريد ومصادرة الأراضي وانتهاك حرمة المقدسات الدينية وخاصة الحرم الإبراهيمي.

ثالثاً: التضامن العربي:

تفاصيل العنصر الثاني
من العناصر الأخرى

١ - دعم التضامن العربي بوصفه قاعدة أساسية

لنجاح العمل العربي المشترك.



٢ - الالتزام الكامل بأحكام وقرارات مؤتمر القمة.

٣ - الالتزام بميثاق التضامن العربي الصادر في قمة الدار البيضاء ووضعه
موضع التنفيذ.

بيان المؤتمر ووثيقته

تفاصيل العنصر الثالث

فيما يلى نص البيان:

إن ملوك ورؤساء دول الجامعة العربية، في اجتماعهم من العناصر الأخرى
بالقاهرة بمقر جامعة الدول العربية يومي ٢٣، ٢٤ من ذى القعدة لعام
١٣٩٦هـ، الموفقيين ٢٥، ٢٦ من أكتوبر (تشرين الأول) لعام ١٩٧٦م.



وبعد أن تدارسوا الوضع الراهن في لبنان، ونتائج أعمال مؤتمر القمة العربي السادس
بالرياض، الصادر في ١٨/١٠/١٩٧٧، وأهمية دعم التضامن العربي يقررون ما يأتى:

أولاً: الوضع الراهن في لبنان :

١ - المصادقة على البيان والقرارات وملحقاتها الصادرة عن مؤتمر القمة العربي
السادس بالرياض في يوم ١٨/١٠/١٩٧٧، والموافقة بهذا (لم يوافق وفد الجمهورية
العراقية على هذه الفقرة).

٢ - أن تساهم الدول العربية، كل حسب إمكانياتها، في إعادة تعمير لبنان
وتقديم الاحتياجات المادية المطلوبة لإزالة آثار النزاعسلح والأضرار التي حلّت
بالشعبين اللبناني والفلسطيني، وأن تبادر الدول العربية بتقديم العون العاجل
للحكومة اللبنانية ومنظمة التحرير الفلسطينية.

ثانياً: دعم التضامن العربي :

تأكيد التزام الملوك والرؤساء العرب بأحكام قرارات مؤتمرات القمة ومجلس الجامعة في هذا الشأن، وخاصة ميثاق التضامن العربي الصادر في قمة الدار البيضاء في ١٥/٩/١٩٦٥، والعمل لوضعها جميعاً موضع التنفيذ التام الفوري.

ثالثاً: تمويل قوة الأمن العربية:

توفيراً للموارد المالية الالزامية للإنفاق على قوات الأمن العربية في لبنان، والمنصوص عليها في القرار الثاني من مقررات مؤتمر قمة الرياض.. وبعد الإطلاع على تقرير الأمانة العسكرية لجامعة الدول العربية في هذا الشأن..

يقرر مؤتمر القمة ما يأتي:

- ١ - إنشاء صندوق خاص للإنفاق على متطلبات قوات الأمن العربية في لبنان.
- ٢ - تساهم كل دولة من الدول الأعضاء في الجامعة العربية في الصندوق بنسبة مئوية تحددها كل دولة حسب طاقتها.
- ٣ - يشرف رئيس الجمهورية اللبنانية على الصندوق ويضع، بالتشاور مع الأمانة العامة لجامعة الدول العربية والدول المساهمة بنسبة ١٠٪ على الأقل نظاماً عاماً للصندوق، يوضح طريقة الإنفاق منه وتصفيته عند انتهاء مدة، ويعمل بالنظام الحالى لقوات الأمن العربية إلى أن يتم وضع نظام جديد لها.
- ٤ - تحدد مدة الصندوق بفترة ستة شهور قابلة للتجديد بقرار من مجلس الجامعة الذى ينعقد بطلب من رئيس الجمهورية اللبنانية.

السادات يعلن:

تفاصيل العنصر الهام البارز

المصالحة الوطنية اللبنانية

تمثل خطوة السلام القادمة

١

وفي الكلمة التي ألقاها الرئيس السادات في ختام أعمال المؤتمر أكد الرئيس

على الحقائق التالية:

- أن القرارات التي صدرت عن المؤتمر بوقف نزيف الدم في لبنان والحفاظ على المقاومة إنما تمثل خطوة هامة ورئيسية على طريق التحرير واسترداد حقوق شعب فلسطين الوطنية.
- أن الدعوة للمصالحة الوطنية اللبنانية إنما تمثل الخطوة التالية المنطقية في مسيرة تحقيق السلام في ريعون لبنان.
- أن قوة الرعد العربي المقدمة إلى لبنان للمساعدة في إقرار السلام فيه ودعم العلاقات اللبنانية الفلسطينية في إطار اتفاقية القاهرة إنما هي دليل آخر على فعالية العمل العربي الجماعي في مساعدة قطر عربي على النهوض من كبوته والحفاظ على المقاومة الفلسطينية.
- العدوان الإسرائيلي المستمر على جنوب لبنان يشكل تهديدا خطيرا للأمة العربية، ولن نسمح مطلقا للعربدة الإسرائيلية بأن تنطلق من جديد مهددة حياة أبنائنا وحقوق شعوبنا وسلامة أراضينا.

تفاصيل العنصر الهام البارز
نشاط واسع
للرؤساء في سلسلة
المشاورات الجانبية

١

وقد سبق الجلسة الختامية اجتماع عقده في السادسة والنصف مساء ملوك ورؤساء سبع دول عربية هي مصر والسعودية والكويت وسوريا ودولة الإمارات العربية والبحرين وقطر

وعقد الاجتماع في جناح الملك خالد بفندق هيلتون وذلك إطار سلسلة الاجتماعات والمشاورات الجانبية بين الملوك والرؤساء العرب. وكان الرئيس السادس قد اجتمع أمس في إطار هذه المشاورات مع كل من الشيخ صباح السالم الصباح أمير دولة الكويت والرئيس السوداني جعفر نميري والرئيس اللبناني الياس سركيس والرئيس الصومالي محمد سياد بري، والشيخ خليفة بن حمد أمير دولة قطر والشيخ عيسى بن سليمان حاكم البحرين والدكتور سعدون حمادى وزير خارجية العراق ورئيس وفدتها فى اجتماع القمة. وحضر المقابلات جميعها السيد حسنى مبارك نائب رئيس الجمهورية.

كما اجتمع الملك خالد بن عبد العزيز ملك السعودية مع الرئيس جعفر نميرى وحضر الاجتماع الأمير سلطان بن عبد العزيز وزير الدفاع واجتمع الملك حسين ملك الأردن مع كل من الشيخ خليفة بن حمد أمير قطر كلا من الملك خالد ثم السيد سالم ربيع رئيس اليمن الديموقراطية . كما قام الشيخ خليفة بزيارة الملك حسين والرئيس حافظ الأسد.

جميع الفقرات الأخرى

٤ اجتماعات لوزراء الخارجية

لإعداد مشروع البيان والقرارات

وقد جاءت قرارات الملوك والرؤساء بعد ٣ اجتماعات لوزراء الخارجية العرب كان أطولها اجتماع أمس الذى وضج فيه اجماع كل المترىken على التمسك بمقررات قمة الرياض ومبانق التضامن العربى كقاعدة للعمل العربى المشترك، كذلك استعرض وزراء الخارجية فى اجتماع أمس الصباحى ورقة عمل قوات الردع العربية من حيث تشكيلها وتمويلها واستغرق موضوع التمويل وقتا طويلا طرحت خلال ٣ اقتراحات.. اقتراح أول بأن تساهم كل دولة عربية فى تمويل القوات بقدر مساحتها فى ميزانية الجامعة العربية. وكان معنى ذلك أن تتحمل مصر العبء الأكبر باعتبار حصتها فى تمويل ميزانية الجامعة.. ثم اقتراح بإنشاء صندوق تساهم فيه كل دول عربية حسب قدرتها المالية، ثم اقتراح من الكويت باقامة صندوق تساهم فيه أساسا كل من الكويت وال سعودية بنسبة ٢٠٪ باعتبارهما الدولتين الداعيتين إلى مؤتمر القمة المحدود، على أن تساهم الدول العربية الأخرى القادرة بالنسبة الباقي، وأسفرت المناقشات عن اقتراح وافق عليه الجميع بإنشاء صندوق تساهم فيه كل دولة عربية حسب طاقتها حيث لا تقل المساهمة عن ١٠ فى المائة.

كما طرحت منظمة التحرير الفلسطينية وجهة نظرها فى نقطتين أساسيتين هما:

- ١ - لا يزيد مثيل أية دولة فى قوات الأمن العربية عن الثالث.
- ٢ - أن تشمل قوات الردع قوات من أية دولة عربية راغبة فى المشاركة، فى حين أعلن وفد لبنان أن قوة الردع طبقا لمقررات الرياض لا تتبع أية هيئة أو دولة معينة وأنها تخضع للرئاسة اكاملة وال مباشرة للرئيس سركيس ومن ثم فإن سلطات الرئيس اللبناني فى إدارة شأن هذه القوات تعطيه الحق فى قبول أو رفض مشاركة أية قوات^(١).

(١) الأهرام فى ١٣/١٩٧١.

وأحيانا تكون العناصر الثانوية أقل شأنا من بعض التفاصيل المتعلقة بالعنصر الهام البارز وللمحرر في هذه الحال أن يرجح ابراد الفقرة المشتملة على تأكيد العناصر الثانويةريثما يورد التفاصيل الخاصة بالعنصر البارز ما دامت تستحق التقديم.

أما المقدمة الثالثة وهي المزج بين البيان الشامل والحدث المعين، فإنها تستعمل عندما تبرز أهمية حادث واحد، ولكن أهميته لا تبرر إغفال الواقع الأخرى، ويدهب الأستاذ الحمامصى، إلى أن هذا النوع يحتم على المحرر المكلف بكتابته وكتابة الموضوع الصحفى كله؛ الا يزح المقدمة بالشرح، ذلك لأن الأصل فى هذه المقدمة، أنها يجب أن تكون قوية، جامعة، متماسكة، مرتبطة، مجردة من كل شئ الا المواجهة التى سنقدم بها القصة الكبيرة التى ستتشرى، بعد المقدمة.

الرسم التوضيحي

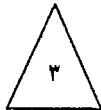
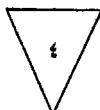
المقدمة = ملخص لعنصرتين وليس

للعناصر جميعا

٢

١

ملخص لعنصرتين آخرين



وفي القاهرة أعلن السيد اسماعيل فهمى نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية أن الرئيس السادات تلقى فى الساعات الأخيرة رسالة عاجلة من ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية يشرح فيها أبعاد الهجوم资料 السورى الشامل.

وقال السيد اسماعيل فهمى، إن السادات، أمضى يوم أمس فى متابعة أنباء الغزو السورى الذى يستهدف وضع مؤتمر القمة العربية الموسع المقرر عقده فى القاهرة يوم ١٨ الحالى أمام الأمر الواقع.

وأعلن إسماعيل فهمى، أن مصر تدين الغزو السورى إدانة كاملة، وأنها ترى أن التصرف السورى ينطوى على تحد سافر للملوك والرؤساء العرب.

وفىما يلى تفاصيل الموقف فى لبنان وردود أفعاله فى القاهرة والعواصم العربية الأخرى:

تفاصيل العنصرين

الأول والثاني

في المقدمة



المقاومة: محادثات شتورا

كانت لعبة تمثيلية

بيروت في ١٣ - وكالات الأنباء - تحركت صباح اليوم القوات السورية التي تعززها الدبابات المتمركزة في الجبال جنوب شرقى بيروت، نحو ميناء صيدا (في الجنوب) لشن هجوم كبير على الميناء، بعد أقل من ٢٤ ساعة من التوصل إلى اتفاق مبدئى لإنهاء الحرب الأهلية في لبنان، وبعد مرور ١٢ ساعة على مأعلنه الدكتور حسن صبرى الخولى المستشار السياسي للأمين العام للجامعة العربية، من أن وقف إطلاق النار على مشروع الاتفاق، الذى أرسل إلى الرئيس إلياس سركيس، والرئيس حافظ السد، وياسر عرفات للموافقة عليه.

وأعلن متحدث باسم منظمة التحرير الفلسطينية أن وقوع هذا الهجوم بعد التوصل إلى اتفاق في شتورا لانهاء الاقتال، يؤكد شكوك الفلسطينيين من أن محادثات شتورا بالنسبة للسوريين مجرد "لعبة تمثيلية".

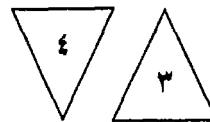
وقد عقدت قيادة المقاومة الفلسطينية اجتماعاً اليوم برئاسة ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، وذلك في أعقاب الهجوم: وذكرت المصادر الوطنية أن عرفات قد طلب عقد اجتماع طارئ لوزراء الخارجية العرب لبحث الموقف المتفاقم في لبنان في أعقاب الهجوم الجديد على جنوب لبنان. وذكرت المصادر أن قيادة المقاومة قد أجرت اتصالات بعد ظهر اليوم بحسن صبرى الخولى مثل جامعة الدول العربية في لبنان وطلبت منه التوجه إلى القاهرة للاعداد لعقد الاجتماع الطارئ.

وقد غادر الخولى بيروت اليوم متوجهاً إلى دمشق حيث من المتوقع أن ينتقل منها إلى القاهرة، وأعلن مصدر فلسطيني أنه قد تم الاجتماع الثلاثي اللبناني السوري الفلسطيني الذي كان من المقرر عقده في شتورا غداً الأربعاء وذلك بسبب الهجوم الذي شنته القوات السورية على جنوب لبنان.

وقد انهالت مئات القاذف الثقيلة على هذه المواقع، ولكن القوات المشتركة التى تدافع عنها، قاتلت بشراسة ضد قوات المشاة السورية المقدمة.

تفاصيل العنصرتين
الثالث والرابع

جنبلاط: مقترحات مصرية
 أمام القمة لوقف الغزو



علم مندوب "الأهرام" الدبلوماسي أن الرئيس السادات قد امضى يوم أمس فى بحث الموقف المتدور فى لبنان بالاشتراك مع عدد من مساعديه وقد اضطر السيد اسماعيل فهمى نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية إلى الغاء كل مقابلاته ليكون على اتصال دائم بالرئيس.

وكان الرئيس السادات قد استقبل أمس السيد كمال جنبلاط زعيم القوى الوطنية اللبنانية، وأعلن جنبلاط فى نهاية المقابلة أن الرئيس السادات يتابع أولاً أنباء الغزو资料， وأنه بحث مع الرئيس السادات المقتراحات التى يمكن أن يناقشها مؤتمر القمة العربى لوقف الغزو السورى.

وقال جنبلاط، إن الرئيس السادات أبدى اهتماماً كبيراً بضرورة العمل على عودة المهاجرين اللبنانيين إلى مناطقهم فى إطار حل للمشكلة اللبنانية.

ومن المقرر أن يغادر كمال جنبلاط القاهرة اليوم إلى السعودية على طائرة خاصة لاجراء محادثات عاجلة مع المسؤولين السعوديين، وسوف يطير جنبلاط من السعودية إلى عدد من دول الخليج لمحادثات مماثلة تتعلق بتطور الأوضاع فى لبنان نتيجة تجدد الغزو السورى ثم يعود إلى القاهرة لللتقاء بالملوك والرؤساء العرب خلال مؤتمر القمة للباحث معهم بشأن القضية اللبنانية.

ومن ناحية أخرى أبدت الدوائر المسئولة في القاهرة دهشتها الكامنة من التصريح الذى أعلنه حسن صبرى الخولي مثل الجامعة العربية فى لبنان والذى اعلن فيه أنه يتوقع تقدماً فى محادثات شتورا بالرغم من الغزو السورى، وأكدت هذه الدوائر أن المعلومات والواقع الذى تلقتها القاهرة - وتلقتها فى نفس الوقت عواصم

عربية أخرى - كانت تؤكّد أن الغزو السوري سيقع قبل ٤٨ ساعة من اجتماع وزراء الخارجية العرب، وقبل أيام محدودة من اجتماع مؤتمر القمة.

وفي الكويت حذر مثل منظمة فتح من التفاؤل الذي أبداه مثل الجامعة العربية في بيروت، ذلك أن سوريا لن تلتزم بهذا الاتفاق الذي تم خرقه بالفعل، وأشاد مثل فتح بالدور الذي يقوم به الرئيس السادات لدعم نضال الثورة الفلسطينية ووقف المذابح في لبنان.

وقد يجد المحرر المبتدئ صعوبة في صياغة الموضوع يجد أمامه عناصر كثيرة، إنه يعرف أن هناك حقيقة واحدة ذات أهمية كبيرة، ولكنه يضع معها حقيقتين آخرتين أو ثلاثة لا يستطيع إغفالها فكيف يربط بينها؟ يذكر العلماء طريقة واحدة لمعالجة تلك المشكلة وهي تحليل مادة الموضوع قبل الكتابة. ويستطيع المحرر أن يدون على ورقة أمامه أهم العناصر في الموضوع ويدرسها ويوازن بينها. ثم ينظم المعلومات حسب قراره في أهمية كل واحدة منها ويحرر الموضوع وفقاً للقواعد العلمية المدرّسة.

٥ - النمط التابعى.

ويقصد بهذا النمط الأنباء التي تعيش فترة طويلة وتتوقعها الصحف مرة ومرات.. وتنقسم هذه الأنباء إلى ثلاثة أقسام^(١):

- ١ - الخبر القادم.
- ٢ - خبر اليوم.
- ٣ - الخبر التابعى المستمر.

أما الخبر القادم فهو الذي تتوقع الصحفة حدوثه في موعد معين. وخبر اليوم يعالج حادثة جديدة غير متوقعة. أما الخبر التابعى المستمر فهو الذي توالى الصحف معالجته فترة طويلة من الزمن.

وإذا كانت المهمة الأولى للصحافة هي إعلام القارئ بما سوف يحدث، فإنها بذلك تؤدى خدمة جليلة للجمهور، وأبلغ مثل على ذلك؛ تحديد مواعيد الجولات الانتخابية التي يقوم بها المرشحون وبرامجهم ووعودهم، ولو لا "الصحفة" لذهب الناخبون إلى صندوق الاقتراع وهم لا يعلمون شيئاً عن الشخص الذي سوف ينتخبونه، ولا عن برنامجه وسياسة الحزب الذي ينتمي إليه سواء أكان اليمين أو الوسط أم اليسار، والذي يحدث أن الصحفة تستمرة قبل موعد الاقتراع بأسابيع في نشر كل شيء عن المعركة الانتخابية؛ وقد يذهب البعض إلى التنبؤ بنتيجة المعركة^(٢). ولقد وجدنا جريدة "الأهرام" يوم ٢٨ أكتوبر ١٩٧٦، أي يوم اجراء الاقتراع، تتوقع "إجراء الاعادة في سوافر كثيرة" وأن "عدداً كبيراً من المرشحين لن يحصل على الأغلبية المطلقة اللازمة للنجاح في انتخابات اليوم بسبب كثرة عددهم في معظم الدوائر يوم الخميس القادم". وقد صح تنبؤ هذه الصحفة فظهرت النتائج مؤكدة دور الصحافة التنبؤى الذي لا يقتصر على المعارك الانتخابية؛ وإنما يشمل مجالات كثيرة كالرياضة. وفي كل صحفة عدد من المندوبين الذين تخصصوا في معرفة اتجاه النتائج الرياضية. واتجاهات التنسيق والقبول بالجامعات وهناك أخبار أخرى من هذا النوع ولكنها - أقل أهمية لتنذير القراء بما سيقع من أحداث في بلادهم كأن يقول لهم مثلاً إن غداً هو عيد السويس أو أن الجامعات ستفتح يوم ٢٣

(١) كارل وارين: المرجع السابق ص ٩٤.

أكتوبر أو إن تقول لهم أن احتفالاً معيناً سيقام يوم كذا أو (أن مسرحية لشوقي مثلاً سوف تقدم على المسرح القومي يوم كذا).

ويجب أن يدرك المذكورون أنه لا يوجد شيء مؤكد في هذا العالم، ولذلك يجب عليهم ألا يلبسو ثياب العرافين، فإذا كلفوا بمهمة استقصاء ما سوف يقع من أحداث؛ فعليهم التزام الحرص، وخاصة إذا كان الحادث يتناول أسماء وأرقاماً وفي بعض الأحيان يلجأ الصحفيون الذين يكلفون بمهمة من هذا النوع إلى اقتباس قول شخص مسئول عن حادث سوف يقع، ثم يرددون ذلك القول بتحفظ لإنقاذ الصحيفة إذا لم يتحقق ما قاله المسئول.

أما الخبر التابع المستمر فهو يبدأ عادة بحادث جديد، وعلى المذوب الذي روى الحادث مرة أن يوالى الكتابة عنه، فإذا حدث انفجار في مدينة مثلاً، وروى التفاصيل على النحو المعروف، وعليه أن يجيب عن عدة أسئلة: كيف دخل الديناميت إلى المدينة؟ لماذا انفجر؟ كيف حال ضحايا الانفجار؟ .. وعليه أن يتبع حالة كل ضحية في المستشفى وتطور صحته إلى أن يخرج من المستشفى، ويضرب "وارين". مثلاً لقصة جريمة من الجرائم؛ وتطورتها:

٢٥ مايو لص يطلق النار على صاحب متجر ثم يفر.

٢٦ مايو يموت صاحب المتجر ويبدأ البوليس في البحث عن اللص.

٢٧ مايو البوليس يقبض على المتهم.

٣ يونيو النيابة تتحقق مع المتهم وتعد صيغة الاتهام.

١٧ يونيو تبدأ المحاكم أمام القضاء.

١٨ يونيو الشهود يدلون بأقوالهم وينسحب القضاء للمداولات.

١٩ يونيو يعلن القضاة قرارهم ويصدر الحكم.

١٠ أغسطس يقدم المتهم استئنافاً.

٣١ أغسطس محكمة الاستئناف تؤيد الحكم.

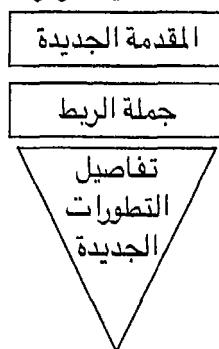
٣ سبتمبر تنفيذ العقوبة على الجاني.

وعلى المندوب أن يرجع بين وقت وآخر إلى الأرشيف كلما عاود الكتابة عن الموضوع، حتى لا يخطئ في سرد المعلومات. وقد يضطر في بعض الأحيان إلى أن يعيد بعض وقائع القصة التي نشرت من قبل، وعندما يريد أن يضيف إليها معلومات جديدة لابد من أن يحكم على علم بالقصة وأن يضع في اعتباره أن من القراء وأن بعضا آخر لم يقرأها بالمرة.. وهذا يتطلب أن يتضمن الجزء الجديد من الخبر التتابعى المستمر ملخصا قصيرا لما سبق سرده من حوادث هامة؛ في الخبر، وفي بعض الحالات يضطر المندوب الصحفى إلى رواية معلومات غير جديدة، في أكثر من فقرة.

ويكون - على ذلك - النمط الخبرى التتابعى المستمر على النحو المبين بالشكل.

على أن الصحفى المبتدئ قد يجد صعوبة في تحرير الأخبار التتابعية بسبب التعقيدات التى تنشأ عن الحاجة إلى ربط المعلومات القديمة بالحديثة، وقد يحاول بعض هؤلاء أن يحشد أكبر عدد ممكن من المعلومات القديمة بالحديثة، وقد يحاول بعض هؤلاء أن يحشد أكبر عدد ممكن من المعلومات فى فقرات الربط، وهذا يعوق تطور الحوادث، وما عليه إلا أن يسرد الحقائق عارية مجردة من العبارات الطنانة والمبالغات، ثم ينتقل إلى التطورات الجديدة فى بساطة طبيعية^(١).

وحيثما يجد الصحفى نفسه فى مأزق بين ضغوط مواد لا حصر لها حتى فى الاخبار البسيطة نسبيا وبين حدود ثابتة لحيز الصحفة، فلا سبيل له إلى دفع هذا الضغط أو الإفلات من تلك الحدود والقيود. وليس أمامه إلا سبيل التركيز والاقتصار على المعلومات الجوهرية الهامة وتحريرها وفق القواعد العلمية التي تنظم له أساليب التفكير وتجنبه مزالق الوقوع فريسة للسطحية الموقوتة.



(١) الحمامصى: المرجع السابق ص ١٢٤.

الفَصِيلُ الْخَامِسُ

فِنْ الْحَدِيثِ الصَّحِيفِ

في كثير من مجالات العمل الصحفي؛ تمثل المهارة في فن المقابلة أمراً لاغنى عنه. ذلك أن الصحفي شأنه شأن أي إنسان - يقابل الناس ويستقبل غيره من الناس. على أن الصحفي بالضرورة يجب أن ينمى مهارته في هذه الوسيلة التي يمكن بها الحصول على كثير من المعلومات ووضع الكثير من خطط أعماله الصحفية. ذلك أن اكتشاف الحقيقة هو جوهر العمل الصحفي؛ والأحاديث الصحفية. ومقابلة الناس والتحاور معهم هي الوسائل التي تتبع للمذوب أن يعرف ما قد حدث، وما قد يحدث. ولذلك يذهب علماء الصحافة إلى أن "كل حوار صحفى يجعى، إنما بالتفاصيل التي تجعل الموضوعات جديرة بالثقة".

وتعتبر المقابلة من صميم التقرير الصحفي؛ ذلك أن كل تقرير يتضمن - في الغالب - مقابلات مع أشخاص مطلعين وأحاديث مع اختصاصيين؛ لكن دون ذكر أسمائهم. وفي المقابلة التي تعتبر نوعاً قائماً بذاته، يعطي الكلام للشخصية، وينحصر دور الصحفي في حمل الشخصية على الكلام، والحديث معها بما يهم الجمهور.

والمذوب الصحفي لكي يحقق النجاح في عمله اليومي؛ عليه أن يعرف كيف يُجرى الأحاديث مع الناس. فالمقدرة على الاستجواب؛ كما يقول علماء الصحافة؛ أمر ضروري "لسبب واضح بسيط هو أن معظم الأنباء تُستقى مباشرة من الاتصال الشخصي. ذلك أن جميع الأخبار، بداية من المؤشر الصحفي الرسمي في القصر الجمهوري، ونهاية بالحديث مع عابر السبيل الذي شهد حادثة سيارة، هو إلى حد كبير استجواب لأناس من مختلف الأنواع وفي مختلف الأحوال. ونظرًا إلى أهمية الاستجواب القصوى في جمع الأخبار؛ فإن المذوب الصحفي يجتهد باستمرار من أجل تنمية قدرته في هذا المضمار".⁽¹⁾

وحين نتساءل: "لماذا ينبغي أن تصبح صحفياً يجري مقابلات جيدة؟ .. نقول مع شيلو بياجي: "إن الموضوعات الصحفية الحافلة بالمعلومات والتي تشد القارئ إنما تنبع من مقابلات صحافية يجري الإعداد لها جيداً، ويتم تنفيذها أيضاً بصورة جيدة. ومن النادر أن يدرك قارئ الصحيفة أو مشاهد التليفزيون كم من المقابلات، وكم

(1) ص ١٣٩.

من الأبحاث ومن الوقت يمضيه الصحفيون وراء كل قصة صحفية. إن جميع الموضوعات الصحفية والبرامج التليفزيونية والإذاعية تنتج عن أنواع مختلفة من توجيه الأسئلة^(١).

والتميز في إجراء المقابلات الصحفية من أهم أسس العمل الصحفي الناجح وهو كذلك بالنسبة للكتابة الصحفية أيضاً. يقول "كريس جيلجر" الصحفي بجريدة "تايمز بيكيابون": "إنني أعتقد أن معظم الصحفيين على قدر من الكفاءة يكفي لإجراء مقابلة صحفية. ولكن المشكلة تكمن في المعلومات الناقصة في المقابلة؛ إما لأن الصحفي سبق أن حدد في ذهنه ما الذي يريد من المقابلة. فينهيها قبل أن تناح الفرصة للمتحدث لأن يدللي برأيه، أو لأن الصحفي ينقصه التعاطف وحب الاستطلاع للحصول على ما هو أكثر من الحقائق الأساسية في القصة - مثل الوصف والتفاصيل، أو ما نسميه بلغة الصحافة: "لماذا وأين وكيف ومتى"^(٢).

من "المقابلة إلى الحديث":

والعمل الصحفي يقوم في جوهره على جمع المعلومات الكاملة، الدقيقة، الموضوعية؛ ولذلك فإن الصحفي الذي يجري مقابلات جيدة؛ إنما يبحث باستمرار عن شيء جديد؛ أو عن معلومات متعمقة؛ أو فكرة أو وجهة نظر تثير الاهتمام في القصة؛ وتكون جديرة بالاستماع إليها ويبحث لا تكون شائعة أو معروفة من قبل.

وتعتبر "المقابلة الصحفية" مثل المحادثة؛ نوعاً من تبادل المعلومات، والآراء، والتجارب، بين شخص وآخر، وفي أثناء المحادثة فإن السيطرة على المناقشة تنتقل من شخص لآخر مرات عديدة. ولكن في المقابلة الصحفية فإن الصحفي هو الذي يتحكم في سير المناقشة، ويحدد اتجاه الأسئلة^(٣).

وحيث يحرص الصحفي على "القول المصيب"؛ على نحو ما نجد في التراث العربي؛ استلهاماً لقول الله عز وجل: «يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفَّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا

(١) شيرلي بياجي: المقابلة الصحفية.. فن، دليل عملى للصحفى، ترجمة كمال عبدالرؤوف؛ ص15.

(٢) نفس المرجع ص ١٧.

(٣) نفس المرجع ص ٢٣.

من أذن لِهِ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا [النَّبَا ٣٨]؛ فسيجد عونا من البيان العربي الذي يقول: ومن الصواب أن نعرف أوقات الكلام، وأوقات السكوت، وأقدار الألفاظ، وأقدار المعانى، ومراتب القول، ومراتب المستمعين له، وحقوق المجالس، وحقوق المخاطبات فيها، فنعطي كل شيء من ذلك حقه، وضمه إلى شكله، ونأتيه في وقته وبحسب ما يوجه الرأى لنا، فإنه متى أتى الإنسان بالكلام في وقته أَنْجَحَتْ طَلْبَتْهُ، وغضمت في الصواب منزلته، ولذلك ترى من له الحاجة إلى الرئيس رقب لها وقتاً يراه فيه نشيطاً فيكلمه في حاجته، فيكون يسير القول منه في ذلك القول منجحاً، ومتى عجل وكلمه وهو ضيق الصدر أو مشغول ببعض الأمر، كان ذلك سبب حرمانه وتعذر قضاء حاجته. وارتقاب الأوقات التي تصلح للقول وانتهاز الفرصة فيها إذا أمكنت من أكثر أسباب الصواب وأوضح طرقه. ثم متى سكت عن الكلام في الأوقات التي يجب أن يتكلم، لحقه من الضرب بترك انتهاز الفرصة مثل ما يلحقه من ضرر الكلام في غير وقته، ولذلك قال أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام "انتهوا الفرصة فإنها تمر كمر السحاب".

وحين تذهب "ساندرا تومسون" الصحفية في جريدة "سانت بيترسبرغ تايمز" إلى أن "المقابلة الصحفية ليست نوعاً من المحادثة"؛ فإنما تشير إلى تجنب وجود المحادثة المرفوضة في الهزل؛ والقبيح؛ والخطأ؛ ولذلك تنصح الصحفي بأن يكتب "أى نوع من حب الظهور عنده تماماً، وفي نفس الوقت يسيطر على الموقف بطريقة حفية" وهذا أمر صعب - كما تقول: "فأنت تراقب كل شيء يقال؛ وفي نفس الوقت تحاول أن تخلق جواً ودياً يدعو إلى الاسترخاء وعدم الشعور بالخطر من جانب المصدر وفي الواقع فإن داخل عقل الصحفي جهاز "تيكرز" يدق طول المقابلة، وهو يتساءل: ترى ماذا سيكون سؤالى التالي، وما الذي تدل عليه حركات أيدي المتحدث، وماذا تشير إليه نبرة صوته؟

إن الذي يجرى المقابلة الصحفية عليه أن يصغي للمتحدث؛ ويراقب، وينتظر، ويستجيب ويسجل كل ما يجرى في وقت واحد". وللسكوت: أوقات هو فيها أمثل من الكلام وأصوب، فمنها السكوت عن جواب الأحمق الهائل والمتعنت. وفي ذلك يقول الشاعر:

[من الوافر]

وأصمت عن جواب الجهل جهدي
وبعض الصمت أبلغ في الجواب

وقال بعضهم: "رَبُّ سُكُوتٍ أَبْلَغُ مِنْ مُنْطَقٍ".

وقال آخر: [من الطويل]

وقد أسمعَ القولَ الْذِي كادَ كلاماً
إِذَا ذَكَرَهُ النَّفْسُ، قَلَّى يُصَدِّعُ
فَلَبِدَى لَمْ أَبْدَاهُ مِنْ بَشَاشَةً
وَإِنِّي مَسْرُورٌ بِمَا مِنْهُ أَسْمَعْ
وَمَا ذَاكَ مِنْ عَجْبٍ بِهِ غَيْرِ أَنِّي
أَرَى أَنَّ رُكُّ الشَّرِّ لِلشَّرِّ أَقْطَعَ

يقول "تيد كوبيل" التليفزيونى فى محطة "A. P. C." : "فى بعض الأحيان أتحول إلى محقق؛ وفي أحيان أخرى أتحول إلى فراشة تطير حول المصدر وتزعجه. في أحيان أحاول أن أوضح وأفسر، وفي أحيان أخرى أتعمد أن أكون متغايراً. أما كيف تنجح في مقابلاتك الصحفية فهذا يتوقف على مقدرتك في أن تؤى هذا الدور الصحفى".

وقد مدح الله - عز وجل - الحلم، فقال: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّلُهُ حَلِيمٌ» [التوبه ١١٤] وسمى نفسه الحليم. وقال الشاعر: [من الطويل]

وَلَمْ أَرْ مِثْلَ الْحَلْمِ رَيْنَا لِصَاحِبِ
وَلَا صَاحِبَاً لِلْمَرءِ شَرَا مِنَ الْجَهَلِ

وقال الله - عز وجل - في وصف المؤمنين وتنزيههم عن مقابلة الجاهلين: «إِذَا
خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا»^(٢)، وقال. عز وجل^(٤): «إِذَا سَمِعُوا الْلَّغُوَ أَعْرَضُوا
عَنْهُ»^(٥). وقال «وَأَغْرِضُونَ الْجَاهِلِينَ»^(٦). وقال الشاعر: [من الوافر]

مُتَارِكَةُ الْلَّئِيمِ بِلَا جَوَابٍ .. أَشَدُّ عَلَى الْلَّئِيمِ مِنَ الْجَوَابِ

ومما يستحسن الأدباء، ويرواه صواباً كثير من العلماء: الحلم عن النظير من هو دون النظير، لأنَّه يبين عن فضل الإنسان في نفسه ويرفعه عن مقابلة من جهل عليه وضع نفسه لأذنيه. وقد قيل : "من عاجل نفع الحلم، كثرة أعنوان الحليم على الجاهل".

يقول ابن وهب:

"وأما أقدار الألفاظ وأقدار المعانى، فهو أن يأتى بالمعنى فيما يليق به من اللفظ.
وأما مراتب القول ومراتب المستمعين له، فهو حسن التلطف فيه والإتيان به على
تقدير وتمرين لسامعه، وحسن حيلة فى إيراد ما يقبل عليه، وتجنبه ما ينكه. وأن لا
يهم منه عليه بما يغضبه، أو لا يحتمله قلبه، ولا يسعه صدره، ولا يليق به قبوه. ثم
يزيده شيئاً بعد شيء حتى يبلغ به أقصى مراده منه فيكون فى ذلك مثل المربى
للصبي؛ فإنه متى هجم عليه بالغذاء من أول مرة قتله، ولكنه يسقىه اللبن ثم ينفله فى
الغذاء من حال لطيفة إلى ما هو فوقها حتى يكمل تربيته، أو كالطبيب الحاذق الذى
إذا رأى العليل يكره الدواء، ويمتنع من أخذذه لطف له واحتال فى إقامة شيء مكان
شيء، وخلط ما يستبعش طعمه بما يذهب بشاعته، والتدبر لذلك حتى يسهل عليه
أخذذه، وبلغ مراده من نفعه. ولذلك بدأ الرسول - عليه السلام - فى أول النذارة بالدعاء
إلى التوحيد بشهادة الإخلاص، فنظر، ثم لم يزل يزيدهم فريضة بعد فريضة، وأمراً بعد
أمراً إلى أن أكمل لهم الدين وانتهى فى ذلك. ولو هجم به عليهم فى أول وهلة،
لاستقلواه، ورفضوه، وخالفوه ولم يقبلوه. فيتبعى للعاقل أن يكون بصيراً بترتيب قوله،
عالماً بمراتب المستمعين له فى قبوله، فلا يأتىهم منه بما ينافر طبائعهم، ويكون سبباً إلى
إعراضهم، ثم لا يزال يلطف لهم فى ذلك ويوفيهم من حال إلى حال فيه حتى يبلغ بهم
مقصده، فإن ذلك أصوب فى الرأى وأولى بالقبول. وقد أوصى بعض حكماء العرب
بنحو ما قلناه فقال : اعلم أنه لا يتهيأ لك نقل رجل عن طريقه بالمناقشة والماكيره،
لا سيما إذا كان ذا سلطان أو ذا نخوة، ولكنك تقدر أن تعينه على رأيه وتنبهه على
إحسانه وتقربه من قلبه، فإذاً إذا قربت منه المحاسن كانت هي التي تكفيك المساوى،
وإذا استحكمت منه ناحية من الصواب كان ذلك الصواب هو الذى يبصره الخطأ
بألفاظ من تبصرك، وأعدل من قصتك، لأن الصواب يؤيد بعضه بعضاً، ويدعو بعضه
إلى بعض. وأما حقوق المجالس وحقوق القول فيها، فإن مجالس السلطان مخالفة
مجالس الرعية ومجالس العلماء مخالفة لمجالس الجهاز، ومجالس الجد مخالفة
مجالس الهزل. فحق العاقل أن يعظم مجالس السلطان والعلماء، فلا يأتى فيهما بشيء
من الخنا، ولا الهزل، ولا اللهو، إلا أن يشاء السلطان ذلك منه، فيأتي ما يأتى من ذلك

عن إذنه وطاعة لأمره، ويحسب ما يحتمله نشاطه من غير زيادة على ما يخرج به عن حد الخلاف عليه والعصيان لأمره. ولا يملى لنفسه مع ذلك في الاسترسال والجرى على عادة النفس في الإهمال، وأن يكون في مجلس السلطان بين ثلاثة أحوال: إماً أن يكون منصتاً، أوًّا معظماً لحقه عن الابتداء بالكلام في مجلسه، أوًّا مجيباً عما يسأل عنه من غير دخول في جواب مسألة لغيره، أوًّا منهياً نصيحةً إليه فيما أصلح ملكه ورعايته من غير أنْ يشوب النصيحة بالسعاية به، أوًّا يخلط المشورة بالنميمة والتحميم على الرعية، فالتوقير للرؤساء والأئمة مما قد أمر الله - سبحانه - به حيث يقول: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُرْفَعُوا أَصْوَاتُكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِيَعْضُنَّ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ يَعْصُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبُهُمْ لِتَقُوَّى لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرٌ عَظِيمٌ»^(١).

والنصيحة للأمة واجبة، فقد روى جرير أنه بايع رسول الله - ﷺ - على السمع والطاعة والنصيحة. وروى عن رسول الله - ﷺ - : «إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ»^(٢).

والسعاية والنميمة وتحميم السلطان على الرعية مذمومان عند الحكماء، وقد روى أنَّ أفلاطون أعرضَ عن ارسطاطاليس لشيءٍ بلغه عنه، فسألَه عن سبب إعراضه فقال: «شيءٌ بلغنيه الثقةُ عنك». فقال: «الثقةُ لا يكون نفاماً». وروى أنَّ رجلاً سعى إلى الإسكندر ببعض أصحابه فقال: «إنَّ أردتَ أنْ أقبل قوله فيك، فعلتْ، وإلا فدع الشر يدعك».

وأنَّ يكون في مجلس العلماء في أحد ثلاثة أحوال: إما سائلٌ متعلم، أو منصتاً متفهم، أو مذاكر بالعلم للمتعلم، فقد روى: «كُنْ عالماً أو متعلماً، أو منصتاً، ولا تكن الرابع فتهلك».

وأنَّ توقرَ العلماء، فقد روى في بعض الحديث: «لِيَسَ الْمَلَقُ فِي أَخْلَاقِ الْمُؤْمِنِ إِلَّا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ». وروى عن أمير المؤمنين - عليه السلام: «حَقُّ الْعَالَمِ أَنْ لَا تُكْثِرَ عَلَيْهِ السُّؤَالَ حَتَّى تُضْجِرَهُ، وَأَنْ لَا تَأْخُذَ بِثُوْبِهِ».

(١) سورة الحجرات، الآيات: ٢، ٣.

(٢) في النهاية ج ٤، ص ٣٥٨ : «لِيَسَ مِنْ خَلْقِ الْمُؤْمِنِ الْمَلَقُ». والملق - بالتحريك - الزيادة في التوడد والدعاء والتضرع فوق ما ينبغي.

وإذا دخلت على قوم فسلم عليهم جميعاً، وحصّة بالتحية واجلس بين يديه، ولا تغمز بعينك ولا تُثبّر بيدك إلى مجلسه، ولا تكثر من القول : "قال فلان، وقال فلان، خلافاً عليه، ولا تضجر بصحبته.

وأن يكون في مجلس الجد جاداً في مُنْطَقَه وقوله، غير مهجن بكلامه ونفسه باستعمال الْهَرْلَ وَالْإِفَاضَه فيه. فقد قيل: "لا يخلط الجد بالهزل فيُسْخَهُ، ولا يخلط الْهَرْلَ بالجد فيُكدرُه". وإن اضطرته حال إلى حال فجالس السفهاء وأهل الْهَرْلَ فليكن بينهم متملساً^(١)، وعن جملتهم خارجاً، ولما هم فيه ماقتاً، وعنته بسمعه معرضوا. ولتكن في استعمال ما لا إِثَمَ فيه من الْمَرْحُ وَالْهَرْلَ، وما لا يسقط مروءة، ولا يثلم دينناً ولا جاهناً قاصداً إلى ترويع قلبه وإِجْمَامِه لِمَا فِيهِ نفعه. فقد رُوِيَ أنَّ فِي حِكْمَةِ إِلَيْ دَادِه: "عَلَى الْعَاقِلِ مَا لَمْ يَكُنْ مَغْلُوبًا عَلَى أَمْرِهِ أَنْ يَجْعَلْ نَهَارَهُ أَرْبِعَ سَاعَاتٍ: فَسَاعَةٌ يَنْاجِي بَهَا رَبَّهُ، وَسَاعَةٌ يَحْاسِبُ فِيهَا نَفْسَهُ، وَسَاعَةٌ يُفْضِي بِهَا إِلَى إِخْوَانِهِ الَّذِينَ يَنْصُحُونَ لَهُ وَيَصْدِقُونَهُ عَنْ عِيُوبِهِ، وَسَاعَةٌ يَخْلُى فِيهَا: يَخْلُى بَيْنَ نَفْسِهِ وَبَيْنَ شَهْوَاتِهِ وَلَذَاتِهِ فَيَمْلِأُ بَيْنَ أَذْنَيْهِ مَوْعِدَهُ بِالْمَلَكِ الْمُكَبِّرِ، فَلَمَّا يَنْجُو مَعْنَى الْمَوْعِدِ، يَنْجُو مَعْنَى الْمَلَكِ الْمُكَبِّرِ".

من هذا النص التراشى، يتضح لنا أن لفن الحديث؛ الذى يضرب بجذوره فى التاريخ الإنسانى أصولاً وقواعد يجب أن تُرعى؛ وأن تستهدى بها الأجيال على النحو الذى يؤدى بنا إلى القول بأن فهم الطبيعة الإنسانية؛ هو الأساس الذى يبني عليه فن الحديث الصحفى الفعال؛ فى صورته المعاصرة.

الحديث الصحفى وحواجز السلوك الإنساني:

والأسباب التي تكمن وراء بعض أساليب السلوك الإنساني؛ أكثر ما تكون وضوحاً للمشتغلين بالصحافة، إذ يعتمد العمل الصحفى فى جوهره على فهم هذا السلوك. ولذلك يذهب الدارسون إلى أن إجراء الحديث الصحفى مهمة صعبة، وبخاصة في هذا العصر الذي يميل فيه الأفراد إلى أن يكونوا شديدي الشك والارتياح حيث

(١) يقول الدكتور مصطفى جواد : "لعل الأصل (متملساً)، يقال : نجلس من الأمر : افلت ونخلص كما في معجمات اللغة. ونجلس الرجل من غيره : خرج من عهده، كما في كتب الأدب". البرهان في وجوب البنية ص ٢٥٨.

ينظرون إلى كل شيء بشك بما في ذلك الصحافة، ومن ثم يجب أن يكون المعاور مرتاحاً مع. وبعض المواقف التي تحتاج إلى الجرأة والشجاعة؛ والبعض الآخر الذي يحتاج إلى التسامح. وهناك عنصراً متصارعاً يتحرك المعاور في إطارهما؛ أولاً: من حق الناس أن يعرفوا كل الحقائق، وأنت أحق المسؤولين عن تقديم هذه المعرفة لهم؛ ثانياً: لا أحد ملزم قانوناً بالتحدث معك، ومن ثم على الإنسان أن يلتجأ إلى فهم السلوك الإنساني وطبيعته.

والحوافر اللاشعورية عامة تكون بصورة أقوى مما نتصور عن محاولاتنا لفهم الناس؛ فإننا في الأغلب نعمد إلى البحث عن أسباب سيكولوجية عميقة الجذور مرتبطة بانفعالاتنا وحياتنا الوجدانية. و"الد الواقع قوى انفعالية. والأفعال التي تسيطر عليها هذه الد الواقع لها أصلها الراش في الوجود أكثر منه في العقل" على حد تعبير أنيث جاريت" التي تشير لنا إلى الجوانب الذاتية والموضوعية في كل موقف. وأن المران والمهارة يؤديان إلى إدراك مدى الارتباط بين الناحيتين الموضوعية والذاتية. كما أن معرفة العوامل الذاتية قد تكون ضرورة ليمكن بعدها تصميم الخطط الموضوعية في الحديث الصحفى. ولذلك يذهب علماء الصحافة إلى أن ترتيب لقاء صحفى أشبه بعملية فك قنبلة. فأى إنسان فى موقع القوة. ويمتلك الكثير من المال - وهم أكثر الناس حيطة ومعارضة للحديث معك - يكون فى الغالب محاطاً بمجموعة كبيرة من مديري المكاتب والسكرتيرية ورجال العلاقات العامة. وفي أوقات أخرى ستتعامل مع نويعيات عانت الكثير من الإساءة والحرمان؛ لدرجة أنهم أصبحوا يتشكرون فى أى مخلوق يسأل أى سؤال.

وفيما يلى بعض الأساليب والطرق التي تمكنك من مواجهة هذه المواقف: (١).

الاتصال المباشر: ارفع سماعة التليفون واطلب الشخص الذى تريده. وأخبره بما تريده: "ألو، أنا السيد فلاديمير من صحيفة كذا، وأود التحدث معك بشأن الفواكه المصنوعة من البلاستيك".

الوسيلة المتاحة : فى مكاتب الحكومة والمصالح تسعى السكرتيرية دائمًا لصرفك بفظاظة من المكتب برغم أن رئيسهم يريد الحديث معك (إنها مجرد عادة لا أكثر).

(١) مدخل في الصحافة السابق ص ١٤٤.

فاجعل من هذا السكريتير - أو من يحمي الرئيس - صديقاً وحليفاً لك، وأخبره "أن الأمر بالغ الأهمية، ويجب أن أتحدث إلى السيد فلان للأهمية القصوى". فإذا عطلوك بعض الوقت، فعد وذكرهم مرة أخرى أن الأمر في منتهى الخطورة، "لكن إياك والعواء والعويل".

لا مفر من المواجهة. إذا تكرر فشلك في الاتصال بشخص ما تليفونياً أو إذا كان هذا الشخص محظوظاً ولا يملك تليفوناً. قم على الفور باقتحام مخبئه وقدم العديد من الاعتذارات والأسف والندم ل فعلتك هذه، ثم ادخل في الموضوع مباشرة.

المكوث لفترة طويلة. إذا كنت بالفعل ت يريد لقاء شخص ما، وحاول السكريتير أو من يحميه إقناعك بأنه مشغول جداً جداً اليوم. ولن يتمكن من لقائك فقل لهم بهدوء: إنه لا مانع لديك من الانتظار ولا مانع أيضاً من إحضار وجبة الغداء معك، ليعرف الجميع مدى إصرارك على البقاء.

الهجوم. إذا حدث أن لمحت الشخص الذي ت يريد التحاور معه - وهو يرفض - فاندفع نحوه في إصرار وقل له، لقد توافرت لدينا معلومات يمكن أن تدينك، فهل ترغب في إضافة شيء؟

ولكن.. كن لطيفاً. فإن الناس الذين اعتادوا عنف الظروف تأسفهم الرقة كثيراً، وقل إننا نعرف أن هناك وجهين لكل قصة، ونحن تواقون لسماع القصة منك.

شارك وجداً: لا شيء يجده مثل المشاركة الوجданية. وقد يفرض على المندوبين أن يحاوروا مع نجوا من المأسى، ولكن تنجح معهم أبداً بالتعبير عن عدم ارتياحتك شخصياً لعملية توجيه أي أسئلة وأنك جد آسف على هذا، ولكن "من فضلك، نرجوك أن تخبرنا ما هو شكل (زيد)، وهل عندك صورة له؟".

غالباً ما ينجح الأسلوب المباشر في إنجاز المهمة. حتى الناس الذين لا يقرأون الصحف يتأثرون جداً لفكرة أن هناك من يريد أن يسمع ما يقولون. كثير من الناس سيوافقون على الأقل على إجراء الحوار معهم، ولكن هذا لا يعني أبداً أنهم سيتحدثون معك فور وصولك.

من المفيد جداً أن تعرف الكثير عن الموضوع الذي كلفت به قبل ذهابك إلى لقاء الصحفى. وقد يسكتك بعض المسؤولين بقوله، "لقد تحدثت في هذا آلاف المرات" أو "لقد

سيق أن أوضحت موقفى من قبيل بخصوص هذا الموضوع". إن عملية البحث فى مكتبة الصحيفة تكفى من معرفة وتقدير الشخص المراد التحاور معه. هل هو فى العادة شخص مكفر ونكد دائمًا؟ هل يحب الثرثرة؟ مثل هذه المعلومات تساعدك فى تحديد هل أنت مقبل على حوار عصيّب أم على حوار مسلٌ.

الخطيط السليم يجعل هروب المحتاور صعباً: إن "ليونارد راي تيل"، خبير في تغطية أخبار السجون ومحاور فذ اعتقد أن يحتفظ بقائمة بأسماء نزلاء السجون وأوراقهم الدالة عليهم في السجون. هذه المعلومات تحولت إلى أداة لها قيمتها تماماً حين ذهب يوماً لعمل لقاء صحفي مع مأمور السجن حول ما أشيع عن وجود مخبأ للأسلحة المصنعة داخل السجن والمخبأ داخل بعض الزنزانات بسجن أطلنطا. ولما كان مساعد المأمور معروفاً بعلاقته للصحفيين، فقد أخبر تيل المأمور أنه غير موجود. فرد عليه بهدوء إنه لا مانع لديه من انتظاره. لكن مساعد المأمور عاد وقال إن المأمور في مكان ما يتذرع الوصول إليه في السجن. فرد "تيل" بأن المكوث طويلاً لن يضارقه وأخرج له حقيبة بنية اللون وأخبره أنه قد أحضر معه غداء تحسباً لهذا، فأصر مساعد المأمور على موقفه. وعلى الفور قال له "تيل" حسناً ما دمت سألك هنا ولدة طويلة فأرجو لقاء السجنون فلان رقم كذا وأخرج ورقة من جيبه وكتب عليها الاسم ونظر لمساعد المأمور عادة يقدم الصحفى طلبه لقاء أى سجين قبل الموعد بأربع وعشرين ساعة، وبما أن "تيل" يعلم القوانين جيداً فقد كان يرجوا استثناء من القاعدة. وبعد أن أسقط في يد مساعد المأمور ذهب على مضض لسؤال السجين إن كان يرغب في التحدث إلى "تيل". ثم عاد وأخبر تيل أنه قد رفض، وعلى الفور كتب "تيل" اسم سجين آخر ورقمه وأعطاه لمساعد. وفي غضب ذهب إلى الزنزانة المغلقة وعاد ليخبر "تيل" برفض السجين الثاني أيضاً. فأعطاه "تيل" اسماً ورقمياً آخر وطلبها رسمياً كتبه على ورقة منزوعة من مفkerته. واستمرت هذه المحاولات على مدى ساعة كاملة إلى أن شعر "تيل" بالفعل بمقدم المأمور نحوه. في الحقيقة كان المأمور بالفعل داخل مكتبه القريب من ذاك المكان وخرج لتوه للذهاب إلى الحمام. واقتنيص "تيل" الفرصة والمأمور معاً. وحتى لا يشعر المأمور بالحرج أمام تيل فقد رحب كثيراً بإجراء الحوار معه وفي مكتبه. وخرج "تيل" بحديث صحفي بالغ الأهمية مزود بمجموعة من صور الخنادق التي تم صنعها داخل السجن.

إن الإلحاد في حد ذاته قد لا يجده دائمًا، ولكنه على الأقل أفضل من عدمه. فبعد حوار تقليدي حزين مع والدى فتاة صغيرة قُتلت، علم "رون تيلور" أن الشرطة قد قبضت على أحد أعمام الفتاة ورفضوا ذكر اسمه. في الحقيقة لم يكن "تيلور" هو صاحب فكرة الخطوة التالية وإنما أحد المخبرين السريين واسمه "باد سكينز" وكان صديقاً للمصوّر وكأن لهذه الخطوة أهميتها البالغة للموضوع. قال الرجل إن الأسرة ذاتها لن تتردد أبداً في التصريح باسم العُمَر. فذهبا إلى بيت الأسرة، ولم يحصلَا على الاسم فقط، وإنما استطاعا "تيلور" والمصوّر التقطا صور باللغة التأثير في لحظات الغضب وجيّشان المشاعر صرخت إحدى العمات تقول "لقد جلس إلى مائدةنا وأكل من طعامنا". وهدد أحد أبناء العموم بأنه سيقتل العُمَر في أول فرصة تسعّه وهكذا انتهى هذا الموضوع المُعبر عن مأساة إنسانية من داخل أسرة تسعى للانتقام بعد أن فجّعت بحقيقة أن مرتكب هذه الجريمة البشرة هو أحد أعضائها.

في مثل هذه القضايا جرى العرف أن تنطلق الأسرة التي مسها الكرب في الكلام دون ضابط ما دامت قد سُنحت لها هذه الفرصة، وكأنهم يسعون للتعبير عن مشاعر غضبهم لأى غريب.. مثل هذا الاتجاه المفاجئ، وغير المتوقع يستطيع أن يحول مسار أي مهمة صعبة. ذات مرة ذهب أحد مندوبي المهام العامة في أطلنطا لإجراء حديث مع والدى أحد ضحايا سفاح في "هيوستن". كان حزن الآباء بالغاً لأن البوليس قد أرّشدهم إلى جثة غير جثة ابنهم. وبدلًا من رفضهم لقاء المندوب الصحفى تحدث الوالدان إليه طويلاً وكأنهما يعبران عن ارتياحهما لوجود شخص يشاركهما في لوعة القلب ومرارة الغضب.

وهذا ما حدث حين ذهب أحد الطلبة المتدربين في "ميامي هيرالد" إلى إحدى المزارع للتحاور مع أسرة أحد عمال المزارع والمتهم بقتل فتاة في العاشرة من عمرها. كان عليه أولاً العثور على البيت المتنقل وسط المزارع المتموّمة الأطراف. فاستغرق البحث قرابة الساعة. طرق الباب وأخبر السيدة التي ردت عليه أنه مندوب صحفى يريد أن يسمع منها الجانب الآخر من القصة. رفضت السيدة الحديث وأغلقت الباب في وجهه، لكن بطف، فعاد إلى سيارته واعتقد أن الموضوع قد انتهى عند هذا الحد. وجلس يفكّر فيما ينبعى عمله إلى أن لمح شخصاً بالبيت يشير إليه ليعود. فعرف أن

أسرة المتهم قد دار بينها حوار انتهى بقرارهم بضرورة عرض الجانب الآخر من القصة. كان المتهم معروفاً بأنه جليس هذه الفتاة الطيبة. فظل المندوب يسمع على مدى ساعة كاملة. بعد ذلك قاد سيارته - وقد ثارت مشاعره - بحثاً عن أول تليفون يصادفه على الطريق الرئيسي ليتحدث إلى مكتب الصحيفة. وبفضل هذا الحديث الصحفى تم تعيين هذا المندوب تحت الاختبار فى وظيفة ثابتة بالجريدة فور تخرجه في الجامعة. لقد مهد له نجاحه في هذه المهمة طريق الاحتراف.

وإذا كانت الأخبار فى أبسط صورها هي خروج عن المألوف، فإن دقة الملاحظة لا تقل أهمية عن أي وسائل تدريبية أخرى بالنسبة للمتحاولين. وأما المندوب فيجب أن تكون عيناه كعينى الصقر حين يلمح بسرعة حدثاً عابراً وسط الزحام ويركز عليه تماماً. وهذا ما يؤكد المندوبون المكلفوون بكتابة موضوعات مختلفة الأولان^(١).

من هذا النّص المعاصر، يتضح لنا أن فن الحديث الصحفى؛ يتواصل مع أصوله في التاريخ الإنساني؛ الأمر الذي يقتضى على فهم حواجز السلوك البشري وطبيعته.

كيفية القيام بالمقابلة وإدارة الحديث الصحفى:

على الرغم من أن المقابلة المثالية في مظاهرها تبدو مجرد أخذ ورد هادئ بين المندوب الصحفى ومحدثه؛ فإن المهارة الصحفية لا تكتسب إلا بعد دراسة عميقة ومراحل متتالية من التدريب..

وعلى القائم بالمقابلة أن يكون دقيقاً حتى لا تغوفه الهنات المختلفة قبل أن يتسبّع بها في استجاباته التلقائية، فهو في مبدأ الأمر يعرفها. ولكنها بعد مدة تصبح جزءاً من مهارته بحيث يستطيع استعمالها استعمالاً طبيعياً في كل خطوة من خطواته دون بذل أي جهد. فنحن نسمع كثيراً عن القائم بالمقابلة اللبق الذي يستشف الحقائق ويعرفها، ولكن تقع وراء هذه المهارة دراسة عميقة للعمليات المختلفة والعلاقات المتشابكة في المقابلة. فالمترافق على الجليد الماهر لا يلقى بالاً إلى الحركات الكثيرة المتكاملة التي يؤديها في فقراته الرائعة، ولكنه قد ثابر على تعلمها قبل ذلك واحدة تلو أخرى ثم تعلم كيف يربطها معاً كوحدة متوافقة منسجمة^(٢).

(١) نفس المرجع من ١٤٧.

(٢) أينيت جاريست : فن المقابلة ص٥٨.

يقول صاحب المدخل إلى الصحافة: "إذا أردت أن تعلم شخصاً ما كيف يدير الحديث الصحفى فعلمه كيف يتحدث. كلنا نقوم بنفس العمل ولكن بصور مختلفة. فبعض الناس عدائون وصريحون بالفطرة، وهذا له فائدته ولا يعني هذا أن الخجل شيء معوق. فبعض الناس يرتاحون لإفشاء أسرارهم للشخص الخجول.

عليك أن توازن على توجيه الأسئلة دائمًا حتى ولو ضائق هذا المتحاور معه بعض الشيء. فإذا لم تكن بالطبيعة فضولياً ومحبًا للاستطلاع فإن مهنة الصحافة لا تناسبك. وطرح الأسئلة هو نصف المهنة فقط لأن هدفك في النهاية هو الحصول على الأجوبة. ومع ذلك فالأمر كله نسبي تماماً. فالصحفيون يسخرون ما يرون من الأساليب المناسبة حسب مقتضيات الظروف والواقف. فالأساليب والمواقف تختلف دائمًا.

إدارة اللقاءات الصحفية إذن، مثل ترتيبها، أنواع: فالمحرر الخبير يستطيع أن يقيم الشخص ذا الأهمية في ثوان معدودة. هل هذا الشخص غريب الأطوار؟ هل هو أمن؟ فيم يخادع؟ ما الذي يحاول إخفاءه؟ هل يجعلك تحصل على الإجابة منه بصعوبة؟ إن ما تقرؤه في عيون الناس وفي سلوكياتهم هو المفتاح الذي يرشدك إلى كيفية إدارة الحوار.

والتجهيز المسبق مفيد جداً: ومن الاقتراحات المفيدة للمندوب الصحفي المبتدئ أن يقوم بتجهيز عشرة أسئلة. وهي فكرة لا يأس بها. لكن ضع في اعتبارك جيداً أن أي لقاء صحفى لا يسير في الغالب طبقاً لما هو مخطط له. ففى الأحاديث التليفزيونية المتعجلة.. سنكتشف أن الأسئلة التى خططت لها قد انحرف الموضوع بعيداً عنها بما يقدمه المتحاور معه من عناصر جديدة أثناء الحديث. ومع ذلك دع الحديث يأخذ مجراه الطبيعي. وفوق كل الاعتبارات أنت جيداً. قد تجرى حديثاً يؤدى بالمحاور إلى السجن إن حاول الإجابة عن أسئلتك الاستفزازية برغم أن لديه دليل براءته. لا تدع سعيك لقصة صحافية كبيرة يؤدى بك إلى تجاهل الحقائق التى يفضون بها إليك. وسيمر عليك وقت تكتشف فيه أن لديك أفكاراً شاحبة عما تبحث عنه. وهذا يحدث فعلاً عندما تتناول الموضوعات ذات الملامح العريضة. ولا تخش من الاعترافات بأنك متخط في بحثك. فى مثل هذه الأحوال قم بسرعة بعمل تخطيط مختصر لموضوعك الرئيسي ولا تتردد في التساؤل بسذاجة: "هل لديك أى شئ تخبرنى به يفيدنى في مهمتى؟". وستدھش كثيراً

حين تكتشف أن مثل هذا السؤال يزودك بتفاصيل هامة جداً، وسر أو اثنان يمكن أن يضعك على الطريق الصحيح الذي تتبعه في بحثك.

وإذا كان فن التحاور يعتمد كثيراً على الفطرة، فإن الفطرة تحتاج دائماً للعون والدعم، لذا يقدم العلماء إليك عشر تلميحات عن عملية التحاور وإجراء الحديث الصحفي:

أولاً: حاول أن تصل في الموعد المحدد: ستدහش حين تعرف أن كثيراً من الرجال المهمين لا عمل لديهم طول اليوم إلا الحديث إليك، إلا أنهم سيحاولون إيهامك بأن مسئoliياتهم رهيبة، ومع ذلك فهم يبدون تبرهم الشديد إن تأخرت عليهم.

ثانياً: أوجد مبررات مسبقة لوجودك هناك: ثم قم بإخبار الطرف بأخر تطورات الموضوع فيما تريده أن تعرفه بالتحديد. إلا إذا كان الموضوع حرجاً وحساساً إلى الدرجة التي تمنع إفشاء أي معلومات عنه. فإذا كان لديك معلومات لا يستهان بها حول الموضوع فالأجدر أن تخرطه بها - ما استطعت - تجنباً للتكرار.

ثالثاً: يفضل أن تبدأ بسؤال كبير متشعب: وهذا طبعاً ليس أمراً مطلقاً وبخاصة إذا لم يكن لديك الوقت الكافي، ولكن مثل هذا الاتجاه يحقق غرضين :

- ١ - يهئ لك فسحة من الوقت لتقدير الإنسان أمامك وتنظيم تفكيرك.
- ٢ - يمنحك فرصة جيدة للتلقى معلومات لم تكن تتوقعها، وأن تستعد لأى اتجاه تفرضه المحادثة.

رابعاً: لا تقطيع المتحدث أبداً: إلى أن تشعر أنه يريد أن يلقط أنفاسه، فإن تحولت المحادثة من بدياتها إلى شيء غير مريح؛ فقد قيمتها على الفون، إلا إذا كان المتحاور يهوى المشاكسة، وتكون أنت قد حصلت على المعلومة التي تريدها فعلاً. لكن بشكل عام حين يشعر المتحدث بالارتياب إليك... يصبح أكثر نفعاً.

خامساً: التزم بالموضوع، يعتبر السماح للشخص بالتحدث عن أبنائه أو عن المجتمع مقبولاً إلى حد ما، ويساعد على خلق جو من الألفة. ولكن قد تكون هذه الثرثرة أيضاً خدعة لتجنب الموضوع. فإذا شعرت أن المتحدث قد حاد بك عن جوهر الموضوع، تخلص برفق وبسرعة: وقل له "بمناسبة الحديث عن حديقة زوجتك.. ما هو الجديد بشأن مذبح الأشجار التي تتعرض لها.

سادساً: عليك أن تبتسم من حين لآخر: فلا يحب أى إنسان أن يشعر أن حديثه متواهى. أن تظاهرة بتدوين أشياء لا قيمة لها أو معلومات تافهة أمر له فائدته أيضاً. فهوئاء الذين يتوهمون أنهم يذلون معلومات هامة وخطيرة يفضلون أن يتخلوا عنه يتم تسجيل كل شيء.

سابعاً: عليك بالسيطرة على مشاعرك: لأنك ستتحاور مع أناس قد تبغض أفكارهم. ويرغم أن هذا قد لا يضيف الكثير إلى شهرتك كصحفى موضوعى إلا أنه سيفيد فى إقامة الموضوع.

ثامناً: أنت.. أنت.. أنت: ذلك أن الاتصالات لن يجعل المتحدث يشعر بأنه على جانب من الأهمية والحكمة فحسب، بل يساعدك أيضاً على السيطرة على الحوار، فالتحدث قد ينحرف عن نقطة ترى أنها بالغة الأهمية وقد ينجرف إلى الترثرة. فلو كنت تجيد الإنصات استطعت أن تعيده إلى الموضوع فيما بعد بأن تقول له: "بالمواضية لقد قلت شيئاً من قبل عن الأيام التي قضيتها في السجن. متى كان هذا على وجه التحديد؟

تاسعاً: لا تنصرف قبل أن تتأكد أنك حصلت على الأساسيةات: كيف يتهجى الشخص اسمه أو اسمها، ما هو اللقب الرسمى الذى ينادونه به؟ كم عمره؟ لا تفترض أنك تعرف كل هذه الأشياء مسبقاً. ومن الأفضل بشكل عام أن تبدأ حديثك معه بطرح مثل هذه الأسئلة فيما انصرف الشخص قبل أن تتمكن من سؤاله.

عاشرأً: كن متفهماً: فلا أحد يحب تبلّد المشاعر حتى اللصوص الذين تساعده فى إرسالهم للسجن لن ينسوا تعاطفك معهم.

ضع فى اعتبارك دائماً أن المتحاور معه يكون أكثر حدة وعصبية منك. حول الخطيئة أو المأساة التى جئت تحاوره بشأنها. والشخص الذى لم يسبق له الإلقاء بحديث صحفى يصبح أكثر توتراً، فساعده أنت على الهدوء والاسترخاء. ولا يتأنى هذا إلا إذا كنت أنت شخصياً هادئاً ومستريحاً، ولا يؤتى شاره إلا إذا كنت طبيعياً. فإن شعرت بعقالك فجأة قد توقف عن العمل وسط المحادثة، فلا تجلس فجأة تضرب أخماساً فى أساس، فأنت فى النهاية بشر. وعليك أن تقول ببساطة "معدرة لقد نسيت أين كنا ونسيت السؤال الذى كنت سأوجهه لك" (١).

(١) مدخل إلى الصحافة ص ١٥١.

مراحل إعداد الحديث الصحفى :

يقول "كلايتون": "إن على المندوب أن يكون له صفات البائع، فهو مضطرب إلى أن يذيب شخصيته في شخصية محدثه، وتلك صفة ضرورية لا يقصد بها إلا الإقناع فقط، ولكنها ألم ما تكون في الحقيقة لا يجاد المشاركة الوجدانية بينه وبين المحدث، ونحن نعلم أن الطبيعة البشرية تجعل الناس يميلون إلى التبسيط في الحديث بحرية وصراحة مع أولئك الذين يشاركونهم عواطفهم ومذاهبهم، أكثر من أولئك الذين يعارضونهم معارضة ما في كل ذلك، أو يقيمون من أنفسهم أوصياء على فكرة معينة، أو رأى معين".

وهنا يتبعن على المندوب الصحفى أن يقف على أكبر قدر ممكن من المعلومات الخاصة من الأسئلة التي تلم بأطراف موضوع الحديث.

وقد نشرت مجلة الهلال مقالاً للأستاذ كريم ثابت بعنوان :

كيف أجاوَى العظماء

مهنة الصحفي وما نيهَا من تبعات ومفاجآت

قدمت له بقولها:

"يندر أن يكون في مصر أمير أو وزير أو زعيم أو كبير لم يحادثه الأستاذ كريم ثابت غير مرة وهذا علاوة على العظماء الأجانب الذين حادثهم كملوك العرب وأمرائهم والسيئور موسوليني وغاندي والرئيس ماساريك رئيس جمهورية تشيكوسلوفاكيا والدكتور ستربزمان وزير خارجية ألمانيا الم توفى والدكتور بينش والكونت أبونى السياسي المجرى الكبير والكولونيل هاوس صديق الدكتور ولسن ومستشاره الأمين والملكة ماري الرومانية والسيء موتا الوزير السويسرى الشهير والسيء هيمانس وزير خارجية البلجيك والرئيس الأول لجمعية الأمم المتحدة والملكة ثريا وغيرهم. وهو هنا يشرح لقراء "الهلال" الطريقة التي يفوز بها بأحاديثه وما يتخلل مهنة الصحفي من المفاجآت"

يقول كريم ثابت تحت عنوان : **كيف تعد الأحاديث ؟**

"يتأتى للصحفى، بحكم الصناعة التى يزاولها، أن يجتمع بأشخاص كثيرين فى أثناء اشتغاله بالصحافة، وخصوصاً إذا كان من الذين يقضى عليهم نوع عملهم

الصحفى بغضىان الدوائر والمجتمعات، وقد أتيح لي فى السنوات الثمان الماضية، وفي مناسبات شتى، أن أجتمع بعدد ليس بيسير من الزعماء والعلماء ومشاهير الرجال، إما فى مصر أو فى الخارج، وفزت منهم بأحاديث منوعة نشر بعضها فى الصحف اليومية وأدرج البعض الآخر فى "الهلال" والمجلات التى تفرعت عن دار الهلال.

والسؤال الذى ما برح عارفًا يوجهونه إلى عقب نشر أى حديث أعقده مع أحد العظام هو السؤال التالى:

كيف تحصل على أحاديثك؟

وهم يريدون بذلك أن يسألونى "كيف أعد أحاديثى أو كيف أهيئها؟" الواقع أن الرد على هذا السؤال لا يخلو من صعوبة لأننى لا أذكر أن الظروف التى أحاطت بحديث ما كانت مماثلة للظروف التى أحاطت بحديث آخر.

عدم تدوين أقوال المحدث:

"ولكن هناك مبدأ عاماً أستطيع أن أقول إننى أطبقه على جميع الأحاديث التى أعقدها، وهو أننى لا أدون شيئاً من أقوال محدثى فى أثناء كلامه معى.

ولذلك سيبان، الأول أننى لحظت أن أشخاصاً كثيرين ينزعجون من رؤية صحفى جالس أمامهم يسجل عليهم كل كلمة تصدر عنهم، فإما أن يتجنباً الكلام قسراً طاقتهم - وهذا ليس فى مصلحة الصحفى - أو أن انصرافهم إلى اختيار الألفاظ وتنميق العبارات يلهيهم عن لب الحديث نفسه فيضيع جانب كبير من طلاوته.

أما السبب الثانى فهو أننى لو عكفت على تدوين أقوال محدثى لما تيسر لي التفكير فى أقواله لانشغالى بالكتابة ولما اتسع لى الوقت فى ذهنى لاعداد سؤال أطرحه عند انتهاءه من التكلم فى "النقطة" التى يكون الكلام دائراً عليها.

على أن تدوين الملاحظات جزء لا يتجزء من عملية إجراء الحديث الصحفى. ومرة أخرى نعود ونقول: إن الأسلوب هنا يخضع للشخصية. بعض المتدوينين - لا يتذكرون التافهة ولا الجادة، يكتبون أى كلام ينطقه المحدث. وكثيراً ما وجدوا فى دفاترهم الكثير من العبارات العميقة جداً جداً مثل: "قليل من الوقت ينقد تسعه" و "لا

يهم أن تخسر أو تفوز" و"لا خوف إلا من الخوف ذاته"^(١). ربما حظى بعض الصحفيين بشهرتهم في كتابة مثل هذه العبارات بالاسترشاد بما يسمعونه من المخاطرين معهم. خلاصة القول كما يقول صاحب المدخل إلى الصحافة^(٢): إنك ستتوفر على نفسك مشقة محاولة فهم ما كتبت إذا التزمت بتدوين الكلام الذي له صلة بالموضوع فقط. وهذا ليس متيسراً دائماً، وذلك لسبعين:

١ - الناس يتوقفون أحياناً عن الكلام تلقائياً عندما تتوقف عن الكتابة.

٢ - أنت لا تعرف دائماً الكلام وثيق الصلة بالموضوع إلا إذا كتبته كله وراجعته بعد ذلك. إن تدوين قدر كبير من الملاحظات سوف يوفر عليك مشقة مكالمات تليفونية زائدة للتأكد من شيء كان من المفروض تدوينه في اللقاء الأول. كما أنها تتيح لك فرصة لمراجعة الحديث الصحفى فيما بعد، بعد الاختصارات التي قد تبدو غير مفهومة. ومع ذلك يفضل بعض المذويين تدوين القليل، معتمدين على تذكرهم لكل ما سمعوه. قبل أن تفعل ذلك تأكّد أولاً أن لك ذاكرة قوية جداً. أما أن تدعى أنك تتذكر عبارات معينة ثم تخطي في كتابتها فهذا معناه أنك أصبحت في مأزق مهنى حرج. أما فيما يتعلق بصياغة الموضوعات الإخبارية التي تتحتم تسجيل كل وقائعها فور حدوثها فيلزم أن تدون كل الملاحظات إذ أن عواقب القذف جدّ وخطيرة.

وتدوين الملاحظات لأى موضوع مسألة تعتمد على الحس الغريزى. فأحياناً تدون ملاحظات أكثر من المعاد لأنك تسعى للوصول إلى فهم اللهجة أو التلميحات الذكية وراء عبارات المخاطر معه. وأحياناً أخرى تجد أنك لم تدون أى ملاحظات على الإطلاق، إذ قد يتركز الموضوع حول المزاج العام أو الموقف أو مدى إدراكك لوقف معين. من الصعب فعلاً أن تفقد ما تحس به.. برغم أن تدوين ملاحظات عن لون الثوب أونقوش على شاهد قبل لن تضر (برغم أنها قد تفيد فيما بعد أكثر من قدرتك على استيعاب الملاحظة ذاتها في حينها).

(١) رأى تيل: مدخل إلى الصحافة؛ جولة في قاعة التحرير، ترجمة كمال عبد الرؤوف ص ١٥٣.

(٢) نفس المرجع السابق ص ١٥٣.

تعددت أدوات وأساليب تدوين الملاحظات بحلول عالم الترانزistor ورقائق الكمبيوتر، فالمذوب الذي اعتاد على الورق المكتوب بالاحتزال أو القلم الرصاص بوسعيه الآن أن يجلس ويرفع سماعة التليفون ويدون ملاحظاته بسرعة فائقة على آلة كاتبة كهربائية أو بسرعة على جهاز عرض فيديو على بعد، وتلك عجيبة من عجائب عالم الكمبيوتر في تخزين المعلومات لاستخدامها فيما بعد. (واحدر أيضاً فقد يفترس الكمبيوتر كل البيانات التي تقدمها له إذا حدث أى خلل في نظامه الإلكتروني). وقد يحتاج المذوب لاستعمال سبابته ولا لكتابته على الآلة الكاتبة، وإنما ليضغط على زر المسجل الذي يقوم بتسجيل الملاحظات نيابة عنه.

ومع ذلك فالمذوب غالباً ما يُميّز بالقلم بين أصابعه دفتر الكتابة المطبوع فوقه،
دفتر خاص بالذويين الصحفيين، وذلك ليأخذ الشكل الرسمي!

وفيما يلى بعض النقاط الهامة التي تفيد في تدوين الملاحظات بهذا القلم وفي دفتر المحرر كما لخصها "رای تيل" و"رون تيلور":

أولاً: اكتب بأسرع وأفضل ما تستطيع: قليل من المذويين يجيدون الاحتزال، وكبديل عن هذا قم بالتدريب على الكتابة بسرعة بطريقة مميزة بما في ذلك التدريب على الاستخدام المكثف للاختصارات والرموز مثل # بمعنى رقم و a بمعنى: (و) .. وعموماً استخدم الرموز التي تفيد منها.

ثانياً: استخدام عقلك ويدك، فإن كان الشخص يقول ما لا قيمة له لا تكتبه، وأنصت جيداً لما خل الجمل أو لفاتيح الكلام الهامة، وفي أثناء الحديث يرفع المتحد صوته أو يبطئ من سرعة الكلام حين يشعر - أو تشعر - أن الملاحظات التي يقولها أصبح لها أهميتها.

ثالثاً: أحياناً تفوتك تماماً بعض العبارات الهامة: لأنك لا تستطيع أحياناً كتابة كل شيء. فينبغي أن يكون دفتر المذوب مجرد تجميع لفاتيح الكلمات والعبارات أكثر منه للجمل. فمن هذه الكلمات والعبارات يستطيع المذوب أن يكون جمالاً دقيقة. ستفشل أحياناً لكن يجب أن تبذل قصارى جهلك.

رابعاً: ضع عنواناً للاحظاتك: اكتب على الأقل الاسم الأخير للشخص الذي تحاورت معه فوق الجزء الخاص به في الدفتر، وإلا واجهتك مصاعب جمة فيما بعد إذا حاولت معرفة من قال ماذا. وبعض المذويين يكتبون تاريخ اليوم الذي تمت فيه المقابلة.

خامساً: قم بترتيب ما لم يسعك الوقت لهجائه: فقد يبدو من الصعب جداً الربط بين الاسم والأقوال وبخاصة عندما تتحاور مع عدد كبير من الناس في وقت واحد. ولكن تقوم بتدريب ممتاز: قم بكتابة اسم كل شخص عند بداية الكلام، وحدد لكل اسم رقمأً. وبهذه الكيفية يمكن تحديد ما إذا كان المتحدث هو رقم واحد أو اثنين أو ثلاثة. بعد ذلك اربط الرقم بالاسم عند مراجعة دفترك في وقت لاحق.

سادساً: لا تفقد دفترك أبداً. فمن الصعب استعادة المعلومات التي تفقدتها. قم بكتابة اسمك ورقم تليفونك على غلاف الدفتر حتى يتمكن أى إنسان يعثر عليه من إعادته إليك مرة أخرى.

أجهزة التسجيل أصعب في فقدانها من الدفاتر، وربما كان هذا سبب تفضيل المذويين لاستعمالها. إن صندوق الترثرة هذا والذي أصبح متواصلاً الآن في أحجام صغيرة يمكن حملها قد أحرز التفوق على "دفتر المذوب الصحفى" وقلمه للأسباب التالية :

- المسجلات تقدم لك العبارات حرفياً: وهذا له قيمة إذا كنت تتناول موضوعاً له حساسيته وبخاصة إذا حدث أن تراجع المتحاور معه في كل ما قاله. وفي الحالات الخاصة يسهم المسجل في التقاط اللهجات غير العادية التي تعطى للمقال مذاقاً خاصاً. كما أنه يفيد في حالة تحدث الشخص بسرعة أكبر من قدرة المذوب على تدوينها في دفتره.

- يتيح لك المسجل فرصة مراجعة الحديث بدقة.

- أصبح استعمال المسجل أمراً تقضيه الضرورة العملية في الموضوعات التي تعتمد على الأسئلة والأجوبة. حيث ينبغي كتابة أسئلتك وإجابة المتحدث بدقة. ولهذا السبب كان من النادر أن يكتب المذويون الأسئلة التي يوجهونها^(١).

(١) نفس المرجع ص ١٥٥.

ومع ذلك فالسجل له عيوبه أيضاً، دفتر المندوب لا تنفذ بطاريته ولا ينتهي الشريط أيضاً كما يحدث أحياناً في المسجلات، ولضمان تجنب مثل هذه العيوب يحسن أن تدون أيضاً في دفترك جنباً إلى جنب مع عملية التسجيل، ومن بين أكبر عيوب جهاز التسجيل: إغراقك بالتفاصيل الملة، فإذا كان التسجيل نقياً ونظيفاً فذلك يغريك بحشر كل هذه المعلومات في الموضوع الذي تكتبه ويكون لديك أيضاً ميل لإعادة العبارات، لابد من عملية "تركيب الموضوع" في أثناء النسخ، بأن تنسع منه الكلمات التي يشوبها الغموض، وذلك بـ لا من أن تقوم بعملية أصعب كثيراً وهي الشرح والتفسير، وعملية النسخ هذه في حد ذاتها مشكلة عويصة، فـ أحياناً يمكن كتابة ثلاثة موضوعات في نفس الوقت الذي تستغرقه عملية تفريغ أو نسخ حديث صحفى واحد على شريط تسجيل.

ولذلك لا يؤيد "رأى تيل تيلور" عملية المسجلات هذه، إلا في الموضوعات التي تعتمد على التحاور والأسئلة والأجوبة، أو في الموضوعات النادرة التي يلزم نقل كل تعبير حرفياً على المسجل لخدمة الأجيال القادمة، ويدهبان إلى أن دفتر المندوب أداة عظيمة تجبر المندوب على حسن الإصغاء، فلا يمكن أبداً أن تكتب ما لا تسمع، ومع ذلك فإن الاتجاه العام يميل نحو المسجلات وبخاصة الحديث منها:

"إن أحد العناصر الهامة في تدوين الأحاديث هو أن تعرف متى لا تدون الحديث، ذلك أن الهدف الرئيسي من الحوار الصحفى هو الحصول على الإجابات، فإذا شعرت أن منظر الدفتر أو المسجل قد أسكنك المتحدث، فأبعدهما عن نظره، غالباً ما تكون المعلومة التي تحصل عليها (على الأقل تلك التي تتذكرها جيداً) أهم من أى تحد يمكن أن يواجه منهجه في المهنة، قد يشعر بعض من لم يتألف الحوار الصحفى بالقلق لرؤيتكم تدون ما يقولون ب رغم موافقتهم المسبقة على هذا، إن المسجل يبدو معوقاً لانسيابية الحوار، وهذا أحد عيوبه أيضاً، أضف إلى هذا أن ذلك الصندوق السحري قد ينقل المتحدث إلى حالة من الآلية أو يجعله يشعر بأنه مراقب.

ومن الممكن طبعاً أن يخفى المندوب أو المندوبة المسجل عن الضيف الفزع، ولكن لا يجوز أخلاقياً، ومنذ وقت قريب أقدمت مندوبة الشئون التعليمية على هذه الفعلة في أثناء التحاور مع رئيس إحدى الجامعات الأمريكية، الذي رحب جداً بإجراء الحوار

الصحفي معها، ولكنه كان يسقط في هوة الصمت مجرد رؤيته لأى مسجل، فجاءت النتيجة مشوشة. استطاع المسجل تسجيل بعض الفقرات الهامة، إلا أن بعض الفقرات الأخرى لم تكن واضحة تماماً بعد المسافة بين الصيف وحقيقة يد المندوبة التي بها المسجل وفي وسط الحوار سمعت المندوبة الصوت الدال على انتهاء شريط التسجيل. ولكن من حسن حظها أنها كانت أيضاً تدون الحديث في دفترها^(١).

فيتضح من حديث كريم ثابت عن العظام الذين قابلهم، حين يقول :

هذه خلاصة التجارب في الأحاديث الصحفية؛ في نهاية القرن العشرين؛ إما عن هذا الفن في النصف الأول من القرن والعظام الذين أتيح لـ مقابلتهم مصريون وأجانب، ولا مشاجحة أن مقابلة المصريين منهم أسهل من مقابلة الأجانب لأن جميع الذين حادثتهم أو أحاديثهم من المصريين هيأت لـ صناعتي فرصة معرفتهم والمجتمع بهم غير مرة، فأصبحت ملماً بأخلاقهم عارفاً بميولهم، فصار من السهل على أن أكيف تصرفاتي معهم بما يطابق أمزجتهم ويلائم طباعهم فأحصل منهم على التصريحات والبيانات التي أرومها بدون مشقة كبيرة، وتهون مهمتي كثيراً عندما أتوجه لـ مقابلة شخص سبق لي أن عقدت أحاديث معه أوردته بعد ذلك بأمانة في الصحف التي اكتب فيها لأن هذه الأمانة في النقل والتصوير تكون قد ولدت فيه ثقة هي أثمن عدة يقتنيها الصحفي.

حديث ضريح سعد

ومما ذكره على سبيل الاستشهاد أنه لما اشتد الجدل على نوع الطراز الذي يبني به ضريح المغفور له سعد زغلول باشا وهل يكون فرعونياً أو عريبياً، كنت جالساً يوماً مع سعادة عثمان محرم باشا وزير الأشغال السابق، فسألته لماذا يرى أن يكون الضريح فرعونياً لا عريبياً فبسط لـ وجهة نظره في هذا الموضوع بسطاً ضافياً رأيت أنه يحسن نشره لـ كى يطلع الجمهور عليه، فنشرت كلامه بشكل حديث في مجلة "كل شيء" بدون أن أغرضه عليه لعلني أن عثمان باشا ليس من الأشخاص الذين لا يأنسون في أنفسهم الشجاعة الأدبية الالزمة للتمسك بوجهة نظرهم إذا أثارت ضجة حولها. فلما نشر الحديث اطلع عليه حضرة الزميل الأستاذ عبد القادر حمزة صاحب "البلاغ"

(١) نفس المرجع ص ١٥٦.

فارتاح إليه واستصوب نقله في جريدة الغراء فخاطب عثمان باشا بالتلفون وقال له إنه أطلع على حديث له في "كل شيء" عن ضريح سعد باشا وأنه يحب نشره مرة أخرى في "البلاغ" إذا كان ليس عند سعادته مانع. فقال له عثمان باشا: "أرسل لي الحديث أولاً لكي أطلع عليه" فارسله إليه، وبعد قليل خاطبه سعادته بالتلفون أيضاً ووافق على ايراد الحديث في "البلاغ" كاملاً.

في مقابلة أمير جليل

ومن الحادث المتقدم يتبين للقارئ مبلغ التبعة التي يأخذها الصحفى على عاتقه أحياناً. وما أرويه بهذه المناسبة أيضاً أنه في سنة ١٩٢٩ سافرت إلى الإسكندرية وتشرفت بمقابلة سمو الأمير الجليل عمر طوسن لأعقد معه حديثاً "للهلال" فتطلف سموه وقابلني برقته وبشاشته اللتين اشتهر بهما فأوضحت له الغرض من زيارتى فأظهر استعداداً للرد على أسئلتي فأخذت اطرحها عليه الواحد تلو الآخر إلى أن اجتمع عندي "محصول" يكفينى لمقال كبير فانصرفت شاكراً داعياً. وبعد أيام ظهر الحديث في "اللهلال" فأرسلت عدداً من المجلة إلى سمو الأمير فلم ألبث أن تلقيت منه كتاباً ريقاً ضمنه موافقته على الحديث... وفي الصيف الماضى تشرفت بزيارة سموه في الإسكندرية فابتدرني بقوله باسمه: "إياك أن يكون حديثاً كالحديث الأول".

وهنا قد يتساءل القارئ لماذا لم أعرض الحديث على سموه قبل نشره إراحة لبالي، والجواب عن ذلك أن المقال كان يتضمن عبارات إعجاب وإطراء لسموه فى أكثر من موضع واحد، فكنت أخشى إذا أطلع عليها سموه أن يدفعه تواضعه إلى حذفها، فآثرت تحمل تبعة الحديث كله على حذف ما أعتقد أننى قلته فى سموه حقاً.

محمد محمود باشا وذكرياته

ثم انه يجب على الصحفى الذى يود أن يظفر بحديث من كبير أن يتحين الفرصة الملائمة لذلك، فقد يفضى إليك هذا الكبير في ساعة انتشاره وارتياح بأضعاف أضعاف ما قد يفضى به إليك في ساعة انزعاج أو توعك مزاج، بل إنه قد يعتذر في هذه الحالة عن إجابتك إلى طلبك فلا يفيك إلحاد ولا الحاف في الإلحاد. أذكر أنه لما كان دولة محمد محمود باشا رئيساً لمجلس الوزراء خاطبني سكرتيره الخاص يوماً

بالتليفون وقال لي إن دولته يود مقابلتى فى داره فى الساعة الخامسة بعد الظهر فقلت له: "وما عسى أن يكون موضوع هذه المقابلة؟" فقال: "لا أستطيع أن أقول لك ذلك الآن" ... وقبل الساعة الخامسة بقليل دخلت حدائق دار الرئيس فاستقبلنى أحد أفراد أسرته وأبلغنى أن دولته "غير موجود" ولكن أوصى قبل انصرافه بأن أنتظره إلى أن يعود، ولم يدم انتظارى طويلا، فإنه بعد دقائق أقبل محمد باشا ودخل توأً إلى الحجرة التى كنت جالساً فيها فصافحنى ودعانى إلى الجلوس، ثم قال لي: "إننى عائد من السrai وقد تشرفت بمقابلة جلاله الملك لأبلغه أن جامعة أكسفورد أنعمت على بلقب دكتور فخرى وأستاذنة فى السفر إلى إنجلترا قريباً لكي أسلم البراءة فى الاحتفال الرسمى المعتاد" فهناك دولته بهذا التقدير الجليل من أشهر جامعة فى العالم. وفي هذه اللحظة شعرت أن دولته منشرح الصدر وأنه مستعد للكلام فقلت فى نفسي هذه فرصة من الصعب خلقها كل يوم، فرجوته من دولته فوراً أن يحدثنى عن أيامه فى أكسفورد وعن ذكرياته فيها، فطفق يحدثنى عن ذلك كله بإفاضة على منوال لم آلفه منه مع أننى كنت أقابله كل يوم تقريباً أثناء رئاسته للوزراء.

النحاس باشا ودخوله الوفد

ومن الحوادث التى أسوق ذكرها هنا للدلالة على أهمية "اختيار الفرصة" الملائمة أنه على أثر انتخاب دولة النحاس باشا رئيساً للوفد المصرى أخذت أترد على بيت الأمة لعلى اظفر "ربع ساعة" من الرئيس فاختلى به واسأله أن يحدثنى عن الظروف التى انتظم فيها فى سلك الوفد المصرى وعن غير ذلك من الذكريات التى يتوقف الجمهور إلى الاطلاع عليها. وذهبت إلى بيت الأمة لهذا الغرض غير مرة بدون أن أتمكن من تحقيق أمنياتى لأننى كنت أجد المكان غاصاً بالزوار فى كل مرة، وأخيراً صممت على التوجه إلى بيت الأمة ليلاً، وفعلاً توجهت إليه يوماً فى الساعة السابعة مساء فلم أجد الرئيس، ولكنه حضر بعد قليل واطلع على بعض الأوراق المستعجلة التى عرضت عليه، ولما لم يكن هناك زوار فى تلك الليلة هم دولته بالانصراف فدنوت منه وحياته ورجوته منه أن يعطينى "دقيقتين فقط" من وقته فأجابنى إلى طلبي بوداعته المعروفة، ودخل حجرة السكرتيرية وجلس على المهد الذى فى صدرها تحت صورة كبيرة للمغفور له سعد باشا، ودعانى إلى الجلوس إلى يساره ودعا الأستاذ عبد الرحمن الجليلى إلى

الجلوس إلى يمينه، وطبق يده على عما استفسرت منه عنه، وكان الأستاذ جديلى يصفع إلى حديث دولته بانتباه شديد فقلت له: "يا أستاذ جديلى هذه المعلومات لى ولا يحق لك أن تنشرها قبلى". فابتسم الرئيس وقال: "هذا حق" ومضى في حديثه وإنهى منه ونهض منصراً شكرته على ما تفضل به على، فنظر إلى ساعته فإذا "بالدقائقين" قد أصبحنا نصف ساعة وأكثر قليلاً فابتسم دولته وصافحنا وركب سيارته إلى داره.

كيف تحمله على الكلام

وفي أواخر صيف سنة ١٩٢٨ خطر لدار "الهلال" أن تعدد عدداً خاصاً من "كل شيء" بمناسبة ذكرى ١٢ نوفمبر وتقرر أن يصدر هذا العدد بمقابلة كبيرة عن الظروف التي تألف فيها الوفد المصري، وطلب إلى أن أعد هذه المقالة فكان لا بد لي من جمع موادها من مصادر مختلفة، وكان يحضره صاحب العزة أحمد لطفي السيد بك وزير المعارف إذ ذاك ومدير الجامعة المصرية المستقili أحد تلك المصادر وكنت أعرف حضرته معرفة يسيرة، فأخذت أفكراً في الطريقة التي أدب بها فرصة ملائمة للحصول على المعلومات والبيانات التي أريدها منه، وكانت الوزارة لا تزال في الإسكندرية يومئذ فسافرت إليها، وفي المساء ذهبت إلى فندق "سان استفانو" حيث كان دولة محمد محمود باشا وأحمد لطفي السيد بك نازلين؛ وسألت عن موضع المائدة التي يجلس إليها محمد باشا في العشاء كما سألت عن موضع المائدة التي يجلس إليها أحمد بك لطفي السيد ولا عرفتهما طلبت من كبير الخدم أن يحجز لي مائدة للعشاء على مقرية من مائدة محمد محمود باشا ففعل، وكانت خطتى تتلخص في أنى بعد العشاء أنهض للسلام على محمد باشا، وأسئله عن ذكرياته الخاصة بتأليف الوفد المصري لما كان له من أثر في تأليفه وبينما دولته يقص على ذكرياته في هذا الصدد يقبل علينا أحمد بك لطفي السيد ويجلس مع الرئيس فينضم بحكم الحال إلى الحديث وقد كان ذلك، فإن حضرته أقبل علينا وأنا أصفع إلى بيانات محمد باشا ثم لم يلبث دولته أن طلب من أحمد بك أن يذكره بحادث من الحوادث فذكره له ومضى في سرد الظروف الملائمة له فكان ذلك فاتحة الحديث معه.

في حديقة جروبي

وكما أن هناك "ظروفًا" ملائمة يجب على الصحفى إعداد الجولها، كذلك هناك "ظروف ملائمة" تحين من تلقاء نفسها فلا يطلب من الصحفى أكثر من أن يفطن إليها ولا يدعها تفلت منه. ومن ذلك أنه لما كان حضرة الأستاذ محمود فهمى النقراشى وزيراً للمواصلات كنت أقابلها كل يوم تقريباً. وطالما حاولت الفوز بحديث منه فلم أفلح، حتى أنه اتفق مرة أن يحدثنى حضرته حديثاً طريفاً عن الطيران فنشرته ونسبته إليه فلما قابلته بعد ذلك عاتبني وقال لي أنه كان يجب على أن أطلعه عليه قبل نشره فقلت: "لو فعلت ذلك لما وافقتم على نشره بشكل حديث" فابتسم، غير أنه حدث فى مساء أحد الأيام أن التقيت بحضرته فى حديقة محل جروبي الجديد، وكان قد ذهب إليها لمشاهدة السينما فى الهواء الطلق فتلطف ودعانى إلى الجلوس معه، ثم ابتدأت السينما فكان بين المناظر التى شاهدناها منظر يمثل حياة النفى، فقال الأستاذ النقراشى: "إن هذا الشريط يذكرنى أيام الاعتقال والنفى فى أثناء الثورة..". وهنا أخذ حضرته يحدثنى عن بعض ذكرياته الخاصة بتلك الأيام، إلى أن اجتمعت عندي معلومات تكفى لمقال طريف، فاستأذته فى نشر حديثه، فابتسم وقال: "برده؟ وأذن لي فى نشره.

مع صدقى باشا فى القطار

وفى شهر أكتوبر الماضى كنت بين الذين رافقوا دولة إسماعيل صدقى باشا رئيس مجلس الوزراء فى رحلته إلى واحة سيوه. وبينما كان القطار ينهب الأرض نهباً بين الإسكندرية ومرسى مطروح جلس الرئيس يحادث مراقبته عن بعض الأمور التى تزعجه. فقال فى سياق حديثه إنه فى مقدمة الأمور التى تزعجه، أن يزوره شخص ليرجو منه أن يزيد مرتب موظف انتظم فى سلك الحكومة حديثاً، وهذا ذكر دولته أنه دخل خدمة الحكومة بمرتب لا يزيد على سبعة جنيهات فى الشهر، فانتهزت هذه الفرصة لاسأله عن الظروف التى التحق فيها بالحكومة وعن كيفية ترقيته بعد ذلك، فحدثنى عن ذلك حديثاً مسها هو فى الواقع ترجمة طريفة لحياته..

وصفة القول أن هناك فرضاً كثيرة تعرض للصحفى، فيجب عليه أن يعرف كيف ينتهزها ويستفيد منها إذ أن بعضها لا يعوض أحياناً إلا بعد صعوبات جمة.

العلاقات الطيبة وتغذيتها

وأهم عامل يسهل للصحفى مهمته علاقاته الطيبة مع عظاماء البلاد وأقطابها وكتاب رجال حكومتها، ولذلك ينبغي له تغذية هذه العلاقات وتعهدها على الدوام؛ ولو أدى ذلك إلى بعض التضحيات الصحفية، كأن "يلف" خبراً عزاه إليهم أو "يصحح" حديثاً فازبه من أحدهم بشرط أن يتم ذلك بطريقة لا يكون فيها مساس بكرامته.

حدث مرة أن كان سعادة عثمان محرم باشا وزيراً للأشغال، فافضى إلى بحديث لنشره في "المقطم" عن تعلية خزان أسوان وبعض مشروعات الري الكبيرة، ولما انتهى من الإفشاء ببياناته؛ حملتها إلى المكتب وصاغتها ثم أرسلتها إلى المطبعة، وفي الساعة الثانية إلا خمس دقائق خاطبني سكرتير الوزير بالטלפון وقال لي إن عثمان باشا يتظرني في ديوانه لأمر هام ومستعجل فوافيتة في الحال فقال: "إنني أريد أن أعطيك حديثاً جديداً بدلاً من الحديث الأول، فقلت: إن الحديث الأول أعد في المطبعة وأن آلة المقطم تشرع في الطبع الساعة الثانية وربما فلا سبييل إلى حذف الحديث أو بادله بغيره" فقال: إن المصلحة تقضى بعدم نشر بعض البيانات التي وردت فيه لأسباب قد تعرفها فيما بعد. فقلت إنني أحب أن أخدم سعادتكم، وخصوصاً إذا كانت المصلحة تقضى بذلك ولكن المقطم كما قلت لكم يطبع الساعة الثانية والربع، وليس في استطاعتي انتزاع الحديث من المكان الذي وضع فيه لأن العمل انتهى، غير أن هناك شيئاً واحداً أستطيع عمله وهو أن أحذف عبارة "حديث مع وزير الأشغال" واضع مكانها "حديث مع موظف كبير في وزارة الأشغال" في كل موضع ورد فيه ذكر وزير الأشغال في الحديث ثم أضيف إليه في النهاية ثلاثة أسطر أقول فيها أننا سنتنشر غداً حديثاً هاماً لوزير الأشغال في هذا الموضوع، فسر سعادته بهذه الفكرة وحل الإشكال على هذا المثال.

مقابلة عظاماء الأجانب

وقد ذكرت في مستهل هذا المقال أن مهمة عقد أحاديث مع عظاماء المصريين أسهل من مهمة عقد أحاديث مع عظاماء الأجانب.

لماذا؟

لأن عظماء الأجانب الذين أعقدوا أحاديث معهم لا تكون بيني وبينهم معرفة سابقة، بل إن السواد الأعظم لا تكون عيني قد وقعت عليهم قبل اجتماعي بهم ساعة الحديث.

ثم إنه ينجم عن عدم "المعرفة السابقة" إن المقابلة تتطلب محاطة بالتقاليد والقيود الرسمية، ويقضى بعضها بآلا تزيد المقابلة على دقائق معدودة.

ففى خلال هذه المدة القصيرة يجب على الصحفى أن يكتسب عطف العظيم، وأن يفطن إلى الطريقة التى ينبغي أن يوجه بها أسئلته إليه وأن يستوعب الأقوال التى تقال له. أما اكتساب "طف العظيم" فأمر مهم جداً لأنه إذا فاز الصحفى بتحقيق ذلك أمكنه أن يستخرج من محدثه أضعاف ما كان يتوقع استخراجه منه، وكذلك أمكنه أن يطيل مدة المقابلة إلى أقصى حد مستطاع.

ولاكتساب عطف العظيم وسائل شتى، كأن تقول له مثلاً: إنك قرأت عنه عدة كتب ومقالات فأعجبت بمشروعه الفلانى إعجاباً خاصاً؛ وقدرت أهمية مشروعه الفلانى الآخر، لما سيكون له من نتائج سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية... وصفوة القول إنه يتبعك "أن تضرب على الوتر الحساس" كما يقول بعضهم، إذ لكل عظيم "وتر حساس" مهما عظم شأنه ويمكنك أن تعرف ما هو "الوتر الحساس" من سؤال بعض أصدقائه وعارفه أو من سؤال بعض معاونيه ومساعديه.

ومما لا ريب فيه أن الاطلاع على سير العظيماء قبل مقابلتهم تفيد فائدة كبيرة، أولاً لأنك: تظهر لهم عندي بمظهر المهم بهم حقيقة، وثانياً: لأن اطلاعك على سيرهم يفتح أمامك أبواباً كثيرة تستطيع بطرقها أن تحصل على بيانات طالية وكثيرة.

مهمة تسقط الأخبار

أما مهمة تسقط الأخبار واستقاء المعلومات، فتختلف عن مهمة الحصول على الأحاديث اختلافاً تاماً. وهى تقتضى قبل أى شيء أن يكون لك أصدقاء ومعارف فى جميع الدوائر تستطيع أن تقابلهم بسهولة؛ وأن تسألهم فى أى وقت كان؛ عن الخبر الذى تريده أو عن البيانات التى أنت فى حاجة إليها، وغنى عن البيان أن الأشخاص الذين تطرق أبوابهم لهذا الغرض قد لا يفضلون إليك بما عندهم إلا إذا كانوا واثقين من أنك تعرف كيف تكتم اسم المصدر الذى استقيت منه خبرك؛ وهذه الثقة فيك لا تتولد بين عشية وضحاها.

ثم إنك تجد دائماً في كل وزارة وفي كل هيئة أشخاصاً يتكلمون بسهولة أكثر من غيرهم؛ فهواء الأشخاص يجب أن تعرفهم وأن تعرف الطريقة التي تحملهم على الكلام دون أن يجعلهم يشعرون بذلك تسجل عليهم ما يقولون. أذكر أنه لما كانت المفاوضات دائرة بين الحكومة المصرية والحكومة الإيطالية على مسألة جنوب والحدود الغربية؛ كان بين أعضاء اللجنة المصرية كبير معروف بصراحته وبعدم ميله للإيطاليين، فكنا نذهب إليه ونستطلعه أعمال اللجنة فيعتذر عن الإجابة على استئذنا؛ لأن أعمال اللجنة سرية" فنختلف إشاعة ليست في مصلحة مصر ونقول له إن الإيطاليين يشيعونها فينفع ويقول إنهم يكذبون؛ والحقيقة كيت وكيت وهنا يندفع في الكلام، ندعيه يسترسل فيه إلى أن نفوز بطاقة من المعلومات "السرية" ثم يودعنا وهو يقول: "لا تؤاخذوني فإني لا أستطيع أن أصرح لكم بشيء لأن أعمال اللجنة وما ودأولاتها سرية".

الاستفادة من المنافسة

ولا أخالني أذيع سراً إذا قلت إنه في كل دائرة من الدوائر وفي كل مصلحة منصالح تجد أشخاصاً يتنافسون على السلطة؛ أو يدعون كل عمل لأنفسهم، فهواء الأشخاص ينبغي أن تعرفهم؛ وأن تكسب صداقتهم؛ لأنك تستطيع أن تعلم من فريق منهم ما يعمله الفريق الآخر.

حدث في عهد وزارة محمد محمود باشا أن اجتمع مجلس الوزراء يوماً ووافق على البرنامج الذي وضعه وزير الأشغال يومئذ، وكان إبراهيم فهمي كريم باشا، لمشروعات الري الكبرى في السنوات العشر المقبلة وبينها مشروع إنشاء حزان جبل أولياء بعد تعلية حزان أسوان. وفي اليوم التالي زرت أحد أعضاء الوزارة فسرد لي البرنامج كله من أوله إلى آخره فنشرته في اليوم عينه.

أهمية "الحظ" في مهمة الصحفى

ثم إن "الحظ" يخدم الصحفى الذى يتنسم الأخبار ويتسلطها أجل خدمة، فكم من مرة يذهب الصحفى إلى دائرة من الدوائر فلا يكاد يطأها حتى يقال له : "لقد جئت فى وقتك فهناك المسألة الفلانية..." وكم من مرة يكون الصحفى جالساً في

مجلس دون أى غرض كان فيسمع خبراً هاماً أو يقف على معلومات تنفعه في استطلاع بعض البيانات الخطيرة، وكم من مرة يكون الصحفى في زيارة كبير، فيسأله هذا الكبير سؤالاً عن مسألة لا علم له بها فيتبين لها ويعيرها اهتمامه، ولو شئت أن أحصى للقراء عدد المرات التي خدمنى "الحظ" فيها خدمة جليلة لضاقت بها هذه الصفحات، ولما أتيت عليها كلها ولكن مما لا ريب فيه أن "الحظ" من أكبر عوامل النجاح في مهمة الصحفى.

غير أنه ينبغي للصحفى ألا يعتمد على "الحظ" وحده بل لابد له من "شم" الأخبار كما يقول الأوليرون، وملكة "شم الأخبار" تنمو في الصحفى بالتجارب وعلى مر الأيام. ويشعر الصحفى أحياناً بدافع خفى يدفعه إلى زيارة الجهة الفلانية أو الدائرة الفلانية الأخرى. وعندى أنه يحسن به دائماً أن يصفع إلى هذا الدافع فإنه لا يندم عليه في معظم الأحيان. ومن أغرب ما أقصه على القراء من هذا القبيل أنه لما زارت جلاة الملكة ماري ملكة رومانيا القاهرة قيل إنها لا تقابل الصحفيين ولا تحدثهم لأن بعض الصحفيين اليونانيين عزوا إليها عند مرورها باليونان أقوالاً لم تفه بها، فلم أحاول بعد ذلك طلب التشرف بمقابلة جلالتها، غير أنه في صباح يوم من الأيام شعرت بذلك الدافع الخفى يحثني على التوجه إلى دار المفوضية الرومانية فتوجهت إليها ولما وصلت إليها استقبلنى وزير رومانيا المفوض وابتدرنى بقوله: "أنا عارف أنك مستاء لأنك لم تقابل الملكة. ولكن من حسن حظك أن جلالتها ستنجدى هنا اليوم فإذا جئت الساعة الثانية أمكننى أن أقدمك لها" ... وتم ذلك فعلاً وما كان ليتم لولم أذهب إلى المفوضية... فهلا أو من بالحظ بعد ذلك؟"

من هذا النص في تاريخ الصحافة المصرية؛ يتضح لنا أن فن الحديث الصحفى؛ إنما يتواصل مع: أصوله في التاريخ الإنساني، كما يتواصل مع نتائج الدراسة الحديثة في الفن الصحفى وأنه - كما يقول أستاذنا د. حمزة رحمة الله:

"ليس صحيحاً ما يقال إن فن الحديث الصحفى من ابتكارات القرن العشرين، وابتداع هذا القرن وحده. فالذى نعرفه من تاريخ الصحافة في إنجلترا - على سبيل المثال - أن الصحفى الإنجليزى المشهور ديفو Defoe استطاع في القرن الثامن عشر أن يحصل على حديث صحفى من قاطع طريق اسمه جاك شيرد J. Shepherd قبيل تنفيذ الحكم عليه بالإعدام شنقاً ببضع دقائق.

بل إن الأستاذ ولزلي في كتابه Exploring Journalism يرى أن حوار أفلاطون يعتبر نوعاً من الأحاديث. ذلك أن الأسئلة التي وجهت إلى سocrates حيناً، وإلى غيره من أصدقاء أفلاطون وتلاميذه حيناً آخر، كانت تحمل في طياتها صفات الحديث الصحفي. ومثل ذلك كثير من أخبار الأدب العربي في قصور الخلفاء والأمراء حيث كان الحوار يدور بينهم في مسائل شتى".

بين "ال الحديث" و"الحوار":

وفي بيان أهمية الحديث الصحفي يقول "إميل لودفيج": يعتبر الحديث الصحفي من ألم الفنون الصحفية في الوقت الحاضر، ومن أكثرها استهواه للقارئ، وقد تظن أن الحديث الصحفي لا يزيد عن كونه مجرد تسجيل لمناقشة، أو حوار دار بين طرفين، غير أن حقيقة الأمر هي أن الحديث الصحفي أهم من ذلك، لأنه يتطلب قدرًا كبيرًا من المهارة والتفنن، ويحتاج إلى توافر صفات من نوع خاص في المذوب الصحفي..

والأستاذ إميل لودفيج كاتب ألماني شهير، قال ذلك في مقالة له في مجلة "ريفى دى بارى" عدد ديسمبر ١٩٤٦ - عن فن الأحاديث الصحفية وهو يرى أن هذا الفن من ألمع الوسائل الصحفية، وأنه ليس مجرد نقل حديث كما قيل حرفيا، بل إنه يحتاج إلى فن وأسلوب أكثر مما يعتقد القارئ العادى..

وأول خطوة في هذا الفن هي إظهار البساطة، وذلك ما يمتاز به الصحفيون الأميركيون. فإن مشاهير الرجال يؤثرون بأحاديثهم الصحفي البسيط على الرجل المتعلم الذي يناقشهم القول.

وذكر الكاتب أمثلة من حياته عندما كان صحفياً مبتدئاً أثناء الحرب العالمية الأولى، إذ عهد إليه التحدث إلى عدد كبير من النساء والقادات ورجال السياسة، وكان قليل العلم بأمور السياسة، فكان يوجه إليهم في بساطة أسئلة يتحاشاها عادة العالم بالأملون. كان يسأل أحدهم : لماذا تصرف أمس مثل هذا التصرف، فكان بمثيل هذه الأسئلة البسيطة يفتح له القائد أو السياسي قلبه.

ويقول "لودفيج" إن من الواجب على الصحفي أن يدرس أخلاق العظيم الذي يريد أن يتحدث إليه بكل الوسائل الممكنة. والصور الفوتوغرافية هي ضرورة أساسية، ففيها

تظهر خصائص الرجل على وجهه بالرغم من إرادته. ومن الواجب على الصحفى أن يجذب إليه اهتمام المسئول، فلا يقنع بمجرد السؤال والجواب، إذ من الخير فى هذه الحالة أن نفضل الأسطوانة الحالية، فليس الغرض أن يذكر المتكلم آراءه، بل الغرض الحقيقي هو طريقة الحديث وحالته العقلية عند الإفشاء بالحديث. فقد لا يهمنا سؤال ماركونى مثلاً: ما هي عواطفك عند اكتشافك التلغراف اللاسلكى؟ بقدر ما يهمنا سؤاله: كيف حدث أن قضيت أنت وغيرك من العلماء سنتين عديدة إلى جانب هذا الاحتراء؟

وذكر لودفيج أنه استطاع أن يمضى عدة أيام فى حديث مع "اديسون" المخترع الشهير، وأخذ منه أجمل الإجابات، وذلك لأنه لم يحب قط الجانب الفنى. وقد وجد فيه رجلاً ذا شعور حساس، تكفى مجرد الإشارة ليفتح كنوز عقله. ففى ذات مرة كان يتحدث إليه بما كان من أمر "فالوست". وعلى حين فجأة أمسك بيده امرأته التى كانت جالسة إلى جانبه وقال ضاحكاً: "وهذه هي مرجريت!" ويجب ألا يتحدث الصحفى إلى الثرى الكبير فى أمر قيمة النقود، بل يدفعه إلى الكلام فى هذا الأمر بوسيلة أخرى. وروى لودفيج أنه دفع روكفلر مرة إلى هذا الحديث بأن قصّ مرة إلى مليون الثرى الصمود وصاحب البنوك العديدة ولقبه فى أثناء الحديث بتاجر البندقية، فكأنه فك بذلك عقدة لسانه وسمع منه أربع القصص عن بواخره وثروته.

فالواجب إذن على الصحفى المتحدث أن يظهر شيئاً من البساطة. وقد حدث للودفيج ذات مرة أن دفع هنرى فورد القليل الكلام إلى النطق بعبارة تسترعى النظر، فقد كانا سائرين فى الطريق، فرأى لودفيج سيارة صغيرة فأخذ يمتحنها، ولكنه سأله سؤال متجاهلاً: أظن هذه السيارة أكبر بعض الشيء من النموذج الذى تخرجه مصانعك..؟ فاستولى على "فورد" شعور الأم الذى ترى تجاهل أبنائها فتحركت عيناه حركة خاصة، وقال: إنها إحدى سياراتى.. لقد أخرجت ١٤ مليون منها" وفي هذه العبارة القصيرة وصف حياة جد طويلة تدل على خيال واسع.

ولعل الصحفى الذى خبر التأليف للمسرح والإذاعة يكون فى يده سلاح قوى، فالكتابة للمسرح تقتضى إدارة الحوار فى مهارة وبطريقة نفسانية، وإن كان المتحدث لا يذكر الحوادث الماضية كما يفعل المؤلف المسرحى. فقد ذهب لودفيج ذات مرة إلى لندن خاصة ليحادث "لورد جrai" وزير الخارجية البريطانية عندما أعلنت الحرب

١٩١٤ على ألمانيا، واجتمع به في حفلة غذاء، ودار الحديث على جلسة مجلس العموم في اليوم السابق. وقد جاء فيه ذكر خلاف بزر بين الوزراء، واحد "لورد جراري" يشرع الموقف، فقال لودفيج وكأنه يتحدث لنفسه: "هذا شبيه بموقف يوليوب سنة ١٩١٤" و قال: هذه العبارة في صوت خفيض ولكنه مسموع، وإذا باللورد بعد الغداء ينتهي به ناحية ويتكلم في إسهاب ليسوغ موقفه في تلك الفترة الخطيرة، وكيف أنه لم يكن ليستطيع منع سير الحوادث إلى الحرب. ولو أن "لودفيج" ذكر هذا الخلاف رأساً "للورد" على صورة سؤال لتلقى ردأ قصيراً فاتراً، ولما استرسل اللورد في الحديث..

وكثيراً ما تكون العبارة القصيرة التي تلقى إلقاء أبلغ أثراً من الأسئلة الطويلة في اجتناب الحديث. ولذلك ربما كان الصحفى الصمود القوى الملاحظة أدنى من الصحفى المدرب اللسان الذى لا يلاحظ الظروف، والواقع إن الأذن تخطئ أكثر من العين..

وتزداد أهمية الحديث الصحفى تبعاً لأهمية صاحبه، ومدى شهرته، وليس معنى ذلك أن الحديث الصحفى لا يجرى إلا مع المشهورين البارزين في المجتمع وحدهم، فقد تكون الأحداث المثيرة التي تقع لبعض المغمورين من الناس سبباً في الاهتمام الشديد بأحاديثهم وتصريحاتهم، وخاصة حين تكون مادة الحديث متصلة بشدة الاتصال بموضوعات الساعة.

والحوار في الحديث الصحفى؛ هو أداة هذا الفن؛ كما أنه أداة المسرحية حين يعرض حوادث؛ ويصور الأشخاص؛ ويقيم النص من مبدئه إلى ختامه.. وينذهب أستاذنا "الحكيم" رحمة الله؛ إلى أن الصفة الضرورية في الحوار هي: "التركيز والإيجاز؛ والإشارة التي تفصح عن الطبائع، واللحمة التي توضح الموقف؛ وهذه الصفة لا تناسب كل الناس؛ ولا تلائق كل الأدباء (والصحفين أيضاً) فمنهم من خلق للإفاضة والتحليل والإسهاب، فإذا طلبت إليه أن يوجز أحسن الضيق، وشعر كأنك حبسه أو حبسست قلمه الفياض؛ وكتمت بيانيه المسترسل؛ وحُكِّلت بينه وبين سليقته المياللة إلى العرض والسرد!.

"على عكس ذلك الأديب المسرحي (والمحاور الصحفى أيضاً)؛ فكلاهما يضيق بالإفاضة والوصف؛ والاسترسال؛ ويحبّ إصابة الهدف بكلمة، أو رسم الشخصية في إيجابة أو الإحاطة بالمعنى في عبارة".

هذه الصلة بين الأديب المسرحي؛ والمحاور الصحفى؛ نسبت في الآداب القديمة؛ وتمثل الصحفى وظيفتها في وسائل الإعلام الحديثة؛ امتداداً لها؛ وتكتيراً لأغراضها؛ فالحوار "باعتباره أداة المسرحية؛ ثم الحديث الصحفى تقع عليه أعباء كثيرة؛ بل عليه وحده تقع كل الأعباء..

فمنه تعرف قصة المسرحية أو قضية الحديث الصحفى، وما انطوت عليه من حوادث ومواقف، وهو لا يقصها علينا حكاية وقعت في الماضي، ولكنه يقيمها أمام أعيننا في الحاضر حيًّة نابضة تتحرك!..

"الحوار هو الحاضر؛ هو ما يحدث في اللحظة التي نحن فيها. حاضر أبدى لا يمكن أن يكون ماضياً أبداً"^(١)!

مهمة الحوار إذن - كما يقول حكيم الأدب العربي - ليست أن يروى ما حدث لأشخاص؛ ولكن مهمته "أن يجعلهم يعيشون حوادثهم؛ أمامنا مباشرة، دون وسيط أو ترجمان؛ فإذا قام الحوار بهذه المهمة فإن واجبه لم يتنه بعد؛ فنحن لا يكفينا منه في المسرحية أن يكشف لنا عن حوادث ومواقف، بل عليه - فوق ذلك- أن يلوّن لنا هذه الحوادث وهذه المواقف، باللون الموافق لنوع المسرحية؛ فإن كانت مأساة تخير من الألفاظ ما يثير في نفوسنا الرهبة والحزن والجلال والخشوع، وإن كانت ملهاة انتقى من العبارات ما يشبع في قلوبنا روح الفكاهة والمرح والسخرية والعبرة!..

وفي الحديث الصحفى؛ بعد مرحلة المقابلة؛ ينتقل المحرر إلى مرحلة "التحرير"؛ وفي هذه المرحلة يستلهم المحرر مقومات الحوار؛ التي تتيح له أن يقدم نصاً متميزاً؛ لا تقف مهمته عند رسم الحوادث، وتصوير المواقف، بل يضع ثصب عينه أن يؤدى وظائف الحديث الصحفى؛ وهذه الوظائف هي التي تحدّ:

أنواع الحديث الصحفى:

ذلك أن الحديث يتّنّوّع؛ بتّنّوّع وظائف الاتصال الصحفى، تأسياً على أن الاتصال هو عملية بثّ المعانى بين الأفراد، ولذلك رأينا أن "الحديث" يضرب بجذوره

(١) توفيق الحكيم: *فن الأدب*؛ ص ١٤٩.

في التراث الأدبي القديم؛ استجابة للحاجة الإنسانية المؤسسة على قدرة الإنسان على نقل نوایاه ورغباته واحساساته ومعرفته وخبرته؛ من شخص لأخر.

وإذا كانت التطورات التكنولوجية الحديثة في وسائل الإعلام؛ قد يسرت شكلًا جديدا من أشكال الاتصال الإنساني؛ فإن الفنون التحريرية؛ ومنها الحديث الصحفي في هذه الوسائل أيضًا، إنما جاءت استجابة لوظائف هذا الاتصال؛ وهي الوظائف التي يحصرها "لازويل" في:

أولاً: رصد البيئة ومراقبتها.

ثانياً: إيضاح العلاقة المترادفة المترادفة بين أجزاء المجتمع في رد الفعل نحو البيئة.

ثالثاً: نقل التراث الاجتماعي من جيل إلى جيل. ويضيف إليها علماء الاتصال:

رابعاً: الترفيه.

وتأسисا على هذا الفهم؛ فإن أنواع الحديث الصحفي تكاد أن "تنحصر في الأنواع التالية":

- ١ - حديث الخبر (أو الحقائق) .Information Interview
- ٢ - حديث الرأى .Opinion Interview
- ٣ - حديث المعلومات والتسلية والإمتاع .Feature Interview
- ٤ - حديث الجماعات .Group Interview
- ٥ - حديث المؤتمرات الصحفية .Press Conference Interview

وفي كل نوع من الأنواع الخمسة المتقدمة لابد من مراعاة الشروط التي روعيت في تقويم الخبر الصحفي من حيث هو، وهذه الشروط أو الخصائص المطلوبة هي^(١):

- ١ - الجدة من حيث الزمان .Timeliness
- ٢ - القرب من حيث المكان .Proximity
- ٣ - الضخامة (وهي اتصال الحادث بأكبر عدد من الناس).

(١) د. عبداللطيف حمزة : المراجع السابق ص ٢٢٢.

٤ - قوة الدلالة .Significance

٥ - سياسة الصحيفة .Policy

ومعنى ذلك أن على المحرر الصحفى أن يحقق هذه الشروط الخمسة عندما يشرع في كتابة الحديث الخاص^(١).

أولاً: حديث الخبر أو البحث عن الواقع:

وهو النوع الذى يعتمد عليه فى جمع الأنباء والمعلومات حول حادث معين، ويرجع فيه المندوب إلى "شهود الغيان" أو المشركين فى الحديث. وفى هذا يقول الصحفيون الإنجليز إنقصد من هذا النوع من الحديث هو الحصول على ما يعبر عنه بينهم بهذه العبارة : "News not View" فكأن الهدف من هذا النوع هو الوصول إلى أوثق الأنباء، ومن الواجب على الصحفى فى الحالات المعتمدة على شاهد عيان ألا يعتمد على شهادة واحد فقط، اللهم إلا إذا كان هو وحده الذى شهد الواقعه. ويتossى المندوب بهذا النوع من الأحاديث كذلك فى المتابعة الإخبارية، وفي المطارات والموانئ، والزوايا السياسية الهامة، وعودة المسئولين من الخارج.. الخ.

وهذا النوع الخبرى من أنواع الحديث؛ إنما جاء استجابة للوظيفة الإعلامية فى الرصد والمراقبة وجمع المعلومات التى تتعلق بالأحداث فى البيئة داخل نطاق المجتمع وخارجها. فحديث الخبر أو البحث عن الواقع؛ معنىٌ إلى حد كبير - بخدمة الأخبار؛ وأداء الوظيفة الأساسية التى تقوم عليها الصحافة؛ من أجل إخبار الناس بكل ما يقع من أحداث هامة داخلياً أو خارجياً، فى جميع ميادين الحياة؛ من سياسية أو اقتصادية أو ثقافية؛ حتى يكونوا على علم "بمجريات الأمور، ويتابعوا المسائل العامة ويتعرفوا على كل شيء يتعلق بوطنهם وبالعالم الخارجى من حوله أيضاً، وبذلك يشعرون أنهم يعيشون فى عصرهم حقاً"^(٢).

والمندوب الصحفى - على حد تعبير "جايار" إنما هو "شاهد أو محقق؛ إنه يشهد الأحداث المتوقعة ويجهد نفسه بملحقة توالى وقائع حدث طارئ؛ ولكنه شاهد مهنى، أو

(١) نفس المرجع السابق ص ٢٢٣.

(٢) د. حسين عبد القادر: الصحافة كمصدر للتاريخ ص ٧.

محقق يؤدى حساباً للجمهور وليس لأية إدارة أو مصلحة. وهذا يرتب عليه واجبات معينة ومنهجية في العمل خاصة. على الرغم من ضغط الوقت في هذا النوع الخبرى من أنواع الحديث الصحفى؛ الأمر الذى لا يتيح له الفرصة لإعداد أسئلته.

ومهما يكن من أمر؛ فإن هذا النوع الخبرى لا يشكل أوسع حقول الحديث الصحفى لأنه يمثل الجانب الأكبر من المواد المنشورة. ومع أن كثيراً من المقابلات قد يتم بواسطة مندوبي خارجيين (الوكالات البرقية، وكالات الأخبار والمقالات الصحفية والكتاب غير المقيدين بجريدة معينة) فإن الموضوعات الإخبارية تنطوى أكثر مما ينطوى عليه أى نوع آخر من المواد المنشورة على أحاديث ومقابلات يجريها محررو الجريدة الأصليون. ويكون المندوب الذى يعالج موضوعاً إخبارياً محكماً، على العموم، بضغط الوقت الضيق كما تقدم، لأن معظم المادة التى يعالجها من الأخبار الوامضة ذات المدى الزمنى القصير. ذلك أن الأخبار تنتشر بسرعة. وعليه أن ينجز المقابلة بسرعة. وعليه كذلك أن يعمل فى جو من المنافسة الحامية مع مندوبي الصحف الأخرى ليقدم الخبر قبل الموعد المقرب بسرعة لعمل التحرير. ويتربت على ذلك أنه غالباً ما يضطر إلى القيام بالمقابلة، وهو يتفقد الساعة تفقداً حثيثاً من أجل أن يؤمن فرصة النشر لادنته.

أما لماذا لا يتيح الحديث الصحفى - فى حالة الخبر الصرف - للمخبر أو المندوب إلا أقل علم مسبق؛ فإن ذلك يرجع إلى طبيعة الخبر ذاته. فثمة شطر كبير من الأخبار كما نعلم، لا يتكلشف عن ذيير مسبق بأنه سيذيع ويتنشر، وبالتالي فقد يجد المندوب نفسه يستجوب عدة أشخاص فور الاتصال بهم. ومن الأمثلة على هذه الحالات المقابلات مع ضحايا أحد المحتالين، والمقابلة مع موظفى البلدية الذين أقiliaوا فجأة، وشهود العيان لحادث من الحوادث^(١).

وتعبر "شاهد عيان" - كما يقول الاستاذ الحمامصى^(٢) - تعبر يتردد كثيراً فى الصحف: قال (شاهد عيان). ويقصد به: أن المندوب الصحفى كان غائباً فى لحظة وقوع الحادث؛ ولهذا يستعين على بدء قصته الصحفية بأقوال من شهد بدايتها، أو بأقوال من يعرفون "كيف وقع الحادث". ومن الواجب على الصحفى فى هذه الحالة

(١) الصحافة اليوم ص ١٤٦.

(٢) جلال الدين الحمامصى: المندوب الصحفى؛ السابق؛ ص ١٦٨.

ألا يعتمد على شهادة واحدة فقط؛ اللهم إلا إذا كان هو وحده الذى شهد الواقعه. ذلك أن الشهود كثيراً ما يدلون بأقوال يلعب فيها التناقض دوراً كبيراً. ولهذا فإن الوظيفة الإعلامية تقتضى أن يسأل الصحفى أكثر من شاهد ضماناً للوصول إلى الحقيقة المجردة من خيال بعض الشهود".

تحرير الحديث الخبرى:

وتحرير الحديث الصحفى يقوم على مراعاة القيم الخبرية العامة: الجدة الزمنية - القرب المكانى - الضخامة - الدلالة - سياسة الصحفية، من جهة، ويتسم بالدقة والأمانة والصدق الإعلامى من جهة أخرى.

وفي تحرير حديث الخبر أو البحث عن الواقع، نفيد من الأنماط الخبرية فى التحرير الصحفى والنمط الاقتباسى خاصة، والذى فصلنا فيه الحديث. فى الفصل الخاص بالخبر الصحفى؛ وكذلك النمط التحريرى الخاص بالقصة الخبرية".

حيث يمكن صياغة "مقدمة للحديث" Lead؛ بحيث تحتوى على أهم النقاط الخبرية المثارة، مع تصوير جذاب لشخصية المحدث. وفي "صلب Body" الحديث تصاغ الأسئلة والإجابات بطريق مباشر حيناً، وباسلوب غير مباشر حيناً آخر.

ويفيد المحرر كثيراً من الوصف فى صلب الحديث حتى يتسعى للمحرر توضيح وجهة نظر المحدث، وإلقاء الأضواء على شخص محدثه.

ثانياً: حديث الرأى أو البحث عن الآراء:

وهذا النوع من الأحاديث الصحفية يغطي جانباً كبيراً من النواحي التي تبحث عن الحقائق التي تقابل من الجمهور برعاية واهتمام، لأنه كما يقول استاذنا جلال الدين الحمامصى رحمة الله - يجد فيه غذاء قوياً ومتعة تجعله يحس أنه يشتغل فى معركة من معارك الرأى. وهذا النوع من الأحاديث يمكن اجراؤه مثلاً: عندما تسد وظيفة كبيرة إلى شخص ما في الحكومة أو المؤسسات العامة، أو في أي عمل آخر له صلة بالجمهور، وكذلك الشخص الذي يترك منصبه، والتعليق الذي يحصل عليه الصحفى من متخصص حول موضوع مثار ثم الأحاديث التي يجريها الصحفى حول رأى معين فى قضية أدبية أو فنية أو علمية أو سياسية.. الخ مع المتخصصين من كبار الشخصيات.

وهذا النوع من أنواع الحديث الصحفى؛ يؤدى إلى جانب الوظيفة الإعلامية: **وظائف الشرح والتفسير؛ والتوجيه.** وهى الوظائف التى أجملها د. محمود عزمى للصحافة فى قوله: إنها "توجيه الرأى العام عن طريق نشر الأخبار والأفكار News + Views الخيرة الناضجة معممة ومناسبة إلى مشاعر القراء خلال صحف دورية".

و الحديث الرأى أو البحث عن الآراء والأفكار؛ إذن؛ يسهم فى توضيح العلاقة المتبادلة بين أجزاء المجتمع فى رد الفعل نحو البيئة. وهذه الوظيفة فيما يرى "تشارلز رايت"؛ تتضمن تفسير المعلومات المتعلقة بالمجتمع وترشيد، وتنويره بالأراء والأفكار إزاء الأحداث. ذلك أن الوظيفة الرئيسية للتفسير والترشيد هي أن تجنب الناس النتائج غير المرغوب فيها المترتبة على إذاعة الأخبار مثل تلك الانذارات بالأخطار التى لايفسرها صاحب الرسالة؛ والتى قد تؤدى إلى إحداث الذعر لدى الجمهور، وما زال المثال الذى يرددده الباحثون عن إذاعة "أورسون ويلز" عن غزو أهل المريخ لكوكب الأرض؛ يؤكد ذلك، فاعتقد الناس بأن "راوية" أورسون ويلز؛ كانت تقريراً خبراً واقعياً أدى إلى الذعر الشديد لدى الناس^(١).

ومن النتائج المرغوب فيها؛ فى تحليل "رايت"؛ أنباء الأخطار فى المجتمع؛ ذلك أنها بدلًا من أن تؤدى وظيفة الإنذار يمكن أن تزيد من القلق فى نفوس الناس، وال الحرب النفسية مثال على ذلك. وكذلك الكثرة الزائدة من الأنباء قد تؤدى إلى التقويق من جانب التلقى؛ أو الشعور بالسلبية واللامبالاة، وقد يتوهם أن المواطن المطلع؛ هو نفسه المواطن النشط. وهذه الوظيفة العكسية أطلق عليها "لا زارسفيلد" و"ميرتون" صفة الإدمان.

وحيث يؤدى الحديث الرأى أو البحث عن الآراء؛ جانباً من جوانب الوظيفة التفسيرية فى الاتصال الصحفى؛ فإنه بذلك يسهم فى تجنب القراء النتائج غير المرغوب فيها، ذلك أن الاختيار؛ والتفسير للأخبار؛ من الأمور التى يحرص عليها القارئ حرصه على الأخبار نفسها.

(١) ذلك أن الممثل السينمائى أورسون ويلز؛ كان قد أذاع برنامجاً خيالياً بالراديو تصور فيه أن كوكب المريخ مسكن، وأن سكانه قاموا بغزوة لكوكب الأرض، فلما أذيع البرنامج فى الراديو ظننه الناس برنامجاً "إخبارياً" واقعياً. واستبد بهم الهلع فهجروا بيوتهم وخرجوا لا يلوون على شىء، واعتصم بعضهم بالجبال. وعندنا تبيّن لهم حقيقة الأمر أحرقوا محطة إذاعة، محمد فتحى، ترجمة: المنظور الاجتماعى للاتصال الجماهيرى تشارلز رايت ص.س.

ثالثاً: الأحاديث المتصلة بالشخصيات:

وهي الأحاديث التي تستهدف تقديم الشخصيات التي تسلط عليها الأضواء، وقد يكون الحديث الواحد مجموعة من الأحاديث مع المحظيين بالشخصية بهدف إلقاء المزيد من الضوء عليها، مثل: وزراء جدد يدخلون الوزارة لأول مرة - رجل مشهور - الزوار المعروفون القادمون من الخارج - رجال كبار السن ويقومون بأعمال طريفة مثلاً - شخصيات صنعتها الأنبياء، مثل: رجال الفضاء؛ أو الحصول على جائزة عالمية أو محلية.. الخ.

وهذا النوع من الأحاديث يؤدي جانباً مهماً من وظائف التثقيف؛ والتنشئة الاجتماعية؛ من خلال تقديم "نماذج القدوة" للأجيال؛ وبيت الثقافة من جيل لجيل؛ أو ما يسميه "رأيت" تنمية الروح الاجتماعية، ثم الإمتاع والمؤانسة، ويطرح التحليل الوظيفي لهذا النوع من الأحاديث عدداً من التساؤلات: إلى أي حد يؤدي مضمون الحديث الصحفى إلى توحيد المجتمع بما يهئ له من قاعدة عريضة للقيم؛ وأنماط القدوة؛ والتجربة الشاملة المشتركة عند الأفراد جميعاً؟

أو إلى أي حد يكون فقدان التنوع الثقافي ناتجاً عن بث فكر ثقافي موحد؟

تحرير أحاديث الشخصيات:

يقوم تحرير هذا النوع من الأحاديث الصحفية في جوهره على ارتباط الشخصيات بحركة الأحداث؛ في سياق عناصر التقويم الصحفى؛ كما تقدم ويعتمد في بنائه على تصوير الشخصية تصويراً فنياً، حتى لقد يجد دارسو الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي في هذه الشخصيات التي تجري معها الأحاديث الصحفية إجابة موضوعية عن التساؤلات التي يطرحها التحليل الوظيفي لوسائل الإعلام.

والأساس الأول لتصوير الشخصية في الحديث الصحفى لا تفقد هذه الشخصية صلتها بحركة الأحداث في المجتمع؛ وبعالم الناس، وأساس الثاني: وحدة الشخصية في عمقها؛ هذا هو التعبير الحديث كما سماه أرسسطو من قبل: التكافؤ المنطقى. وهذه الوحدة هي التي تسمح بأنواع من الاختلاف مع طبيعة الشخصية فيجرى الحديث، فمواجحة قضية تنقصها فيجرى الحوار الصحفى؛ خير تجسيم لفكرة "هيجل" وللنزعنة الديالكتيكية "بعامة" لتوليد قضية جديدة تتراءى من وراء تصارع الآراء، ولهذا يغدو الحديث الفردى *Monologue* معيناً إذا طال في المقال الحديث.

وللمرّر في طريقة تقديم الشخصية؛ أن يصورها من خلال حركتها وموافقها في الحوار الذي يجريه معه، والحديث الصحفى في هذه الحالة ذو طابع مسرحي؛ لأن أبطاله (وهم هنا المتحاورون)؛ يصورون أنفسهم في حركتهم؛ ويرسمون أمامنا وهم يتحاورون؛ وبهم يكتسب الحديث الصحفى طابعاً درامياً، إن جاز التعبير، وهو الطابع الذي نبه "أرسطو" أى قيمته في الملحمة من قبل؛ ومدح "هوميروس" من أجله^(١).

وقد يلجأ المحرر في تحرير حديثه إلى عنصر قصصي في حكايته؛ ثم إلى وصف المجال الذي يتحرك فيه محدثه؛ فهو تفسير بعض ما يقوم به من أفعال. وقد يعتمد المحرر في شيء من ذلك على التقديم الدرامي - كما تقدم؛ ولكنه يستقل بالحديث عنه خارج هذا التقديم.

ومنذ الواقعيين والطبيعيين أصبح المؤلف القصصي يقوم بهذا الوصف والتفسير؛ الذي يقوم به المحاور الصحفى، دون أن يظهر ظهوراً مباشراً. فهو يذكر الحقائق والأراء من غير طابع وجاذب؛ ويحيث تظهر كأنها صادرة عن قاض محاب مصاحب للشخصيات، وقد تتطابق آراء المحاور مع الشخصية التي يحاورها في الحديث الصحفى؛ ولكن دون أن يظهر ظهوراً مباشراً، فعليه أن يسجل الآراء في السياق الذي يجعلها تبدو موضوعية خالصة.

ويستحسن في تحرير الحديث الصحفى؛ لا يتدخل المحرر تدخلًا سافرًا بالشرح أو التعليل مستقلًا في ذلك عن الحوار، وينبغي أن يكون تدخله في أضيق الحدود. كأن يقصد في تدخله إلى الغوص في أعمق الشخصية في إجمال دون تفصيل.

والبنية القصصية في فن الحديث الصحفى؛ تقوم على تصوير الشخصيات؛ التي تثير كثيراً من المشاعر، وألواناً من العطف والتقدير؛ وتولد الفكرة إثر الفكرة، والرأي إثر الرأي. ومن هنا كانت أهمية التشخيص القصصي Characterization في الحديث الصحفى. ولكن يستطيع المحرر أن يجعل القارئ متعاطفًا وجاذبًا مع الشخصية التي يجري معها الحوار؛ يجب أن تكون هذه الشخصية كما هي في سياق التقويم الصحفى.. شخصية متحركة في التعبير وال الحوار؛ فالقارئ يريد أن يراها وهي تتحرك؛ وأن يسمعها وهي تتكلم، يريد أن يتمكن من رؤيتها رأى العين.

(١) د. محمد غنيمي هلال : السابق ص ١٤٤ - ١٤٥ .

وكما يميز النقاد في أنواع القصة؛ بين ما يعرف بقصة "الحادثة" وبين "قصة الشخصية"^(١). فإن التحرير الصحفى يميز بين ما يعرف بحدث القصة الخبرية الذى يقوم على الحركة؛ وبين حديث الشخصيات؛ فالأولى تمثل الواقع؛ والأخرى تمثل المواقف. ففي الأولى يكون الاهتمام بالحادثة أولاً، ثم اختيار الشخصيات المناسبة وفي الأخرى يكون العكس.

رابعاً: حديث الإمتاع والمؤانسة:

ويهتم المذوب الصحفى في هذا النوع من الحديث بشخصية المتحدث، وفلسفته في الحياة أكثر مما يهتم بنوع اختصاصه، بهدف تقديم المعلومات والتسلية وإلقاء الضوء على الجوانب الخفية من حياة الشخصيات مثلاً، على النحو الذى يؤدى وظيفة الإمتاع والمؤانسة في الاتصال الصحفى.

وقد أظهرت الدراسات؛ أن الراشدين من قراء الصحف؛ يلتفتون إلى الموضوعات الخفيفة والأشرطة المتابعة والرسوم أكثر من التفاتهم إلى المعلومات حول المسائل العامة أو الإعلانات. ومع أن المجالات قد أخذت تزيد من حديتها؛ منذ مقدم التليفزيون؛ فإن بعضها لا يزال يقدم التسلية أساساً، وبعض أجزاء المجالات الجادة ترفيهية صريحة.

على أن الترفيه ليس عنصراً سلبياً - كما يُظن.. لذلك يجب أن ننظر في آثاره الإيجابية من منظور الإمتاع والمؤانسة "في الاتصال الصحفى". ومن القلائل الذين استطاعوا الدفاع عن الترفيه بأسلوب أكثر وضوحاً "تشارلين براون" من جامعة "ستانفورد" حين يقول: "إن الترفيه ضروري لنجراحة التي تمكن البشر من مواجهة متطلبات الحياة الحديثة - أو حتى متطلبات الحياة في عمومها فقط - وليس لنا جميعاً نفس الأحساس. وصفوة المثقفين يفضلون أن يتخد الترفيه عندهم أشكالاً مختلفة عن الأشكال التي يقلبها دوّن الثقافة المتواضعة؛ ومع ذلك فهو ترفيه مهمًا يمكن أسلوبه الفنى أو مضمونه المثقل بالمعانى والناس بحاجة إلى الاسترخاء ونضيف إلى ذلك الصحبة والمؤانسة أيضًا.

(١) د. عز الدين إسماعيل: الأدب وفنونه؛ ص ١٨٠.

وليس معنى ذلك أن الصحف تهمل المضمون الجاد الذى يقدم بطريقة جادة؛ فمن المؤكد أنها تقوم بعملها فى هذا المجال؛ بطريقة أفضل مما كانت تفعله من قبل. ومع ذلك فمن الصحيح أن الصحف لابد ان تراعى القارئ دائمًا، عندما تقدم مناقشة جادة، أو معلومات، ونظرًا لطبيعة عدم التجانس بين القراء، فلا ينبغي للصحفيين أن يترجموا الموضوعات والقضايا المعقدة إلى عبارات مفهومة لدى القراء فحسب، بل عليهم أن يفعلوا ذلك بطراوة أيضا. فالهدف الأساسي للتحرير الصحفى، قبل كل شيء هو أن يجعل ما يقدمه مقرراً ويستهدف المحرر المراجع جذب الانتباه بالعنوان.. فإذا ما كانت طريقة معالجة الموضوع وعنوانه يجذبان القارئ إلى المادة الجادة ؛ فإن ذلك له ما يسوغه في حد ذاته" على حد تعبير "ريفرز"؛ الذى يذهب إلى أن إيجاد جمهور كبير والمحافظة عليه، أحياناً وخاصة في مجال المجلات ذات التوزيع المرتفع؛ كان من نتائجه الدمج بين وظيفة الترفيه ووظيفة التنشئة. ومنذ الحرب العالمية الثانية قامَت كثيرة من المجلات بتقسيم موضوعاتها غير القصصية؛ على افتراضات أن القراء لم يعودوا يطليقون الموضوعات الطويلة؛ وإن كان هناك بعض المجلات التي تخصص بعض أعمدتها لموضوعات أطول وأكثر جدية. ومع ان بعض المجلات قد وجد أشكالاً قيمة بديلة عن المقال التقليدي؛ فإن الكثير من الكتاب لا يزال يطور مقالاته، وموضوعاته، لا عن طريق العرض المباشر، وإنما عن طريق تقديم بعض العموميات؛ أوالحوار؛ وايضاً كل منها بالعديد من الحكايات والأحاديث المسرحية.

وغالباً ما تكون النتيجة قليلاً من المعلومات مغلفة في كثير من الترفيه، وعندما اكتشفت بعض المجلات أن القراء يهتمون بالناس أكثر من اهتمامهم بالأفكار أخذت تستخدم الشخصيات كمشجب تعلق عليه ما تقدمه من موضوعات عامة.

ويذهب "جوزيف ت. كلابار" في دراسته لآثار وسائل الإعلام؛ إلى أن الناس يستخدمون الترفيه أحياناً للهروب من الشعور بعدم الإطمئنان؛ وذلك بتقمص الشخصيات الناجحة في القصص والمقالات والأحاديث والأفلام والإذاعات. وإذا ييسر التقمص المشاركة الخيالية في حياة الآخرين الطيبة؛ وانتصارتهم؛ فإنه يمنع الإحساس بالهيبة؛ ويذهب "كلابار" إلى أن ذلك لا ضرر منه في أسوأ الأحوال، كما أنه مفيد في احسن الأحوال.

وتأسيسا على هذا الفهم، فإن المهم في هذا النوع من أنواع الحديث الصحفى ليس "ما يقال" ولكن "كيف يقال"؟

ولذلك فإن المتحدث هنا - كما يقول د. حمزة - هو "محور الحديث". إذ الغرض الأساسي في الواقع هو تصوير هذه الشخصية الإنسانية بما فيها من طرافة أو غرابة أو تعقيد أو بساطة.. ولذلك يعني المحرر الصحفى بنبرات الصوت، وحركات المحدث، وتعبيرات الوجه، ولون الملابس، وطريقة الجلوس وما إلى ذلك كله.

وباختصار . يهتم المخبر الصحفى في هذا النوع من الحديث، بشخصية المتحدث، وفلسفته في الحياة أكثر مما يهتم بنوع اختصاصه أو بنوع تجاريه وخبراته. وإذا عرض لشئ من ذلك فإنما يكون من أجل تصوير شخصيته أكثر من الاهتمام بما يصدر عنها من رأى^(١).

وإذا كان على المذوب أو المحرر أن يصنع ذلك في مرحلة الإعداد للحديث؛ فإن مرحلة قيادة الحديث تتخذ خطوات أخرى هي: استهلال الحديث، توجيه الأسئلة، للحصول على إجابات شافية - خطوة المراجعة.

تحرير الحديث الصحفى :

وتحرير الحديث الصحفى يقوم على مراعاة القيم الخبرية العامة: الجدة الزمنية - القرب المكانى - الضخامة - الدلالة - سياسة الصحفة - من جهة، ويتسم بالدقة والأمانة والصدق من جهة أخرى.

وإذا كانت الصحافة الحديثة قد عدلت عن طريقة نشر الأسئلة والإجابات نشرا حرفيًا، فإنها اتخذت من النمط التحريري الخاص "بالقصة الخبرية" نمطا فنيا لصياغة الحديث، وهو النمط الذي تحدثنا عنه في كتاب "فن التحرير الإعلامي" بالتفصيل حيث يمكن صياغة "Lead" الحديث بحيث يحتوى على أهم نقاطه المثارة مع تصوير جذاب لشخصية المتحدث "صلب" "Body" الحديث تصاغ الأسئلة والإجابات بطريق مباشر حينا، وبأسلوب غير مباشر حينا آخر ويفيد المحرر كثيرا من

(١) د. عبداللطيف حمزة : السابق ص ٢٢٧ .

الوصف في صلب الحديث حتى يتسع المحرر توضيح وجهة نظر المتحدث، والقاء الأضواء على شخص محدثه.

وفي حديث الخبراء والبحث عن الواقع، نفيذ من الأساطير الخبرية في التحرير والنمط الاقتباسي خاصه. وكذلك في حديث الرأي - حيث ترکز على الرأي الذي خرج به المتحدث في المقدمة (النمط الاقتباسي خاصه).

والغاية بتحرير مقدمة الحديث تقتضي الإفاده من أنواع تحرير المقدمات التقليدي منها والجديد، وهي التي تحدثنا عنها تفصيلا في الفصول السابقة من هذا الكتاب: الشقيقات الخمس - التجديد في المقدمة: المقدمة الساخنة - مقدمة الصورة - المقدمة المقارنة - المقدمة التساؤلية - المقدمة الاقتباسية - المقدمة الوصفية - المقدمة الإذاعية.

نوصص للدراسة

أولاً: نماذج للحوار في الأدب العربي القديم

والحوارُ ضربٌ من الأدبُ عُرِفَ منذِ الجاهلية في خطب المفاخرات والمناقفات ولكنَه مُنذُ الإسلام أخذَ هذا الاسمَ لما في التسمية الأولى من ظاهر المخالفة للدين الذي نهى عن تفاحر الجاهلية وتنافرها، القائم على عصبيتها ونعرتها، والدعاء - عن جهلِ وسفهِ بدعوتها.

ولقد بقى ذا مكانةً وشرف طوالَ القرنينِ الأولينَ من الهجرة تقرباً، وكانت قريشَ أحضرَ العربَ فيه بديهيةً، وأسرعَها عندَ السؤالِ جواباً، وقد أَسَأَلتُ أوديتهُ الخلافاتُ السياسيةُ والمذهبيةُ، وبخاصةً في عهدِ معاويةٍ الذي فتحَ بابَه على مصارعيه لقيامِ سياسته على التغاضي عن القولِ والتحلُمِ إزاءِ التَّرَبُّدِ فيه.

وفيما يلى نماذج في العصر الأموي والصدر العباسى تتبين منها كيف كانت قوةَ الحوارِ وكيف تمثل رافداً من روافد تأصيل الحوار والحديث الصحفى في العصر الحديث:

بين معاوية وعقيل بن أبي طالب.

لما اعتزل عقيلُ بنُ أبي طالبِ أخاه علياً كرمَ اللهُ وجهه، إلى معاويةٍ يطلبُ عندهُ الدنيا، قال له معاويةٌ : أنا خيرُك من أخيك علىٌ، فقال عقيلٌ : صدقتَ، إنَّ أخَيَ آثرَ دينَه على دُنياه، وأنتَ قد آثرتَ دنياك على دينك، فأنتَ خيرٌ لِي من أخي، وأخَيُ خيرٌ لنفسِه مُنذُ.

ما فَضَلَ لِأَبِيكَ، وَكَانَ أَبُوكَ كَذَلِكَ لِأَبِيِّ، وَلَكُنْ مِنْ هَنَّا أَبِاكَ بِإِخَاءِ أَبِيِّ أَكْثَرَ مِنْ هَنَّا أَبِيِّ إِيَّاهُ أَبِيكَ، نَصَرَ أَبِيِّ أَبِاكَ فِيِّ الْجَاهِلِيَّةِ، وَحَقَّنَ دَمَهُ فِيِّ الإِسْلَامِ^(١)، وَأَمَّا استعمالُه على إِيَّانَا فِلَنْفَسِهِ دُونَ هُوَاهُ، وَقَدْ اسْتَعْمَلَتْ أَنْتَ رِجَالًا لِهُوَاهَ لَا لِنَفْسِكَ : مُنْهَمَّ ابْنُ الْحَضْرَمِيِّ عَلَى الْبَصَرَةِ فُقْتَلَ، وَبُشَّرَ بْنُ أَرْطَاهَ عَلَى الْيَمَنِ فَخَانَ، وَحَبِيبُ بْنُ مُؤَمَّةَ عَلَى الْحَجَازِ فَرَدَ، وَالصَّحَّاحُ بْنُ قَيْسِ الْفَهْرِيِّ عَلَى الْكُوفَةِ فَحُصِّبَ، فَلَوْ طَلَبْتَ مَا عَنَّنَا وَقَيْنَا أَعْرَاضَنَا، وَلِيَسَ الَّذِي يَبْلُغُكَ عَنَا بِأَعْظَمَ مَا يَبْلُغُنَا عَنَّكَ، وَلَوْ وُضِعَ

(١) يشير إلى ما كان من خروج العباس مع أبي سفيان يوم بدن ثم إلى ما كان من شفاعته له يوم فتح مكة عند رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

أصغر ذنوبكم إلينا على مائة حسنة لحقها، ولو وضع أدنى ذنوبنا إليكم على مائة سيئة لحسنها، وأما حذلنا عثمان فلو لزمتنا نصره لنصرناه^(١)، وأما قتلنا أنصاره يوم الجمل فعلى خروجهم مما دخلوا فيه، وأما حربنا أياك بصفين فعلى ترك الحق وادعائكم الباطل، وأما إغراوك إيانا بتهم وغدئ فلو أزدناها ما غلبونا عليها^(٢) وسكت^(٣).

بين معاوية وعبدالله بن الزبير

دخل الحسين بن علي رضي الله عنهما يوماً على معاوية وعنه جماعة من قريش فيهم ابن الزبير فرحب به وأجلسه على سريره وقال: ترى هذا القاعد - وأشار إلى ابن الزبير - فإنه ليدركه الحسد لبني عبد مناف^(٤) فقال ابن الزبير لمعاوية: قد عرفنا فضل الحسين وقرباته من رسول الله^(ﷺ)، لكن إن شئت أعلمك فضل الزبير على أبيك أبي سفيان فعلت، فقال معاوية:

قاتلك الله يا ابن الزبير ما أعنيك وأبعاك^(٥)! أتفخر بين يدي أمير المؤمنين وأبي عبد الله^(٦)؟ إنك أنت المُعذى بطورك، الذي لا تعرف قدرك، فقس شبرك بفُترك^(٧)، ثم تعرَّفْ كيف تقع بين عَرَابَيْنَ بْنَ عَبْدِ مَنَافَ^(٨)، أما والله لئن دفعت في بحُورِ بني هاشم وبيني عبد شمس لَتَقْطَعَكَ بِأَمْوَاجِهَا، ثم لَتُوَهِيَّنَ بِكَ فِي أَجَاجِهَا^(٩)، فما بقاوك

(١) يعرض بمعاوية إذ كان أولى من بني هاشم بنصرة عثمان لأنهما أموياني.

(٢) الضمير للخلافة.

(٣) في هذه المحاورة يقول ابن أبي لهب :

كان ابن حرب عظيم القدر في الناس .. حتى رماه بما فيه ابن عباس ما زال يهبطه طوراً ويسعده .. حتى استفاد وما بالحق من باس لم يترك خطة مما يذلة .. إلا كواه بها في فروة الرأس

(٤) عبد مناف الجد الذي يجمع بين بني هاشم وبيني أمية فهاشم ابن عبد مناف وأمية ابن عبد شمس بن عبد مناف، أما آل الزبير فمن عبد العزى أخي عبد مناف بني قصي.

(٥) ما أعنيك : ما أتعجبك.

(٦) كنية الحسين.

(٧) الشبر : ما بين طرف الإبهام والخنس، والفتر : ما بين الإبهام والسبابة.

(٨) العرينين في الأصل الأنف أو ما صلب من عظمه وهو هنا السيد الشريف.

(٩) أوهاء : أُسْقَطَهُ وَالْأَجَاجُ : الملح المـ

في البحور إذا غمرت، وفي الأمواج إذا بهرتك^(١) هنالك تعرف نفسك وتندم على ما كان من جرائك، وتمنّى^(٢) ما أصبحت فيه من أمان، وقد حيل بين العيّر والرّوان^(٣).

فأطرق ابن الزبير ملياً ثم ربع رأسه فالتفت إلى من حوله وقال :

أسألكم بالله، أتعلمون أنّ أبي حواري رسول الله^(٤)، وأنّ أبا سفيان حارب رسول الله^(٥)، وأنّ أمي اسماء بنت أبي بكر الصديق وأمه هند آكلة الأكباد^(٦) وجدى الصديق وجده المشدود ببدر ورأس الكفر^(٧)، وعمتي خديجة ذات الخطر والحسب وعمته أم جميل حمالة الحطب^(٨)، وزوج عمتي خير ولد آدم محمد^(٩) وزوج عمته شر ولد آدم أبو لهب، **﴿سَيَصْنُلُ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾** وخلالى عائشة أم المؤمنين وخالته أشقي الأشقيين، وأنا عبد الله وهو معاوية.

فقال معاوية:

وَيُحَكِّ يَا بْنَ الْزَّبِيرِ؟ كَيْفَ تَصْفُ نَفْسَكَ بِمَا وَصَفْتَهَا، وَاللَّهُ مَا لَكَ فِي الْقَدِيمِ مِنْ رِيَاسَةٍ. وَلَا فِي الْحَدِيثِ مِنْ سِيَاسَةٍ، وَلَقَدْ قُدْنَاكَ وَسُدْنَاكَ قَدِيمًاً وَحَدِيثًاً، لَا تَسْتَطِعُ لَذَكَ إِنْكَارًا، وَلَا عَنْهُ فِرَارًا، إِنْ هُؤُلَاءِ الْحَضُورُ لَيَعْلَمُونَ أَنَّ قَرِيشًا قَدْ اجْتَمَعَتْ يَوْمَ الْفِجَارِ^(٨). عَلَى رِيَاسَةِ حَرْبِ بْنِ أُمِّيَّةِ، وَأَنْ أَبَاكَ وَأَسْرَتَكَ تَحْتَ رَأْيِهِ رَاضُونَ بِإِمَارَتِهِ غَيْرُ مُنْكِرِينَ لِفَضْلِهِ وَلَا طَامِعِينَ فِي عَزْلِهِ، إِنْ أَمْرَ أَطْاعُوكَ وَإِنْ قَالَ أُنْصَتَوْكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيْنَا الْقِيَادَةَ وَعَرَّ الْوَلَايَةَ، حَتَّى بَعْثَ عَرْ وَجْلَ مُحَمَّداً^(١٠)، فَانْتَخَبَهُ بَيْنَ خَيْرِ خَلْقِهِ، مِنْ أَسْرَتِكَ لَا أَسْرَتَكَ، وَبَنِي أَبِي لَبْنَي أَبِيكَ، فَجَحَدَتْهُ قَرِيشٌ أَشَدَّ الْجَحْودِ، وَأَنْكَرَتْهُ أَشَدَّ الْإِنْكَارِ، وَجَاهَتْهُ أَشَدَّ الْجَهَادِ، إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ مِنْ قَرِيشٍ، فَمَا سَادَ قَرِيشًا وَقَادَهُمْ إِلَّا أَبُو سَفِيَانَ أَبْنَ حَرْبٍ، فَكَانَتِ الْفِتْنَانُ ثَلَاثِيَّانٌ وَرَئِيسُ الْهَدِيَّ مِنْهُ، وَرَئِيسُ الْضَّلَالِّ مِنْهُ.

(١) بهره بحراً كفتح : غلبه.

(٢) أصله تتمنى، ويرى وتمسى بمعنى تودع.

(٣) العين: الحمار وغلب على الوحشى، وزواهه : وثيبة، وهو مثل يضرب للقوى تخور قواه.

(٤) الحوارى : الناصر أو ناصر الأنبياء.

(٥) يشير إلى ما فعلته هند يوم أحد.

(٦) المشدود : المكسور المقتول وهو يعنى عتبة بن ربيعة جد معاوية لأمه.

(٧) هي زوج أبي لهب وفيهما نزلت السورة.

(٨) هي حرب هاجت بين قريش وكنانة، وبين هواند.

فهديكم تحت راية مهدىنا، وضالكم تحت راية ضالنا، فنحن الأرباب وأنتم الأذناب، حتى خلص الله أبا سفيان بن حرب بفضله من عظيم شركه، وعصمه بالإسلام من عبادة الأصنام، فكان في الجاهلية عظيمًا شأنه، وفي الإسلام معروفاً مكانه، ولقد أعطى يوم الفتح ما لم يعط أحد من آبائك، وإن منادي رسول الله (ﷺ) نادى "من دخل المسجد فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن" فكانت داره حرماً لا دارك ولا دار أبيك. وأما هند فكانت امرأة من قريش في الجاهلية عظيمة الخطر، وفي الإسلام كريمة الخبر، وأما جدك الصديق فبتصديق عبد مناف سمي صديقاً، لا بتصديق عبد العزى، وأما ما ذكرت من جدي المشدود بيد، فلعمرى لقد دعا إلى المبارزة هو وأخوه وابنه فلو بربرت إليه أنت وأبوك ما بارزوك ولا رأوك لهم أكفاء، كما طلب ذلك غيركم فلم يقبلوهم، حتى بربرت إليهم أكفاءهم من بنى أبيهم، فقضى الله مناهم بآيديهم، فنحن قتلنا ونحن قتلنا، وما أنت وذاك؟، وأما عمتك أم المؤمنين فبنا شرفت وسميت أم المؤمنين، وخالتك عائشة مثل ذلك، وأما صفةٍ فهى التي أدنك من الظل، ولولا هي لكنت ضاحياً^(١). وأما قولك أنا عبد الله وهو معاوية، فقد علمت قريش أينا أجود في الإلزم^(٢). وأحرزت في القدم^(٣). وأمنع للحرم، لا والله ما أراك متهدى حتى تروم من بنى عبد مناف ما رام أبوك، فقد طالعهم الذ حول، وقدم إليهم الخيول، وخدعتم أم المؤمنين ولم تراقبوا رسول الله (ﷺ)، إذ مددتم على نسائكم السجوف^(٤). وأبرزت زوجه للحتوف، ومقارعة السيف، فلما التقى الجمuan، نكس أبوك هارباً فلم يذ جه ذلك أن طحنه أبو الحسين بكلكله طحن الحصى بآيدي العبيد^(٥). وأما أنت فأفلتت بعد أن خمشتك برائينه^(٦). ونالتك مخالبها، وایم الله ليقومتك بنو عبد مناف بثقافها^(٧).

(١) يشير إلى أن شرف آل الزبير جاءهم من مصاورة أبيهم لعبد المطلب في ابنته صافية.

(٢) كعنب جمع أزمه وهي الشدة والقحط.

(٣) القدم بفتحتين : السابقة في الأمر.

(٤) القدم بفتحتين : السابقة في الأمر.

(٥) جمع سجف بالفتح ويكسر وهو الستر.

(٦) كل ما يحصد من زرع، وقد كان الطحن يوكل أكثر ما يوكل إلى العبيد.

(٧) الثقاف : حديدة تسوى بها الرماح.

أولى صيغ من هنا صباح أبيك بوادي السباع^(١). وما كان أبوك المدهن حنة^(٢). ولكنه كما قال الشاعر:

تناول سرحانٌ فريسة ضيغٌ :: فقضضته بالكتٌ منه وحطما

بین عبد الملك بن مروان ورجل من آل صوحان^(٣)

خطب عبد الملك بن مروان يوماً فلما بلغ العيلة قام إليه رجل من آل صوحان فقال: مهلاً يا بني مروان، تأمورون ولا تأمرون، وئهون ولا تنهون، وتعظون ولا تعطون، أفتقدتكم في أنفسكم، أم نُطْبِع أمركم بالسنتكم، فإن قُلْتُم اقتدوا بسيرتنا، فأنئ، وكيف، وما الحاجة، وما المصير من الله؟ أفتقدتكم بسيرة الظلمة الفسقة الجورة الخونة، الذين اخْذُوا مال الله ذولاً^(٤). وعبيده حولاً^(٥). وإن قُلْتُم اسمعوا نصيحتنا وأطِيعوا أمرنا، فكيف ينصح لغيره من يعيش نفسه؟ أم كيف تجب الطاعة لمن لم تثبت عند الله عدالته؟ وإن قلتم خذوا الحكمة من حيث وجدتموها، واقبلا العيضة مِمَّن سمعتموها، فعلام ولئنكم أمرنا، وحَكَمْنَاكم في دمائنا وأموالنا؟ أما علِمْتُم أن فينا من هو أنطق منكم باللغات، وأفصح بالعظات، فتخلوا عنها وأطلقو عقالها^(٦). وخلوا سبيلها، يُتَدِّبِّرُ إلَيْهَا^(٧). آن رسول الله^(صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) الذين شرَّدُتهم في البلاد، ومرَّتهم في كل وادٍ. بل ثبَّتُ في أيديكم لانقضاء المدة، وبلغ المهلة، وعزم المحنَّة،

(١) اسم موضع وهو المكان الذي قتل فيه ابن جرموز الزبير بن العوام وهو قافل من وقعة الجمل.

(٢) الحد: البأس، والمدهن: المغشوش يريد أن يقول إن الزبير كان ذا شجاعة ولكنه طمع في بني عبد مناف وهم أشجع منه.

(٣) هم آل بيت عرفا على شجاعتهم وجودهم بالفصاحة واللسان؛ قال معاوية لعقيل بن أبي طالب يوماً: ميز لي أصحاب على وأبدأ بالصوحان فإنهم مخاريق الكلام فقال "أما صعصعة فعظم الشان؛ قائد فرسان، قاتل أقران، يرتق ما فتق، وينتفق ما رتق، قليل النظر، وأما زيد وعبد الله فإنهما نهران جاريان، يصب فيهما الخلجان، وينغاث بهما البلدان، رجالاً جد لا لعب معه، وأما بنوهم فكما قال الشاعر

إذا نزل العدو فإن عندي أسوداً تخلس الأسد النفوسا

(٤) جمع دولة بالضم أي تداولوه بينهم دون غيرهم.

(٥) ما خولك الله وأعطيك من العبيد والإماء وسائل النعم.

(٦) الضمير للخلافة.

(٧) انتداب إلى الأمر: أسرع إليه.

إن لكل قائم قدرًا لا يعدوه، ويومًا لا يخطوه، وكتاباً بعده يتلوه، **﴿لَا يُغَادِرْ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾** **﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلِبٍ يُنَقْلِبُونَ﴾**.

بين خالد بن يزيد وعبد الملك بن مروان

جاء عبد الله بن يزيد بن معاوية إلى أخيه خالد في أيام عبد الملك فقال: لقد هممت اليوم يا أخي أن أفتلك بالوليد بن عبد الملك، فقال له خالد: بئس والله ما هممت به في ابن أمير المؤمنين وولي عهد المسلمين، فما ذاك؟

قال: إن خيلى مررت به فعشت بها وأصغرتني، فقال له خالد: أنا أكفيك، فدخل على عبد الملك والوليد عنده فقال: يا أمير المؤمنين إن الوليد ابن أمير المؤمنين وولي عهد المسلمين، مررت به خيل ابن عمه عبد الله بن يزيد فعشت بها وأصغرته، وكان عبد الملك مطروقاً، فرفع رأسه وقال: **﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَةً أَذْلَهَا وَكَذَّلَكَ يَفْعَلُونَ﴾** فقال خالد: **﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ تُهْلِكَ قَرْيَةً أَمْرَنَا مُثْرِفِهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَوَّلَ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾** فقال عبد الملك: أفي عبد الله ثكلمني؟ والله لقد دخل أمس على، فما أقام لسانه لحناً، فقال خالد: أفعل الوليد تعوّل يا أمير المؤمنين؟

قال عبد الملك: إن كان الوليد يلحن فإن أخاه سليمان، فقال خالد: وإن كان عبد الله يلحن فإن أخيه خالد، فالتفت الوليد إلى خالد وقال له: اسكت يا خالد فالله ما تُعَذُّ في العبر ولا في النغير، فقال خالد: اسمع يا أمير المؤمنين، ثم التفت إلى الوليد فقال له: **وَيَحْكَ مَنْ صَاحِبَ الْعِبَرَ وَالنَّفَرَ غَيْرَ جَدِّي** أبو سفيان صاحب العين وجدى عتبة صاحب النغير^(١)؟ ولكن لو قلت غنائم وحبيلات، والطائف، ورحم الله عثمان، لقلنا صدقت^(٢).

(١) العبر الإبل تحمل المبرة، والمراد هنا عبر قريش التي كان يقودها أبو سفيان، وترصدتها رسول الله، فساحل بها أبو سفيان وترك بدرا يسراها، والنغير: القوم ينفرون للحرب، وهو هنا مشركو مكة الذين خرجنوا يستنقذون العبر تحت رياضة عتبة بن ربيعة جد معاوية لأمه ولم يختلف إلا بنوزهرة، فقيل فيهم المثل **“لا في العبر ولا في النغير”**.

(٢) يشير إلى ما كان من طرد رسول الله **(ص)** الحكم بن العاص جد عبد الملك بن مروان بن الحكم إلى الطائف وإقامته هناك طريداً يأوي إلى حبيلات أى كريمات يستظل بها ويرعى غنائم يشرب لبنها إلى أن تلت الخلافة إلى عثمان فربه للرحم بينهما، وقيل بأمر كان قد حصل عليه من رسول الله لو ألت إليه الخلافة.

بين عبد الملك وخالد بن عبد الله بن أسيد

جلس عبد الملك بن مروان يوماً عند رأسه خالد بن عبد الله بن أسيد بن أبي العاص بن أمية وعند رجليه أمية أخوه خالد، وأدخلت عليه الأموال التي جاءت من قبل الحاج فوضع بين يديه فقال :

"هذا والله التوفير وهذه الأمانة، لا ما فعل هذا وأشار إلى خالد، استعملته على العراق فاستعمل كل ملطي فاسق^(١)، فأدوا إليه العشرة واحداً وأدى إلى من العشرة واحداً، واستعملت هذا على خراسان وأشار إلى أمية فأهدى إلى بزدؤين حطمين^(٢)، فإن استعملتكم ضيئتم، وإن عزلتكم قلتم استخف بنا وقطع أرحامنا. فقال خالد :

استعملتني على العراق وأهله رجلان، سامع مطيع مناصح، وعدو مبغض مكاشي^(٣)، فأما السامع المطيع المناصح فإنما جزيئاه ليؤداد ودعا إلى وده، وأما المبغض المكاشي فإنما داريناه ضغنه، وسئلنا حقه، وكثروا لك المودة في صدور رعيتك، وإن هذا^(٤) جئي الأموال، وزرع لك البغضاء في قلوب الرجال فيوشك أن ثنيت البغضاء فلا أموال ولا رجال.

فلما خرج ابن الأشعث على عبد الملك قال عبد الملك : هذا والله ما قال خالد.

بين عبد الملك وأحد عماله

بلغ عبد الملك أن عامله قيل هدية فأمر بإشخاصه إليه، فلما دخل عليه قال : أقيمت هدية منذ وليتك؟ قال يا أمير المؤمنين، بلادك عامرة، وخراجك موفون ورعايتك على أفضل حال، قال، أجب فيما سألك عنه، أقيمت هدية منذ وليتك؟ قال: نعم فقال له :

لئن كنت قيلت ولم تعوض، إنك اللئيم، ولئن أثلت مهديك لا من مالك أو استكفيته ما لم يكن يستكفاه، إنك لحائر خائن، ولئن كان مذهبك أن تعوض المهدى

(١) لط حقه وألطه: جدده.

(٢) يقال فرس حطم كفر : إذا هزى وأحسن فضعف وتهدم.

(٣) المكاشي : الذي يضر لك العداوة بين كشحه ومثله الكاشي.

(٤) يعني الحاج.

إليك من مالك وقيلت ما اتهمك به عند من استكفاك وبساط لسان عائبك وأطعم فيك أهل عملك، إنك لجاهل، وما فيمن أتى أمراً لم يخل فيه من دناءة أو خيانة أو جهل مُصطنع، ثم نحاه عن عمله.

بين عبد الملك والعجاج الراجز

دخل العجاج بن رؤبة على عبد الملك بن مروان فقال عبد الملك، يا عجاج بلغنى أنك لا تقدر على الهجاء، فقال: يا أمير المؤمنين: من قدر على تثبيط الأبنية أمكنه إخراج الأبنية، قال: فما يمنعك من ذلك؟ قال إن لنا عزماً يمنعنا من أن نُظلم، وإن لنا حلماً يمنعنا من أن نُظلم، فعلام الهجاء؟ فقال: لكلماتك أشعر من شعرك، فأئن لك عزماً يمنعك من أن تُظلم؟ قال: الأدب البارع، والفهم الناصع، قال: فما الحلم الذي يمنعك من أن تُظلم؟ قال الأدب المستطرف، والطبع التالد. قال: يا عجاج أقد أصبحت حكيمًا. قال: وما يمنعني وأنا تجيئي أمير المؤمنين؟.

بين الحجاج وكعب الأشقرى

لما هزم المهلب بن صفرة الأزارقة وقتل خليفتهم عبد ربه الصغير أوفد بذلك إلى الحجاج كعب بن معدان الأشقرى، فلما دخل عليه قال له الحجاج: أخبرنى عن بنى المهلب، فقال: المُخيرة فارسُهم وسيدهم، نار ذاكية، وصَدَعَة عالية^(١)، وكفى بيزيد فارساً شجاعاً، ليث غاب، ويحرجُ عباب، وجواهدهم وسخيمهم قبيصة، ليث المغار^(٢)، وحامى الدُّمان، ولا يستحيى الشجاع أن يفر من مُدرك، وكيف لا يفر من الموت الحاضر، والأسدُ الخادر، وعبد الملك سُمّ ناقع، وسيف قاطع، وحبيبُ الموت الزعاف^(٣)، إنما هو طود شامخ، وفخر باذخ، وأبو عينية البطل الهمام، والسيف الحسام^(٤)، وكفاك بالمفصل نجدة، ليث هذار، ويحر موار^(٥)، ومحمد ليث غاب، وحسام ضراب. قال: فكيف كانوا فيكم؟ قال: كانوا حمامة السُّرُج نهاراً فإذا أليلوا ففرسان البيات^(٦). فقال: فأئمهم كان

(١) الصدعة: القناة تنبت مستوية مثقفة.

(٢) المغار: مصدر ميمى أى الإغارة.

(٣) الزعاف وبالذال أيضاً: السم القاتل ل ساعته.

(٤) الحسام القاطع: من حسم الشيء قطعه.

(٥) الموار: المضطرب بأمواجه.

(٦) السرج: السائمة تسرح المرعى، وأليوا: دخلوا في الليل.

أَنْجَدَ، قَالَ: كَانُوا كَالْحَلْقَةِ الْمَفْرَغَةِ لَا يَدْرِي أَيْنَ طَرْفَاهَا، قَالَ: فَكِيفَ كَانَ لَكُمُ الْمَهْلَبُ وَكُنْتُمْ لَهُ؟ قَالَ: كَانَ لَنَا مِنْهُ شَفَقَةُ الْوَالِدِ، وَلَهُ مَنَابِرٌ قَالَ: فَكِيفَ كَانَ جَمَاعَةُ النَّاسِ؟ قَالَ: عَلَى أَحْسَنِ حَالٍ؛ أَدْرِكُوا مَازْجَوَاهُ، وَأَمْنِنَا مَا خَافُوا، وَأَرْضَاهُمُ الْعَدْلُ، وَأَغْنَاهُمُ النَّفْلُ^(١)، قَالَ: فَكِيفَ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَعُدُوكُمْ؟ قَالَ: كَنَا إِذَا أَخْذَنَا عَفْوَنَا، وَإِذَا أَخْذَوْنَا يَئِسْنَا مِنْهُمْ، وَإِذَا اجْتَهَدُوا وَاجْتَهَدْنَا طَمِعْنَا فِيهِمْ، فَقَالَ الْحَجَاجُ: إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَقِينَ، كَيْفَ أَفْلَتُكُمْ قَطْرِيًّا^(٢)؟ قَالَ: كَذَنَاهُ بِعِصْبَرٍ مَا كَادَنَا بِهِ فَصَرَنَا مِنْهُ إِلَى الَّذِي نَحْبُ، قَالَ: فَهَلَا أَتَبْعَثْمُوهُ؟ قَالَ: كَانَ الْحَدُّ عِنْدَنَا أَتْرَ منَ الْفَلِّ^(٢). قَالَ: أَكْنَتْ أَعْدَدْتُ لِي بَعْضَ هَذَا الْجَوَابِ؟ قَالَ: لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ الْحَجَاجُ: هَذَا تَكُونُ وَاللَّهُ الرَّجَالُ، الْمَهْلَبُ كَانَ أَعْلَمُ بِكَ حِيثُ وَجَهْكَ، وَأَمْرَلَهُ بِعَشْرَةِ أَلْفِ دَرْهَمٍ، وَحَمَلَهُ عَلَى فَرِسٍ، وَأَوْفَدَهُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ، فَأَمْرَلَهُ بِعَشْرَةِ أَلْفِ أَخْرَى.

بَيْنَ الْحَجَاجِ وَسَلِيلِكَ بْنِ سَلَكَةِ

دَخَلَ عَلَى الْحَجَاجِ سَلِيلِكَ بْنِ سَلَكَةِ فَقَالَ:

أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِينَ، أَعِزُّنِي سَمِعْكَ، وَأَغْضَضْتُ عَنِي بَصَرَكَ، وَأَكْفَفْتُ عَنِي غَرِيبَكَ^(٤)، فَإِنْ سَمِعْتَ خَطَا أَوْ زَلَلا فَدُونَكَ وَالْعَقُوبَةَ، قَالَ: قَلْ. فَقَالَ: عَصَى عَاصِ منْ عُرْضِ الْعَشِيرَةِ، فَحَلَقَ عَلَى اسْمِي^(٥)، وَهَدَمَتْ دَارِي، وَحُرِمَتْ عَطَائِي، فَقَالَ: هِيَهَاتِ أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الشَّاعِرِ:

جَانِيكَ مَنْ يَجْنِي عَلَيْكَ وَرِيمَا .. ثَعْدَى الصَّحَّاحَ مَبَارِكُ الْجَرْبُ
وَلَرَبِّ مَأْخُوذِ بِذَنْبِ عَشِيرَةِ .. وَنَجَا الْمَارِفَ صَاحِبُ الذَّنْبِ

قَالَ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ وَلَكُنِي سَمِعْتَ اللَّهَ قَالَ غَيْرَ هَذَا، قَالَ: وَمَا ذَلِكَ؟ قَالَ: قَالَ
﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ اللَّهَ أَبْيَا شَيْخًا كَبِيرًا فَهُدْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا تَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ * قَالَ
مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ تَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذَا لَظَالِمُونَ﴾ قَالَ الْحَجَاجُ: عَلَى

(١) بفتح فسكون الغنية والبهة.

(٢) يزيد قطري بن الفجاءة وكان خارجياً كعب ربه ولكنه فر من وجه المهلب وثبت عبد ربه.

(٣) الحد : الحديد. والفل : المفلول المكسور يعني بالأول عبد ربه والثاني قطرانيا.

(٤) غرب السيف : حدة.

(٥) أديب عليه بحلقة من المدار ليبعد من ديوان العطاء.

بيزىد بن أبي مسلم^(١)، فأنى به فمثل بين يديه فقال له: أفكك لهذا عن اسمه واصكك له بعطايه^(٢)، وابن له منزله، ومر مناديا ينادى في الناس: صدق الله وكذب الشاعر.

بين سليمان بن عبد الملك وبيزىد بن أبي مسلم

ودخل يزىد بن أبي مسلم على سليمان بن عبد الملك وكان دميا، فلما رأه قال: قبح الله رجالاً أجزك رسنه^(٢)، وأشركك في أمانته، فقال له يزىد: يا أمير المؤمنين رأيتني والأمر لك وهو عنى مذنب، ولو رأيتني والأمر على مقبل لاستكبرت مني ما استصغرت، واستعظامت مني ما استحققت، قال: أترى الحجاج استقر في قاع جهنم بعد؟ قال: يا أمير المؤمنين لا تقل ذاك فإن الحجاج وطأ لكم المنابر، وأذل لكم الجبار، وهو يجيء يوم القيمة عن يمين أبيك وعن يسار أخيك فحيث كانا كان.

بين خالد بن صفوان وهشام ومسلمة ابن عبد الملك

قال هشام بن عبد الملك لخالد بن صفوان بن الأهتم وعنه جرير والفرزدق والأخطل وهو يومئذ أمير: صفهم لنا يا بن الأهتم فقال:

أما أعظمهم فخرأ، وأبعدهم ذكرا، وأحسنهم غذرا، وأسيرهم مثلا، وأقلهم غزا، وأحلهم غللا، الطامى إذا رخرا، والحامى إذا زأر، والسامى إذا خطر، الذى إن هدر قال، وإن خطر صال، الفصيح اللسان، الطويل العنان، فالفرزدق؛ وأما أحسنهم نعتا، وأمدحهم بيتا، وأقلهم فوتا، الذى إن هجا وضع، وإن مدح رفع، فالأخطل؛ وأما أغزرهم بحرا، وأرقهم شعرا، وأهتكهم لعدوه سترة، الأغر الأبلق، الذى إن طالب لم يسبق، وإن طلب لم يلحق، فجرير، وكلهم ذكى الفواد، رفيع العماد، واري الزناد.

قال له مسلمة: ما سمعنا بمثلك يا خالد في الأولين ولا رأينا في الآخرين، وأشهد أنك أحسنهم وصفا، وألينهم عطفا، وأعفهم مقلا، وأكرهم فعلا، فقال خالد: أنت الله عليك نعمه، وأجزل لديك قسمه، وآنس بكم الغربية، وفرج بكم الكربة، وأنت

(١) يزىد بن أبي مسلم كان كاتب الحجاج وكان كلاهما مبغضا إلى سليمان بن عبد الله كما سيتضح من الحوار الآتى.

(٢) اكتب له صكا به.

(٣) الرسن: محركة الحبل وما كان من زمام على الأنف، وأجره إيه: أى سلمه له ليقويه والرجل المقصود هنا الحجاج وكان يزىد كاتبه كما تقدتم.

والله ما علمني أياها الأمير كريم العراس، عالم بالناس، جواد في محله، بساتم في البذل، حليم عند الطيش، في ذروة قريش، ولباب عبد شمس، ويومك خير من أمس، فضحك هشام وقال، ما رأيتك تخلصك يا بن صفوان في مدح هؤلاء ووصفهم حتى أرضيهم جمیعاً وسلمت منهم.

بين خالد بن صفوان وأخوال السفاح

دخل خالد بن صفوان على أبي العباس السفاح وعنده أخواله من بنى الحارت ابن كعب فقال: يا خالد ما تقول في أخوالى؟ قال: هم هامة الشرف، وعرينون الكرم، وغرس الجود، إن فيهم خصالاً ما اجتمعت في غيرهم من قومهم، لأنهم أطولهم لمنا^(١)، وأكرمهم شيئاً، وأطيبهم طعماً، وأوفاهم ذمماً، وأبعدهم همماً، الجمرة في الحرب، والرقد^(٢) في الجدب، والرأس في كل خطب، وغيرهم بمنزلة العجب^(٣) فقال: وصفت أبا صفوان فأحسنت، فزاد أخواله في الفخر، فغضب لأعمامه^(٤) فقال: افخر يا خالد على أخوال أمير المؤمنين وأنت من أعمامه فقال خالد:

وكيف أفارخ قوماً بين ناسج برد، وداعج جلد، وسائس قرد، وراكب عرد^(٥)؟ دل عليهم هدد^(٦)، وغرقهم جرد^(٧)، وملكتهم امرأة^(٨)، فأشرق وجه أبي العباس.

بين خالد بن صفوان ورجل من بنى عبد الدار

فاخر خالد بن صفوان رجلاً من بنى عبد الدار^(٩) فقال له العبدري: من أنت؟ قال: أنا خالد بن صفوان، فقال: أنت خالد «كمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي التَّارِ» وأنت ابن صفوان

(١) جمع لمة بالكسر وهي الشعر المجاوز شحمة الأذن.

(٢) الرقد: بالكسر العطاء والصلة.

(٣) أصل الذنب ومؤخر كل شيء.

(٤) من مرض وأخواله من قحطان.

(٥) العرد: الحمار وكانت تكثر باليمن الحمر وبسائر الجزيرة الخيل.

(٦) يشير إلى حديث الهدد مع سليمان.

(٧) يشير إلى ما يزعمه المؤرخون من أن سبب سيل العرم كان قرض جرد لسد مأرب.

(٨) هي بلقيس ملكة سبا.

(٩) عبد الدار أحد أبناء قصي قيل إنه نشأ مضعفاً دون إخوته فأعطاه أبوه دار الندوة ومفتاح الكعبة ليشرف بهما.

﴿كَمْثُلْ صَفْوَانَ عَلَيْهِ ثَرَابٌ﴾ وأنت ابن الأهتم والصحيح خير من الأهتم^(١)، فقال له خالد : يا أخاً بني عبد الدار أتتكلّم وقد هشمتك هاشم، وأمتلك أمية، وخرمتك مخزوم، وجمحتك جمّح^(٢)؟ فأنت عبد دارهم تفتح إذا دخلوا، وتعلّق إذا خرجوا، فقام العبدري محموماً.

بين المنصور وجعفر الصادق

لما حجَّ المنصور مَرَّ بالمدينة فقال للربيع الحاجب : علىَّ بجعفر بن محمد، قتلني الله إن لم أقتلته، فلما كثُفَ السُّتر بينه وبينه، تقرب جعفر وسلم فقال المنصور : لا سُلْمَ الله عليك يا عدوَ الله، تعمل على الغوايل في مُلكي، قتلني الله إن لم أقتلتك، قال يا أمير المؤمنين إن سليمانَ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ أَعْطَلَ فَشَكَرَ، وإن أَيُوبَ ابْنُهُ فَصَبَرَ، وإن يُوسُفَ ظُلِمَ فَغُفِرَ، وأنت على إِرْثٍ مِنْهُمْ، وأَحَقُّ مِنْ تَأْسِي بِهِمْ، فنكِسَ أبو جعفر رأسه مَلِيئاً ثم رفعه وقال لجعفر : إلىَّ أبا عبد الله فأنت القريبُ القرابةُ ذو الرجم الواشحة^(٣)، السليم الناحية، القليلُ الغائلة، ثم صافحه بيديه وعانقه بشماله وأجلسه معه على فراشه، وانحرف له عن بعضه، وأقبل عليه بوجهه يحادثه ويسأله، ثم قال : يا ربيع عَجَّلْ لِأَبِي عبد اللهِ كُسُوتَهِ وجائزَتِهِ وإِذْنَهِ.

بين المنصور والربيع بن يونس

دعا المنصور بالربيع بن يونس حاجبه ووزيره فقال له : سُلْتُني ما ترید فقد سكتَ حتى أُنطَّقتَ، وخففت حتى ثقلتَ، وقللت حتى أكثرتَ، فقال : والله يا أمير المؤمنين ما أَرْهَبُ بُخْلَكَ، ولا أَسْتَقْصُرُ عَمْرَكَ، ولا أَسْتَغْصِرُ فَضْلَكَ، ولا أَغْتَنُمُ مَالَكَ، وإن يومي بفضلك علىَّ أَحْسَنَ مِنْ أَمْسِي، وغَدَكَ فِي تَأْمِيلِي أَحْسَنَ مِنْ يَوْمِي، ولو جازَ أَنْ يَشْكُرَكَ مثْلِي بِغَيْرِ الْخَدْمَةِ وَالْمَنَاصِحةِ لَمَا سَبَقْنِي لِذَلِكَ أَحَدٌ، قال : صَدِقْتَ، عَلِمْتُ بِهِذَا مِنْكَ أَحْلَكَ هَذَا الْمَحْلَ، فَسَلَّنِي مَا شَئْتَ، قال : أَسْأَلُكَ أَنْ تَقْرَبَ عَبْدَكَ الْفَضْلَ^(٤)، وَلَوْئِيرَهُ وَتَحْبِهِ، قال : يا ربيع إنَّ الْحَبَّ لِيْسَ بِمَالِ يُوهَبِ، وَلَا رُتْبَةَ تَبَذَّلُ، إِنَّمَا تُؤْكِدُهُ الْأَسْبَابُ، قال : فَاجْعَلْ لِي طَرِيقاً إِلَيْهِ بِالْتَّفْضِيلِ عَلَيْهِ، قال : صَدِقْتَ وَقَدْ وَصَلْتَهُ بِالْفَدِيرِ دَرْهَمَ، وَلَمْ

(١) الهتم : تكسر الأسنان من أصولها.

(٢) كل من ذكر من هامات قريش.

(٣) المشتبكة لشدة القرابة.

(٤) هو ابنه الفضل بن الربيع وقد وُزِّرَ للرشيد بعد البرامكة ولابنه الأمين وبه يكتفي الربيع.

أصل بها أحداً غير عمومي، لتعلم ما له عندي، فيكون منه ما يستدعي به محبتى، ثم قال: فكيف سألت له المحبة يا رب؟ قال: لأنها مفتاح لكل خير، ومغلق لكل شر، تُستَرُّ بها عنك عيوبه، وتصير حسنات ذنبه. قال صدق.

بين المنصور ومعن بن زائدة

دخل معن بن زائدة الشيباني على المنصور وقد أسن فقارب في خطوه فقال له المنصور: لقد كبرت سِنُّك يا معن. قال في طاعتك يا أمير المؤمنين، قال: وإنك لجَلْدُ. قال: على أعدائك يا أمير المؤمنين، قال: وإن فيك لَبَقَيَّةً. قال: هي لك يا أمير المؤمنين، قال: فأيُّ الدولتين أحب؟ هذه أم دولة بنى أمية، قال: ذلك إليك يا أمير المؤمنين إن زاد برُك على بِرِّه كانت دولتك أحب إلى.

بين معن بن زائدة وأحد رُوَاره

دخل رجل على معن بن زائدة فقال له معن: ما هذه الغيبة؟ قال: أيها الأمير ما غاب عن العين من يذكره أَقْلَبُ، وما زال شوقى إلى الأمير شديداً وهو دون ما يجب له، وذكرى له كثيراً وهو دون قدره، ولكن جَفْوةُ الحجاب وقلة بشر العلمان منعاني من الإكثار، فأمر بتسهيل حجابه وأجزل صلته.

بين المهدى ووزيره يعقوب بن داود

لما سَخَطَ المهدى على وزيره يعقوب بن داود أحضره فقال: يا يعقوب. قال: لَبَيْكَ يا أمير المؤمنين تلبية مكروب لموجتك، شرق بغضتك، قال: ألم أرفع قدرك وأنت خامل، وأسْيَرُ ذكرك وأنت هامل، وألْبِسْكَ من نِعَمِ الله تعالى ونعمى ما لم أَجِدْ عندك طاقة لحمله، ولا قياماً بشكره، فكيف رأيَتِ الله تعالى أَظْهَرَ عليكَ ورَدَ كَيْدَكَ إليك؟ قال: يا أمير المؤمنين إن كنت قلت هذا بِتَيَّقَنٍ وعلم فإني مُعْتَرِفٌ، وإن كان بسعيَةِ الباuginين ونَمَائِمِ الْمَعَانِدِينَ فأنت أعلم بأكثُرِها، وأنا أَعَذُّ بِكَرْمِكَ وعُمَيمِ شرْفِكَ، فقال: لولا الحِنْثُ في ذمك لأُلْبِسْكَ قميصاً لا تُشَدُّ عليه أَزْرَاراً، ثم أمر به إلى السجن فتولى وهو يقول: الوفاء يا أمير المؤمنين كرم، والمودة رحم، وما على العفو ندم، وأنت بالعفو جدين، وبالحسان خليق، ولكنه بقى في السجن إلى أن أخرجه الرشيد.

بين الرشيد وأم جعفر بن يحيى

كانت أم جعفر بن يحيى قد أرْضعت الرشيد وكفَّلَه لأن أمه ماتت عن مهده، فكان الرشيد يشار لها مُظهراً لإكرامها والتبرُّك برأيها، وكان آلى وهو في كفالتها لا يُحْجَبُها، ولا استشفعَتُه لأحد إلا شفعَها، والتى هي أن لا دخلت عليه إلا مأذونا لها، ولا شفعت لأحد مقتَرِف ذنباً، وكان الرشيد قد احتجَ بعد قتل جعفر وحبْس يحيى، فطلب الإذن عليه، ومتى بوسائلها إليه، فلم يأذن لها ولا أمر بشيء فيها، فلما طال ذلك بها خرجت كاشفة وجهها، واضعة لثامها، مُحتفية في مشيتها، حتى صارت بباب قصر الرشيد، فدخل عبد الملك بن الفضل الحاجب^١ فقال: ظلُّرُ أمير المؤمنين بالباب^(١) في حال تقلب شماتة الحاسد إلى شفقة أم الواحد، فقال الرشيد: وَيَحْكَ يا عبد الملك أَوْ ساعية! قال: نَعَمْ يا أمير المؤمنين وحافية، قال: "أَدْخُلُها يا عبد الملك فربَّ كَبِيرٍ غذتها، وَكُرْبَةً فرجتها، وعورة سترتها، فدخلت، فلما نظر الرشيد إليها داخلة مُحتفية قام مُحتفيا حتى تلقاها بين عَمَدِ المجلس، وأكَبَّ على تقبيل رأسها ومواضع ثدييها، ثم أجلسها معه فقالت: يا أمير المؤمنين أَيَّدُونَا علينا الزمان، ويجفونا خوفاً لك الأعوان، وَيُحْرِدُك بنا البُهْتَان^(٢)."

وقد رَبَّيْتُك في حجري، وأخذت بِرَضاعك الأمان من عدو ودهري؟ فقال لها: وما ذاك يا أم الرشيد؟ قالت: ظلُّرُك يَحْيَى وأبُوك بعد أبيك؛ ولا أَصْفُه بأكثَرِ مَا عَرَفْهَ به أمير المؤمنين من نصيحته وإشفاقه عليه وتعريضه للحُثُّ في شأن موسى أخيه^(٣)، قال لها: يا أم الرشيد أَمْرُ سبق، وقضاء حُمُّم^(٤)، وغضب من الله نفذ، قالت: يا أمير المؤمنين «يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أَمْ الْكِتَابِ» قال: صدقَتْ فهذا مما لم يَمْحُهُ الله، فقالت: الغَيْبُ محْجُوبٌ عن النَّبِيِّنَ فكيف عنك يا أمير المؤمنين؟ فأطْرَقَ ملِياً ثم قال: وإذا المِنَةُ أَنْشَبَتُ أَظْفَارَهَا .. الْفِيتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ

(١) الظُّلُّرُ: المرضعة ولد غيرها والعاطفة عليه.

(٢) أحريده: أغضبه.

(٣) تشير إلى ما كان من معاونة يحيى للرشيد في التمسك بعهد أبيه أمير ما كان يريده أخوه موسى الهايدي من نقل ولاية العهد عنه إلى ابنه.

(٤) حم: قدن

قالت بغير زينة: ما أنا لحيى بثيمة يا أمير المؤمنين وقد قال الأول^(١):
وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد .. نحراً يكون صالح الأعمال

هذا بعد قوله عز وجل ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، فأطرق ملياً ثم قال: يا أم الرشيد أقول:
إذا انتصرت نفسى عن الشىء لم تكذ .. إليه بوجه آخر الدهر ثقل^(٢)

قالت يا أمير المؤمنين وأقول:
ستقطع في الدنيا إذا ما قطعنتى .. يمينك فانظر أى كف ثبدل

قال هرون: رضيت، قالت: فهبه لي يا أمير المؤمنين، فقد قال رسول الله ﷺ: "من ترك شيئاً لله لم يوجده الله لفقده" فأكب هرون ملياً ثم رفع رأسه يقول: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدٍ﴾ قالت: يا أمير المؤمنين ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَغُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ واذكر يا أمير المؤمنين أليتك^(٣) ما استشفعت إلا شفعتنى، قال: واذكري يا أم الرشيد أليتك أن لا شفعت لافترب ذنبًا، فلما رأته صرخ بمنعها ولأذ عن مطلبها أخرجت حُقًّا من رُمْذَنَةِ خضراء^(٤) فوضعته بين يديه، فقال الرشيد: ما هذا؟ ففتحت عنه قُفلًا من ذهب فأخرجت منه خفته^(٥) وذوابه وثناياه قد غمست جميع ذلك في المسك، قالت: يا أمير المؤمنين استشفع إليك وأستعين بالله عليك وبما صار معي من كريم جسديك وطيب جوارحك ليحيى عيذك، فأخذ هرون ذلك فلثمه ثم استعبر وبكي بكاء شديداً وبكي أهل المجلس، ومرّ البشير إلى يحيى وهو لا يظن إلا أن البكاء رحمة له ورجوع عنده، فلما أفاق الرشيد رمى جميع ذلك في الحق وقال لها: لحسن ما حفظت الوديعة، قالت: وأهل المكافأة أنت يا أمير المؤمنين، فسكت وأقفل الحق ودفعه إليها وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤْدُوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ قالت: والله يقول: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تُحْكِمُوا بِالْعَدْلِ﴾ ويقول: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ﴾

(١) هو الأخطل.

(٢) هذا البيت والذى بعده من لامية معن بن أوس المشهورة.

(٣) الآلية: القسم.

(٤) الزمرد بذال ودال: حجر نفيس معروف.

(٥) خففة الصبي: ختنة والأكثر استعمالها للصبية واستعمال الختن للصبي.

إذا عاهدتمْ^١، فقال: وما ذاك يا أم الرشيد، قالت: أو ما أقسمت لى ألا تحجبنى ولا تمنهنى؟ قال: أحب يا أم الرشيد أن نشتريه محكمة فيه، قالت: أنصفت يا أمير المؤمنين وقد فعلت غير مستقيلة لك ولا راجعة عنك، قال: بكم؟ قالت: برضاك عمن لم يسخطك، قال: يا أم الرشيد، أمالى عليك من الحق مثل الذى لهم؟ قالت: بلى يا أمير المؤمنين، أنت أعر علىَّ وهم أحب إلىَّ، قال: فتحكمى فى تمنىء بغيرهم، قالت: بلى قد وهبتك وجعلتك فى حل منه، وقامت عنه وبقى مبهوتا ما يحير لفظه.

بين الرشيد وعبد الملك بن صالح

لما غضب الرشيد على عبد الملك بن صالح اتهمه بالعمل على أخذ الخلافة وحبسه، كان يستحضره أحياناً ليسمع منه، فدخل عليه مرة فسلم فلم يرد عليه، فقال عبد الملك: ليس هذا يوماً أحتاج فيه، ولا أجاذب منازعاً وخصماً، قال: ولم؟ قال: لأن أوله جرى على غير السنة، فأنا أخاف آخره، قال: وما ذاك؟ قال: لم ترد علىَّ السلام، أنصف نصفة العوام، قال: السلام عليكم اقتداء بالسنة، وإيثار العدل، واستعمالاً للتحية، ثم التفت نحو سليمان بن أبي جعفر فقال: وهو يخاطب عبد الملك:
أريه حياته ويريد قتلى .. عذيرك من خليلك من مراد^(١)

ثم قال: أما والله لكأنى أنظر إلى شؤوبها قد همنع^(٢) وعارضها قد لمع^(٣). وكأنى بالوعيد قد أدرى ناراً تستطع، فأقلع عن براجم^(٤) بلا معاصم، وزءوس بلا غلام^(٥) فمهلاً مهلاً، فبى والله سهل لكم الوعن، وصفا لكم الكدر، وألقت إليكم الأمور أثناء أزمتها^(٦)، فنذار لكم نذار قبل حلول داهية خبوط باليد، لبوط بالرجل^(٧)، فقال عبد الملك: اتق الله يا أمير المؤمنين فيما ولاك، وفي رعيته التى استرعاك، ولا تجعل الكفر

(١) هذا البيت متمثل به وهو أبيات قالها عمرو بن معدى كرب الزبيدي فى قيس بن مكشوح المرادى.

(٢) الشؤوب: دفعة المطر وهمع: هطل وهو يرید الفتنة التي كان يریدها عبد الملك.

(٣) العارض: السحاب والمراد برقه.

(٤) جمع بترجمة: وهى مفصل الأصبه.

(٥) جمع غلصمة: وهى رأس الحلقوم.

(٦) أثناء الشيء: طاقاته واحدتها ثنى بالكسن.

(٧) الخبط: الضرب الشديد. واللبط: الإسقاط على الأرض.

مكان الشكر، ولا العقاب موضع الثواب، فقد تخلت^(١) لك النصيحة، ومحضت لك الطاعة^(٢)، وشددتُ أواخي ملك^(٣) بائق من ركتي يلملم^(٤)، وتركت عدوك مشتغلاً، فاللهُ اللهُ في ذي رحمك أن تقطعه بعد أن يليلله^(٥) يظنُ أفعص الكتابُ لي بعقضه^(٦) أو ببعضِ باغ ينهشُ اللحم^(٧) وبالدم^(٨)، فقد واللهُ سهلت لك الوعون، وذلت لك الأمون وجمعت على طاعتك القلوب في الصدون، فكم من ليل تمام فيك كابته، ومقامٍ ضيقٍ لك فنته، كنت فيه كما قال أخوبني جعفر بن كلاب:

ومقام ضيق فرجته :: بيناني ولسانى وجدى
لو يقوم الفيل أو فيله :: زل عن مثل مقامي ورجل^(٩)

فقال الرشيد : أما والله لولا الإبقاء على بنى هاشم لضررت عنك، ثم أعاده إلى السجن، فلم يزل به حتى توفى الرشيد فأطلقه الأمين وعقد له على الشام.

ولما خرج من السجن وذكر الرشيد وفعله قال يبرئ نفسه :

واللهِ أنَّ الْمَلَكَ لِشَيْءٍ مَا نَوَيْتَهُ وَلَا تَنْبَيَتْهُ، وَلَا نَصَبْتَهُ لَهُ وَلَا أَرْدَتَهُ لَكَانَ إِلَى أَسْرَعِ مِنَ الْمَاءِ إِلَى الْحَدُورِ^(١٠)، وَمِنَ النَّارِ إِلَى يَبْسِ الْعَرْفَجِ^(١١)، وَإِلَى مَا لَأْخُودَ بِمَا لَمْ أَجِنْ، وَمَسْأُولُ عَمَّا لَا أَعْرِفُ، وَلَكُنَّهُ حِينَ رَأَنِي لِلْمَلَكِ قَمِينَا^(١٢)، وَلِلْخَلَافَةِ حَطِيرَا^(١٣)، فَرَأَى لِي يَدَا تَنَالَهَا إِذَا مُدَّتْ، وَتَبَلَّغَهَا إِذَا بُسِطَتْ، وَنَفْسَا تَكْمُلُ الْخَصَالَهَا، وَتَسْتَحْقَهَا بِفَعَالِهَا – إِنْ كُنْتَ لَمْ أَخْتَرْ تَلَكَ الْخِصَالَ، وَلَمْ أَصْنَعْ تَلَكَ الْفَعَالَ، وَلَمْ أَتَرْشَحْ لَهَا فِي

(١) صفيتها.

(٢) أخلصتها.

(٣) جمع آخيه وهي العروة.

(٤) جبل على مرحلتين من مكة جنوباً.

(٥) لزمنته.

(٦) بكذبه ونفيته.

(٧) يتناوله بقدم أسنانه.

(٨) يشربه بأطراف لسانه.

(٩) زحل : زل.

(١٠) المكان المنحدر.

(١١) شجر.

(١٢) جديراً.

(١٣) عظيم القدر.

السر، ولا أشرت إليها في الجهر - ورأها تجن إلى حنين الوالدة الوالهة، وتبيل إلى ميل الهلوك^(١)، وحاف أن ترحب إلى خير مرفق، وتنزع إلى أخصب منز، عاقبني عقاب من سهر في طلبها، وجهد في التماسها، فإن كان إنما حبسني على أنني أصلح لها وتصلح لي، وأليق بها وتليق بي، فليس ذلك بذنب جنبيه فأثوب منه، ولا تطاولت له فأحط نفسي عنه، وإن زعم أنه لا صرف لعقابه، ولا نجاة من عذابه، إلا بأن أخرج له من جد العلم والحلم والحزن، فكما لا يستطيع المضيّع أن يكون مصلحا، كذلك لا يستطيع العاقل أن يكون جاهلا، وسواء عليه أعقبني على علمي وحلمي، أم عاقبني على نسي وسني، وسواء عليه عاقبني على جمالي، أم عاقبني على محبة الناس لي، ولا أردتها لأعجلته عن التفكير، وشغلته عن التدبر، ولا كان فيها من الخطب إلا البسيط.

بين المؤمن والفضل بن الربيع

لما ظفر المؤمن بالفضل بن الربيع - وكان قد أغري به أخاه الأمين - قال له: يا فضل أكان من حقّي عليك وحقّ أبيائي ونعمتهم عند أبيك وعندك أن تتبّلني^(٢) وتبيني وتحرض على دمي؟ أتحب أن أفعل بك ما فعلته بي؟ فقال: يا أمير المؤمنين إن عذرني يُحْدِك إذا كان واضحًا جميلاً، فكيف إذا أخفته العلوب، وقبّحته الذنوب؟ فلا يضيق عني من عفوك ما وسّع غيري منك، فأنت كما قال الشاعر فيك:

صفوح عن الأجرام حتى كأنه .. من العفولم يعرف من الناس مجرماً
وليس يبالي أن يكون به الأذى .. إذا ما الأذى لم يغش بالكره مسلماً

بين المؤمن وإبراهيم المهدى

لما ظفر بعمه إبراهيم بن المهدى^(٤) أمر بإدخاله عليه، فجئ به يحجل في قيوده، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فقال له المؤمن: لا سلم الله عليك ولا حفظك ولا رعاك ولا كلامك^(٥) يا إبراهيم، فقال له إبراهيم على رسولك^(٦) يا

(١) المتساقطة على الرجال.

(٢) تعييني.

(٣) هو الحسن بن رجاء.

(٤) لما عقد المؤمن ولادة العهد على الرضا العلوى أنكر العباسيون عليه ذلك وخلعوه من الخلافة وباعوا بها عمه إبراهيم بن المهدى فأسرع إليه المؤمن فهرب وتوارى ولكن المؤمن ظفر به بعد.

(٥) حرستك.

(٦) على هبتك أي أرود قليلاً فهي كما تقول رويدك.

أمير المؤمنين، ولِيَ الثَّارِ مُحَكَّمٌ فِي الْقَصَاصِ، وَالْعَفْوُ أَقْرَبُ لِلنَّقْوَى، وَمَنْ مُدَّ لَهُ الْأَغْتَارَ
فِي الْأَمْلِ هَجَمَتْ بِهِ الْأَنَّةُ عَلَى التَّلْفِ، وَقَدْ أَصْبَحَ ذَنْبِي فَوْقَ كُلِّ ذَنْبٍ، كَمَا أَنْ عَفْوَكَ
فَوْقَ كُلِّ عَفْوٍ، فَإِنْ تَعَاقَبْ فِيْحَكَ، وَإِنْ تَعَفْ فِيْضَكَ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ:

ذَنْبِي إِلَيْكَ عَظِيمٌ .. وَأَنْتَ أَعْظَمُ مِنْهُ
فَخُدُّ بِحَقِّكَ أَوْ لَا .. فَاصْفَحْ بِفَضْلِكَ عَنْهُ
إِنْ لَمْ أَكُنْ فِي فَعَالٍ .. مِنْ الْكَرَامِ فَكَنْهُ

فَأَطْرَقَ الْمُؤْمِنُ مَلِيَا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: إِنِّي شَارِتُ أَبَا إِسْحَاقَ وَالْعَبَّاسَ^(١) فِي
قَتْلِكَ فَأَشَارَ عَلَىْ بَهِ، قَالَ: فَمَا قَلَبْتَ لَهُمَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: قَلَتْ لَهُمَا: بَدَأْنَا لَهُ
بِإِحْسَانٍ وَنَحْنُ نَسْتَأْمِرُهُ فِيهِ، فَإِنَّ غَيْرَ فَاللَّهِ يَغْيِرُ مَا بَهِ، فَقَالَ: أَمَّا أَنْ يَكُونَا قَدْ نَصَحَّا
فِي عِظَمِ قَدْرِ الْمَلِكِ وَمَا جَرَتْ عَلَيْهِ عَادَةُ السِّيَاسَةِ فَقَدْ فَعَلَ، وَلَكِنْ أَبَيْتُ أَنْ تَسْتَجِلَّ
النَّصْرَ إِلَّا مِنْ حِثَّ عَوْدَكَ اللَّهُ، ثُمَّ اسْتَعْبَرَ بِاَكِيَا. فَقَالَ لَهُ الْمُؤْمِنُ: مَا يَبْكِيكَ؟ قَالَ:
جَذَّلَا، إِذْ كَانَ ذَنْبِي إِلَى مِنْ هَذِهِ صَفَتِهِ فِي الْإِنْعَامِ. ثُمَّ قَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ وَإِنْ كَانَ
جُرمِي يَبْلُغُ سُفْكَ دَمِي فَحَلَمُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَتَفْضُلُهُ يُبَلَّغَنِي عَفْوَهُ، وَلِيَ بَعْدَهُمَا شَفَاعَةٌ
إِلَيْرَارِ بِالذَّنْبِ، وَحِرْمَةُ الْأَبِ بَعْدَ الْأَبِ، قَالَ الْمُؤْمِنُ: الْقَدْرَةُ تَذَهَّبُ الْحَفِيظَةُ^(٢). وَالنَّدَمُ
تَوْبَةٌ، وَعَفْوُ اللَّهِ بَيْنَهُمَا وَهُوَ أَكْبَرُ مَا يُحَافَلُ، يَا إِبْرَاهِيمَ لَقَدْ حَبَبْتُ إِلَى الْعَفْوِ حَتَّىْ خَيْرَتِي
أَلَا أَوْجِرُ عَلَيْهِ، أَمَا لَوْ عَلِمَ النَّاسُ مَا لَنَا فِي الْعَفْوِ مِنَ الْلَّذَّةِ لَتَقْرِبُوا إِلَيْنَا بِالْجَنَاحِيَاتِ، لَا
تَثْرِيبٌ عَلَيْكَ^(٣) يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْلَمْ يَكُنْ فِي حَقِّ نَسْبِكَ مَا يَبْلُغُ الصَّفَحُ عَنْ رِلْكَ أَبْلَغَ

مَا أَمْلَتْ حَسْنُ تَوَصِّلِكَ، وَلَطِيفُ تَنْصِلِكَ، ثُمَّ أَمْرَبِرَدَ مَالَهُ وَضِيَاعَهُ فَقَالَ:

رَدَدْتَ مَالِي وَلَمْ تَبْخُلْ عَلَىْ بَهِ .. وَقَبْلَ رَدِكَ مَالِي قَدْ حَقَنْتَ دَمِي^(٤)
فَأَبْيَتَ مِنْكَ - وَمَا كَافَأْتَهَا - بَيْدَ .. هَمَا الْحَيَاتَانِ مِنْ وَقْرٍ وَمِنْ عَدَمٍ^(٥)
وَقَامَ عَلَمُكَ بِي فَاحْتَجَّ عَنْدَكَ لِ .. مَقَامَ شَاهِدٍ عَدْلٍ غَيْرِ مَتَّهِمٍ
فَلَوْ بَذَلْتَ دَمِي أَبْغَى رِضَاكَ بِهِ .. وَالْمَالُ حَتَّىْ أَسْلَلَ النَّعْلَ مِنْ قَدْمِي^(٦)
مَا كَانَ ذَاكَ سُوَى عَارِيَةَ رَجَعَتْ .. إِلَيْكَ لَوْ لَمْ تَهْبِهَا كُنْتَ لَمْ تَلِمْ

(١) أبواسحق أخوالمؤمن والعباس ابنه.

(٢) الغضب.

(٣) لالوم.

(٤) حبسه أن يرافق.

(٥) اليد: الصناعة.

(٦) أسلبها.

بین ابراهیم بن المهدی و احمد بن ابی ذواب القاضی

تَنَاعِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُهَدِّيِّ هُوَ وَيُخْتِيشُوْغُ الطَّبِيبُ بَيْنَ يَدَيِّ أَحْمَدَ بْنَ أَبِي دَوَادِ
الْقَاضِيِّ فِي مَجْلِسِ الْحُكْمِ فِي غَقَارِ بَنَاحِيَةِ السَّوَادِ^(١)، فَزَرَى عَلَيْهِ إِبْرَاهِيمُ^(٢) وَأَغْلَظَ لَهُ،
فَأَحْفَظَ ذَلِكَ أَحْمَدَ بْنَ أَبِي دَوَادَ فَقَالَ: يَا إِبْرَاهِيمُ إِذَا نَازَعْتَ أَحَدًا فِي مَجْلِسِ الْحُكْمِ فَلَا
أَعْلَمُ أَنْكَ رَفَعْتَ عَلَيْهِ صَوْتًا وَلَا أَشْرَتَ إِلَيْهِ يَدًا، وَلِيَكُنْ قَصْدُكَ أَمْمًا^(٣)، وَطَرِيقُكَ
نَهْجًا^(٤)، وَرِيحُكَ سَاكِنَةً، وَكَلَمُكَ مُعْتَدِلًا، وَوَفَّ مَجَالِسِ الْحُكْمُوَّةَ حَقَوْقَهَا مِنَ التَّوْقِيرِ
وَالْتَّعْظِيمِ وَالْأَسْتِكَانَةِ وَالتَّوْجُّهِ إِلَى الْوَاجِبِ، فَإِنْ ذَلِكَ أَشَبَّهُ بِكَ، وَأَشْكَلُ لَذَهِبِكَ فِي
مَحْتِبِكَ، وَعَظِيمُ خَطْرَكَ^(٥)، وَلَا تَعْجَلْ فَرْبَ عَجْلَةَ تَهْبِ رِيشَتَهَا^(٦)، وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ
الرِّزْلِ، وَخَطَّلَ الْقَوْلَ وَالْعَمَلِ، وَيُتَمَّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ كَمَا أَتَهَا عَلَى أَبْوِيكَ مِنْ قَبْلِ إِنْ رَبَكَ
حَكِيمٌ عَلِيمٌ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: أَصْلَحْتَ اللَّهَ، أَمْرَتْ بِسَدَادٍ، وَخَضَضْتَ عَلَى رِشَادٍ، وَلَسْتَ
بِعَايَدٍ إِلَى مَا يَئْتِمُ مِرْوَتِي عَنْدَكَ^(٧) وَيُسْقَطِنِي مِنْ عَيْنِكَ، وَيُخْرِجُنِي مِنْ مِقْدَارِ الْوَاجِبِ
إِلَى الْاعْتِدَارِ، فَهَنَا مَعْتَدِرٌ إِلَيْكَ مِنْ هَذِهِ الْبَادَرَةِ^(٨) اعْتِدَارٌ مَقْرُبٌ ذَنْبِهِ بَاجِعٌ بِجَرْمِهِ، فَإِنْ
الْغُضْبُ لَا يَزَالْ يَسْتَفْرُنِي بِمَوَادِهِ، فَيُرَدِّنِي مَثُلُكَ بِحَلْمِهِ، وَتَلِكَ عَادَةُ اللَّهِ عَنْدَنَا مِنْكَ،
وَحَسِبَنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ؛ وَقَدْ وَهَبْتُ حَقَّ مِنْ هَذِهِ الْعَقَارِ لِبَخْتِيشُوْغَ، فَلَيْتَ ذَلِكَ الْيَوْمَ
يَعْوُلُ بِأَرْشِ الْجَنَاحِيَّةِ^(٩) وَلَمْ يَتَلَفَّ مَالَ أَفَادَ مَوْعِظَةَ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

بيان المعتصم وتميم بن جمیل

قال أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُؤَادَ: مَا رأَيْنَا رَجُلًا عَانِيَ الْمَوْتَ فَمَا هَالَهُ وَلَا أَذْهَلَهُ عَمَّا كَانَ
يَجْبُ عَلَيْهِ أَنْ يَفْعَلَهُ إِلَّا تَعْصِيمُ بْنُ جَمِيلٍ^(١٠) فَإِنَّهُ أَوْفَى بِهِ الرَّسُولُ بَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ

(١) سواد العراق.

۲) عابه.

٣) قصداً: وسطاً.

(٤) واضحًا.

٥) قدرک.

٦) بطئاً.

٧) ينقص.

(٨) ما يبدر في حدة وغضب من قول أو فعل.

٩) الأرش : الديبة.

(١٠) كان قد خرج على المعتصم بشاطئ الفرات فوجه إليه مالك بن طوق فظفر به وحمله إليه موثقاً.

المعتصم في يوم الموكب حين يجلس للعامة ودخل عليه، فلما مثل بين يديه دعا بالنطع^(١) والسيف فأحضرها، فجعل تميم ينظر إليهما ولا يقول شيئاً، وجعل المعتصم يصعد النظر فيه ويصوّبه، وكان جسيماً وسيماً، ورأى أن يُستنطقه لينظر أين جنانه ولسانه من منظره، فقال يا تميم : إن كان لك عذر فأت به أو حجة فأدل بها، فقال : أما إذ قد أذن لي أمير المؤمنين فإنـي أقول :

﴿الحمد لله الذي أحسن كل شيء خلقه وببدأ خلق الإنسان من طين * ثم جعل سنته من سلالة من ماء مهين﴾ جَبَرُوك صدغ الدين، وَلَمْ يَكُ شَعْثُ الْمُسْلِمِينَ، وأوضحت بذلك الحـقـ، وأـحـمـدـ بـكـ شـهـابـ الـبـاطـلـ. يا أمـيرـ المؤـمـنـينـ إنـ الذـنـوبـ تـخـرـسـ الـأـلـسـنـةـ الفـصـيـحـةـ، وـتـعـيـنـ الـأـفـنـدـةـ الصـحـيـحـةـ، وـلـقـدـ عـظـمـتـ الـجـرـيـرـةـ، وـانـقـطـعـتـ الـحـجـةـ، وـكـبـرـ الـذـنـبـ، وـسـاءـ الـظـنـ، وـلـمـ يـبـقـ إـلـاـ عـفـوكـ أـوـ اـنـقـامـكـ، وـأـرـجـوـ أـنـ يـكـونـ أـقـرـيـهـمـاـ مـنـ وـأـسـرـعـهـمـاـ إـلـىـ، وـأـلـاهـمـاـ بـامـتـنـانـكـ وـأـشـبـهـهـمـاـ بـخـلـافـتـكـ، ثـمـ أـنـشـأـ يـقـولـ :

أرى الموت بين السيف والنطع كامنا .. يلـاحـظـنـيـ منـ حـيـثـماـ أـتـلـفـتـ وأـكـبـرـ ظـنـيـ أـنـكـ الـيـوـمـ قـاتـلـ .. وـأـوـيـ اـمـرـيـ ماـ قـضـيـ اللـهـ يـقـلـتـ وـمـنـ ذـاـ الذـيـ يـدـلـيـ بـعـذـرـ وـحـجـةـ .. وـسـيـفـ المـنـاـيـاـ بـيـنـ عـيـنـيـهـ مـصـلـتـ يـعـرـعـ علىـ الـأـوـسـ بـنـ تـغـلـبـ مـوـقـفـ .. يـسـلـلـ عـلـىـ السـيـفـ فـيـهـ وـأـسـكـتـ وـمـاـ جـزـعـيـ مـنـ أـنـ أـمـوـتـ وـإـنـيـ .. لـأـعـلـمـ أـنـ الـمـوـتـ شـءـ مـوـقـتـ وـلـكـ خـلـفـ صـبـيـةـ قـدـ تـرـكـهـ .. وـأـكـبـادـهـ مـنـ حـسـرـةـ تـتـفـتـتـ كـأـنـيـ أـرـاهـمـ حـيـنـ أـنـعـيـ إـلـيـهـ .. وـقـدـ حـمـشـواـ تـلـكـ الـوـجـوهـ وـصـوـتـواـ فـإـنـ عـشـتـ عـاـشـواـ حـافـضـيـنـ بـغـبـطـةـ .. أـنـوـدـ الرـدـيـ عـنـهـمـ وـإـنـ مـتـ مـوـتـواـ فـكـ قـائـلـ لـاـ يـبـعـدـ اللـهـ رـوـحـهـ .. وـأـخـرـ جـذـلـانـ يـسـرـ وـيـثـمـتـ

فتـبـسـمـ الـمـعـتـصـمـ وـقـالـ : كـادـ وـالـلـهـ يـاـ تـمـيمـ أـنـ يـسـبـقـ السـيـفـ العـذـلـ^(٢)، اـذـهـبـ غـفـرـتـ لـكـ الصـبـيـةـ^(٢)، وـوـهـبـتـ لـلـصـبـيـةـ ثـمـ أـمـرـيـكـ قـيـودـهـ، وـخـلـعـ عـلـيـهـ وـعـقـدـ لـهـ بـشـاطـيـعـ الـفـرـاتـ.

(١) النطع كحمل وشمس وسبب وعنـبـ : بساط من أذيم، أحضر ليـتـلـقـيـ الدـمـ.

(٢) العـذـلـ كـسـبـ وـشـمـسـ : اللـومـ، هـذـاـ مـثـلـ يـضـرـبـ لـلـشـيءـ، يـفـوتـ أـوـانـهـ.

(٣) جـهـلـةـ الـفـتوـةـ.

بين الواقع وبين أبى دواه

دخل أحمـد بن أبـى دواه عـلـى الـوـاثـقـ، فـقـالـ لـهـ الـوـاثـقـ: مـا زـالـ الـيـوـمـ قـوـمـ فـى ثـلـبـ وـنـقـصـ، قـالـ يـاـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ: «لـكـ أـمـرـ مـنـهـ مـا اـكـتـسـبـ مـنـ الإـثـمـ وـالـذـي تـوـلـىـ كـبـرـةـ^(١) مـنـهـ لـهـ عـذـابـ عـظـيمـ» وـالـلـهـ وـلـىـ جـرـائـهـ، وـعـقـابـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ مـنـ وـرـائـهـ، وـمـا ذـلـىـ يـاـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ مـنـ أـنـتـ نـاصـرـ، وـمـا ضـاقـ مـنـ كـنـتـ جـارـاـ لـهـ، فـمـا قـلـتـ لـهـ يـاـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ؟ قـالـ: قـلـتـ يـاـ أـبـا عـبـدـ اللـهـ:

وـسـعـىـ إـلـىـ بـعـيـبـ عـرـةـ مـعـشـرـ .. جـعـلـ إـلـهـ خـدـوـهـ نـعـالـهـ^(٢)

وـقـالـ لـهـ الـوـاثـقـ يـوـمـ مـتـضـجـرـ بـكـثـرـةـ حـوـائـجـهـ: قـدـ أـخـلـيـتـ بـيـوـتـ الـأـمـوـالـ بـطـلـبـاتـكـ لـلـأـئـذـيـنـ بـكـ، وـالـمـتـوـسـلـيـنـ إـلـيـكـ. فـقـالـ: يـاـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ: نـتـائـجـ شـكـرـهـ مـتـصـلـلـ بـكـ، وـذـخـائـرـهـ مـوـصـلـةـ لـكـ، وـمـالـىـ مـنـ ذـلـكـ إـلـاـ عـشـقـ اـتـصـالـ الـأـسـنـ بـخـلـودـ الـدـحـ. فـقـالـ الـوـاثـقـ: «وـالـلـهـ لـاـ مـنـعـنـاكـ مـاـ يـزـيدـ فـيـ عـشـقـ، وـيـقـوـىـ فـيـ هـمـتـكـ فـيـنـاـ وـلـنـاـ» وـأـمـرـ فـأـخـرـجـ لـهـ خـمـسـةـ وـثـلـاثـوـنـ أـلـفـ دـرـهـ.

بين ابن دواه والجاحظ

كان الجاحظ مختصاً بمحمد بن عبد الملك الزيات الوزير مُحرفاً عن أحمـدـ أبـىـ دـواـهـ القـاضـىـ، لـلـمـنـافـسـةـ وـالـشـهـنـاءـ بـيـنـهـمـ، فـلـمـ نـكـبـ المـتـوـكـلـ اـبـنـ الـزـيـاتـ حـمـلـ الـجـاحـظـ مـنـ الـبـصـرـ مـقـيـداـ وـفـىـ عـنـقـهـ سـلـسـلـةـ وـعـلـىـهـ قـمـيـصـ سـمـلـ^(٣)، فـلـمـ دـخـلـ عـلـىـ الـقـاضـىـ أـحـمـدـ قـالـ لـهـ: وـالـلـهـ مـاـ أـعـلـمـ إـلـاـ مـتـنـاسـيـاـ لـلـنـعـمـةـ، كـفـوـرـاـ لـلـصـنـيـعـةـ، مـعـدـنـاـ لـلـمـسـاـوـيـ، وـمـاـ فـتـتـنـىـ بـاسـتـصـلـاحـ لـكـ، وـلـكـ الـأـيـامـ لـاـ تـصـلـحـ مـنـكـ لـفـسـادـ طـوـيـلـكـ، وـرـدـاءـ دـخـيـلـتـكـ، وـسـوـءـ اـخـتـيـارـكـ، وـغـالـبـ طـبـاعـكـ، فـقـالـ الـجـاحـظـ: خـفـضـ عـلـيـكـ - أـبـيـكـ، اللـهـ - فـوـالـلـهـ لـأـنـ يـكـوـنـ لـكـ الـأـمـرـ عـلـىـ خـيـرـ مـنـ أـنـ يـكـوـنـ لـيـ عـلـيـكـ، وـلـأـنـ أـسـيـئـ وـثـحـسـنـ، أـحـسـنـ فـيـ الـأـحـدـوـثـةـ عـلـيـكـ مـنـ أـنـ أـحـسـنـ وـتـسـيـئـ، وـلـأـنـ تـعـفـوـ عـنـ فـيـ حـالـ قـدـرـتـكـ، أـجـمـلـ بـكـ مـنـ الـأـنـتـقـامـ مـنـيـ، فـقـالـ أـحـمـدـ: وـالـلـهـ مـاـ عـلـمـتـكـ إـلـاـ كـثـيرـ تـرـوـيـقـ الـكـلـامـ، وـخـلـ

عـنـهـ الـغـلـ وـالـقـيـدـ، وـأـحـسـنـ إـلـيـهـ وـصـدـرـهـ فـيـ الـمـلـجـسـ.

(١) مـعـظـمـهـ.

(٢) مـنـ قـوـلـ كـثـيرـ عـزـةـ، وـتـمـثـلـ بـهـ.

(٣) كـخـلـقـ.

بين ابن أبي دواه وأبى العيناء

قال أبوالعيناء: دخلت على ابن أبي دواه يوماً فقلت له:

إن قوماً من أهل البصرة قدمو إلى سرّ من رأى^(١) يداً على^(٢) فقال: «يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ» فقلت: إن لهم مكرأً فقال: «وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ»، قلت إنهم كثير، قال: «كُمْ مِنْ فَئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ».

(١) مدينة المعتصم والعاصمة الثانية للدولة.

(٢) ضدى.

ثانياً: إبراهيم نافع

حوارات للتاريخ

نقدم فيما يلى شاذج لفن الحديث الصحفى أجراها الأستاذ إبراهيم نافع مع الرئيس محمد حسنى مبارك. وقد ضمنها كتابة "حوارات للتاريخ". يقول فى تصدير هذا الكتاب:

"الحوار الصريح والمبادر مع الرؤساء والملوك، ينقل صورة صادقة وعفوية عن فلسفاتهم واتجاهاتهم واهتماماتهم وهمومهم، قد تفوق كثيراً ما تنقله عشرات التحاليل المطولة والبيانات المسهبة، وذلك نظراً لما يتسم به الحوار من تلقائية وتركيز على الشواغل الآنية التى تهم الناس جميعاً. ويوفر هذا الحوار بدوره مادة خصبة للدراسة والتحليل واستخلاص النتائج، على نحو أكثر عمقاً وصدقأً، مما يجعل إصدار الأحكام بناء على ذلك أشد استناداً إلى الواقع والحقيقة.

و هذا الكتاب^(١). يرسم بانوراما عريضة لفکر وشواغل مجموعة مؤثرة من القادة والزعماء ذوى الدور المتميز في حياة بلادهم وأمتهم، ويمثل شهادة للتاريخ تسجل المشكلات الأكثر إلحاحاً لمنطقة العربية والعالم، و موقف القادة من معالجتها، والنهج الذى يتبعونه في التصدي لها، وحجم ما حققوه من إنجازات وما يسعون لتحقيقه من عود وتعهدات، والقصد منه إلقاء الضوء على شخصية هؤلاء القادة وأهدافهم وأساليبهم في العمل، الأمر الذى يساعد كثيراً في فهم الاتجاه الذى تسير فيه الأمور في المنطقة والفلسفات، التي تحرك القائمين على أمور الناس في هذه البقعة المهمة من العالم بكل المقاييس. وهو ما أدعوه الله أن أكون قد وفقت فيه، أولاً بإجراء هذه الأحاديث، وبنوعية الأسئلة التي تضمنتها، والتي أرجو أن تكون قد أجبت على ما يهم الناس معرفته، وأخيراً بإصدار هذا الكتاب.

إبراهيم نافع

(١) إبراهيم نافع: حوارات للتاريخ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ١٩٩٧،

دائماً، فإن الرئيس مبارك، يدرك الثقل الذي يتميز به الدور المصري إقليمياً وعالمياً. ولهذا فإنه حين يتحدث عن أزمة الديون التي ترهق الاقتصاد المصري، فإنه لا يفكر في الأوضاع المصرية وحدها، وإنما يتناولها في إطار الدور القيادي الذي تلعبه مصر في العالم الثالث، وفي إطار الأهمية الاستراتيجية التي تمثلها مصر بالنسبة لدول العالم الغنية، أو ما يسمى بالعالم الأول.

ودائماً، كذلك، فإن الرئيس مبارك لا يغفل الأوضاع الداخلية، وإنما هو يميل دائماً إلى اتباع سياسات عملية حتى ولو كانت تحتاج إلى نفس طويل.

وأهم ما يميز هذه السياسات العملية هو الاتجاه بها نحو طرح البدائل الممكنة. ولهذا فإن أزمة البطالة - في فكر الرئيس مبارك - يمكن أن تجد الحل التدريجي باتباع خطوات عملية.

فحين قرر الرئيس مبارك أن مصر في حاجة إلى توفير ٤٠٠ ألف فرصة عمل سنوياً، فإنه اتجه إلى :

- أولاً: تكين القطاع الخاص من توفير ٢٥٠ ألف فرصة منها.

- ثانياً: تشجيع الزراعة، بتجهيز الأرض بالمرافق وبيعها للاستزراع بسعر مني

- ثالثاً: نشر الصناعات الصغيرة بإضافة ٣٠ منطقة مجمعات صناعية جديدة.

وفي حوارى معه في ١٩ ديسمبر ١٩٨٨ :

- قال الرئيس حسني مبارك: إن مشكلة الديون، وإعادة جدولتها، بالإضافة إلى التركيز على قضية التنمية في مصر، سوف تحكم تحركات الرئيس الخارجية والداخلية على مدى العام الجديد (١٩٨٩).

وأكيد الرئيس مبارك أن مشكلة الديون أصبحت تقلق وتزعج دول العالم جميعها الغنية منها والفقيرة، مع اختلاف ظروف كل منها بطبيعة الحال، وقال إن العالم الثالث، أو بوصف أدق الدول الفقيرة قد تعثرت خطوات التنمية فيها بشكل واضح وملحوظ على

مدى السنوات الثلاث الماضية، بسبب تزايد الديون وما تتطلبه خدمتها من فوائد. وأوضح الرئيس أن ديون الدول النامية قد ارتفعت في هذه الفترة من ٩٠٠ مليار دولار إلى ما يزيد على ١١٠٠ مليار دولار، أي أن الزيادة في مديونية هذه الدول ترتفع بمعدل يتراوح بين ٨٠ و ١٠٠ مليار دولار سنويًا، وقد يbedo من ذلك أن هناك تمويلاً جديداً، أو قروضاً جديدة تتدفق على الدول النامية، لكن الحقيقة – فيما قطع به الرئيس – أن ذلك غير صحيح على الإطلاق فربيع هذه الديون فقط يمثل بالفعل تمويلاً جديداً، والباقي يمثل في حقيقة الأمر زيادة في المديونية بسبب تراكم فوائد الديون، بالإضافة إلى فوائد تأخير السداد.

أما بالنسبة للدول الغنية – فيما أضاف الرئيس – فقد بدأت تشكوهى الأخرى بسبب توقف الدول الفقيرة عن استيراد الآلات والمعدات التي تمثل نسبة ٤٠ في المائة من إجمالي إنتاج المصانع في الدول الغنية، وهو الأمر الذي يهدد استمرار هذه الصناعات، وتحقيق العوائد الاقتصادية منها، فضلاً عما يمكن أن يؤدي إليه هذا الوضع من كساد وبطالة.

على أن الأهم من ذلك كله، في رؤية الرئيس مبارك، هو أن أغلب المنازعات الإقليمية التي تقع في دول العالم الفقيرة التي كانت تستورد السلاح من الدول الغنية، قد أخذت طريقها إلى الحل، وكان توقفها عن الأرجح بسبب الظروف الاقتصادية الخطيرة لبعض أطراف هذه المنازعات، ومن ثم سوف تنخفض بالضرورة وارداتها من السلاح مما يضاعف من تخوف الدول الغنية المصنعة له من تأثيرات ذلك على مستقبلها الاقتصادي والمالي.. وبالقطع الاستراتيجي أيضاً. وبالتالي تعود الكرة من جديد إلى ملعب الدول الغنية.

وقال الرئيس مبارك إنه بالرغم من هذا الموقف الصعب والمعقد الذي يواجهه العالم كله، غنيه وفقيره، فإن الدول الغنية لا تزال تصر على عدم زيادة مساعداتها أو تمويلها للدول الفقيرة، إلا إذا تلقت إشارة خضراء من المؤسسات المالية الدولية، تؤكد قبول الدول الفقيرة "الروشتة التقليدية" التي يفرضها صندوق النقد الدولي والتي يشارك فيها الآن معه، للأسف، البنك الدولي للإنشاء والتعمير والغربي هو أن المؤسسات المالية الدولية تركز دائمًا في هذه "الروشتة" على الجانب المالي فقط الذي يؤثر بطبيعة الحال على بعد الاجتماعي في البلد المدين.. وهو ما لا يمكن أن تتجاهله

الحكومات، حتى لو اعترفت بأنها قد تأخرت بعض الوقت في السير على طريق الإصلاح الاقتصادي والاجتماعي؛ بما كان واجباً عليها اتخاذه من إجراءات، فنجد أن هذه المؤسسات - فيما ذكره الرئيس على سبيل المثال - ترکز على خفض العجز في الموازنة عن طريق إقرار الحكومات المدينة لإجراءات صعبة كتجميد الأجور أو رفع الدعم عن السلع والخدمات المختلفة، أو زيادة الأسعار للحصول على موارد أكبر. وجميع هذه الإجراءات تلقى بالضرورة بعء إضافي على كاهل المواطنين.

ضرورة الاستثمار في التمويل مع خفض فوائد الديون

لذلك فإن إيجاد حل لمشكلة الديون أصبح في رأي الرئيس مبارك هدفاً أساسياً لكل من الدول الفقيرة والغنية أيضاً، ليس حباً في الدول النامية، ولكن تحقيقاً لصلحة الدول الغنية بالدرجة الأولى، لكي تتمكن من زيادة تصدير السلع للدول الفقيرة، وحتى تتمكن الأخيرة من مواصلة تنفيذ خطط التنمية لكي تزيد من صادراتها، وبالتالي تضاعف من دخلها من النقد الأجنبي، الذي تستعيده به قدرتها على سداد الديون. وتحقيق هذا الهدف الذي تفید منه الدول الغنية يفرض على المؤسسات المالية الدولية - فيما يطالب به الرئيس مبارك - الاستثمار في تمويل الدول الفقيرة دون تمسك بالشروط القاسية التي لا تطبقها، بسبب تأثيرها الحتمي على الاستقرار الاجتماعي بها. على أن يقترن استثمار التمويل بضرورة خفض فوائد الديون وإعفاء الدول النامية من جزء منها على الأقل. وهذا ما نادت به الكويت باعتبارها أكبر دول العالم الدائنة، ووافقت عليه بعض الدول الغنية وفي مقدمتها فرنسا واليابان.

يطالبون مبارك برئاسة منظمة الوحدة الإفريقية.

وفي ضوء هذه الرؤية المتكاملة لحل مشكلة الديون الذي أصبح مطلباً حتمياً لدول العالم بغير استثناء، يتوجه الرئيس مبارك إلى زيارة إفريقيا في يوليو القادم، لحضور مؤتمر القمة الإفريقي الخامس والعشرين باعتبار أن مشكلة الديون سوف تكون الموضوع الأساسي في جدول أعمال المؤتمر، بعدما أخذت المشكلات السياسية الحادة التي تواجه الدول الإفريقية طريقها إلى الحل. وهناك قيادات إفريقية كثيرة تطالب الآن الرئيس مبارك بأن يرأس منظمة الوحدة الإفريقية إيماناً بأهمية وتأثير دور مصر في الفترة القادمة، وبالخصوص فيما يتعلق بحل مشكلة الديون.

ودفعاً لقضية التنمية الصناعية التي تمثل المحور الثاني لحركة الرئيس مبارك خارجياً وداخلياً خلال العام الجديد، يزور الرئيس أيضاً في الأشهر القليلة القادمة بعض دول الشرق الأقصى بدءاً باليابان والصين والهند، وبعض الدول الأخرى، يقوده في هذه الزيارات ثلاثة أهداف رئيسية تهم مصر: الإسهام بأكبر جهد في انطلاق حركة عدم الانحياز التي تعود الآن إلى سابق عهدها، والتي ينتظر أن تنمو وتنطلق أكثر في العام الجديد، وثانياً: نقل التكنولوجيا من الدول التي يزورها إلى مصر، وخاصة في مجالات الزراعة والإنتاج الغذائي، وتأتي في هذا الإطار تجربة الهند الخاصة في زيادة إنتاجية الأرز، فضلاً عن دراسة الخبراء الذين يرافقون الرئيس في زيارته القادمة لدول الشرق الأقصى لأوجه التقدم في مجالات الصناعات الصغيرة التي يهم الرئيس نشرها في مصر على أوسع نطاق، ثم يتجه الهدف الثالث للزيارة إلى استئناف علاقة مصر الجيدة مع اليابان في مناقشة خططها لمساعدة دول العالم الثالث، ومدى إفادتها مصر

استثمار العلاقات المتازة لمصر مع الشرق والغرب.

ويتحقق هذا التحرك المرتقب للرئيس مبارك، بما يخدمه من أهداف، في ضوء العلاقات المتازة التي أصبحت تربط مصر في السنوات الأخيرة، ولأول مرة في تاريخها، مع كافة دول الشرق والغرب على السواء، بغير تعارض مع العلاقة الخاصة بين مصر والولايات المتحدة الأمريكية، والتي من المنتظر في إطارها أن يكون الرئيس مبارك من أوائل رؤساء العالم الثالث الذين يجتمع بهم الرئيس الأمريكي المنتخب "جورج بوش" عقب تقاده مهام منصبه، لبحث أبعاد التحرك مع الإدارة الأمريكية الجديدة، وسوف يقترب ذلك - فيما أعلم - باجتماع الرئيس مبارك مع رئاسة صندوق النقد الدولي لبحث مشكلة الديون وإعادة جدولتها وخفض سعر الفائدة عليها.

وفي توقيت لاحق، يخدم أيضاً قضيتي الديون والتنمية، يزور الرئيس فرنسا في 14 يوليو القادم في مناسبة احتفالها بعيدها القومي، وهو ذات التوقيت الذي يعقد فيه مؤتمر باريس لرؤساء الدول الصناعية الكبرى السبع - أمريكا واليابان وفرنسا وإنجلترا وألمانيا وكندا وإيطاليا - وسوف تكون بالقطع فرصة طيبة لكي يناقش الرئيس معهم مشكلة الديون في الدول النامية، واحتياجاتها لنقل التكنولوجيا من هذه الدول الصناعية الكبرى لزيادة عائدات التنمية من النقد الأجنبي الذي يعينها على سداد الديون.

وهذا البرنامج المتوقع لزيارات الرئيس الخارجية خلال العام الجديد، لا يمنع بطبيعة الحال أن يقوم الرئيس مبارك بزيارات لبعض الدول الأوروبية الأخرى وبعض الدول العربية، وفي ذهنه أهمية تنشيط دور الصناديق العربية في مجالات التنمية في مصر وزيادة الاستثمار فيها.

طريقان لخفض تكاليف العمالة في القطاع الحكومي

على أن الأولوية الأولى في كافة تحركات الرئيس خلال العام الجديد سواء الخارجية أو الداخلية والتي سوف يواصل بها زياراته المستمرة لواقع الإنتاج، ستظل تتركز في القضاياتين المتلازمتين : حل مشكلة الديون، والإسراع ب معدلات التنمية..

فال المؤكد في حسابات الرئيس القائمة على الدراسة الدقيقة لاحتياجاتنا أنه لابد خلال السنوات القليلة المقبلة من خلق ٤٠٠ ألف فرصة عمل سنوياً وهو يعلم أن الحكومة والقطاع العام مجتمعين لن يتمكنا من توفير أكثر من ١٥٠ ألف فرصة عمل كحد أقصى، ولابد للقطاع الخاص أن يوفر ٢٥٠ ألف فرصة عمل الباقي، والرئيس يرى أن تحقيق ذلك لا يتم إلا عن طريق تشجيع الزراعة والصناعات الصغيرة، ويرى أن تشجيع الزراعة يكون بتوفير المرافق الرئيسية بتمهيد الطرق وشق ترع الري وإقامة محطات الكهرباء، ثم بيع الأرض المستصلحة بمرافقها بأسعار رمزية لاستزراعها. وفي مجال نشر الصناعات الصغيرة يرى الرئيس أن هذا يتطلب أساساً زيادة عدد مناطق المجتمعات الصناعية المماثلة المقامة حالياً في مدن العاشر من رمضان والعامريه والسداد، بحيث تصل على الأقل إلى ٣٠ منطقة للمجتمعات الصناعية، وبهذا فقط يمكن تصويب الوضع الفريد للعمالة في الحكومة والقطاع العام، والتي تقول الإحصاءات الأخيرة إن هذين القطاعين يضمان ٥ ملايين من العاملين يمثلون ١٧% من المجتمع المصري، من بينهم ٣ ملايين و ٣٠٠ ألف يعملون في الحكومة بما يمثل ٧% في المائة من تعداد السكان في مصر، وهي أكبر نسبة للعمالة الحكومية في دول العالم، في حين أن الدول الشيوعية ذاتها غالبية أبنائها في القطاع العام.

على أن هذا التوجه - الذي يطالب به الرئيس - إلى الزراعة والصناعات الصغيرة لا يمنع، فيما يراه، أن توفر الدولة التمويل اللازم لساندة جهود الأيدي المصرية

التي تتجه إلى العطاء في الميدانين، وضرورة أن يقترب التمويل بالمرونة الكافية في منحه لتسهيل التشغيل والتمكن من الاقتحام والمواجهة مع فرص الإنتاج الجديدة.

وفي زيارات الرئيس المتتابعة لواقع الإنتاج في مصر بزرت إيجابيات عديدة لقيت منه التقدير، وتكشفت سلبيات تابعها بالتقديم، فضلاً عما أثارته هذه الزيارات - وهذا جانب هام لها - من فرص لتعرف المواطنين على إنجازات ومشروعات عديدة في كافة مجالات الإنتاج والخدمات، فلم تكن الغالبية منهم تعرف على سبيل المثال أن هناك مشروعات ضخمة نفذت تحت الأرض للتليفونات ومياه الشرب والصرف الصحي الذي شق له نفق هائل بامتداد ١٨ كيلو متراً تحت الأرض. وذكر هنا أنه في ٣٠ يونيو القادم تنتهي مشروعات للكهرباء طاقتها ١٥٠٠ ميجاوات، وهو ما يعني إضافة طاقة خلال عام واحد تماثل طاقة الكهرباء التي ينتجها السد العالي والتي تبلغ ١٦٠٠ ميجاوات.

التوجه العربي عقيدة ومبدأ:

التوجه العربي لدى الرئيس مبارك يرقى إلى درجة العقيدة والمبادئ، دون إغفال الدواعي السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تدفع إلى مزيد من التقارب والتماسك الوفي لصالح كافة الشعوب العربية.

وقد شهد عام ١٩٩٠ جهداً مكثفاً في هذا الصدد، وهو العام الذي شهد شهر أغسطس منه أكبر حالة انقسام عربي حادة وشاملة بدأت بأزمة الخليج؛ وما تداعى منها من زلزال هز العالم العربي بشدة عنيفة.

ويذكر للرئيس مبارك - أولاً - أنه أعاد مصر إلى دورها العربي، وأعادها إلى موضع القيادة.

ويذكر له - ثانياً - أنه استطاع أن يتجاوز حالة الانقسام العربي التي ورثها من حكم الرئيس السادات، والتي نتجت من الخلاف حول السلام مع إسرائيل.

ويذكر له - ثالثاً - أنه صاحب فكر عربي استراتيجي يمكن تلخيصه فيما يلى:
- أولاً: تحقيق قدر أكبر من التماسك في الجبهة العربية، وذلك بتخفيف حدة الخلافات بين الأقطار العربية.

- ثانياً: وضع خطة عربية أو برنامج عمل عربي متكملاً للتحرك على صعيد الأمن القومى بمعناه الشامل.
- ثالثاً: التخلص من الأخطار التى تهدد أمن واستقرار الأقطار العربية فى الداخل والخارج، بما فى ذلك محاولات التقسيم القانونى أو الواقعى الذى يتعرض لها بعض الأقطار.

وقد جرى الحوار فى ٦ نوفمبر ١٩٩٠ على النحو资料:

لابد لنا كعرب أن نكون على مستوى التحدى لواجهة التطورات الدولية:

السؤال الأول: ما هي أولويات العمل العربي في التسعينات، وكيف ترونها بترتيب أهميتها وأى طرق الاقتراب منها تجدونها كفيلة بتحقيق ما تطلعون إليه في عالم متغير؟ أو بمعنى أدق: ما هي القضايا التي ترونها جديرة باهتمام الأمة العربية في ظروف مستحدثة تماماً ليس علينا فقط وإنما مع اتساع العالم كله؟ وأى الوسائل وأساليب العمل سوف تكون الأقدر على توجيه فعل الأمة العربية في حقبة التسعينات؟ وكيف يجب أن يتوجه الخطاب العربي إلى أطراف العالم المؤثرة في تشكيله الجديد؟

الرئيس: لا شك أن الأوضاع الدولية تتغير بإيقاع غير مسبوق في هذه الفترة الدقيقة من تاريخ العالم، ولست بحاجة إلى أن أتطرق إلى الحديث عن هذه التطورات ومدلولاتها وانعكاساتها العميقة، ويكفى أن أشير إلى أن باحثاً أمريكياً متخصصاً وصف تلك التطورات في عبارة موجزة حين قال إنها تعنى "نهاية التاريخ". ومن المؤكد أن هذا التغير الرهيب يفرض علينا في مصر والوطن العربي على امتداده، أن نواجهه بأسلوب متطلون، يمكن أن يكون على مستوى التحدى. ولكن نحدد الأسلوب الذي نختاره للتعامل مع هذا الموقف الجديد، علينا أن نشير إلى أهم ملامح التغير الذي يشهده العالم في العقد الأخير من القرن العشرين ومطلع القرن الجديد، وهي:

أولاً: اختفاء حدة الصراع الأيديولوجي والاستقطاب الدولي اللذين سيطراً على المسرح الدولي منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، وتسبباً في فرض سياسات وأولويات معينة على كافة دول العالم في الشرق والغرب، والشمال والجنوب.

وتمثلت هذه السياسات أساساً في سباق التسلح وتخصيص ميزانيات ضخمة لحيازة الأسلحة المتطورة ومنها السلاح النووي، والإعداد لحدوث مواجهة نووية سوف يترتب عليها إنهاء كافة صور الحياة على الأرض، وهو ما جعل معظم سكان العالم في رعب من المستقبل ويفتقدون الشعور بالأمن والطمأنينة رغم التكتلات العسكرية المزودة بأحدث الأسلحة.

ثانياً: الاتجاه نحو إقامة الكيانات الاقتصادية الكبيرة التي تزيد من قدرة الدولة على مواجهة المشاكل والمطالب المتصاعدة.

ثالثاً: صعود التحدى الاقتصادي إلى قمة الأولويات الداخلية في جميع الدول، لا فرق في هذا بين الدول الصناعية المتقدمة والدول النامية التي تعاني من مشاكل طاحنة. وقد اقترن هذا التحدى بعنصرتين أصبحت لهما صفة العالمية، أولهما هو ضرورة استيعاب التكنولوجيا الحديثة في الإنتاج الزراعي والصناعي والخدمات، والثاني هو عامل البيئة وضرورة حمايتها من الأخطار المحدقة بها والتي أصبحت تهدد الحياة على الكره الأرضية.

خطة عربية متكاملة لتطوير الإنتاج ومواكبة الطفرة التكنولوجية:

وإذا عدنا للسؤال الذي طرحته، فإنهن أضع أولويات العمل العربي في العقد القادم على النحو التالي:

أولاً: تحقيق قدر أكبر من التماسك في الجبهة العربية، وذلك بتخفيف حدة الخلافات القائمة بين الأقطار العربية، بحيث يكون الوطن العربي قادراً على التصدي بقوة وفعالية للتحديات المستجدة، وطالما أن العالم سوف يشهد قريباً ظهور تجمعات قوية في أمريكا الشمالية وأوروبا الموحدة - بدرجة أو بأخرى - والشرق الأقصى، فإن قدرة الدول العربية وغيرها من بلدان العالم الثالث على التعامل مع هذه التكتلات سوف تتوقف إلى حد كبير على حجمها والثقل الاقتصادي والسياسي الذي تمثله. وباختصار فإنه لن يكون هناك مكان يذكر للكيانات الصغيرة، ويعيننا بالدرجة الأولى في هذه المنطقة أن نزيد من قدرتنا على التعامل مع الكيان الأوروبي الذي يتحرك بسرعة في اتجاه الوحدة، حتى إذا كانت هناك قيود أو حدود معينة لهذه الوحدة، وإننى أتساءل كيف تستطيع دولة من دول جنوب حوض البحر المتوسط أو البحر الأحمر أو

الخليج أن تتعامل وحدها مع هذا العملاق الجديد الذي لن يقتصر على دول السوق الأوروبية، بل إنه سوف يمتد إلى دول شرق أوروبا عاجلاً أو آجلاً.

ثانياً: وضع خطة عربية أو برنامج عمل عربي متكامل للتحرك على صعيد الأمن القومي بمعناه الشامل، وتطوير وسائل الإنتاج وتنمية الموارد الطبيعية والبشرية وتطوير نظم التعامل بما يمكن الوطن العربي من مواكبة الطفرة التكنولوجية والتقدم العلمي الهائل الذي نشهده في الحاضر والمستقبل القريب.

ويجب أن نحرص على ألا تكون هذه الخطة العربية خطة نظرية تعتمد على العبارات الإنسانية والبلاغة اللغوية، وأن تبتعد عن إطلاق الشعارات المستهلكة التي جربتها الشعوب وفقدت كل مصداقية لديها، وإنما يجب أن تعتمد الخطة منهجاً عملياً، وأن تشتهر في إعدادها الحكومات والمخصصون والملقون، بحيث تأتي معبرة عما يشبه الإجماع القومي العام، وتكون خلاصة رؤية شاركت في صياغتها جميع الفئات القادرة.

ثالثاً: التخلص من الأخطار التي تهدد أمن الأقطار العربية واستقرارها في الداخل والخارج، بما في ذلك محاولات التقسيم القانوني أو الواقعي التي تتعرض لها بعض الأقطار العربية الشقيقة مثل لبنان.

مصر تقوم بدور نشيط في مواجهة المشاكل العربية والإفريقية

السؤال الثاني: ما هو الدور الذي يستطيع وطنكم بالذات أن يؤديه في تحقيق هذه الأولويات؟ وما هي الاشتراطات الواجبة له حتى يستطيع تحقيق هذا الدور؟ وبالتالي ما الذي يجب أن يتوافر وما الذي يتحتم على أمنه العربية أن توفره له؟

الرئيس: مصر جزء من الأسرة العربية الكبيرة، كما أنها دولة تضطلع بدور هام داخل منظمة الوحدة الإفريقية وحركة عدم الانحياز وهي قادرة بحكم تاريخها ورصيد شعبها النضالي على القيام بهذا الدور الطليعي، ليس عن طريق فرض سياستها أو خياراتها على أحد، بل بالأساليب الآتية:

أولاً: بتقديم النموذج الصالح لاقتحام المشاكل ومواجهة التحديات، في ظل مناخ من الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي.

ثانياً: القيام بدور نشيط في مواجهة المشاكل التي تظهر على الساحتين العربية والإفريقية، وبالتعاون والتنسيق مع الأقطار الشقيقة المعنية بهذه المشاكل والمنازعات، ونحن ننطلق في هذا الدور من حقيقة أنه ليس هناك نزاع بيننا وبين أي قطر عربي أو إفريقي، وليس لدينا حسابات نريد تسويتها أو ارتباطات تتعارض مع مصالح الأقطار التي هي طرف في المنازعات. كما أن مصر لا تؤمن بسياسة المحاور على الصعيد العربي أو الإفريقي ولا ترى مصلحة في التفريق بين دول معينة المفروض أن مصلحتها واحدة.

ثالثاً: القيام بدور حلقة الوصل بين المناطق العربية المختلفة، فمن جهة، تعتبر مصر هي الجسر الذي يربط بين عرب الشرق وعرب المغرب. إن جاز هذا التعبير – ومن جهة أخرى تقوم مصر بدور خاص للربط بين المجالس العربية الثلاثة التي قامت في العامين الأخيرين، باعتبار أنها مجالس لم تنشأ ككتلتين إقليمية منفصلة، بل هي قنوات للتنسيق داخل مجموعات متقاربة بهدف إعطاء دفعة للعمل القومي الشامل في إطار جامعة الدول العربية التي هي في حاجة إلى تعزيز في المرحلة القادمة.

أما فيما يتعلق بالإمكانيات التي يجب توفيرها لمصر حتى تتمكن من الوفاء بهذا الدور فهي العمل الجاد الحثيث، والجهد الصادق، ونحمد الله أن الإخوة العرب جميعاً يحيطون مصر بثقتهم وتأييدهم، ونحن لا نشعر بأننا وحدنا في مواجهة أي تحد.

لابد أن تكون للوفاق أمتداداته على العالم الثالث:

السؤال الثالث: تشهد الساحة العالمية، وبالتحديد في الاتحاد السوفيتي وأوروبا الشرقية، تحولات كبيرة يمتد أثرها إلى أوروبا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية، وهذه التحولات سوف تؤثر بالتأكيد على التركيب الدولي كما عرفناه في نصف القرن الأخير. فكيف تتصورون شكل التركيب الدولي الجديد وعلاقات القوى بين أطرافه، وقوانينه أو قواعد الحركة في هذه الظروف الهائلة؟

الرئيس: من المؤكد أن العلاقات بين هذه القوى سوف تحكمها قواعد وقوانين جديدة تختلف جذرياً عن القوانين التي حكمت مرحلة الحرب الباردة، وأهم الاختلافات التي حدثت في هذا الشأن هو أن الصراع بين الشرق والغرب لم يعد ينطوي إليه باعتباره صراعاً حتمياً يقوم على أساس مفهوم الصراع الطبقي أو توازن قوة

الربع النموية كما كان الحال في العقود الثلاثة السابقة، وإنما يتحول هذا الصراع تدريجياً إلى منافسة سلمية تكون رحاتها هي التقدم الاقتصادي والتكنولوجي والقدرة على الإبداع المستمر

وبهمنا في هذا المجال بصفة خاصة أن نضع تصوراً معيناً لانعكاس هذا التطور على القضايا والمشاكل الإقليمية، فليس من المقبول أو المقبول أن يقتصر الوفاق والانفراج على القوى الكبرى ولا تكون له امتداداته على دول العالم الثالث التي تمزقها الخلافات والصراعات، مع أنها أحوج ما تكون إلى كل قریش في حوزتها في عملية التنمية والتطوير الاقتصادي والاجتماعي.

ولكي تتحقق هذه النتيجة المرجوة، فلا يجوز أن يقتصر دور هذه البلدان على المطالبة بأن تشملها الموجة الجديدة التي تجتاح العالم في هذه المرحلة، بل يجب أن ترتكز على التعبير عما هي مستعدة لتقديمه لإنجاح هذه الحركة والإسهام في تطويرها لأن العالم الذي نعيش فيه اليوم وغداً ليس عالم عواطف ومشاعر، بل هو عالم مصالح يتحدد فيه دور كل دولة بقدرها على الفعل والمساهمة.

الجفوة مع السودان:

ما هي رؤية الرئيس حسني مبارك للحدث السوداني الكبير (ثورة الإنقاذ)؟ وماذا عن حقائق حالة "الجفوة" التي انتابت علاقات شطري الوادي خلال الفترة القريبة التي سبقت إمساك القوات المسلحة السودانية بزمام الأمور؟

قال الرئيس مبارك : لابد أن يكون واضحاً تماماً أن علاقتنا بالسودان ظلت طول عمرنا طيبة للغاية.. ولو أن زعيمياً من أحد البلدين حاول في وقت من الأوقات أن يخلق مشكلة بين الشقيقين... فإنهما يستحيل أن ينفصلا يوماً عن بعضهما... ومن جانبي ظلت بطبعي أتعامل مع السودان على أفضل وجه... وذلك من منطلق فهمي الكامل للسودان ومختلف ما يتعلق به... وقد ظلت لي دائماً علاقات طيبة مع السودان... حتى منذ كنت في القوات الجوية... ثم وأنا نائب للرئيس... واستمرت وأنا في فترة الرئاسة الأولى... ومن بعدها الثانية... وهنا ينبغي أن أشير إلى حقيقة أخرى راسخة... وهي أننا في مصر لم نعتد أبداً ولم نعرف عمرنا التدخل في الشؤون الداخلية

لأية دولة... ولا نعمل على إزاحة زعيم... أو إعادة أو تعيين زعيم... هذا خيار الشعب السوداني... ونحن نتفهمه تماماً... ونتعامل مع الشرعية... صحيح أن علاقتنا مع نميرى كانت طيبة جداً... ولكن ليس لشخص نميرى... ولكن لأنه كان رئيس السودان... وكان من الأشخاص الذين يساعدون على حسن العلاقات... وكنا نتشاور معه باستمرار للمصلحة العامة المشتركة بين مصر والسودان... وحيثما وقعت اتفاقية سوار الذهب... وجاء نميرى إلى هنا... سأناهم في الحال : هل نبعث إليكم بنميرى أو نقنعه بذلك... وأجابوا بالرفض... واعترفنا على الفور بشرعية الوضع... لأنه خيار السودان وليس قرارنا... ونحن لا نتدخل في شئون السودان ولا في شئون غيره... وبعدها جاء خيارهم التالي لحكم الصادق المهدى... وقلنا خيراً... ولم أكن أعرفه... ولا تقابلت معه من قبل... ولكن كنت أسمع عنه فقط... وأنا اعتدت لا أحكم على إنسان من سمعى عنه... ولكن من خلال ما ألسنه بالفعل من أعماله... فمن طبائع البشر أن يأتيك من يسمعك الكثير عن فلان الغلاني... وتسرع باتخاذ موقف منه... لكنى أوثر دائمًا انتظار الأفعال... فإذا ما أن تؤكد ما سمعت... وأما أن يكون هراء لا أقول عليه... والحقيقة أن تصرفات الصادق المهدى بدت لنا غريبة... ففي أول مرة قابلته فيها في أديس أبابا في يونيو من عام ١٩٨٦... أمضى ساعة وربع الساعة في الحديث عن علاقاته الخارجية ومدى رغبته في أن تكون طيبة جداً... وقلت له إننى أحاول أن تكون لمصر علاقات طيبة مع جميع دول العالم... ثم وجدته يؤكد لي أنه سوف ينهى مشكلة الجنوب... والمشكلة الاقتصادية... على آخر ديسمبر... أى بعد ستة أشهر من لقائنا... أقول لك الحق... أنا دهشت... كيف يمكن أن يحقق ذلك في سنة أشهر... لكننى تمنيت من كل قلبي أن يصبح ما يقوله حقيقة... فكلما كان السودان بخير... أريحنا وسعدنا كثيراً... .

قلت للرئيس: سعادتكم تكلمتم مع الرئيس الأثيوبي مانجستو... وأظن أنه قال لكم – إن كان ما أعلمه صحيحاً – إن الصورة مختلفة بالكامل عن التي رواها الصادق المهدى... .

الرئيس مبارك: حينما قلت لمانجيستو - وكنا نتحدث معاً في أديس أبابا وتطرق الحديث إلى موضوع السودان - إنني علمت من رئيس وزراء السودان أن سوء التفاهم الذي قام بين أثيوبيا والسودان قد زال تماماً وأن مشكلة الجنوب سوف تحل نهائياً على شهر ديسمبر على، أكثر تقدير.. رد بقوله: أنا آسف... الصورة مختلفة تماماً

عما قيل لك... قلت له : غريبة... واستطرد مانجستو يؤكّد لى حقيقة الموقف... قال: الرواية ليست بهذه السهولة... إلا إذا كان الصادق المهدى سهلها لنفسه وهذا موضوع آخر... ولم أشأ أن أعقب وطللت أستمع لكلام مانجستو... ولم تكن وساطتى لديه إلا من أجل خاطر السودان أساساً... كانوا يطلبون منى ترتيب مقابلة بينه وبين الصادق المهدى وكنت أتحدث مع مانجستو حول طلبهم ويستجيب الرجل بصدر رحب... ويؤكّد أنه مستعد للمقابلة... ولكن يحدث قبل موعد عقد المقابلة ببضعة أيام... أن يصدر الطرف الثانى تصريحاً يعقد الموقف ويعيده إلى ما كان... ثم يعودون بعدها ويرجون أن أتحدث مرة أخرى مع مانجستو... ولم أكن أتأخر عن إجابة رجالهم رغم ما كان يحدث... وبعدها استطاع الصادق المهدى بأسلوبه فى التعامل أن يعادى كل الأمة العربية تقريباً... زار بلاد العالم وزار إيران وكان النظر سيئاً للغاية... وأخر دولة زارها مصر... وكان قد قام بتحسين علاقاته مع ليبيا. ورغم أننا لم نكن لنا علاقات مع ليبيا وقتها. قلت له من المصلحة العامة أن تكون لك علاقات وحسن جوار مع ليبيا... وليتها يأتي وقت نعمل فيه على أن تكون علاقاتنا أيضاً طيبة... نحن لا نريد أكثر من هذا... أى أننى لم أقل له مثلاً لتحسين علاقتنا مع ليبيا... ألم أن يضع الإنسان فى اعتباره مصلحة بلده قبل كل شيء... لكننا اختلفنا حول موضوع نميرى... قال لي إن الشعب السودانى يطلب... لأنه ارتكب أشياء كثيرة... ويفهم من بقية كلماته أن نميرى سوف يحكم عليه بالإعدام... أو شيء من هذا القبيل... فقلت له : اسمع... أنا أولاً لا أستطيع أن أسلمه لأن الدستور يحرم ذلك... ثم ثانياً... أنا عرضت أن أبعث إليكم يوم الانقلاب ورفض المسؤولون وقتها... وكان أمراً بالغ الغرابة بالنسبة لي... بل أصابنى ذهول حين سمعت أن الصادق المهدى رفع قضية ضدى فى مجلس الدولة... قلت له: حسناً أنت أخترت القضاء... فلننتظر كلمته... ولا تكلمنى فى هذا الموضوع... والمهم أنه لم يجاملى القضاء... قضى بالحق وحده... لا بالجاملة... ولا باتصال أحد بالقضاء... ونحن لا نفعل هذا أبداً... لأننا نريد لقضائنا أن تكون له دائماً استقلاليته وأن يكون له كيانه... لكيلا تقال كلمة عن قضائنا فى أية قضية فى الخارج أو فى الداخل. وانتهت المقابلة مع الصادق المهدى على هذا النحو... ومضت فترة طويلة قبل أن يزور مصر... ومصر دائماً سند السودان... فى أى مجال... ليس معنى هذا أننا نعطي له كل شيء... لكننا نحاول المساعدة بالإمكانيات المحدودة لظروفنا الاقتصادية... وبالاتصال بإخواننا فى العالم

الغربي أو العربي.... وأحياناً نوظف اتصالاتنا لصلحة السودان وشعب السودان... أى أننا نساعد بقدر ما نستطيع... وحين جاء المهدى وزار مصر... أكرمه أكثر من أية شخصية أخرى إلى حد أن دعوته على الإفطار في بيته... وربما لم أفعل ذلك إلا مع قلائل... وعاد الصادق المهدى إلى السودان... ولكن لا فائدة... ذات الهجوم على مصر مستمرة... كلام عن اتفاقية الدفاع المشترك... التقيت به مرة وقلت له : يا أخي الغها... وأنا سوف ألغيها بعدك بدقة... لكنني لا أريد أن أكون البادي... لأنكم في السودان سوف تهاجمون مصر... وتقولون مصر ألغت الاتفاقية... ومصر تخلت عن مسؤوليتها الخ. أنت أولاً وأنا الغي من بعدك... ولن أغضب فليس في ذلك شيء إلقاءا... ولكن لا فائدة... وهذا الموضوع ظل مستمراً من عام ١٩٨٦... وأخيراً فقط قام بإلغاء الاتفاقية... وأرسل لنا خطاباً بذلك منذ شهر لا أكثر قبل أن يترك مكانه...

سألت الرئيس مبارك: ألم ما تضمنه خطابه من قضايا؟

الرئيس مبارك: بعث يقول إن الاتفاقية من عهد بائده... ودهشت... ما علاقتي بذلك... هل تسبب لي السودانيين في خطابك... الخطاب مرفوض... لا ترسله لي... أبعث إلى رئيس الوزراء وقل له إنكم ترون الاتفاقية لا تحقق المصلحة... أو قل في حديث الأشقاء إلى بعضهم : إن الظروف في الجنوب تقتضي إلغاء الاتفاقية لأنهم يطلبون ذلك... ونرجوكم يا أشقاءنا في مصر أن تقدروا هذا... لتسهيلوا لنا إنهاء مشكلة الجنوب... وبالقطع لن ت تعرض مصر... لأننا تهمنا مصلحة السودان... وقال المهدى إن هذه الاتفاقية عقدت بصورة فوقية وأنها لم تتحقق شيئاً للسودان... وقلت إنه الأسلوب الذي عقد به اتفاقياته قبل ذلك... أي تقول له لا تتكلم كلاماً إعلامياً... أو كلام مصالح... أنت لم تفعل شيئاً جديداً... ولا شيئاً على الإطلاق معنا... بينما كنا حريصين على أن نساعد... وقال نلغى التكامل... وألغينا التكامل... وقلت أنا لا يهمني... فعندما أقمنا التكامل والدفاع المشترك... كانوا هم الذين طلبوا ذلك من السادات من أجل السودان وليس من أجل مصر... ومعاهدة الدفاع المشترك هذه تلقى على عاتق مصر بالتزامات عديدة... وبالقطع لن تتأخر حتى لو لم تكن هناك اتفاقيات... وعندما طلبوا فرقاً ودورات للعسكريين... لم تتأخر... اعتبرنا مصرينا واحداً... وشرياننا واحداً... الذي نقدر عليه لا تتأخر عنه... والذي لا نقدر عليه... نحاول أن نساعدهم فيه شرقاً وغرباً...

عرباً وإسلامياً... ودولياً... لا تتأخر عنهم أبداً... بينما كان المهدى كلما يحدث شيء في السودان يزج باسم مصر في جملة مفيدة... وكان مصر هي سبب التدهور في السودان... حتى عندما بعث له الضباط قبل ذلك بمذكرة علقها على مصر. ولست أفهم ما علاقتنا بذلك... وكأنه يقول للشعب السوداني أكره مصر... وهو لا يعي أنه يجعل الشعب تتملكه حالة قرف من الحكم... لأن الشقيقين مدركان تماماً لأبدية العلاقة بينهما... ولا أريد أن أخوض في أمور عديدة غير طيبة تتابعت بعد ذلك... مثل موضوع قوارب الصيد وحبس الصيادين البسطاء بدون داع... قلت إننا لا نمسك بأحد... قالوا واحد دخل الحدود بدون إذن... قلنا حسن... لا يدخل السودانيون ويخرجون هم وجمالهم من أيام درب الأربعين وحتى الآن دون أن نمسك بسوداني واحد ونسأله كيف دخلت؟ إن هذا لم يحدث أبداً... فضلاً عن أن طائراتهم تجيء وتعود مليئة ولا نقول شيئاً... وليس بيننا وبينهم تأشيرات دخول ولا شيء من هذا إطلاقاً... وحدث في وقت من الأوقات أن أصدرنا تحقيقاً شخصية مصرية سودانية أيام نميري وأقول لك الصراحة... إنه من التدهور الرهيب الذي كان يجري في السودان... كانت لدى حاسة سادسة بأنه لا بد أن يحدث شيء في السودان... لأن البلد كان مستمراً في الانهيار من سيء إلى أسوأ... الحقيقة أنا ليس لي دخل بالشئون الداخلية للسودان... لكن المهدى كان على أية حال جارى... ولذا قبلت التشاور معه... لكن كل مشكلة عنده كانت مصر... وحين تتوسط بينه وبين نميري... يقول للبعض هي مصر حتلعب لعبة الوساطة. أنا سوف أحرجها وأطلب منها طلبات.. وفاته أنه حينما يطلب مني طلبات فوق طاقتي سوف أعتذر... وحينما أعتذر يقول الناس إنني لا أريد أن أعطي... أي أنه يضحك على الشعب... لكن الشعوب ليست غبية... ومن هنا قلت له: أنا صريح وواضح... الذي أستطيعه لك سوف أفعله والذى لا أستطيعه سوف أقول لك. آسف لا أقدر بغير غضب... لكي تبحث عن طريق ثان... وإن كنت أملك مساعدة لك فيه فسوف أبادر بها لأنك شقيق... لكن الحقيقة أنه لم يكن يريد أن يحل ولا يريد أن يساعد أحد على الحل... فقط عندما يواجه الاختلاف... يظهر للناس أنه يستخدم مصر للوساطة مع مانجستو.. لكنه يختلف عن مقابلته مرتين وثلاث مرات... واشتكي لى مانجستو من الشكوى وكان محقاً في شكواه. وكنت أقول لإخواننا السودانيين الذين يأتوننى بتكرار طلب الوساطة... هل يعقل أن يحدث اتفاق في نوفمبر من العام الماضى ساعدنا عليه بكل طاقتنا بين

الحزب الاتحادي وجارانج، وكنا سوف نقوم بنفس الدور لو أن حزب الأمة هو الذي ذهب إلى أديس أبابا وطلب المساعدة... لأننا لا نتعامل مع حزب واحد... ونترك بقية الشعب... هل يعقل أن يعقد هذا الاتفاق في نوفمبر... ولا يوافق عليه مجلس الوزراء واللجان الدستورية... إلا في أواخر مارس... خمسة شهور تمضي والقتال مستمر... لصلحة من هذا؟... وكم ماتوا؟... وكم استهلك القتال من نفقات؟ لو أن الثورة كانت صادقة وحقيقة في الإفادة من الاتفاق لتم التوقيع عليه في اليوم التالي له... قلت لقيادتهم : هل لأن الاتحادي عقد الاتفاق... حزب الأمة يؤخر الموافقة عليه... ولو كان الأمة هو الذي عقده يقف أمامه الاتحادي بذات الأسلوب... يا جماعة هناك بلد اسمه السودان... لكن بدا لي أن السودان في انهيار مستمر... انشغلوا كلية بالحديث عن الديمقراطية... والديمقراطية إن لم تكن لصالح الشعب... يكفر بها الشعب... وقد كفر بها فعاد... وقامت الثورة... نحن لا دخل لنا بها... وقد سمعت بنها الانقلاب صباح يوم الجمعة مثل أي مواطن. أبعدوا قيادات... وجاءوا بقيادات... قلت خيرا... دم جديد يوقف من الانهيار الذي حدث... لكننا لا نتدخل... ولا نسمهم في أي انقلاب... كينا نساعد أية حكومة تتولى السلطة ونعتبرها إرادة الشعب... ولو سئلنا في نصيحة نقول رأينا... يأخذ به قادة الثورة أو لا يأخذون... هذه مسألة ترجع إليهم... لأن السودان دولة مستقلة ذات سيادة لا تتدخل في شؤونها.

قلت: وتصور سيادتكم لمستقبل العلاقات مع مجلس قيادة الثورة في السودان
وقد شهد بدوركم وتحرككم السريع للوقوف بجانب السودان؟

الرئيس مبارك: حتى الآن.. العلاقات طيبة... وارجوا أن تتحسن. نحن نساعد السودان بقدر ما نستطيع... رغم ظروفنا الصعبة... ونحاول أن نساعدهم في المحافل الدولية... ونساعدهم مع إخواننا العرب... وكان أغلب العرب - إن لم يكن جميعهم بالأخص في دول الخليج - قد وصلوا إلى حالة توتر بينهم وبين السودان... وبسبب تصرفات السيد الصادق المهدى مع إيران التي يكرر زياراته لها... فضلاً عن إحضار أعداد من الإيرانيين عنده... بينما إيران تضرب في العراق والكويت. ورغم هذا ساعدنا بقدر ما نستطيع....

التأهُب للقرن الحادى والعشرين.

مع اقتراب القرن الحادى والعشرين بكل ما يحمله من تحديات والتزامات، كان لابد من أن أجرى مع الرئيس محمد حسنى مبارك حواراً عم يتم للتأهُب لدخول هذا القرن بكل تبعاته ومسئولياته، وكيف يجرى حشد الهم والطاقات من أجل الوفاء بتطلعات وأمال المواطنين.

ذلك كان لابد أن أطرح على الرئيس أسئلة أخرى لا تقل أهمية، مثارة على صعيد الرأى العام العربى، خاصة أن المنطقة توج من حولنا بأزمات كبيرة ونوبات عنفية.

وقد نشر إبراهيم نافع هذا الحديث فى الأهرام يومى ١٥ و ١٦ أغسطس ١٩٩٧، وكذلك فى مجلة الأهرام العربى التى تصدرها مؤسسة الأهرام.

- **سيادة الرئيس:** باق ثلاثة سنوات تقريباً وتدخل القرن الحادى والعشرين.. ما الذى تخطط وتعمل له سيادتكم لنصل به معكم إلى هذا القرن؟

- **الرئيس مبارك:** كل ما نقوم به هو من أجل المستقبل.. عملية الحياة مستمرة لا تقف عند عام ألفين.. نحن نقوم بتطوير أنفسنا فى الصناعة والزراعة، ونزيد صادراتنا، ونضبط ميزانيتنا، ونقلل العجز والتضخم، ونفتح الاستثمار، ونحسن إنتاجنا فى هذا النظام العالمى المفتوح.. كل هذا يجعلنا ندخل القرن الجديد بثقة كبيرة فى التقدم. التنمية ستكون قد زادت لكي نوجد وظائف أكثر... ونحن نقوم بأقصى جهد لإيجاد وظائف. هناك من يقولون إن عندنا بطالة. نعم عندنا بطالة، ولكن ليس بالنسبة الكبيرة الموجودة فى الدول الأخرى. ونحن نقوم بأقصى ما يمكن لاستيعاب أكبر حجم من البطالة، ولكن لابد أن يغير الناس نمط حياتهم. أمريكا الدولة العظمى بها بطالة ٥٪، إسبانيا ٢٣٪، فرنسا ١٣٪، رغم كل هذا فإن لدينا من يعمل بالقطاع الخاص، ويضع نفسه فى خانة البطالة لأنه يريد العمل فى الحكومة رغم أن لدينا ٥ ملايين موظف فى الحكومة. لاحظ أن المرتبات زادت (كل سنة بنسبة ١٠٪) بأكثر من نسبة التضخم، ولا مانع لدينا من الزيادة بأكبر من هذا، وهذا يقتضى أن تزداد الموارد، نسبة الـ ١٠٪ سنوياً نعنى مليار جنيه تقريباً، وإذا أردت الزيادة إلى ٢٠٪ فمعناه ٢ مليار جنيه، من أين نأتى بهذا المبلغ.. هل نطبع أوراق البنكنوت.. هذا معناه قفزة فى أسعار السلع، ولن

يتحملها أحد.. هل نفرض ضرائب جديدة على المستثمرين ورجال الأعمال والموظفين.. أبدأ لن يتحملوا.. إذن من أين الموارد؟ في عام ١٩٨٣ كانت جميع المرتبات في الدولة ألفين وخمسمائة مليون جنيه، النهارده ٢٥ مليار جنيه (الموازنة ٨٠ ملياراً) أى أكثر من ربع الموازنة، لاحظ أن عدد الموظفين في الحكومة ضخم جداً.. قلت إنه ٥ ملايين موظف مع أئتنا لا نحتاج لأكثر من اثنين أو ثلاثة ملايين، ويمكن أقل من هذا، هؤلاء يتلقاون مرتبات من الدولة، كما لا يمكن الاستغناء عن بعضهم، مثلما طالبت بعض الأصوات.. نحن نعمل أقصى ما في جهودنا لإيجاد الوظائف.. الاستثمارات.. توشكى وغيرها هدفها إيجاد فرص عمل..

عموماً لسنا وحدنا الذين نعاني من البطالة أو يوجد لدينا فقراء.. إن أعني البلاد تعانى هذا.. أمريكا نفسها بها فقراء، ومرضى بلا علاج مع أنها دولة غنية.. هذه سمة في العالم كله

ومع ذلك، فإن سيادتكم تضعون بعد الاجتماعي في مقدمة أولوياتكم..

الرئيس مبارك: في كل خطوة ستجد بعد الاجتماعي.. بقدر ما أستطيع وحسب الإمكانيات المتوافرة، وراعينا هذا في خطوات الإصلاح الاقتصادي..

بعد ذلك أتساءل ما هي مشكلتنا؟ إنها زيادة السكان، كنا ٤٣ مليون نسمة عندما توليت الحكم، النهارده نحن ٦٢ مليون نسمة، الفرق ١٩ مليوناً، أى تعداد دولة في حد ذاته، نحمد الله أئنا - بكل هذه الزيادة السكانية - قادرون على العيش ونجد المأكل والملبس.. لا أحد يبكيت جوعان.. هل يوجد في مكان آخر بالعالم رغيف العيش بخمسة أو عشرة قروش؟

- ماذا بشأن اجتماع اللجنة العليا للتصدير؟

- الرئيس مبارك: سنجتمع بعد أغسطس نظراً لظروف سفر الأعضاء في الصيف، إن طوحاتنا في التصدير كبيرة جداً.. لقد قلت للجنة إننى لا أريد زيادة الصادرات باثنين أو ثلاثة مليارات جنيه، أئنا أريد أن أصل بحجم الصادرات إلى رقم ضخم، هناك بلاد وصلت إلى ٨٠ مليار دولار وهي مثلنا عام ثالث، وبعضاها ٢ أو ٣٠ ملياراً.. طالبت من الأعضاء أن يدرسوها كيف ارتفع بال الصادرات التي هي مسندتنا..

والحمد لله السياحة جيدة هذا الصيف.. في شهر يوليو الماضي وحده دخل مصر حوالي ٤٥٠ ألف سائح.

— هل نستطيع القول بأن شعار دعم الصادرات مسألة حياة أو موت..؟

— الرئيس مبارك: هذا صحيح.. العالم كله يقاتل من أجل زيادة الصادرات.. هذا ما تفعله الان أمريكا وفرنسا وإنجلترا.. وكل مجهودات حكوماتها في هذا الاتجاه (زيادة التصدير) لكي تفتح خطوط إنتاج وتوجد وظائف.. الهدف في النهاية إيجاد وظائف، مع ملاحظة أن هذه الدول لا تحدث بها زيادة تقريباً من ناحية السكان.. وعظيم جداً بالنسبة لنا أننا نقوم بكل هذه الاستثمارات في ظل الزيادة السكانية التي تصل كل عام تقريباً إلى حوالي ٩٠٠ ألف نسمة.

٨٠٪ من الاستثمارات مصرية.

— بالنسبة للائحة التنفيذية لقانون الاستثمار.. هل توقعون بعدها مزيداً من الاستثمارات المصرية والعربية والأجنبية؟

— الرئيس مبارك: الاستثمارات المصرية قائمة ومستمرة.. ٨٠٪ من الاستثمارات الموجودة مصرية والـ ٢٠٪ أغلبها عربي، والأجنبية محدودة، ويلاحظ أن المستثمرين العرب يزداد عددهم الان، لأن مصر أرحب لهم من أي مكان آخر للاستثمار.. في توشكى هناك أكثر من مستثمر يرغب في العمل، وهناك مصانع مشتركة مع بعض المستثمرين العرب.

— أقصد أن هناك أكثر من شهادة دولية بنجاح مناخ الاستثمار.

— الرئيس مبارك: هذه الشهادات الدولية أحد العوامل التي تشجع المستثمرين.. ولكننا نسعى إلى زيادة الاستثمار بطرق كثيرة جداً.. وهدف ذلك إيجاد فرص عمل للمواطنين الذين يزدادون دائماً.

— كلمة البساطة أو ظاهرة البساطة التي تسيء للشائع المصرى، بجانب ظاهرة التسيب والإهمال من جانب بعض الموظفين.. هل يتم مواجهة ذلك فعلاً بتشريعات؟

— الرئيس مبارك: دعنى أقل لك شيئاً.. لقد لاحظت أنه عندما ظهر اثنان من البلطجية وجدت أنكم كلكم بدأتم تكتبون في موضوع البلطجة، وكان البلد كلـه بلطجـية، هناك أفراد مجرمون والـبـولـيس يـعـرـفـهـمـ جـيدـاً.. وعـنـدـمـاـ قـبـلـ لـىـ عنـ مـوـضـوـعـ فـيـ شـارـعـ الـهـرـمـ كـلـمـتـ رـئـيـسـ الـوـزـرـاءـ وـوزـرـ الـدـاخـلـيـةـ.. وـمـحـافـظـ الـجـيـزةـ.. وـقـلـتـ لـهـمـ هـذـاـ الـمـوـضـوـعـ لـابـدـ أـنـ يـتـنـهـيـ.. وـتـمـ هـذـاـ بـالـفـعـلـ.. وـلـاحـظـ أـنـ وـرـاـرـةـ الـدـاخـلـيـةـ تـقـوـمـ الـآنـ بـالـقـبـضـ عـلـىـ مـثـلـ هـذـهـ الـنـوـعـيـةـ فـيـ كـلـ مـكـانـ، وـلـيـسـ فـيـ شـارـعـ الـهـرـمـ وـحـدـهـ..

ثم إنـاـ سـنـعـدـ التـشـرـيـعـاتـ لـكـىـ نـدـخـلـ فـيـهـاـ أـمـرـاـ مـعـيـنـةـ، لـسـدـ بـعـضـ التـغـرـاتـ فـيـ الـقـانـونـ الـتـىـ يـسـتـغـلـهـ هـؤـلـاءـ الـمـنـحـرـفـونـ.. هـذـاـ الـأـمـرـ يـجـرـىـ بـحـثـهـ الـآنـ، وـسـنـعـاـمـلـ مـعـ هـذـهـ الـظـاهـرـةـ بـكـلـ حـسـمـ..

وـجـدـنـاـ رـجـلـ أـعـمـالـ يـسـتـخـدـمـ سـيـارـةـ بـهـاـ "ـثـلـاثـةـ أـوـ أـرـبـعـةـ فـنـوتـ"ـ وـرـاهـ.. مـاـ هـىـ الـحـكـاـيـةـ.. تـحـمـىـ نـفـسـكـ مـنـ إـيـهـ؟ـ!ـ عـنـدـمـاـ تـطـرـدـهـمـ سـيـعـمـلـوـنـ ضـدـكـ.. هـلـ هـذـهـ حـرـاسـةـ؟ـ!ـ ذـلـكـ أـنـاـ أـطـلـبـ مـنـ رـجـالـ أـعـمـالـ الـبـعـدـ عـنـ مـثـلـ هـذـهـ الـتـصـرـفـاتـ الـغـرـبـيـةـ وـأـقـولـ لـكـمـ مـنـهـمـ: مـمـنـ تـحـرـسـ نـفـسـكـ.. هـؤـلـاءـ لـنـ يـحـرـسـوـكـ.. الـذـىـ يـحـرـسـ هـمـاـ الـدـوـلـةـ وـالـقـانـونـ..

— متـىـ نـجـدـ سـيـاسـةـ تـعـلـيمـيـةـ مـسـتـقـرـةـ فـيـ مـصـرـ خـاصـةـ فـيـ الـتـعـلـيمـ الـأـسـاسـيـ؟ـ

— الرئيس مبارك: تـطـوـرـ الـتـعـلـيمـ لـيـسـ مـسـأـلـةـ سـهـلـةـ، لأنـ الـبـعـضـ فـيـ شـعـبـنـاـ يـقـفـ فـيـ وـجـهـ أـىـ تـطـلـورـ إـذـاـ وـجـدـهـ لـيـسـ فـيـ مـصـلـحـتـهـ الـخـاصـ.. خـذـ مـثـلـ الـثـانـوـيـةـ الـعـامـةـ بـنـظـامـهـ الـجـدـيدـ.. لـقـدـ قـامـتـ "ـضـجـةـ"ـ كـبـيـرـةـ ضـدـهـاـ مـعـ أـنـهـاـ تـخـفـ الضـغـطـ عـلـىـ الـطـلـابـ وـأـسـرـهـمـ..

وزـيـرـ الـتـعـلـيمـ الـدـكـتـورـ بـهـاءـ الـدـيـنـ وـضـعـ سـيـاسـةـ تـعـلـيمـيـةـ لـلـمـراـحـلـ الـمـخـلـفـةـ وـيـمـضـيـ فـيـ تـنـفـيـذـهـاـ بـالـتـدـريـجـ.. يـقـومـ بـتـحـديـثـ الـتـعـلـيمـ وـتـطـوـرـ الـمـناـهـجـ، وـإـدـخـالـ الـكـمـبـيـوـتـرـ فـيـ الـمـارـسـ، إـلـىـ جـانـبـ أـنـ هـذـاـ تـطـلـورـاـ فـيـ نـظـامـ "ـفـتـرـاتـ"ـ..

— لـاحـظـنـاـ أـنـ بـعـضـ الـاـتـجـاهـاتـ الـحـزـبـيـةـ تـحـاـولـ اـفـتـعـالـ أـزـمـةـ بـالـنـسـبـةـ لـقـانـونـ الـعـلـاقـةـ بـيـنـ الـمـالـكـ وـالـمـسـتـأـجـرـ فـيـ الـأـرـاضـيـ الـزـارـاعـيـةـ..

— الرئيس مبارك: هـذـاـ الـقـانـونـ أـنـتـمـ تـعـرـفـونـ جـيدـاـ.. أـنـهـ ظـلـ 5ـ سـنـوـاتـ - قـبـلـ أـنـ يـدـخـلـ مـجـلـسـ الـشـعـبـ مـفـتوـحـاـ لـكـلـ الـأـرـاءـ، وـجـمـعـواـ كـلـ الـاـتـجـاهـاتـ وـبـلـورـهـاـ.. وـالـذـينـ لـمـ

يوافقوا عليه في المجلس، هم ضمناً مافقون نفسيًا، ولكنهم يعملون "حساباً" للزراعة الذين يستأجرون منهم الأرض لكي يضمنوا أصواتهم الانتخابية، وأما القانون فقد تم بحثه بشكل مستفيض، وأعطى فرصة ٥ سنوات للتطبيق، ولم يعرض أحد.. وعندما جئنا للتنفيذ، كل القوى التي تزيد الإثارة والتهبيج وجدتها فرصة للتحرك. أنا أرى أن القانون يتسم بالعدالة الكاملة، كما أن الحكومة أكدت أن من سيترك أرضه ستدرك له بديلاً في أراضي الإصلاح أو غيرها، فماذا يريدون أكثر من هذا، هذا مع ملاحظة أنه حدث توفيق بين المالك والمستأجرين في حوالي ٩٠٪ من الأماكن. وبعد ذلك نرى أن بعض العناصر من حزب العمل يقومون بإثارة الناس.. على غير أساس، إذا كنت حريصاً على مصلحة الوطن، فليس هذا هو الأسلوب، إن محاولة التأليب والإثارة سيدفع ثمنها الشعب.

الموقف من بناء الكنائس.

- هل تنوى الحكومة اتخاذ خطوات تشريعية لتعديل القوانين المتعلقة ببناء الكنائس لإزالة أسباب الشكوى التي استغلاها البعض في الخارج باتهام الإدارة المصرية بسوء معاملة الأقباط؟

- الرئيس مبارك: أولاً نحن لا نعامل الأقباط معاملة بمثيل هذه الادعاءات والافتراطات التي يتهموننا بها، هذا كله تشنيع، وعدم فهم.. والبابا شنودة يتكلم بصراحة ويرد عليهم. ثم إن هناك بعض أمور قد استقرت منذ فترة طويلة مثل القيام ببعض الإصلاحات أو التعديلات في الكنائس نحن نسمح بها. وبالنسبة لهذا الموضوع عموماً أريد تأكيد أن الأمور الخاصة بالنسبة لبناء كنيسة واضحة جداً، وهي ضرورة من أجل مراعاة لا يصطدم بعض المتشنجين بعضهم البعض.. ولم يحدث أن رد طلب بناء كنيسة، ولم نوافق عليه. هذا كله من أجل عملية "التأمين"، وليس من أجل السيطرة على الأقباط. لقد أعطيت أذوناً لبناء كنائس جديدة أكثر من الأذون التي حصلوا عليها أيام السادات وعبدالناصر بكثير، ولم تحدث مشكلة لأننا نتفاهم. أنا في الواقع لا أرى مشكلة بين المسلمين والأقباط في مصر، وإنما كانت هناك مشكلة فهى بين متشددين من الطرفين، وأما الغالبية العظمى فالعلاقات بينها طيبة جداً.. أنا طول عمري لى أصدقاء مسيحيون.. آخر رئيس تدريب للقوات الجوية كان مسيحياً وفي منتهى

الكفاءة.. أنا شخصياً لا أفضل بين مسيحي ومسلم، المعيار عندي هو الكفاءة لأنه مصري.. مسلماً كان أو مسيحياً، فالكل أبناء وطن واحد، لا فرق بين مسيحي ومسلم، والذى يزيد يكون صاحب غرض أو مطبع أو هوى!!

- هل هناك عقبات حداها بالنسبة للشخصية في شركات قطاع الأعمال العام؟

- الرئيس مبارك: ليس هناك عقبات. لا نريد أن نرمي بعض الشركات بأنها خاسرة ويدخل البعض ليشتريها بشمن رخيص.. ما يجرى هو تقويم دقيق وليس عقبات. ما زالت لدينا بعض شركات قطاع الأعمال لم تتم خصخصتها.. هل إنجلترا أو فرنسا خصخصت كل شيء.. أبداً.. لدينا قطاعات أساسية لا نستطيع خصخصتها.

وليس القضية في صيغة البيع، وإنما نحن نهتم أولاً بأن تكون هناك الأموال مقابل البيع، فإذا كان على الشركة ديون نقوم بالتسديد للبنوك، ثم نستخدم ما يتبقى من ذلك، لأن شركات القطاع العام تخسر كثيراً، وعليها مديونية كبيرة للبنوك.. وكمثال فترسانة الإسكندرية عليها ديون حوالي ٩٠٠ أو ألف مليون جنيه، ثم يتساءلون أين سنذهب بالأموال، لو قمنا ببيعها الآن فلن تفوي بثمنها ولا بالديون المستحقة عليها.

- بالنسبة لقضية الإسكان، وتوفير المسكن المناسب للشباب.. هل ستستمر هذه العملية، وأيضاً هل هناك جديد في مسألة العلاقة بين المالك والمستأجر في المباني السكنية؟

- الرئيس مبارك: فيما يتعلق بإسكان الشباب، أؤكد أنه سيستمر.. وأما قضية المالك والمستأجر فستأخذ وقتها لأنها تمس فئة كبيرة من المجتمع التي هي في مستوى دخل أقل من المتوسط، والمالك يتحدث عن ظلم.. هذه قضية - مثل قضية الأراضي - لا بد أن تأخذ حقها من الدراسة الكاملة حتى لا نصدر القانون ونكتشف أن به مشكلات، وهي متزوجة للرأي العام للنقاش، حتى تتم بلوغتها بدقة.. أنا لست من أنصار الدخول بقانون في قضية تمس قطاعاً كبيراً من الناس "لأضيرهم"، أنا مهتم أن أساعد الناس..

وأعود لقضية الشباب، وأقول إننا نقوم بالبناء.. ولا ننس أننا في الـ ١٥ عاماً الماضية بناينا أكثر من ٣ ملايين مسكن مع ملاحظة الزيادة في عدد السكان.

- ماذا يرى الرئيس في المسئولية الملقاة على وزارة التنمية الريفية؟

- الرئيس مبارك: عندنا حوالي ٤٠ ألف قرية.. ولذلك فإن التنمية الريفية والأسر المنتجة يجب أن نعطيها اهتماماً كبيراً جداً. هذه الوزارة أنشئت في إطار الاهتمام بالريف. أريد التركيز على تطويره بأقصى طاقة ممكنة.

- هل تواافقون سعادتكم على تطبيق قانون الطوارئ على الفئات المفقرة؟

- الرئيس مبارك: أى شىء يمثل خطورة على المجتمع لا تتوغ فى استخدام هذا القانون ضده.. أنا عادة أترك الأمور للقانون العادى، ولكن الأمور الاضطرارية التى تهدد أمن المجتمع لا يمكن أن أتركها.. اتخد معها جميع الإجراءات.

- هل ترى سعادتكم اتخاذ تكليفات جديدة للحكومة والمحافظين حتى يتحقق التعاون المطلوب لخدمة جماهير الشعب؟

- الرئيس مبارك: الحكومة تمضي في عملها ومهامها بسرعة.. وأنا بالطبع أنشد التحسن.. والمحافظون يعملون بالفعل على إزالة العقبات. وما أؤكدده بالنسبة لهم أن المحافظ لابد أن ينزل إلى الشارع، وأن يستمع لشكاوى مواطنه. قد يكون بعضها مرا، ولكن لابد عليه أن يشرح للمواطن الموقف، قد يحتاج التنفيذ لوقت طويل، ولكن لابد من وضع المواطن في الصورة، وألا "نضحك عليه" .. نحن جميعا نعمل من أجل الشعب من رئيس الجمهورية لأصغر واحد.. المحافظ له دور شعبي، لابد أن يمر على المواطنين، ويسأل عن احتياجاتهم، قد لا يمكننا تلبية كل المطالب، ولكن نسعى بأقصى ما نستطيع أن نوفر الاحتياجات الضرورية للمواطنين... فقط عليهم تقليل الزيادة السكانية.

ضرورة الإعداد لأى قيمة.

- ما هي الترتيبات الازمة التي يجب أن تسبق عقد قمة مصغرة لتحرير عملية السلام تضم مثلاً نيتانياهو رئيس وزراء إسرائيل، والرئيس الفلسطيني ياسر عرفات، بحضور سعادتكم، والملك حسين ملك الأردن؟

- الرئيس مبارك: لم يتقرر بعد أى شىء في هذا الموضوع.. والذى تحدثت عنه الصحف ليس له أساس.. ولكن إذا كانت هناك فكرة لاجتماع فلابد أن يتم الإعداد له جيداً، وإلا فإنه سينعقد دون أن تكون له نتيجة، وفي هذه الحالة سيكون العائد سلبياً.

وسيؤدي إلى زيادة الإحباط. فلابد إذن أن تتفق مسبقاً على الهدف المرجو من الاجتماع، وأن تتأكد من أنه ستكون له نتائج إيجابية، لأن الرأي العام العربي والعالمي سيكون في انتظاره، وسيتوقع أن يصدر عنه شيء له وزنه وتأثيره، وعندما لا يسفر عن نتائج، فإن ذلك سيؤدي إلى إحباط شديد للجميع، وسيزداد النقد للإقدام على تكرار خطوة بهذه مستقبلاً.

— سعادتكم رفضتم اجتماع واشنطن...

— الرئيس مبارك: الحقيقة لم تكن حكاية رفض. لقد تحدثت مع الرئيس الأمريكي في الموضوع، وقلت له لن تخرجوا بنتيجة، إلا أن الإدارة الأمريكية كان لديها إصرار، وكانت متوقعة أن نيتنياهو من الممكن أن يفعل أو يقدم شيئاً. من جانبهم اعتبروا أنهم قد نجحوا من حيث إقناع عرفات ونيتنياهو بالاجتماع أو الجلوس معاً، ولكننا كنا متوقعة أن يخرج الاجتماع بنتائج تختلف عن هذا.

— تواصل إسرائيل الآن اتخاذ إجراءات أمنية مشددة تشمل فرض عقوبات جماعية على الشعب الفلسطيني. لا يمكن أن تؤدي هذه السياسات إلى حدوث أعمال عنف أخرى في إسرائيل تؤدي بدورها إلى تصعيد الموقف الإسرائيلي؟

ثم إلى متى نضي في هذه الحلقة المفرغة حتى نصل إلى عملية السلام؟

— الرئيس مبارك: بالنسبة لهذا الحصار، أبلغت وزير خارجية إسرائيل بأنني أخشى من أن يكون استمرار الحصار عقاباً للشعب الفلسطيني كلّه. وعقاب الشعب ومنع الأدوية عنه من أخطر ما يمكن، لأن الشعب عندما يجوع سيكون في وضع خطير للغاية.. وثورة الجياع رهيبة جداً ولا يستطيع أحد وقفها.. فما بالك بشعب هو بلا دواء أو طعام.. وأؤكد أنه يُخشى من استمرار هذه العملية إذ أنه من الممكن أن يؤدي إلى عنف أكثر من ذي قبل، ولن يوقف الإرهاب.. وأكرر ما سبق أن قلته: الذي يوقف الإرهاب والعنف هو التقدم في عملية السلام.. انظر مثلاً في عهد رابين كانت تقع أحداث من هذا النوع فيقول الإسرائيليون: سوف نستمر في عملية السلام.. ولكن الأمر اليوم يختلف تماماً، ومن جانبي أتساءل: ما هي الحكمة في إيقاف عملية السلام؟ وما يخشى منه المرء فعلاً.. أن العنف لن يقف عند جزء معينه في المنطقة، وإنما سيشملها كلها ويتمدد إلى كل من يتعاملون مع عملية السلام.

- الخطورة ليست في الطعام والدواء فقط بل في الاقتصاد أيضاً.

- الرئيس مبارك: نعم. في التجارة ومنع انتقال العمال وتشريد من لهم أعمال أو تجارة. هذا معناه أن حركة الحياة تتوقف كلها، وإذا وقفت بهذا الشكل وطالت المدة.. فهذا مكمن الخطورة.. هذا ما أوضحته جيداً لوزير الخارجية الإسرائيلي. وأعتقد أنهم تفهموا الوضع الآن ولذلك بدأوا في فتح المنافذ "رفع وجسر الملك حسين...، ويمضون في إلغاء هذه الأوضاع بالتدريج.

- سعادتكم أبديتكم مخاوفكم من محاولة إضعاف عرفات.. ما هي المخاوف التي يمكن أن تنجم عن ذلك؟

- الرئيس مبارك: عرفات يلفت حوله كل الفلسطينيين، ويثقون فيه. لو ذهب عرفات، فستندلع مشكلات رهيبة بين المنظمات الفلسطينية وهي منظمات كثيرة. لن يكون هناك "زعيم" كبير يستطيع كل الفلسطينيين الالتفاف حوله. أنت تسمع اليوم مثلاً أن هناك منظمات فلسطينية تقول لا تفاوض مع إسرائيل، وبال مقابل هناك منظمات أخرى تريد التفاوض مع إسرائيل، عندئذ من الذي ستكون له الغلبة.. سنجد أنفسنا أمام حالة فوضى، والفوضى مثل العنف تماماً.. ستضرب عملية السلام في مقتل.

- نتانياهو دائماً يتكلّم عن الخطوات التي يجب أن يتّخذها عرفات، ولكنه لا يتحدث أبداً عما يجب أن تقوم به إسرائيل لإعادة الثقة في عملية السلام.. هل يعتبر هذا موقفاً متوازناً؟

- الرئيس مبارك: لا.. هذا ليس موقفاً متوازناً. إذا كان نتانياهو يقول لعرفات عليك أن تفعل كذا وكذا، فهو أيضاً عليه أن ينفذ التزاماته. إن لم ينفذ نتانياهو التزاماته فلن يكون هناك توازن على الإطلاق.

لقد أثارت مسألة "جبل أبو غنيم" ضجة، وعلى الرغم من ذلك فقد عادوا ليقولوا إنهم سيبينون في "رأس العامود". زهذا كله تحد للرأي العام.

- ما هي وجهة نظر أمريكا التي جعلتها تحجم عن القيام بدور فعال في الفترة الماضية؟

— الرئيس مبارك: شوف.. الإداره الأمريكية نقول: أنا لا أضغط على أحد، ولكن من جهة أخرى هي ترى الموقف واضحًا، حيث لن ينفذ بنياتنا هو التزاماته، وهناك اتهامات متبادلة بين الجانبين : الفلسطيني والإسرائيلي.. أمريكا لا تريد أن تضغط لأنها تواجه ظروفًا داخلها.. هناك الكونгрس الذي لا أدرى ما إذا كانت المعلومات التي لديه صحيحة ودقيقة أم لا؟ ومن هو مصدر هذه المعلومات ومدى صحتها؟.. الجميع يضغطون على عرفات، ولكن الضغط على جانب واحد لن يحل المشكلة.

ولكنني أتصور أن الخطاب الذي ألقته مادلين أولبرايت وزيرة الخارجية الأمريكية كان إيجابياً، وكذلك كلام الرئيس كلينتون كان إيجابياً.. وأعتقد أن الرئيس كلينتون من الأطراف التي تريد إيجاد حل فعلاً، وعندما قابلته هنا كانت لديه آمال كبيرة للحل.. وحل عادل.. إلا أن ظروفًا وأحداثًا كثيرة وقعت عقدت الأمور.. ولكنني أعتقد أن خطاب أولبرايت جيد للغاية، وهناك أنباء عن أنها ستأتي للمنطقة في أواخر هذا الشهر، أو أواخر الشهر القادم بعد أن تكون الصورة قد اكتملت أمام الإدارة الأمريكية، حتى توفق بين الطرفين الفلسطيني والإسرائيلي لكي تمضي عملية السلام.. التنسيق الأمني ليس كل شيء.

— جهود المنسق الأمريكي دنيس روس منصبة على التنسيق الأمني و"مكافحة الإرهاب" .. فهل هذا يجعل الفلسطينيين يوافقون على اللقاء مع الإسرائيليين؟

— الرئيس مبارك: لا أعرف رأي الفلسطينيين.. ولكن أرى أن التنسيق الأمني ليس هو كل شيء.. هو فقط من أجل العمل بقدر الإمكان لتفادي عمليات العنف..

— ولكن الضغط الأمريكي على الفلسطينيين - خاصة ضغط الكونгрس - يضعف في الواقع دور الإدارة الأمريكية في عملية السلام بالمنطقة.

— الرئيس مبارك: في أمريكا.. هناك - كما قلت - ظروف معينة تتعلق بالضغط الأمريكي على الفلسطينيين، وأنا لا أتفق معهم في هذا الموضوع.. من جهتي أفضل دائمًا أن أكون "عادلاً" في هذا الأمر.. الإداره الأمريكية تضغط على الفلسطينيين فقط، بينما يتعين عليها في الوقت نفسه اتخاذ موقف مماثل مع الإسرائيليين.. واتسأله: ما هو الهدف من الضغط على الفلسطينيين وليفعلوا ماذا؟.. وما هو المطلوب تنفيذه؟.. المنطق يقول إذا كان الطرف الآخر ينفذ تعهاته فهو - أي الفلسطينيون -

سينفذون تعهادهم. نحن أمام موقف حرج: الطرف الإسرائيلي لا ينفذ ومطلوب من الفلسطينيين أن ينفذوا.. هذا موقف غير عادل.

— هل هناك أمل في تغيير موقف حكومة نيتانياهو من قضية الجولان ومفاوضات السلام مع سوريا؟

— الرئيس مبارك: أنا لا أفهم الكلام الذي يصدر من إسرائيل. مرة يقولون إنه ليس لديهم مانع.. وبعدها بيومين أو ثلاثة يقولون إن الجولان إسرائيلية.. إن سوريا لن تقبل أن تبدأ عملية السلام إلا إذا فهمت في النهاية • بطريق مباشر أو غير مباشر أن المفاوضات لابد وأن تنتهي بعوده الأرض.. لن تتنازل سوريا عن شبر من الجولان، ولا يملك الأسد أو أي أحد أن يقبل التنازل عن شبر من أرضه.

— مرة أخرى، سيادة الرئيس، هل هناك حاجة إلى عقد قمة عربية في ضوء المستجدات التي طرأت؟

— الرئيس مبارك: في الوقت الحالى.. العقيد القذافي كان قد ذكر لي - عندما كنت في زيارته - أن الرؤساء العرب وافقوا له على عقد قمة، وكان سؤالى له: هل أنت متأكد؟.. فكان رده : أنه متأكد، فقلت له: بناء على ما توافر لديك من موافقات سنبعث للرؤساء بهذا المعنى، وإننا نطلب الاتفاق على موعد للقمة. وفعلاً تم ذلك، وكانت ريدتهم أنهم موافقون على القمة من حيث البدأ، ولكن يجب أن توضحوا لنا أجندة القمة، العقيد القذافي لم يعجبه مطلب تحديد جدول الأعمال، ويرى أن هذا معناه عدم الحضور للقمة، وفي الواقع القذافي لم يعجبه مطلب تحديد جدول الأعمال، ويرى أن هذا معناه عدم الحضور للقمة، وفي الواقع إننى كنت متوقعاً هذا من أول الأمان، لأن القمة يجب أن يكون لها تحضير مسبق، وإلا فلن تتحقق النتائج التي نسعى إليها، وهذا ما ي قوله إخواننا العرب، وأنا أوافهم عليه. وهذا ليس وقت إثارة الخلافات بين بعضنا بعضاً.

الموقف من قمة الدوحة.

— هل حددت مصر موقفها من قمة الدوحة؟

— الرئيس مبارك: ما زلنا ندرس الموضوع على ضوء الموقف بالمنطقة قبل هذه القمة.. نحن في شهر أغسطس وباقي وقت طويل.. حتى نوفمبر

— يمبل الموقف مع السودان إلى المدح في الفترة الأخيرة.. ما هي آخر التطورات التي شهدتها العلاقات المصرية - السودانية؟

— الرئيس مبارك: لا جديد.. نحن لا نفعل أية مشكلة مع السودان.. هم الذين بدأوا.. أغلقوا المدارس، وطردوا الموظفين، وأخذوا مبانينا وأغلقوا فرع جامعة الخرطوم الذي كنا نقوم بإنفاق عليه من الألف إلى اليماء.. علاوة على إيواء الإرهابيين.. ما الذي جنوه من هذا الموقف؟.. إنهم يعانون من التدهور.. وماذا مروا على هذا الخط فستزداد حالتهم سوءاً، وللأسف فإن من يدفع الثمن هو المواطن السوداني.. وأنا فكرتى الراسخة عن الشعب السوداني أنه شعب طيب لا يعرف العنف أو الإرهاب.. ولذلك ذهلت لهذه الظاهرة الجديدة التي أوجدها التراكي وأعوانه.. الشعب السوداني شعب طيب تثق فيه.. ولكنني أعود وأقول إن الغالبية العظمى من الشعب مغلوبة على أمرها.

— وهل هناك أمل في حدوث انفراج في العلاقات المصرية - السودانية؟

— الرئيس مبارك: هذا يتوقف على النظام السوداني وليس علينا.. نحن طول عمرنا علاقاتنا بالسودان جيدة جداً، وحدودنا مفتوحة لهم.. وعندما جاء التراكي "الخطب العلائقات كلها" ليس معنا فقط، ولكن مع إريتريا ومع أثيوبيا وأوغندا وغيرها.. قطع الخيوط حتى مع العقيد القذافي.. لا تصدق أن العقيد يثق فيه..

— ما هو المطلب الأساسي لعودة علاقات طبيعية؟

— الرئيس مبارك: يتلزمون بالطلبات التي قدمناها لهم.. يقومون بتسليم الإرهابيين الذين لديهم، ووقف أن تكون بلادهم مرتعاً للإرهاب.. هذا هو الأساس الذي بناء عليه ننظر في الموضوع.. وكذلك أن يعيدوا كل ما أخذوه.. في مصر لدينا ما بين ٤ إلى ٥ ملايين سوداني.. لهم رابطة كبيرة جداً.. وهم موجودون في الساحل الشمالي.. ووجودتهم في العريش.. كلهم يعملون..

— سعادتكم استقبلتم المهدى والميرفنى أخيراً؟

— الرئيس مبارك : أستمع لهما فقط..

— ولكن هل جد جديد؟

— الرئيس مبارك : لا.. لا.. أنا أستمع فقط لأنه مضى وقت لم أرهما فيه..

وبالنسبة للبشير والترابي لا جيد أيضاً. الترابي اعتقل ابن الصادق المهدى، ووالده قال لى إنهم اعتدوا عليه بالضرب، وجاء ليحکى لى الموقف.. فقط أنا أستمع لهما.. هو والميرغنى.. لقد وصفا لى موقفهما الراهن ونشاط التجمع الذى يربطهما وأنا أستمع ولا أحرض أحدا على الآخر.

— فى رأى سعادتكم. إلى أى مدى سيستمر الحصار المفروض على ليبيا وشعبها؟.. هل هناك محاولات مصرية لفك هذا الحصار؟

— الرئيس مبارك: هذا الموضوع حيرنا كثيراً.. وعندما تتحدث فيه تقول بعض الأوساط فى أمريكا إن مصر تدافع عن ليبيا.. عليهم أن يقدروا أن ليبيا جار عربى، وأن لنا نصف مليون مصرى يعيشون هناك (بعائلاتهم يصبحون 3 ملايين مواطن) فلا تطلب منى المستحيل.. وكثيراً ما أوضحت أنتا لن خالق القرارات الصادرة عن مجلس الأمن على وجه الإطلاق، شأن باقى الدول، كما أنتى لا تستطيع الضغط على ليبيا بأن تسلم أفراداً لأن الليبيين لهم اعتباراتهم الداخلية.

الجديد بشأن السوق العربية المشتركة.

— فكرة السوق العربية المشتركة.. ماذا يجرى بشأنها؟

— الرئيس مبارك: أولاً هناك دراسات تجرى في الجامعة العربية، وهناك بعض الاقتراحات من مجموعة الدول الثمانى التي ستجتماع في سبتمبر المقبل.. ومن جانبنا نعمل على إقامة مناطق حرة بيننا وبين الدول الأخرى، ستهدف لإقامة السوق كنواة، فليس من الضروري أن تدخل كل الدول العربية السوق، وإنما نشكل نواة تتسع في المستقبل.

وبالنسبة لدول مجلس التعاون الخليجي، فإنها خطت خطوتين في طريق إقامة سوق بينها وسنرى ما فعلته لكي ننضم إليها.

— السعودية تبارك هذه العملية..

— الرئيس مبارك: إنها لم تعترض.. وعموماً علاقاتنا بكل دول الخليج العربية ممتازة.

هل سيزور الشيخ زايد رئيس دولة الإمارات مصر قريباً؟

— الرئيس مبارك : نعم. سيصل في أواخر أغسطس أو أوائل سبتمبر.. هو في إنجلترا، وأعتقد أنه سيزور أمريكا لإجراء فحوصات طبية ثم يزور مصر في طريق عودته إلى بلاده..

— وبالنسبة للاتصالات بين مصر وال سعودية؟

— الرئيس مبارك: علاقتنا بال سعودية لا غبار عليها إطلاقاً. ليست هناك أية مشكلة بيننا وبين السعودية.. هناك بعض الأوساط تحاول افتعال مشكلة، ولكن هذا كلام فارغ لا أساس له.. علاقتنا بال سعودية وبقية دول الخليج العربية علاقات ثابتة وراسخة وغير قابلة للابتزاز

— ما زالت قضية تحالف تركيا مع إسرائيل تشغل الرأي العام العربي.. ما الذي ستقولونه لديميريل عندما يزور مصر في الشهر القادم؟

— الرئيس مبارك: نحن لا نعترض على قيام علاقة بين تركيا وإسرائيل، ولكن نحن ضد أي أحلاف.. الشكل كما هو معروف أن هناك تركيا وإسرائيل وبينهما سوريا.. ولأن العالم العربي متعاطف مع سوريا فإنه يشعر بأن ما يجري وجهه ضدها. كانوا سيقومون بمناورة مشتركة، وقلت لهم إذا ثمت المناورة بالإضافة إلى دخولكم أراضي العراق فهذا معناه أن المقصود طرف ما في العالم العربي.. أظن أن المناورة تأجلت حتى تلتقي مع الرئيس ديميريل.

— هل ستناقشون كل هذه القضايا معه؟

— الرئيس مبارك:طبعاً.. ونحن حريصون على علاقتنا بتركيا وتناقش كأصدقاء من منطلق أننا نسعى إلى استقرار المنطقة وإقامة علاقات طيبة.

— بعد تولي الرئيس الإيراني الجديد، محمد خاتمي، السلطة في طهران.. هل ستشهد الفترة القادمة تقدماً في العلاقات المصرية الإيرانية؟

— الرئيس مبارك: لا أستطيع أن أقول لك شيئاً الآن.. الرئيس الإيراني الجديد تولى السلطة منذ فترة قصيرة جداً، ولا أستطيع القطع بأى موقف.

— أقصد التساؤل عن الموقف الإيراني تجاه العرب... إلخ؟

— الرئيس مبارك: ليس هذا فقط، هناك قضايا كثيرة تجعلنا نتريث لنى التغير في التوجهات الجديدة.. إنهم حتى الآن عندهم شارع باسم "خالد الإسلامبولي" .. لقد قلت لولائياتى - عندما زار مصر - تتحدثون عما تسمونه بدولة كامب ديفيد.. وأنتم الذين نصحتم السادات بأن يقوم بالمبادرة ويدركوا إلى إسرائيل.. وكان رده: لن نكن نحن.. فكان قولي : وهل كنا نعرف من الذى سيأتي إلى السلطة عندكم ألم من يبقى؟

— في العلاقات الأمريكية - المصرية هناك في الواقع تساؤلات وقضايا عديدة..

لقد لوحظ على سبيل المثال في الفترة الأخيرة أن هناك عناصر داخل الكونгрس تعتبر معادية تعمل ضد العرب ومصر، وامتدت موجة العداء إلى التدخل في أدق الشئون الداخلية لمن ومحاولة فرض نوع من الوصاية على الحرية الدينية، وحقوق الأقباط وما إلى ذلك.. ماذا وراء كل هذا؟ وما الذي يمكن عمله لمواجهة هذا الموقف العدائي؟

— الرئيس مبارك: شوف... على قدر علمي أن هناك أشخاصاً داخل الكونгрس يهاجموننا لأسباب نعرفها جيداً، ومع أن العضو الذي طرح اقتراح تخفيض المعونة يتفهم الأوضاع جيداً، لذلك عاد وأعلن أنه يسحب الاقتراح.. على الرغم من هؤلاء، فإن لدينا أصدقاء كثيرين جداً يعلمون الحقيقة تماماً، وهذا هو ما أفشل كل المحاولات.. ونحن نعلم طبعاً أن هذه المحاولات لها أسباب سياسية داخلية عندهم لا أود التطرق إليها، وفي الوقت نفسه نحن حريصون على العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية، وعلاقتنا معها متينة للغاية رغم كل هذه المهاجمات التي نعلم أسبابها، ولذلك لا نرد عليها.. أصدقاؤنا هناك هم الذين يردون عليهم.. كما أن الإدارة الأمريكية كان موقفها إيجابياً.. قالوا إن مصر لا تلبي عملية السلام فردو عليهم بأن مصر هي التي صنعت السلام.. نحن أول من بدأ عملية السلام، وتحملنا الصعاب من أجلها.. ليس من الكياسة القول إن مصر ابتعدت عن عملية السلام.

— اسمحوا لي أن أتساءل مرة أخرى.. هل هناك فتور في هذه العلاقات؟

— الرئيس مبارك: لا.. لا.. هناك بعض الأوساط في أمريكا لأنها تحب الدفاع عن إسرائيل واليهود - تقوم باتصال مثل هذه الأئمـون، ولكن علاقـاتـنا جـيدة.

— وإذا كنت تـريدـ الكلام عنـ المعـونـةـ، فقد قـلتـ لهمـ مـرـارـاً إنـىـ لاـ أـتـوقـعـ استـمرـارـ هذهـ المعـونـةـ إـلـىـ الأـبـدـ، بلـ يـمـكـنـ أنـ تـنـخـفـضـ فـيـ أـيـ وـقـتـ، ولـ تـكـونـ المعـونـةـ مـصـدرـ ضـغـطـ عـلـيـنـاـ فـيـ قـرـارـنـاـ إـطـلاـقـاـ، لمـ تـكـنـ كـذـلـكـ.. وـأـنـ تـكـوـنـ سـبـبـ ضـغـطـ.. فالـعـلـاقـاتـ بـيـنـ الـبـلـدـيـنـ تـقـومـ عـلـىـ مـصـالـحـ مـشـرـكـةـ.

شكراً سعادة الرئيس.

الفَصْلُ السَّادُونُ

الْتَّحْقِيقُ الصَّفْيُ

نقرأ في معاجم العربية في مادة (ح ف ف) :

قال أبو زيد : حق الله الأمر حقا : أثبتته وأوجبه. وحق الأمر بنفسه حقا وحقوقا. وقال الكسائي : حققت ظنه، مثل حققته. وأشار :
فبدلت مالك لي وجدت به

وحققت ظني ثم لم تخب

وحققت الأمر وأحققه: كنت على يقين منه

وحققت الخبر فانا أحّقه: وقفت على حقيقته

ويقول الرجل لأصحابه إذا بلغهم خبر فلم يستيقنوه: أنا أحّق لكم هذا الخبر، أى أعلمكم وأعرف حقيقته. فإن قلت : فما وجه قوله: أنت حقيقاً لأن تفعل، وأنت محقوقٌ به، وإنك لمحقوقٌ لأن تفعل، وحقيقةٌ به، وحققتْ لأن تفعل، وحقٌّ لك أن تفعل؛ قلت: أما حقيقٌ، فهو من حق في التقديرين، كما قال سيبويه في فقير: إنه من فقر مقدراً، وفي شديد من شدّه، ونظيره خليقٌ وجديٌّ من خلق بكتنا وجذر به؛ ولا يكون فعيلاً بمعنى مفعول؛ وهو محقوقٌ لقولهم : أنت حقيقةٌ بكتنا، وهذه امرأة حقيقة بالحضانة. وأما حققتْ لأن تفعل، وأنت محقوقٌ به، فبمعنى جعلت حقيقةً به وهو من باب فعلةٍ ففعُل. ويحوز أن يكون من حققتُ الخبر أى عرّفت بذلك. وتحقق منك أن تفعله أن تفعله لشهادة أحوالك به. وهذا قول حقٌّ والله هو الحق. وأحق الرجل: إذا قال حقاً وادعاه، وهو محقٌّ غير مبطل. وأحق الله الحق: أظهره وأثبته « وَيُحَقِّقَ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ». وحقق قوله وتحقق الأمان وعرفتْ حقيقته؛ ووقفتْ على حقائق الأموان

وثوبٌ مُحقّق النسج: مُحْكَمٌ، وكلامٌ مُحقّق: مُحْكَمٌ النَّظَمٌ. وفلانٌ حامي الحقيقة، وهو من حُمَّةِ الحَقَائِقِ؛ أى يحمي مالزمه الدفاع عنه من أهل بيته. قال لبيدي:

أَتَيْتُ أَبَا هُنَدَ وَمَالِكَأَ

بِأَسْمَاءِ أَنَّى مِنْ حُمَّةِ الْحَقَائِقِ

وهكذا تظهرنا الدلالة اللغوية لكلمة "التحقيق"، على أنها تسعى إلى "البيقين" من الأمور؛ وإلى الوقوف على حقيقة الخبر؛ وهي الدلالة التي تشير إلى أن تعرّيف المصطلح Reportage بفن "التحقيق الصحفي"؛ تعرّيف يعود بهذا الفن إلى وظيفته الجوهرية؛

في لغتنا العربية؛ وفي اللغات الأوربية؛ التي تستخدم هذا المصطلح للدلالة على الفن التحريري الذي: "يتناول خبراً أو قضية أو فكرة بنوع من الشرح والتحرير والتفضيل وسرد البيانات والمعلومات والأراء ووجهات النظر المختلفة للوصول إلى قرار أو حل أو رأي في القضية أو الموضوع المطروح. وهكذا يغدو "التحقيق الصحفى"؛ فـاً من فنون الوصول إلى الحقائق حول موضوع من الموضوعات، وعرض هذه الحقائق على القارئ بالكلمة والصورة"^(١) (١) ويعود مصطلح التحقيق أيضاً إلى مصطلح أساسى في التحرير؛ ونعني به مصطلح "التقرير الصحفى"؛ الذي يشير إلى وصف الأحداث الجارية بالتفصيل، وتطوراتها، ونتائجها وملابساتها حتى يتضح على ضوء المضمون والوقت والفراغ (تقريباً). وفي عمله هذا، يستفيد التقرير الصحفى من مختلف مناهج تقديم المعلومات (مثل الرد التحريري والوصف).

ويتشابه التقرير الصحفى مع الفقرة الأخبارية وظيفياً، بينما يقترب من التحقيق الصحفى (الريبيورتاج) من ناحية المضمون والمنهج. فالوظيفة الأساسية للتقرير الصحفى هي نقل الأحداث شديدة الأهمية والحيوية أو النموذجية بطريقة كاملة نسبياً، وكذلك العمليات الاجتماعية الكبرى وهكذا:

"ولا يقدم التقرير الصحفى نتيجة الحادثة فقط"، وإنما يعطى تفاصيل الظروف الزمنية المؤدية إليها (فهو لا ينقل مثلاً نتيجة مؤتمر فحسب، وإنما تطوراته أيضاً). ووجود عدد كبير من فقرات المعلومات الفردية (التفاصيل) التي يربطها جانب مركزي واحد (فكرة أساسية) يمكن المتلقي من تقييم أي حادثة في سياقها على نحو صحيح. إن أصلية التقرير الصحفى، وكذلك طريقة التوثيقية الأصلية في التقديم عنصر جوهري من عناصر فاعليته. وباعتبار الكاتب وكيلآً نائباً للمتلقي، فهو يقوم بوظيفة المراقب وشاهد العيان لــى حادثة (كالحادثة الرياضية أو المؤتمر).

وهناك نوعان أساسيان من التقارير: التقرير المتصل بالموضوع، والتقرير المتصل بالتجربة (اعلان الحقائق، ونقل التجارب، على التوالي)، ويركز اعلان الحقائق على الواقع دون اهتمام خاص بموقف كاتب التقارير، فالمهم هو الواقع نفسها، وليس

(١) د. كرم شلبي : معجم المصطلحات الإعلامية؛ ص ٨٢٥

التجربة التي تعكسها للكاتب. وتسعى لذلك فإن الكاتب يجمع ويختار ويرتب التفاصيل. وهكذا يعبر عن وجهة نظره في الواقع. ومن السمات الأخرى للتقرير المتعلق بالموضوع اهتمامه بتفصيل الحادثة. وفي تقرير التجارب، لا يعبر الكاتب عن الموضوع فحسب، وإنما عن وجهة نظره الشخصية وموقفه، فهو يتطلع إلى أن ينقل إلى المتلقى مباشرة مدركات وانطباعات معينة خبرها بنفسه. ويتحقق هذا عن طريق التصوير التفصيلي للأماكن والملابسات، والأشخاص المتركون، ويتعميمات تهدف إلى كشف جوهر العملية التي يكتب تقريراً عنها.

ولابد أن تكون التفاصيل المنقولة صحيحة بصفة عامة، ووثيقة الصلة بالواقف المعطى. وتنتج الأنشطة الاجتماعية المختلفة بمتطلباتها المعينة من ناحية المضمون أشكالاً خاصة من التقارير الصحفية التي تتضح فيها واحدة أو أخرى من الصفات المنهجية المميزة (كالتقرير القانوني، والكتابات الرياضية، وتصوير الأسفار والرحلات) ^(١).

أما التقرير المكثف: Pony Service فيشير إلى أحدث الأخبار اللاسلكية المنقولة بالهاتف أو البرق من وكالات الأنباء إلى الصحف المحلية.

التقرير المصوّر: Picture Story

يقصد به "الجمع بين الصور والنص في التقارير المكتوبة حول الأحداث الجارية أو الحقائق، وهو نوع مختلف من أنواع التقارير، وفيها تعبّر مجموعة من الصور عن التشابه على ضوء زمان ومكان المكونات الأساسية للموضوع المصوّر، بينما يشرح النص المعلومات التصويرية ويقيّم علاقات، ويفسّر الخلفية ويكمّل جوانب الحادثة المصوّرة التي لا يمكن ظهورها في صورة، ويعلق على الصور إذا لزم الأمر

والمكونات الأساسية للتحقيق المصوّر هي العنوان، والصورة الرئيسية، والصورة التكميلية، والنarrative والتعليقات، مع تعديلات معينة ممكنة في واحد أو آخر من هذه العناصر. ويشير هذا خصوصاً إلى الفرق بين الصور الأساسية، والصور التكميلية التي يمكن أن تكون ممتعة بدرجة متساوية، في الحقيقة، حتى أنه لا يمكن التمييز بينهما. ^(٢)

(١) قاموس الصحافة، ترجمة محمد أحمد حمد ص ٧٥.

(٢) نفسه ص ٧٦.

من المصطلح إذن؛ يتبع لنا أن فن التحقيق ينبع من طبيعة عمل الصحفي في ملاحقة الأحداث التي تحتاج إلى "تحقيق" لبعض جوانبها الخفية؛ كما أن الصحفي - كما يقول "جوبار"^(١) قد يصنع الحدث بنفسه دون أن يحد نفسه بما يحدث، لأن يثير بعمق القضايا الكبرى: الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية والثقافية. وينطبق هذا، على الصحف الأسبوعية، كما ينطبق على الصحف اليومية التي تهتم بإكمال الحدث الذي ينقله الراديو أو التلفزيون، كما هو، ثم الكشف عن أسبابه والدافع إليه.

التحقيق الذي يعالج موضوع الساعة أو الريبورتاج الكبير، هو ذلك النوع الصحفى حيث الموضوع لا يرتبط بالانية. ووجوده يضفى قيمة خاصة على الصحيفة، لكن غيابه "يسء إلى مركزها إلى حد كبير".

وتشبه طريقة معالجة التحقيق الصحفى، طريقة معالجة التحقيق الاجتماعى (البحث). أى أن المبادئ هى ذاتها، لكن الوسائل تختلف، مما لا يتبع الوصول إلى الدقة المطلوبة كما نزيدها. ومن المهم، قبل بدء التحقيق، دراسة ما نشر عن الموضوع واستشارة الأخصائين، قبل وضع خطة العمل. وبعد، فإن اختيار الأشخاص، الذين سنقابلهم، يراعى فيه اختيار أخصائين وأشخاص على علاقة مباشرة بالموضوع.

فالتحقيق الصحفى يتخذ من البحث منهاجاً في التفكير؛ ويسلك لنفسه طرقاً صحفية في التعبير والطابع البحثي للتحقيق الصحفى يعني عمليات مستمرة في التعرف على المشكلات والقضايا المطروحة في المجتمع، وفي تكوين الفروض والحلول المختلفة، وفي الحصول على البيانات وتصنيفها وتبويتها واستخلاص النتائج؛ وفي النهاية تحرير هذه النتائج تحريراً صحفياً.

والدلالة اللغوية للتحقيق؛ تصل بينها وبين البحث؛ باعتبارها عملية من عمليات تقصى الحقائق ومعاناتها وتطبيقاتها بالنسبة لمشكلة معينة. ومعنى ذلك أن التحقيق الصحفى عملية فحص دقيقة محايدة وغير متحيزة لمشكلة من المشكلات. وتبني هذه العملية وتقوم على تقصى الواقع، والبيانات؛ والتصريحات؛ وتحريرها بدقة؛ وتبويتها وتحليلها والوصول إلى "نتائج من هذا التحليل قد تؤدى إلى إظهار حقيقة المشكلة وأسبابها وما يناسبها من حلول"^(٢)

(١) تقنية الصحافة، السابق من ٨٤.

(2)Whittney : Elements of Researche, P.21.

ويصور "ديوى" عناصر عملية التفكير؛ وما يحدث في كل خطوة من خطواتها على النحو الذي يفيد منه "الباحث"^(١)، كما يفيد منه "المحقق الصحفى"؛ وهذه الخطوات هي^(٢):

أولاً: شعور الفرد بموقف يصعب عليه الاستجابة له؛ مثل:

أ - عدم القدرة على تحقيق هدف ما بالوسائل المعروفة للفرد أو حتى عن طريق تعديله لتناسب الموقف الذي يواجهه.

ب - عدم إمكان الفرد التعرف على صفات وخصائص شيء جديد بالنسبة له.

ج - عدم القدرة على تفسير حادث أو ظاهرة غير متوقع حدوثها.

ثانياً: تحديد الصعوبة التي تواجه الفرد في إطار عام على صورة مشكلة.

ثالثاً: وضع تفسير أو حل عن طريق التخمين أو استنتاج أو فرض أو نظرية مستمدة من خبرات الفرد السابقة.

رابعاً: دعم الفكرة أو التفسير عن طريق جمع القرائن أو المعلومات التي تؤديها.

خامساً: الربط بين الفكرة أو التفسير والمعلومات من أو القرائن التي حصل عليها في سبيل التأكيد من صحة الفرض الذي وضعه كحل للموقف الذي يواجهه.

سادساً: ويعتبر "كيلي" أن التأكيد من الحل الذي وصلنا إليه قد نجح في حل المشكلة؛ يقود إلى خطوة أخرى تهدف دائمًا إلى التطلع إلى مدى إمكان تعميم هذا الحل وتقويمه على ضوء اعتبارات احتياجاتنا في المستقبل.

ويبين "ميلتون فارتشيلد"^(٣). ست خطوات للمنهج العلمي:

١ - جمع البيانات عن المشكلة أو في مجال ميدان يختاره الباحث (أو المحقق الصحفى) طبقاً لخطة موضوعة وعن طريق الملاحظة ووسائل أخرى دقيقة، مع

(١) د. جمال زكي؛ د. السيد يس: أسس البحث الاجتماعي ص.٦.

(٢) نفس المرجع ص.٦ John Dewey: How We Think, P.12

(٣) نفس المرجع ص.٨؛ Milton Fairchild: The Scientific Method

تسجيل هذه البيانات والتأكد من صحتها، وملاحظة أن يتم عملية جمع البيانات فى داخل إطار محدد يخدم هدف البحث أو التحقيق.

٢ - تصنيف وترتيب البيانات على أساس التشابه، أو الاختلافات، أو التباين، أو الأساس أو الأسباب، أو النتائج، ومحاولة التمييز بين الصفات الأساسية الهامة، والتى لها علاقة مباشرة وتخدم أهداف البحث أو التحقيق، والأخرى السطحية البعيدة عن التأثير على هذه الأهداف.

٣ - التعميم لمحاولة استنباط مبادئ أو نظريات فى صورة مبدئية. وتعتمد هذه الخطوة على خيال الباحث وقدرته على التصور ومعرفته بالمبادئ والنظريات التى لها علاقة مباشرة ب مجال بحثه.

٤ - التحقق من صحة النظرية وصلاحيتها عن طريق التجربة.

٥ - وضع البيانات والنتائج فى صورتها النهائية.

وهذه الخطوات تتشابه إلى حد كبير مع خطوات التفكير على أن القيام بالتحقيق يستدعي اختيار عناصر مختلفة، ومتعددة، مما لا يتاح للصحفى فى أغلب الأحيان، لذلك لا يستطيع التوصل إلى نتيجة مقبولة علمياً. وأخيراً، فإن توجيه النقد إلى هذه العناصر فى التحقيق الصحفى يكون أشد تطرفاً منه فى التحقيق العلمى. ويظهر الفرق بين النوعين فى مرحلة النشر، فالصحفى يحذر دائماً من استعمال الألفاظ الصعبة والثقيلة؛ وكل ما يضفى على تحقيقه طابعاً "علمياً". ويتألخص فنه الصحفى فى الواقعية والحيوية التى لا يمكن أن تتوفر إلا جزئياً؛ ولكنها يسعى إلى أن يتوصل، من مجمل العناصر التى ينقلها، إلى خلاصة أو نتيجة. يقول الأستاذ جوير:

"ليس لدى المذوب الكبين الذى يعالج موضوعاً أوسع مما يعالج المحققون، أحياناً كوضع دراسة عن بلد من مختلف جوانبه، الوقت الكافى ليهتم بالجزئيات. إذ أنه يتحتم عليه أن ينقل فى "تحقيق" واحد أو سلسلة "تحقيقات"، أهم الخصائص التى يجدها، بحيث يتمكن من تزويد قرائه بفكرة واضحة عنه".

ويقول "أول هيستر"^(١): "تعد صحفة التحقيقات نطاً من الصحفة يصعب ممارسته في أى مكان. وتنزيل ممارستها صعوبة في الكثير من دول العالم الثالث حيث الأنظمة

(١) أول هيستر: صحفة التحقيقات؛ في: دليل الصحفى فى العالم الثالث ترجمة كمال عبدالرؤوف ص ١١١.

الصحفية جزء لا يتجزأ من الحكومة الوطنية، وحتى عندما تكون الصحافة منفصلة عن الحكومة في العالم الثالث، فإن فكرة "التحقيق في أي شيء" تقابل بدهشة كبيرة.

ويعود جانب من التشكيك في قدرة الصحفيين على ممارسة هذا النمط من الصحافة، أو بشأن السماح لهم بذلك في ظل أنظمة الحكم بالعالم الثالث، إلى الطريقة التي يتم بها تعريف "صحفي التحقيقات" .. ذلك أن الكثيرين لديهم تصور عن صحفى التحقيقات بأنه مزيج من المقاتل العنيف، ورجل البوليس السرى، والكلب البوليسى الذى يتعقب الرذيلة والجريمة والفساد والأخطاء الإنسانية على الدوام.

ولو أنتنا أمعنا النظر في هذا التصور لوجدنا أن أصحابه يعتقدون أن صحفى التحقيقات هم أناس ميالون إلى النقد العنيف والساخري، ومتعمقون الوحيدة في الحياة هي "تقليل كل الصخور رأساً على عقب، ليروا ما يمكن أن يخرج من تحتها من هواه".

وكل هذه التصورات النمطية عن صحفة التحقيقات تضم جانباً من الحقيقة، ولكن لسوء الحظ فإن الجمهور، والكثير من الصحفيين لا يفكرون في مثل هذا النوع من الصحافة إلا من حيث "الفحص" الذى يتم دائماً على حساب موضوع التحقيق الصحفى. وإننى أرى أن صحفة التحقيقات يمكن أن تكون أوسع نطاقاً، كما يمكن أن تشمل تغطية صحفية تفسيرية متعمقة".

غير أن معظم ما نسميه "صحافة التحقيقات" يختلف من عدة روايا هامة عن التغطية الإخبارية الروتينية.. وتشمل هذه الاختلافات^(١):

(١) أن التحقيقات الصحفية تتم عادة على أساس أنها ينبغي أن ينتج عنها عمل ما، وأن تغييراً ما يجب أن يحدث. وسوف نرى أنه توجد أحياناً استثناءات لهذه القاعدة.. بمعنى أن قد يؤدي تحقيق صحفى شامل أحياناً إلى تأكيد ما تم إنجازه بالفعل وإظهار تقدير الجمهور له.

(٢) أن التحقيقات الصحفية عادة ما تشغل مساحة أكبر، وتستغرق وقتاً أطول للإعداد لها ولجمع المعلومات. كما تستغرق وقتاً أطول في كتابتها.

(١) نفس المرجع ص ١١٢.

(٣) أن التحقيقات الصحفية تتطلب دائماً وفي الغالب موارد مالية أكبر، كما تستغرق وقتاً أطول من جانب من يقومون بها، لأن التحقيقات ينظر إليها على أنها ذات أهمية أكبر من العمل الصحفى الروتينى.

(٤) أن التحقيقات الصحفية يتم كتابتها، في كثير من الأحيان، ليس بقصد كتابة تقرير واقعى عن أحد الموضوعات، ولكن لأن كتابتها يضع فى ذهنه أن ثمة حاجة إلى تغيير ينبغي أن يحدث، وإلى إصلاحات يجب أن تتم، أو أخطاء ينبغي أن تتمد إليها يد الإصلاح. ومن ثم فإن إدارة الجريدة أو المجلة ورئيس تحريرها والمحررون ينبغي أن يكونوا متفقين على إنفاق الوقت وتخصيص المال لثل هذه التحقيقات قبل البدء فيها.

(٥) أن التحقيقات الصحفية تتضمن عادة أيضاً معالجة خاصة تجعل مادة التحقيق جذابة بصفة خاصة، كما تتطلب أحياناً إصدار طبعات خاصة.

(٦) ويتم توجيه دور أكبر من الاهتمام عادة بتزويد التحقيقات الصحفية بالصور الجيدة والرسومات، والرسوم البيانية، والرسوم التخطيطية، والخرائط والجداول.

(٧) أن التحقيقات الصحفية يسند القيام بها عادة إلى أكثر الصحفيين والمحررين خبرة، لأن كتابتها بنجاح تعد من أصعب أنماط الكتابة الصحفية.

(٨) وينبغي دائماً أن يتم اتخاذ قرارات على أعلى المستويات في الجريدة أو المجلة أو الإدارية الحكومية، للموافقة على مشروع التحقيقات الصحفية، وذلك لأن الصحفية أو المجلة تتخذ - على نحو ما - موقف النقد أو الاستحسان للموقف أو الوضع الذي سيجري كتابة تحقيق صحفى بشأنه.

ومن المتوقع في كثير من الأحيان أن يبلور الصحفى أفكاراً لمشروع التحقيق الصحفى، والصحفى يختص عادة بمسؤولية تغطية مجال معين يتطلب منه غالباً أن يقدم أفكاراً للتحقيقات الصحفية التي تكتب في إطاره، وفي بعض الأحيان فإن فكرة التحقيق الصحفى تكون من وحي مسؤولين على مستوى عال من يقابلون الصحفى ويعطونه كم التوجيه اللازم. ويكون الصحفى محظوظاً إذا لم يحاول هؤلاء المسؤولين أن يخمنوا مقدماً ما هي نتيجة التحقيق الصحفى. ومن وجهة النظر المثالية، فإن الصحفى أو مجموعة الصحفيين المكلفين بالقيام بالمشروع ينبغي أن يكونوا قادرين

على التخطيط لمشروع التحقيق الصحفي (وذلك بالتعاون مع رؤساء التحرير وغيرهم) ثم يجمعون المعلومات التي يبنون عليها استنتاجهم.

وينبغي أن يتعلم الصحفيون بسرعة إلا يحاولوا كتابة تحقيقات تثير الجدل والخلاف، دون الحصول على موافقة المؤسسة التي يعملون بها. وإذا لم يتلق مثل هؤلاء الصحفيين تأييد رؤسائهم لمشروع التحقيق مقدماً، فإن من الممكن أن تحدث ضغوط مؤثرة على رؤسائهم لإلغاء مثل هذه التحقيقات. والصحفي الذي لا يحصل على تأييد مؤسسته، يمكن أن يجد نفسه وقد وقع في مأزق. ويجب أن يحذر الصحفيون من أنه إذا أحدث تحقيق صحفي عكس ما يرجى منه فقد يجد كل منهم نفسه وقد تحول إلى كبش فداء: فقد يحدث مثلاً لا يستطيع أحد كبار المسؤولين أن يتحمل حدة النقد فيقول: "إن الصحفي فلانا قد انجرف واندفع وكتب دون كفارة أو فهم. وسوف نتخذ إجراءات تأديبية ضده. إننا في غاية الأسف"! (١)

"كما ينبغي تحذير الصحفيين بأن عليهم أن يتحسّسوا طريقهم بحرص عندما يقدمون على كتابة التحقيقات الصحفية الحساسة أو المثيرة للجدل والخلاف.. وذلك لأن مثل هذه التحقيقات هي التي يمكن، على الأرجح، أن تهدّد مصادر الأخبار والمسؤولين. ومن الضروري وجود خطة جيدة لإجراء التحقيق الصحفي إذا أردنا تجنب ضياع الوقت والمال. ويجب على الصحفي . بالاتفاق مع رؤساء التحرير وغيرهم - أن يسأل أولاً: "ما هو الشيء الذي يرغب في إجراء تحقيق بشأنه أو نرحب في اكتشافه؟" والخطوة الثانية هي أن يحدد بدقة، بقدر الإمكان: الأسئلة التي يمكن أن تساعد على الحصول على إجابات في التحقيق. وبعدها فإن على الصحفي أن يخمن أي المصادر التي يمكن أن يكون لديها المعلومات المطلوبة، وما إذا كانت هذه المصادر ستسمح له بالإطلاع على هذه المعلومات أو الحصول عليها. والمقابلات الصحفية، واللاحظة الفعلية لأحداث بعينها، ومحاولة تكوين خلفية بالقراءة في المكتبات العامة، أو تصفح المطبوعات المختلفة.. كلها أمور قد تكون ضرورية للحصول على المعلومات المطلوبة للتحقيق الصحفي.

(١) المرجع نفسه ص ١١٤.

وعلى الصحفى، بالتعاون مع رؤساء التحرير وغيرهم، أن يحاول أيضاً أن يخمن ما إذا كان التحقيق الصحفى يمكن أن يقوم به صحفى واحد أو مجموعة من الصحفيين. وإذا كان الأمر يتطلب إشراك أكثر من صحفى، فمن الضرورى اتخاذ قرارات تحدد المسئول عن كل مرحلة من مراحل التحقيقات. وقد يحدث أن يُسند إلى صحفى بعينه أيضاً مهمة الإشراف على بقية المجموعة. وإذا كان الأمر يتطلب استخدام مصورين صحفيين فإن من الضرورى أن يحضروا عند التخطيط للتحقيق الصحفى حتى يتمكنوا من تقديم اقتراحاتهم بشأن الصور الجيدة. وهذا ينطبق أيضاً على الفنانين أو رسامى الكاريكاتير أو غيرهم من الأشخاص الذين سيتطلب الأمر الاعتماد على مهاراتهم المختلفة.

وربما يحتاج الصحفى أو رئيس التحرير الذى يشرف على مشروع التحقيق الصحفى إلى أن يضع مذكرة تفصيلية تحدد موضوع التحقيق، وأهم الأسئلة التى سيتم توجيهها (كلما أمكن ذلك مقدماً)، والمصادر التى سيتم إجراء مقابلات معها، والخلفية التى ينبغي الحصول عليها، والشكل الذى سيقدم التحقيق به. كأن يكون مثلاً فى شكل سلسلة أو على صفحتين متقابلتين أو أى شكل آخر⁽¹⁾.

أنواع التحقيق الصحفى:

يميز علماء الصحافة بين "التحقيق المتخصص"; أو "الموضوع المفكرة" La chronique والمجريات البرلمانية؛ والقضائية؛ والموضوع الرياضى؛ والثقافى؛ والسينمائى؛ والنسائى؛ والتليفزيونى؛ وهذه يطلق عليها تعبير Chronique.

ويتم التمييز بين نوعى: "التحقيق المتخصص أو" موضوع المناسبات أو المفكرة" على أساس من التقويم الصحفى؛ ومعيار الحالى الزمنية بصفة خاصة؛ وهو معيار أساسى فى الأعمال الصحفية بصفة عامة.

التحقيق السياسى والقضائى والرياضى:

يلزم على المخبر السياسى أو القضائى أو الرياضى أن يأخذ بسلسلة متتالية من الأحداث المتوقعة. وفي حال وقوع أحداث طارئة، لا يتزدّد الصحفى فى معالجتها

(1) نفس المرجع ص 114.

لإطلاعه مسبقاً على جميع حيثياتها. فالخبير المتخصص، على اطلاع دائم على الإحداث التي تدخل في نطاق اختصاصه، ويلاحقها ويتابع تطوراتها وإن لم يكن مدعواً إلى تغطيتها. يقول "جويار":

"باستثناء المخبرين المتخصصين، فإن مهمة الصحفى هي انتظار الأحداث المهمة ومتابعة تطوراتها بين وقت وآخر، وهذه المراقبة تضفي على تحقيقاتهم الوضوح وتجعل عرضها جيداً، إذ يقومون بتحليل الموقف السياسي، كلما رأوا ذلك مناسباً، دون انتظار وقوع حدث مهم؛ أو يقومون بدراسة أولية يستعرضون فيها ملف دعوى سينظر فيها في اليوم التالي، أو يتبعون تطورات نشاط ناد رياضي. فنشاط هؤلاء الصحفيين لا يتوقف؛ لأن لديهم دائماً عملاً متواصلاً من السعي وراء المعلومات ومعالجة التحقيقات إجمالاً مع شخصيات مطلعة. فالمحرر أو المندوب السياسي يحضر دائماً في قاعات المجالس، ومكاتب الوزراء، وسكرتارية الأحزاب مراقباً ما يحرى فيها. وهو يجهد نفسه دائماً ليعلم بما يدور في اللجان، وما يهتماً في الدوائر، وما ترتئيه الجماعات. أما المندوب القضائى فيذهب بانتظام إلى دور القضاء والمحاكم، حتى في غياب الداعوى، وهو يتبع، بالحوار مع القضاة والمحامين وكتاب المحاكم، تطور التحقيقات القضائية. ويلاحق المندوب الرياضى تدريب الفرق، ويقابل مديرى الأندية بانتظام^(١)."

"على الصحفى، ليمارس هذه الوظائف، أن يتصف بحب الإطلاع والفضول، وبالحس المرهف واحترام السر أيضاً.

فالإطلاع، صفة تفرضها ضرورة احترام القارئ؛ والإطلاع سلاح يسهل مهمة البحث عن الأنبياء. فالذى يقول عنه زملاؤه أنه محظوظ لحضوره الدائم فى المكان المناسب وفي الوقت المناسب، هو صحفى مطلع على مجرى الأحداث، ويتفهم مباشرة؛ فائق مؤشر يمكن أن يتبع الحصول على وثيقة هامة. ويفضل النواب التوجه فى أحاديثهم إلى الصحفيين البرلانيين المطلعين، ليحصلوا منهم على بعض المعلومات.. "والخدمة يقابلها دائماً خدمة أخرى".

(١) جويار: تقنية الصحافة، السابق ص ٧٥.

إن الفضول والحس المرهف لا ينفصلان. فال الأول هو المحرك لكل باحث عن الأنباء، والثاني هو المكبح الذين يمنع الصحفى من أن يصبح شديد الإلحاد، الصفة التي يمكن أن تفقده مصدر أخباره.

والمحافظة على السر تبدو وكأنها صفة تناقض تماماً وظيفة الصحفى. لكن يجب أن لا تتردد في تصنيفها بين الصفات المهنية؛ لأنها تساعد على نيل ثقة الأشخاص الذين يعتمد عليهم الصحفى في الحصول على أخباره.

وعندما تنشأ مثل هذه العلاقة من الثقة المتبادلة، يحصل الصحفى أحياناً على اعترافات شخصية تساند معلوماته الخاصة. والبوج بهذه الاعترافات، لا يعبر عن سوء لياقة فحسب، بل قد يؤدي إلى خسارة مستقبل الصحفى المهني. وهو بذلك، لا يفقد مصدر أخبار واحد فحسب، بل يتبع عنه جميع من يعتمد عليهم في الحصول على الأنباء.

وقد لا ندرك، للوهلة الأولى، أهمية هذه الاعترافات. ونحن ننسى أن الصحفى، إذا لم يستطع البوج بها مباشرة، فهو يستفيد منها بطريقة أخرى؛ فيبتعد أولاً عن نشر نبأ يتعارض مع هذه الاعترافات، لأنها تسمع بإطلاع أفضل على موقف ما، وتساعد على مراقبة حدث منتظر فإذا أطلع صحفى، من أحد الدبلوماسيين، على الاستعدادات الجارية لعقد اتفاق دولي؛ فيتفوق بهذا الإطلاع على زملائه بالقدرة على درس ظروف الاتفاق قبل إعلانه، أو نشره، قبل إعلان الاتفاق، بعض المعلومات التاريخية أو التفسيرية أو المكملة. وإذا ما أسرَّ رئيس ناد رياضي لأحد المندوبين الرياضيين بنية أحد الأبطال تحطيم رقم قياسى، فإن المجال يتسع أمام الصحفى ليرسل إلى مكان المباراة العدد الكافى من المخبرين والمصورين لتغطية الحدث، مما لا يتاح لسواه من الصحفيين غير المطاعين على مجريات اللعبة.

وفي النهاية وكقاعدة عامة، فإن محافظة الصحفى على الأسرار، عنصر ضروري لاستمرار الثقة المتبادلة بين مصدر الأخبار ورجل الصحافة.

وتعتبر تغطية دورة نيابية أو جلسة محكمة أو مباراة رياضية، فى قمة نشاطات المحرر البرلانى أو القضائى أو الرياضى، وإن كانت لا تشكل إلا جزءاً من هذه النشاطات. ولقد رأينا أن دور الصحفى هو التهيئة لهذه اللحظة الحاسمة. وأصبح

ترددًا لا فائدة منه أن نشدد على أهمية الإطلاع، قبل وقوع الحدث على المسائل المطروحة وظروفها؛ كأخذ تصريحات من الكتل النيابية الكثيرة غير المشاركة في الحكم، اتجاهات الآراء المطروحة. وعلى الصحف أن يتمتع، في هذا المجال، بانتباه ثابت؛ فلا ينجذب إلى المظاهر التي قد تحول الانتباه عن الموضوع الرئيسي، فالمحامي يحاول أن يلفت انتباه لجنة المحلفين وهيئة المحكمة ورجال الصحافة إلى تفاصيل تخدم مصلحة المتهم، أو إلى تفاصيل تافهة ومسليّة. ودفه من وراء هذا التصرف إخفاء العناصر الاتهامية التي قد تورط موكله، ويحاول الوزير أو النائب أسر المستمعين بسحر بيانه ليخفى نقاط الضعف في حجته. وإذا كانت هذه المظاهر تدخل في صميم الحدث، إلا أن الشجرة يجب ألا تخفي الغابة. لذلك يجب على المذوب أن يحافظ على تقديره لنسبة أهمية كل جزء من الحدث. فإذا ألقى أحد المترجين "مفاجأة" أثناء جلسة برلمانية، يأخذ هذا الحادث الطريف مكان الصدارة، إذا كانت الجلسة مملة وتدور حول موضوع تقني. وير هذا التصرف ذاته على هامش الموضوع الذي يتناول تغطية وقائع جلسة مهمة، يجرى التصويت خاللها على فرض قيد معينة^(١).

ويلاحظ "جوبار": أن التحقيق البرلماني أو القضائي يجب أن يتصرف بال موضوعية؛ بينما يفسح التحقيق القضائي في المجال أمام المعالجة الشخصية. إذ أن الجمهور الرياضي لا يكتفى بقراءة الأحداث الموضوعية في الصحفة، فهو يستطع متابعة وقائع المباريات، كما تحدث، على شاشة التلفزيون. كما يلاحظ أن هذا الهامش المتزوك لتدخل المحرر الرياضي الشخصي لا يسهل عمله؛ بل على العكس، إذ أن عليه أن يتصرف بالحذر، لأن الجمهور الرياضي حساس، إجمالاً، ولا يسمح بوقوع أي خطأ في نقل الواقع وتحليلها.

ريبورتاج المنشآت:

ويتطلب هذا التنوع في الأحداث، من الصحفى مرونة فائقة تتيح له التكيف مع الأحداث ومع المحيط المتغير. ولا يسمح هذا التنوع بوضع تعريف مطلق للمنشآت. ويعرفها "جوبار" بقوله: "إنها التحقيقات التي لا تعالج موضوعات سياسية أو دبلوماسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو قضائية أو رياضية أو ثقافية".

(١) نفس المرجع ص ٧٨.

وتتناول هذه الربورتاجات إجمالاً موضوعات الحوادث والحرائق والأحداث الطارئة. ويدخل ضمن نطاقها الكوارث الجوية والزلزال والاغتيالات، ويفرض هذا التنوع على الصحفى أن يتواجد في اليوم نفسه أحياناً، في المخافر ملائج الفقراء والحفلات الاجتماعية.

والقاسم المشترك الذى يربط بين مختلف أنواع التحقيق الصحفى المتنوعة، هو أن على الصحفى أن ينصرف إلى مهمته فى أقصر وقت ممكن؛ فأغلب الأحداث المذوعة تكون غير مرتبطة. وبعد أن يطلع عليها الصحفى، عليه أن يبادر بالذهاب إلى مسرح الحدث ويستكمل البحث عن الحقيقة؛ لينصرف بعدها إلى كتابة موضوعه بالسرعة الالزامـة. وإذا كانت سرعة الانتقال تستوجب حسن اختيار وسيلة النقل، فإن سرعة القيام بالتحقيق تستوجب تطبيق القواعد العامة فى رياطة جأش. وفيما يتعلق بإيصال الواقع إلى سكرتارية تحرير الصحيفة، على المذوب أن يعرف كيف يتصرف ليجد هاتفاً في مكان مفترى، والأكثر تعقيداً هو معرفة وقوع الحدث غير المتوقع، فالخبر لا يستطيع الاعتماد على المصادفة ولا على الحظ وحدهما.

وفي هذا المجال من السعى وراء الأخبار المتنوعة، تزداد المخاطر من أن يتفوق علينا منافس، فنفاجأ بالخبر منشواً في صحيفة أخرى. ولتجنب هذا الخطأ، يبادر محررو المذوعات إلى تنظيم وتنمية شبكة متكاملة من المخبرين المتطوعين. وفي انتظار وقوع حدث طارئ، لا يكتفى المحررون بترقب اتصال هاتفي من أحد المتطوعين، بل ينصرفون إلى ملاحقة الأخبار ومعرفة مصادر أخرى، وتميز هذه المصادر بالتنوع؛ ومنها ما هو ضروري، كالأشخاص الذين يؤدون مهام تتيح لهم الإطلاع على الحوادث حين وقوعها: من رجال الشرطة والاطفاء والمستشفيات.

ومن الضروري أن يقوم المخبر الذى يلاحق هذه الموضوعات بجولة يومية على مخافر الشرطة. وعليه أن يجهد نفسه في الحصول على مزيد من التفاصيل من ضباط الأمن وكتاب النظارات.

وقد لا يتوصل المخبر إلى الحصول على معلومات من رجال الشرطة؛ ولهذا يفضل أن يصل إلى مكان الحادث قبل وصولهم أو برفقتهم. كما يجب أن تذكر أنه يوجد آخرون، غير رجال الشرطة، مطلعون على الأحداث، كالمعتدى عليهم ومرتكبى الجريمة

والشهود، وإذا كنا لا ننتظر الحصول على المعلومات من المعتدى عليهم أو مرتكبى الجريمة، فإنه يجب أن نعتمد على الشهود مباشرة أو نسترشد بواسطة المخبرين المتطوعين المحليين، مثل عمال البارات وموظفى الصحف والتجار وحراس الأبنية. ولهؤلاء الحظ بأن يطلعوا بسرعة على الأمور غير الطبيعية التي تجرى في النطاق الذى يوجدون فيه. ويكافى المتطوعون بجوازات أو خدمات صحفية مجانية. وإنما يكتفى المتطوعون بما يوحى إليهم المحرر من شعور بأهمية دورهم. لكن على الصحفى إلا يكتفى بالاعتماد على هؤلاء المتطوعين الذين لا ينفعون إلا فى حال وقوع أحداث مرئية أو دامية. فخبر وفاة شخصية مرموقة، داخل منزلها، يبقى محصوراً فى نطاق العائلة وفى محيط عملها. ومن هنا تتضح أهمية شبكة المخبرين المتطوعين الذين يعملون فى الإدارات والمؤسسات والشركات المختلفة، والتى يتعاونون معها المحررون فى مختلف أقسام الصحفة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

بين "الحديث" والتحقيق الصحفى:

وكما تبين فى دراستنا للحديث الصحفى؛ أنه قاسم مشترك بين فنون التحرير؛ وهو فى التحقيق الصحفى وسيلة أساسية من وسائل جمع المعلومات والأراء؛ وحظه من الوقت "أوفر" من حظه فى الأخبار والقصص الخبرية؛ ذلك أن إنجاز التحقيق الصحفى وكتابته تتم قبل يوم أو أكثر من نشره. ونظراً إلى أن التحقيق الصحفى ينشد عادة الكشف عن حقيقة شخصية ما أو جو ما، فإن المجرى الكلى للمقابلة يتأثر بذلك. فيصبح المخبر كثير التدقيق فى الاختيار، ويسعى فى المقام الأول إلى المادة التى من شأنها أن تسهم فى رسم صورة جيدة للشخصية أو المادة التى من شأنها أن تجعل للجو عمقاً. ونتيجة لذلك يتحدث مطولاً بقصد اختيار المواد المفيدة بعد المقابلة. فإذا كان يستجوب مثلاً أحد عمال مناجم الفحم بقصد إظهار شظف حياته جاز أن يسأل أسئلة كثيرة خارجة عن الموضوع من أجل أن يدرس وجه العامل وهو يجيب. وإذا كان يكتب عن الحياة على سفينة نهرية أمكنه أن يطرح الكثير من الأسئلة على طاقم السفينة مجرد استيعاب الجو المهيمن عليها. وهكذا فإن الاستجواب المتعلق بالتحقيق الصحفى غالباً ما يكون أشبه بمحادثة بين صديقين منه بإجراء السؤال والجواب^(١).

(١) فريزر روند: السابق ص ١٤٦.

ويلاحظ "توماس بيلى" اختفاء شخصية الكاتب في الموضوع الإخباري الذي يخلو بكماله من العنصر الشخصي الذاتي. فالحقائق المجردة الصرف تروى بطريقة موضوعية، فليس فيها من ظن أو تخمين أو رأى أو تنقيب وراء المظاهر عن زاوية ذات طابع إنساني. وهذا ليس في الموضوع الإخباري، باستثناء أساليب كتابية ثانوية الأهمية، ما يكشف عن ملامح شخصية الكاتب.

أما في التحقيق الصحفى فإن اللهجـة كلها تصبح شخصية، فنجد فيه معالجة ذاتية متميزة للجوانب ذات السجية العاطفية أو الدرامية أو الشخصية – الجوانب التي تنتطـوى على جاذب مثير للاهتمام الإنسـاني. وبالاختصار يتبنى الكاتـب هنا طريقة ذاتية من أجل أن يصور الصـفة الإنسـانية في المـوضوع. وهذا فإن الفـارق بين المـوضوع الإخـبارـي والـتحقـيق الصـحفـى يـكـمن في الاختـيـار والـمـعـالـجـة. فـكـاتـب المـوضـوع الإخـبارـي لا يـنـتـقـى إـلـا الـوقـائـع الـصـرف وـلـا يـعـالـجـها إـلـا مـوـضـوعـيـاً، أما كـاتـب التـحقـيق الصـحفـى فإـنه يـرـكـزـ في زـاوـيـة الطـابـع الإـنسـانـي للمـوضـوع وـيـعـالـجـها معـالـجـة ذاتـية.

وبالطبع ليـست الأخـبار كلـها طـوعـ المعـالـجـة كـتحقـيقـ صـحفـى. فالـكـاتـب خـلـيق مـثـلـاً بـأن يـقـاسـى عـنـتـا شـدـيدـاً فـي اـكتـشـافـ مـادـةـ التـحقـيقـ الصـحفـى فـي بـيـانـ روـتـينـى يـعلـنـ أنـ المؤـسـسـاتـ العـامـةـ سـتـغـلـقـ أـبـوـابـهاـ، كـماـ هـىـ العـادـةـ يـوـمـ عـيـدـ مـنـ الـأـعـيـادـ. وـلـكـنـ بعـضـ المـوضـوعـاتـ الإـخـبارـيةـ يـحـفـلـ بـدـاهـةـ بـمـاـ يـجـعـلـ مـنـهـ مـادـةـ تـحقـيقـ صـحفـىـ وـبـشـكـ يـحـمـلـ الـمـرـءـ عـلـىـ مـعـانـاةـ العـنـتـ الشـدـيدـ فـيـ مـعـالـجـتهاـ كـأـخـبـارـ صـرفـ. فـلـاـ شـكـ مـثـلـاًـ فـيـ أـنـ قـصـةـ الـمـرـأـةـ العـجـونـ الـتـىـ تـتـحـدـىـ السـلـطـاتـ بـرـفـضـهـاـ إـخـلـاءـ بـيـتـ حـكـمـ عـلـيـهـ بـالـهـدـمـ تـشـكـلـ مـادـةـ لـتحقـيقـ صـحفـىـ. وـكـذـلـكـ الـحـالـ فـيـ نـبـأـ رـجـلـ يـتـلـقـىـ إـعـانـةـ خـيرـيةـ تـعـولـهـ فـاـشـتـرـىـ اـنـسـجـاماًـ مـعـ حـدـسـهـ بـطـاقـةـ يـانـصـيـبـ وـرـبـ الـجـائـزـةـ الـكـبـرـىـ، فـأـخـبـارـ كـهـذـينـ الـخـبـرـيـنـ تـؤـلـفـ، بـدـاهـةـ، مـادـةـ لـتحقـيقـ صـحفـىـ، لأنـ زـاوـيـةـ الطـابـعـ المـثيرـ لـلاـهـتـامـ الإـنـسـانـيـ يـجـبـ أـنـ تـقـدـمـ عـلـىـ الـحـقـائـقـ الـصـرفـ. وـلـاـ شـكـ فـيـ أـنـ الـجـوانـبـ الشـخـصـيةـ فـيـ هـذـهـ الـحـوـادـثـ اـدـعـىـ إـلـىـ إـتـارـةـ الـقـارـئـ مـنـ الـحـقـائـقـ الـمـجـرـدـةـ لـلـخـبـرـ

وهـنـا لـابـدـ بـالـطـبعـ مـنـ اـتـخـاذـ قـرـارـ فـاـصـلـ فـيـ الـحـالـاتـ الـتـىـ يـمـكـنـ فـيـهاـ اـسـتـخـداـمـ الـخـبـرـ كـخـبـرـ صـرفـ أوـ مـادـةـ لـتحقـيقـ صـحفـىـ. وـيـسـتـنـدـ هـذـاـ الـقـرـارـ عـمـومـاًـ إـلـىـ السـيـاسـةـ التـحرـيرـيـةـ لـلـصـحـيفـةـ، وـيـتـوـقـفـ عـلـىـ عـدـدـ الـتـحـقـيقـاتـ الـتـىـ سـبـقـ اـسـتـخـداـمـهـ، ثـمـ عـلـىـ

قيمة الموضوع كخبر صرف مباشر بالقياس إلى قيمته كتحقيق صحفى. وتبعداً لذلك فقد تستخدم هذه الصحيفة مجموعة معينة من الواقع والحقائق كخبر صرف، بينما تستخدم تلك الصحيفة الصادرة في المدينة ذاتها تلك المادة موضوعاً لتحقيق صحفى. ويمكن إيجاد مثال على هذا التباين في اختلاف طريقة معالجة الموضوعات المتعلقة بشراء الإدارة المحلية لمعدات جديدة. فبعض الصحف يطلب في إبراد النبذة (بتسجيل ردود فعل الموظفين والتغييرات المترتبة على ذلك الخ) بينما تقتصر صحف أخرى على إبراد تفصيلات صفقة الشراء بطريقة مقتضبة.

وتحت نقطة أخرى تجدر ملاحظتها في التمييز بين الخبر الصرف والتحقيق الصحفى، هي أن كثيراً من الأخبار يكون بين بين. فقد يطلب رئيس التحرير عندما يعهد في موضوع إلى كاتب أن يعطيه طابعاً مسليناً أو طابعاً فكاهاً أو طابعاً تهكمياً. وهذه الموضوعات التي تقع بين بين هي، بالاختصار، ليست من قبيل الخبر الصرف ولا من قبيل التحقيق الصحفى الصرف، إنما تنطوي على بعض من خصائص كل منهما^(١).

ومن الأمانات الفنية في تحرير التحقيق الصحفى:

- ١ - النمط العرضي .Exposition
- ٢ - النمط القصصي .Narration
- ٣ - النمط الوصفى .Discription
- ٤ - النمط الاعترافى .Concession
- ٥ - النمط الحوارى .Interview

(١) توماس بيري: الصحفة اليوم، السابق ص ١٦٣.

الفَصِيلُ الْمُسْتَأْنِعُ

المقال الصحفى

لعلنا نذكر المسيو جورдан، ذلك البطل الثرى الجاهل في مسرحية "مولير" المسماة: "الجنتلمن البورجوازى"، ذلك أن جورдан هنا استأجر كثيراً من المعلمين ليعلموه فنون المجتمع الراقي، وفي أحد المشاهد نجد جورдан يتلقى درسه الأول من أستاذ الفلسفة ولكنه يقاطع الدرس ملتمساً طلباً خاصاً:

جورдан : أريد أن أفضى إليك بسر عظيم يقتضى الكتمان. إننى واقع فى حب سيدة من الطبقة الراقية وأريدك أن تساعدنى على أن أكتب لها رسالة أبىثاً فيها الواقع غرامى.

المعلم : حسناً.

جورдан : أريد لها رسالة في غاية الطرافه والكياسه.

المعلم : بكل تأكيد - وترיד لها بالطبع شعرأ؟

جورдан : كلا.. كلا - ليس بالشعر.

المعلم : إذن لا شيء سوى النثر؟

جوردان : كلا لا أريد لها مكتوبة لا بالشعر ولا بالنثر.

المعلم : ولكن يا سيدى - لابد لها وأن تكون إما شعراً وإما نثراً.
ماذا تعنى بذلك.

جورдан : لأن كل شيء يا سيدى لا يكون نثراً فهو شعر، وكل ما ليس
بشعر فهو نثر.

جوردان : وعندما يتكلم المرء - فماذا يكون ذلك؟

المعلم : ذلك نثر يا سيدى.

جوردان : ماذا تقول؟ هل إذا ناديت خادمى وقلت له "أحضر خفى يا
نيكول وناولنى قلنسوة النوم" - فهل هذا نثر؟

المعلم : نعم يا سيدى.

جوردان : حسناً. حسناً. إذن لقد ظللت أتكلم نثراً طوال فترة تزيد
على أربعين عاماً وأنا لا أدرى شيئاً عن ذلك.. إننى شاكر لك
جداً أن علمتني ذلك !!!

ولكن ما لم يعرفه السيد جورдан أن هناك ثلاثة مستويات للتعبير اللغوى:

أولها: المستوى التذوقى الفنى الجمالى فى الأدب والفن.

والثانى: هو المستوى العلمى النظري التجرييدى ويستعمل فى العلوم.

والثالث: هو المستوى العملي الاجتماعي العادى وهو الذى يتمسك فى الصحافة والإعلام بوجه عام. وهذه المستويات الثلاثة كائنة فى كل مجتمع إنسانى، والفرق بين المجتمع المتكامل والسليم، والمجتمع المنحل المريض هو فى تقارب المستويات اللغوية فى الأول... وتباعدها فى الآخر. فتقارب مستويات التعبير دليل على تجانس المجتمع، وتوازن طبقاته، وحيوية ثقافته، ومن ثم إلى تكامله وسلامته العقلية، فمن الثابت أن العصور التى يسودها نوع من التاليف بين المستويات العلمية والأدبية والعملية، هى غالباً أرهى العصور وأرقاها^(١).

وفن المقال الصحفى - تأسياً على هذا الفهم - شرة من شار التقدم الحضارى، فهو بطبيعته لا يزكوا إلا فى بيئه يتكون فيها الرأى العام، ويتقدم فيها العمل السياسى وتتصارع بها الآراء والاتجاهات، وينتشر فيها التعليم، وتنهض الفنون، وتصبح الديمقراطية اتجاهها مقبولاً لدى الجميع، وينتقل التفكير من الذاتية والأسطورية إلى الواقعية والموضوعية.. فإذا نظرنا إلى فن المقال الأدبي نفسه وجدنا أنه قد ظهر فى بيئه ملائمة لنشأته وجد فيها جواً صالحًا للنمو والازدهار، فمن الثابت أن فن المقال قد رأى النور فى عصر النهضة الأوروبية^(٢).

ماهية فن المقال.

أطلق "مونتاني" على مقالاته اسم "المحاولات" Essay كأنه - على حد تعبير العقاد - يعتذر من ترسله فيها بغير تقييد بموضوع واحد أو تعمق فى التفكير، وكانت المحاولة فى اصطلاح الفنانين هي معالجة صنع التمثال من مادة رخوة كالشمع وما إليه قبل صبه فى قوالب النحاس أو نحته من الرخام. فأراد "مونتاني" بمقالاته أن تكون محاولات "رخوة" من هذا القبيل، وقصرها على الأحاديث المستخفة والتجارب الشخصية التى يتناجى بها الإخوان فى ساعات السمر وتزجية الفراغ.

فلما تناول "باكون" الكتابة المقالية أقل فيها من الناحية الشخصية وزاد فيها من الناحية الدراسية فأصبحت مقالاته أقرب إلى التركيز والإدماج منها إلى التبسيط والفكاهة، ولقيت مع ذلك رواجاً أى رواج، ثم نشأت الصحافة فاستقرت المقالة فى

(١) د. إبراهيم إمام. دراسات فى الفن الصحفى ص ١٧١.

(٢) Imam. I. The Language of Journalism (1969).

مكانها الذى لا غنى عنه بنوع آخر من أنواع الكتابة الوجيزة، بعد أن كانت محاولة متعددة بين القبول والإهمال،

وأنقسمت موضوعات المقالات على حسب الصحف والمجلات، فما كان منها للتسليمة والقراءة العامة فقد التزمت فيه طريقة مونتاني وتابعيه، وما كان للدرس والقراءة الخاصة فقد غلت عليه صبغة الجد والإتقان، وقيل فى تعريف النمط الأول إنه أشبه شيء بحديث شخصى تفاجئه على غير انتظار فهو مزاج من التفتح والحيطة العارضة على مسمع من المترقبين المتعلعين.. وقيل فى تعريف النمط الآخر إنه درس يلاحظ فيه تلخيص المطلولات وتقرير المترقبات، وقد يبلغ الغاية من التركيز والإدماج^(١).

ويذهب العقاد^(٢) إلى أن "المقالة" ينبغي أن تكون "مشروع كتاب فى موضوعها لن يتسع وقته للإجمال ولا يتسع للتفصيل، فكل مقالة فى موضوع فهى كتاب صغير يشتمل على النواة التى تنبت منها الشجرة لمن شاء الانتظار".

أما الدكتور جونسون، فيذهب إلى أن المقال "وثبة عقلية لا ينبغي أن يكون لها ضابط من نظام، وهو قطعة إنسانية لا تجرى على نسق معلوم، ولم يتم هضمها فى نفس صاحبها، أما الإنشاء المنظم فليس من المقال فى شيء" وفى تعريف آخر: "المقال هو الإنشاء المتوسط الطول، يكتب ثثراً عادة، ويعالج موضوعاً بعينه بطريقة بسيطة موجزة على أن يلتزم الكاتب حدود هذا الموضوع، ويكتب عنه من وجهة نظره هو".

لقد تواضع رجال النقد على أن يطلقوا كلمة "مقالة" على كل ضروب الكتابة التثريية إن قصر طولها وعالجت موضوعاً واحداً، ويذهب "تشارلتن" إلى أن المقالة قد تكون نظماً، ولذلك أمثلة قليلة، نجدها فى العمود الشعري، ولهذا كان مدى التفاوت بعيداً جداً بين مختلف صنوف التحرير التى تقع تحت هذا الاسم، فالباحث العلمى القصير مقالة، كالرسالة العلمية التى كتبها "لوك" عن طريق اكتساب الإنسان للمعرفة وأطلق عليها "مقالة فى العقل البشري" والقطعة الأدبية الفنية مقالة، ومثال ذلك مقالات "لام" و"أيام" طه حسين، وهذا النوع من المقالة لا يضيف إلى العلم الإنساني علمًا جديداً ولا يقدم للقارئ معرفة، إنما يقصد إلى إمتاعه ولذته بما فيه من فن جميل، وبين هذين الطرفين – المقال العلمى من ناحية والمقالة الأدبية من ناحية أخرى –

(١) عصر العقاد؛ للمؤلف، السابق ص ٧٠.

(٢) نفسه ص ٧١.

تفاوت المقالات درجات فى دنوها من هذا الطرف أو ذاك، فمنها ما هو إلى العلم الخالص أقرب، ومنها ما هو إلى الفن الحالص أقرب، ومنها ما يجمع الغايتين معاً. على نحو ما نجد فى، مقالات "ماكولى" التى يحاول فيها أن يكون مؤرخاً علمياً يتلوى الحق وصدق الرواية، أن يكون فناناً فى ألفاظه وعباراته فى وقت واحد^(١)، شأنه فى ذلك شأن طه حسين حينما يحاول فى مقالاته ما يحاول الخطيب بأسلوبه، يظهر للناس كائناً هو يدير القول فى موضوع عقلى منطقى، لكنه ب رغم ذلك لا يرجو أن يؤثر عليهم بحجته بقدر ما ينفذ إلى قلوبهم بقوة العبارة وحسن البيان. هذا عن المقال الأدبي، أما المقال الصحفى فيرتبط بوسائل الإعلام، التى تحتوى على ثلاثة أنواع رئيسية من المضمون الإقناعى.

أولها: الإعلام وثانيها الدعوة المقصودة: كالمقالات الافتتاحية، والرسوم الكاركاتيرية والأعمدة والمقالات التفسيرية التى تؤدى بالقارئ إلى الوصول إلى استنتاج. وثالثها ذلك المضمون الذى يراد به أساساً، الترفية أو الإعلام بحيث يكون الإقناع منتجًا فرعياً محتملاً.

ويذهب ريفز وزميلاه فى كتاب "وسائل الإعلام والمجتمع الحديث" إلى أن المضمون الإخبارى لوسائل الإعلام قد يكون له تأثير أكبر فى الرأى العام من الإقناع الصريح، بمعنى أن الأخبار قد تكون ذات قوة أكبر فى تشكيل الاتجاهات العامة من المقالات والأعمدة السياسية، والأخبار تسجل الأحداث، وقد تغير الأحداث التى تقدمها الصحيفة عقولاً أكثر مما تغيره الدعاية.

ويقدم هودلى كاتنريل فى كتابه "قياس الرأى العام" قاعدة عامة تقول: "إن الرأى يتحدد عموماً بالأحداث أكثر مما يتحدد بالكلمات - ما لم تفسر هذه الكلمات ذاتها على أنها حدث" ويضيف "ريفز" إلى ذلك، أن الأحداث تنزع إلى ترسير تغيرات الرأى العام الناتجة عن الكلمات، وقد يكون التغير فى الرأى قصير العمر، ما لم تسانده بعض الأحداث.

ولكن هذه القواعد العامة - كما يذهب إلى ذلك برنارد بيرليون - تستدعي تعليقين: أولهما أنه يكون من الصعب التمييز بين الأحداث والكلمات. فهل الخطاب الهمام الذى يقدمه رئيس الجمهورية حدث أم مجرد كلمات؟ وثانيهما : أن كثيراً من

(١) هب. تشارلتن (تعريب وشرح د. زكي نجيب محمود) فنون الأدب.

الأحداث لا تحدث تأثيرها نتيجة حدوثها فحسب، وإنما بمعونة من الكلمات أيضاً، أى أن أهمية الحدث في إقناع الجمهور قد تتحدى كثيراً من خلال التفسيرات التي يقدمها معلقوا التليفزيون، وكتاب المقال الصحفى.

المقال الأدبي والمقال الصحفى.

وإذا كان عصر النهضة هو البيئة المواتية لظهور فن المقال الأدبي، فقد كانت عصور التقدم العلمي، والتنوير الفكري، وتكون الرأى العام وظهور الطبقة الوسطى التي تمتاز بعقلية واقعية، وتهتم بمشكلات المجتمع العملية من أهم عوامل ظهور فن المقال الصحفى.. الذى يختلف - كما يذهب إلى ذلك الدكتور إمام - عن فن المقال الأدبي اختلافاً جوهرياً من حيث الوظيفة والموضوع واللغة والأسلوب جمياً : "فالمقال الأدبي يعبر قبل كل شيء عن تجربة معينة مسنت نفس الأديب، فأراد أن ينقل الأثر إلى نفوس قرائه، ومن هنا قيل أن المقال الأدبي قريب جداً من القصيدة الغنائية، لأن كليهما يغوص بالقارئ إلى أعماق نفس الكاتب أو الشاعر، ويتجاذل في ثنابياً روحه حتى يعثر على ضميره المكنون، ولكل الفرق بين المقال الأدبي والقصيدة الغنائية هو فرق في درجة الحرارة. تعلو وتتناغم ف تكون قصيدة، أو تهبط وتتناثر ف تكون مقالاً أدبياً "على حد تعبير الدكتور زكي نجيب محمود" أما المقال الصحفى فيتصل أكثر ما يتصل بأحداث المجتمع الخارجية عامة، كما يفترض وجود رأى عام يخاطبه ويتحدث إليه. أو كما يقول الدكتور إمام، إن المقال الأدبي يدخل في اعتباره عواطف الفرد ووجوده، أما المقال الصحفى فيهتم بما يسمى "الوجودان الجماعي".

وفي دائرة المعارف البريطانية إفاضة في تعريف المقالة الأدبية تحت مادة Essay (ط ١٩٢٩م ٨م) : "المقالة الأدبية عبارة عن قطعة مؤلفة متوسطة الطول، وتكون عادة مكتورة في أسلوب يمتاز بالسهولة والاستطراد، و تعالج موضوعاً من الموضوعات، ولكنها تعالجه - على وجه الخصوص - من ناحية تأثير الكاتب به" ويرى "سوارس" في كتابه "مقدمة لدراسة الأدب" أن هناك قسمين من المقالات:

الأول: قطع إنشائية في موضوع من موضوعات العلم أو الفلسفة أو التاريخ أو النقد. وعرضها الأول عرض طائفة من "المعلومات" ، ومثل هذه المقالات قابلة لأن تكبر حتى تصبح "بحوثاً".

الثانى: عبارة عن قطع قصيرة، فى أسلوب استطرادى، تشمل على وجهة نظر الكاتب فهى محاولة منه أن يسجل الآراء التى يثيرها الموضوع فى فكره، والمواضيعات لا تقع تحت حصر ولكنها يجب أن تصطبغ بانفعالات وشخصية الكاتب، ولعل مقالات "تشارلس لام" المسماة مقالات "إليا" هى خير مثال لهذا الطراز من المقالات.

ويشتمل المقال الأدبى على : المقال الوصفى أو العرضى، والمقال النزلى، والمقال النقدى، والمقال الكارياتيرى، والمقال القصصى، والمقال الاعترافى.. إلخ.

أما المقال الصحفى فينقسم إلى أنواع منها: المقال الافتتاحى أو العمود الرئيسي، والعمود الصحفى، وفن اليوميات الصحفية.

ونحن نذهب إلى أن الفصل بين المقال الأدبى والمقال الصحفى فصل تعسفى فى كثير من الأحيان، ذلك أن المقال الصحفى قد وظف فنون المقال الأدبى لأداء مهام الفن الصحفى، وطبعها بطابعه كفن تطبيقى وليس فنًا تجريدىًّا، وهو لذلك يقوم على أداء وظائف الإعلام والتفسير والشرح والتوجيه والإرشاد والإمتاع والتعليم والتنشئة الاجتماعية. فالمقال الصحفى مسئول عن تقديم المعلومات إلى الجماهير بصورة مبسطة مستساغة، وخلالية من التفاصيل المعقدة، ولذلك يجب أن يكون المقال الصحفى جميل الأسلوب، مشرق الديباجة، متفردًا فى موضوعه وهدفه، قوياً فى تعبيره عن الرأى.. وإذا كان المقال يدعو لقضية، فلا بد أن يفعل ذلك دون إبهام، وإذا كان يشرح أو يفسر أو يحلل فعلى الكاتب أن يقدم أكثر مما يستطيع المذوب الصحفى أن يقدمه فى أعمدة الأخبار، بحيث يقدم أعقد المشكلات السياسية والاقتصادية والثقافية باصطلاحات الإنسان العادى.

فن المقال الافتتاحى.

يعتبر هذا الفن من أهم فنون المقال الصحفى لاعتماده فى الشرح والتفسير والإيضاح على الحجج والبراهين، والإحصاءات والبيانات للوصول فى نهاية الأمر إلى اقناع القارئ وكساب تأييده ذلك أن المقال فى مدلوله الإصلاحى Leading Article، يقود غيره من المقالات ويتقدمها من حيث تعبيره عن رأى الصحيفة كمؤسسة، ومن حيث تناوله لأهم الموضوعات بالقياس إلى سياستها التحريرية، ومن حيث المساحة الثابتة المنوحة له. ولذلك فإن المقال الافتتاحى كثيراً ما يكون غفلاً من التوقيع.

غير أن اتجاه هذا المقال إلى التعبير "اللاشخصي" ليس معناه الجفاف في التعبير، أو الجفاء في موقف الكاتب من القارئ، إذ أن خاصية التبسيط في الحديث والإنساب في السرد لا تزال أهم مميزات فن المقال الصحفى. وهي المميزات التي يتسم بها أدب المقالة في نماذجها المأثورة حتى "ليشعر القارئ" لمقال من مقالات كتابها أنه إنما يجلس إلى صديق من أصدقائه، ويستمع إلى بعض إخوانه، ويدور معه حيث يدور، ويدخل معه في شجون من الحديث لا يجب أن يصل إلى نهايتها. وهي المميزات التي تجعل مقالة الصحفى يقوم على "روح المشاركة"، وهي روح الديموقراطية الحقة التي تفترض المساواة بين الجميع، ومن هنا فإن هذا الفن المقالى في الصحافة المعاصرة يتسم بالهدوء والابتعاد عن الاستعلاء أو الخطابة. ذلك أن المقال الافتتاحى يهدف إلى الإقناع لا مجرد الاستمالة العاطفية. فالشواهد والأدلة والبراهين، سواء بالنصوص أو الإحصاءات أو المقارنات ضرورة لازمة للتعليق على الأخبار والماجريات. وكثيراً ما يكون المقال الافتتاحى بمثابة تعليق على الأخبار والأحداث الجارية، مع الاستشهاد - بطبيعة الحال - بأمثلة تاريخية وتقارير إخبارية، ولذلك فإن كاتب المقال الافتتاحى يعتمد اعتماداً كبيراً على الأرشيف الصحفى، وعلى مذكراته الخاصة، بالإضافة إلى ذاكرته القوية. ولذلك نجد كاتب المقال الافتتاحى . في نهاية الأمر، رغم عدم توقيعه باسمه، معروفاً لدى جمهور القراء الذين تألفوا مع أسلوبه وتعودوا على فتح الصحيفة في صفحة معينة لقراءة ما يكتبه المفضل البسيط الأسلوب والمفعى في حجته.

ومن أجل ذلك وجدنا الصحف العالمية تسجل على كل صفحة من صفحاتها، ما عدا واحدة، ما يجرى في العالم الواسع من أحداث وما يدور فيه من أفكار وآراء. وتستبقي صفحة واحدة فقط، وفي بعض الأحيان عموداً واحداً فحسب، لتجهز بآرائها هي وأفكارها. فحق الصحيفة في الإعراب عن رأيها في الأنباء التي تنشرها أمر طبيعى جداً، فاللبن والرأى رفيقان يظهران جنباً إلى جنب ذلك أن أول سؤال يبدر إلى أذهاننا عندما يأتينا شخص ما بآى معلومات تثير اهتمامنا هو: "ما رأيك في هذا الأمر؟"؟، ولذلك كانت الصحف في أيامها الأولى تنشر الأنباء على حدة والأراء على حدة، فتصدر إحداها في رسائل الأنباء، والأخرى في كراسات. وكان "دانيدل ديفو" هو أول من وحد بين هذين التيارين الصحفيين في مطبوع واحد أسماه "ذى ريفو" أصدره في لندن عام ١٧٠٤^(١).

(١) الدكتور إبراهيم أمام : تطور الصحافة الإنجليزية ص ١٩٦.

وينسب إلى ديفو أولية كتابة ما كان يسمى بالخطاب **الافتتاحي Letter** **Introductory** وهذا أول مقال حول موضوع سياسي أو اجتماعي هام تعليقاً على الحوادث الجارية يكتب بأسلوب شائق جذاب ويظهر عادة في صدر الصحيفة وكأنه خطاب رقيق لطيف من الكاتب إلى القارئ، فسمى بالخطاب الافتتاحي وكان نواة للمقال الافتتاحي الذي نعرفه في الصحافة الحديثة.

وقد كان المقال الافتتاحي في القرن الماضي يشغل الصفحة الأولى وبعض أجزاء من الصفحات الأخرى. ولم يتزحزح عن مكانه الممتاز في الصحف الأولى إلا في وقت قريب – أى منذ إنجازات الصحافة الحديثة في الفترة الأخيرة إلى الخبر وقلت عنيتها نوعاً ما بالمقال. وليس أدل على أهمية المقال الافتتاحي منذ نشأة الصحافة من أن كتاب هذا المقال كانوا ولا يزالون – نوابع الصحافة في كل أمه من الأمم، بل في كل فترة من فترات التاريخ، ففي الصحافة العربية اشتهر من كتاب المقال : محمد عبده، وأديب اسحق، وعبدالله نديم، والزعيم مصطفى كامل، وأحمد لطفي السيد، وعبدالقادر حمزة، وأمين الرافعى، وإبراهيم المازنى، وحسين هيكلى، والعقاد، وطه حسين، وغيرهم من أساطين الفكر والأدب والصحافة. وفي الصحافة الإنجليزية لعت أسماء كتاب المقال من أمثال ديفو واريون وستيل، وجونسون وبيلكينز ويدكنز ولامب وبرناردشو ووب وغيرهم. وكذلك كان كتاب المقال من الأميركيين من المع رجال الفكر والسياسة والأدب ومنهم صمويل آدمز وجون آدامز وجوزيف وارن وصمويل بروراف امرسون والتربلمان وغيرهم.

وقد كان المقال الافتتاحي ينبع بمهمة القيادة والزعامة، وكان وسيلة التوجيه والإرشاد والتنشئة الاجتماعية، كما كان الوسيلة المؤتة لتكوين الرأى العام. ولا يزال المقال الافتتاحي يقوم بدور رئيسي في الصحافة الرفيعة أوصحافة الرأى العام المستنير كصحيفة التيمس الإنجليزية والنيويورك تايمز الأمريكية وال蒙د الفرنسية وغيرها. بل إن مقالات هذه الصحف قد تتجاوز في أهميتها وتأثيرها حدود البلاد التي تنشر فيها الصحيفة إلى بلاد أخرى.

ويطلق الإنجليز والأميركيون على المقال الافتتاحي اسم **Leading Article** أواسم **Editorial Article** ، وهو المقال الرئيسي للصحيفة، وله فن خاص به من حيث الصياغة : وأساس هذا الفن هو الشرح، والتفسير والاعتماد على الحجج المنطقية حيناً، والعاطفية حيناً آخر للوصول إلى غاية واحدة فقط، هي إقناع القارئ.

كما أن كاتب المقال الافتتاحي في الجرائد الكبرى مثل (النيمس) و(الهيرالدتربيون) يكون معروفاً لدى جمهور القراء، بمعنى أنهم قد تعودوا على أسلوب كاتب المقال الافتتاحي الذي يجب أن يتميز بالسلاسة والبساطة والوضوح والإيناس بين الكاتب والقارئ، ولذلك نجد كاتب المقال الافتتاحي - الذي لا يوقع باسمه؛ معروفاً لدى جمهور القراء الذين تألفوا مع أسلوبه، وتعودوا على فتح الصحيفة في صفحة معينة لقراءة ما يكتبه كاتبهم المفضل البسيط الأسلوب والمقنع في حجمه.

ومن أجل ذلك وجدنا الصحف العالمية تسجل على كل صفحة من صفحاتها ما عدا واحدة، ما يجري في العالم الواسع من أحداث وما يدور فيه من أفكار وآراء، وستبقى صفحة واحدة فقط، وفي بعض الأحيان عموداً واحداً فحسب، لتجهيز بآرائها هي وأفكارها. فحق الصحيفة في الإعراب عن رأيها في الأنباء التي تنشرها أمر طبيعية جداً، فالنبا والرأي ريفيان يظهران جنباً إلى جنب، ذلك أن أول سؤال يبدر إلى أذهاننا عندما يأتينا شخص ما بآى معلومات تثير اهتمامنا هو "ما رأيك في هذا الأمر"؟ ولذلك كانت الصحافة في أيامها الأولى تنشر الأنباء على حدة والآراء على حدة، فتصدر إحداها في رسائل الأنباء، والأخرى في كراسات، وكان "دانيل ديفو" هو أو من وحد بين هذين التيارين الصحفيين في مطبوعة واحدة اسمها "نى ريفيو" أصدرها في لندن عام ١٧٠٤^(١).

وقد أوجت لغة الصحافة المتطرفة في حزبيتها، الصاحبة في أسلوبها وعباراتها إلى عبقرية هذا الصحفى الفذ - ديفو بإبداع المقال الهدى المتنز، الذى يمحى الآراء ويخبر الحقائق ويناقش سياسة الحكومات فى هدوء وروية، وهكذا أنشأ ديفو أول مرة فى تاريخ الصحافة الإنجليزية مقالات سياسية معتدلة، ومنطقية متنزنة. ثم تطور فى المقال الافتتاحى فى الصحف السياسية التى اشتراك فيها ديفو حتى بلغ مرحلة الفن الناضج الذى يقوم على أساس معينة وتقالييد محترمة. وبفضل ديفو عرفت الصحافة أن المقال الافتتاحى ليس تعبيراً عن رأى الكاتب وحده أو وجهة نظره الخاصة، كما هي العادة بالنسبة لأضرب المقال الأخرى وفنونه المتعددة، بل إنه على العكس من ذلك ينبعى أن يكون تعبيراً دقيقاً عن رأى الصحيفة وسياستها كمؤسسة اجتماعية عامة، فإذا كتب رئيس التحرير مقالاً افتتاحياً فلا يجوز أن يضمنه رأياً شخصياً، وإنما يعبر عن سياسة الصحيفة و موقفها العام بالنسبة للشؤون السياسية والاجتماعية. فالمقال

(١) د. إبراهيم أمام : تطور الصحافة الإنجليزية، ص ١٩٦.

الافتتاحى لا يمكن أن يذيل بتوقيع كاتبه وإلا كان التوقيع متعارضاً مع فكرة المقال نفسه ووظيفته كتعبير عن السياسة العامة للصحيفة، لا رأى الكاتب واحدة. وتأسисاً على هذا الفهم لوظيفة المقال الافتتاحى ذهبت الصحافة الحديثة إلى تخصيص صفحة لافتتاحيات، تجعلها مؤلفة من آراء الصحيفة نفسها، معبراً عنها قولًا في افتتاحيات، ورسماً في صورها الكاريكاتورية، وكذلك من آراء الآخرين. وقد تكون هذه الآراء الخارجية هي أفكار قراء الصحيفة ترد إليها على الطريقة المعروفة "رسائل إلى المحرر" أو مقتطفات موجزة من أعمدة الرأى المنشورة في صحف أخرى، تنقلها تحت عنوان مثل "من أقوال الصحف" مثلًا.

ويتحمل كتاب افتتاحيات مسؤولية كبرى تجاه الجمهور، إذ يتحتم عليهم أن يكونوا من ذوى الإطلاع الواسع، وأن يجعلوا من أنفسهم اختصاصيين في الموضوعات التي يكتبون فيها، وأن يكونوا منصفين في الآراء التي يكونونها أو يعبرون عنها : فليس هناك في هذه الأيام، إنسان واحد يستطيع أن يقتدى بفرنسيس بيكون و" يجعل المعرفة كلها ملك يديه". على أن الأمر، كما يقول جافري بارسونز عندما كان المستشار الرئيسي لجهاز تحرير افتتاحيات في صحيفة نيويورك هيرالد تريبيون، هو ما يلى :

"كلما ازداد أساس المعرفة عند الكاتب متانة، ازدادت مقدراته على استنهاض الفكر في أي موضوع، فإن كاتب المقال الافتتاحي الجيد يخاطب من الناس عدداً أضخم بكثير مما توصل إليه أي مدرس أو فيلسوف أو ناقد إلقاءاً... وليس كثيراً عليه أي قدر من المعرفة، إذا كان عليه أن يستوقف انتباه جمهوره". وإدراكاً لهذه الأهمية، ذهب علماء الاجتماع إلى القول : إن الظروف والأحداث التي تمر بالإنسان والتغيرات التي تطرأ على المجتمع لا يمكن أن يكون لها دلالة ما، أو يكون لها في كيان الفرد أو المجتمع أثر ما إلا إذا وعاهما الفرد وأدركها وقدرها وكيفها فإذا لم يحدث من ذلك شيء ظلت هذه الظروف والأحداث التغيرات بعيدة عن وجدان الناس. بل أصبحت وهي في حكم العدم.

وينعكس أثر هذه المعرفة التي يحصلها كاتب المقال الافتتاحي على ما يكتبه تحليلًا للأخبار وما وراءها، وعما يحمل كل خبر منها من معنى. وبهذه الطريقة يستطيع الأفراد كما يستطيع الجماعات أن تحل مشاكلها التي تعرض لها، سواء أكانت هذه المشكلات نفسية، أم اقتصادية، أم سياسية، أم اجتماعية. ويكون الفضل في ذلك راجعاً إلى الصحافة، أو إلى ذلك الكاتب الذي انبرى للكتابة في الوقت المناسب وأخذ يزج بنفسه في تلك المشكلات، وأن لم يكن من الأفراد الذين تناولتهم كل مشكلة منها،

أو اشتركوا في إدحافها على أية صورة من الصور، بينما لا يشعر أصحاب هذه المشكلات التي أحاطت بهم وأصبح لها أثر في حياتهم، وذلك لأنعدام الوعي من جهة، وعجزهم عن تصور حياة أفضل، أو حالة أحسن من جهة ثانية.

ولذلك يرتبط المقال الافتتاحي - شأنه شأن فنون المقال - عند الكتاب المقاليين في الصحافة الحديثة؛ بقيادة الفكر، التي تتوزع في العصر الحديث بين أمور مختلفة، لأن ظروف الحياة نفسها قد وزعتها بين هذه الأمور، قلم تستأثر الفلسفة، ولم يستأثر الشعر، ولم تستأثر السياسة، ولم يستأثر الدين، بقيادة الفكر في فصل من فصول هذه القصص التي يكونها العصر الحديث، وإنما اشتركت هذه الأمور كلها في قيادة الفكر. وأخذ كل منها بنصيب من توجيهه العقل الإنساني والتأثير في الحياة والشعوب : "وأية ذلك أنك تنظر في أى وقت من أوقات هذا العصر الحديث، فإذا أنت أمام فلسفة تجاهد لتسسيطر على الحياة، وسياسة تجاهد لتصوغ الحياة كما تحلب، ودين يناضل ليحافظ بمكانته سلطانه، وأدب يجده ليكون له التفوق والفوز ولكل واحد من هذه الأشياء رعماوة وممثلوه والداعون إليه والزائرون عنه، حتى في الأوقات التي يخيل إليك فيها أن أمراً من هذه الأمور قد ظهر تفوقه واستأثر بالفوز والغلبة. فقد يخيل إليك أن عصر الثورة الفرنسية مثلاً كان عصر سياسة ليس غيره ولكن فكر قليلاً واتقن درس هذا العصر، تجده عصر سياسة وعصر حرب، وعصر علم، وعصر فلسفة، وعصر تشريع، بل عصر دين أيضاً، وتجد كل هذه الأمور تزدحم وتنافس وتسابق إلى قيادة الفكر ت يريد أن تستأثر بها وتسسيطر عليها".

ولا شك أن توزع قيادة الفكر، وتتنوع الموضوعات يؤدى خدمة جليلة للصحافة الحديثة، واسعة الانتشار، والى يختلف قراؤها احتلافاً كبيراً في الأذواق والأمزجة، فهناك مقالات حول الرياضة وأخرى حول الفن بالإضافة إلى السياسية والاقتصاد والشئون العامة. على أن الصحافة لم تف فحسب من هذا التوزع في قيادة الفكر، ولكنها كانت سبباً في توزع هذه القيادة؛ ذلك أن الكاتب أو العالم أو الفيلسوف لم يكن يظفر بانتشار كتبه في العصور الأولى، إلا إذا ظفر بشيء من الشهرة وبعد الصيت يرغب الناس في آثاره، ولم يكن الظفر بهذه الشهرة سهلاً ولا يسيراً. أما الآن فقد يسرت المطبعة على كل ذي رأى أن يذيع رأيه ويناضل عنه، وعلى كل باحث أن ينشر ثمارات بحثه بين الناس. ولم تك تظهر المطبعة، وتأخذ فيما أخذت فيه من النشر والإذاعة، كما يقول طه حسين؛ حتى " ظهرت آثار ذلك قوية في حياة العصر الجديد، فكثرت الآراء

واختلفت، أو قل ظهرت كثرة الآراء واختلافها، واستطاعت أن تجاهد وتحتضم وتتنافس في قوة وسرعة لم يكن للناس بهما عهد من قبل". ذلك أن المطبعة استبعت شيئاً آخر غير الكتب والرسائل، استبعت الصحف اليومية والدولية، وقد قوى ظهور "الصحف السياسية والعلمية لأدبية توزيع قيادة الفكر، وانتهى به إلى حد غريب فقد كان العلماء والكتاب والفلسفه والسياسة ينشئون كتبهم وينشرونها، فيستغرق ذلك منهم الأشهر والأعوام، ويستتبع ذلك بطلاً فيما يكون بينهم من النزاع والضلال والاستباق إلى قيادة الفكر. أما بعد أن ظهرت الصحف فالنزاع يومي. أو أسبوعي، أو شهري، هو عنيف، وهو سريع، وهو متصل، وهو مؤثر في توزيع قيادة الفكر، بمقدار ما يشتد ويسرع ويستمر".

وينعكس أثر توزع قيادة الفكر في العصر الحديث، والذي جاء نتيجة للصحافة، على ما تكتبه الصحف من تحليل للأخبار وما وراءها، وعما يحمل كل خبر من مغزى، حتى يتمكن نفسية الأفراد والجماعات من حل المشاكل التي تعرض في الحياة، سواء كانت مشكلات نفسية أم اقتصادية أم سياسية أم اجتماعية. وفي ذلك ما يؤكد مسؤولية كاتب المقال الافتتاحي تجاه الرأي العام، فهو يدرك قام الإدراك أن صياغته للمقال ليست صياغة أدبية، ولا هي صياغة غير ملتزمة، وإنما هي صياغة ترتبط بسياسة الجريدة من ناحية واهتمام القراء وميولهم من ناحية أخرى. لهذا نجد أن افتتاحيات الصحف الكبرى تعكس توزيع قيادة الفكر فيما تحتوى عليه من "تعليق سياسى، وآخر اقتصادى، وثالث اجتماعى، ولا تهمل العلائق الطريف أو الخفيف الذى يقوم بالتسليمة.

وتتصل مهمة الإقناع بهذه الخاصية التوجيهية في المقال الافتتاحي حين ينفل الإيمان بأفكاره يحتل دوراً قيادياً في توجيه الرأي العام بأن لا يكتفى بنقل الأفكار وتفسيرها، ولا ينقل إيمانه فأفكاره بمجرد حرارة العاطفة، ولكنه يؤثر ويدوم لتعاقه "حرارة الفكر". ذلك أن المقال الصحفى لم يعد مجرد توجيه بلا غنى كما كان في طور التكوين الصحفى؛ بل إنه على العكس من ذلك ينوه منهاجاً حاصاً في التحرير يقوم على الدليل والبرهان، ويعتمد على الحقائق والأرقام والبيانات والإحصاءات الدقيقة، وهذه هي وسائل الإقناع والتوجيه والإرشاد، وهى التي تعطيه من القوة والتأثير ما لا يمكن أن تتحققه الألفاظ الضخمة الجوفاء^(١).

(١) د. إبراهيم أمام : السابق، ص ٦٨.

وفي ذلك ما يؤكد مسؤولية كتاب المقال الافتتاحى كصاغة للرأى العام، الأمر الذى تشهد به لهجة القواعد والمبادئ التى نسفتها وانتهت بها المؤتمرات الوطنية لكتاب الافتتاحيات فى الولايات المتحدة. فقد جاء فى فذلكة هذه القواعد "إنه يجب على كاتب المقال الافتتاحى، إذا كان يتوجه إلى الأمانى لهنته ومجتمعه، أن يجد فى أثر الحقيقة أنى أدى به المطاف".

وفيما يلى النقاط الأساسية لهذا القانون :

- ١ - ينبغي على كاتب المقال الافتتاحى أن يعرض الحقائق بأمانة واقتدار.
- ٢ - ينبغي عليه أن يخلص من الحقائق التى يوردها إلى نتائج موضوعية، وأن يدعمها بالبيانات، وأن يقيّمها على مفهوم الخير العام.
- ٣ - ينبغي عليه ألا يكون مدفوعاً أبداً بمصلحة شخصية.
- ٤ - ينبغي عليه أن يدرك أن ليس معصوماً من الخطأ، وأن يفسح مجال القول لن يخالف رأيه، فى عمود رسائل الجمهور وغير ذلك من الوسائل الملائمة.
- ٥ - ينبغي عليه أن يعيد النظر فى استنتاجاته الخاصة وأن يصححها إذا وجدتها مرتکزة على مفاهيم خاطئة سابقة.
- ٦ - ينبغي أن يكون من الشجاعة بحيث يصدّم لما يقتضى به على أساس متينة، وألا يكتب أبداً أى شىء ضد ضميره، وعندما تكون صفحات الافتتاحيات تتاج أكثر من ذهن واحد، فإن الوصول إلى رأى جماعي سديد لا يتم إلا عن طريق الآراء الفردية السديدة، لذلك ينبغي احترام الآراء الفردية الصادرة عن تفكير.
- ٧ - ينبغي عليه أن يؤازر زملاءه فى تمسكهم بأعلى مستويات الاستقامة المهنية، ونتيجة لهذه الأهمية التى أحرزها المقال الافتتاحى منذ نشأة الصحافة، أن احتل الصفحة الأولى من صفحات الجريدة، بحيث يكون أول شىء يطالعه القراء فيها. ولم يتزحزح المقال الافتتاحى عن مكانه الممتاز فى الصفحة الأولى إلا فى وقت قريب - أى منذ إنجازات الصحافة الحديثة فى الفترة الأخيرة إلى الخبر، وقللت عنایتها نوعاً ما بالمقال^(١).

(١) حمنة : المدخل ص ٢٢٧.

وليس أدل على أهمية المقال الافتتاحي منذ نشأة الصحافة من أن كتاب هذا المقال كانوا ولا يزالون - نوابغ الصحافة في كل أمة من الأمم، بل في كل فترة من فترات التاريخ.

ففي الصحافة المصرية كان يكتب المقال الافتتاحي للمجلة أو الصحيفة، أمثل: محمد عبده، وأديب اسحق، وعبدالله النديم، وإبراهيم المولحي، والسيد على يوسف، والزعيم الشاب مصطفى كامل، وأحمد لطفي السيد، وعبدالقادر حمزة، وأمين الرافعى، وإبراهيم المازنى، وحسين هيكل، وغيرهم من أساطين الأدب والفكر والصحافة جمیعاً.

وفي الصحافة الإنجليزية وجدنا المقال الافتتاحي مكتوباً بأقلام ديفو، وأديسون، وستيل، وجونسون، وولكمن، وسويفت وغيرهم^(١).

وقد أصبح لافتتاحية في الجريدة المعاصرة صيغة صحافية مميزة. وأقرب الكتابات إليها هو المقال إلا أن الفرق بينهما هو أن الافتتاحية موجزة وذات طبيعة معاصرة. أما المقال فهو اليوم على قدر من الازدهار ويسرا المطالعة مثله يوم خطه قلم الكاتب لأول مرة، فما كتبه أديسون أو ستيل في القرن الثامن عشر لم يفقد قيمته اليوم؛ لأنه يعالج كقاعدة، موضوعاً ذات قيمة لازمة، أما الافتتاحية التي كتبت في القرن الثامن عشر فإنها لا تستوقف الاهتمام اليوم إلا مجرد ما تنتطوي عليه من قيمة أثرية، ذلك أنها تكون قد عالجت موضوعاً ذات علاقة آنية بذلك الوقت فحسب.

وتأسيساً على ذلك يمكن تعريف المقال الافتتاحي بأنه مقال قصير وثيق الارتباط بالزمن الذي يصدر فيه.

أما الغرض الذي يرمى إليه هذا المقال الافتتاحي فهو عرض الرأى الذي تراه الصحيفة نفسها، ولها عدة طرق لبيان هذه الأفكار والآراء.

ومنما يذكر في هذا الصدد أن آرثر بريسبين، الذي كان له أتباع كثيرون في أيامه، كان يعتقد أن مجال كاتب الافتتاحية يقوم على أداء أغراض؛ أن يعلم، وينازل، ويدافع، ويمتدح، والتعليم هو أهم هذه الأغراض وأصعبها. والنزال أسهلاها وأبغضها إلى النفس، وإن تكن ضرورية في بعض الأحيان.

(١) أمام : تطور الصحافة ص ١٣٥، ١٢٦، ١١٥.

أما الدفاع عن القضايا الخيرة، وعن الضعف ضد القوى، وعن الفكرة الجديدة والحلولة دون تسفيفها، فأمر مهم ويهمله كتاب الافتتاحية عادة.

وكذلك الثناء مهملاً أيضاً إلا على الصعيد الحزبي دون أن يكون له معنى ما^(١) ..

إن وظيفة الافتتاحية، من وجهة نظر مثالية، هي إعلام الرأي العام والأخذ بيده، فهي تفسر النبأ السائر للقارئ وتبيّن ما له من دلالة. وتقول في ذلك جريدة "نيويورك تايمز": "إذا ضلت الوظيفة القيادية طريقها في بعض الموضع بين وقت وأخر، فإن العامل المعتمد عليه في التصويب جاهز دائماً في متناول اليد إذا كانت أعمدة الأنباء تعرض الحقائق بأمانة".

ونخلص مما تقدم إلى أن الخصائص التي يتميز بها المقال الافتتاحي في الصحافة المعاصرة فيما يلى^(٢):

أولاً: خصيصة الثابت على سياسة واحدة هي سياسة الصحيفة؛ إذ لا يصح لهنده الصحيفة أن تكون مذبذبة بين سياسات كثيرة لأنها بذلك تفقد أهميتها كصحيفة من صحف الرأي.

ومن أجل هذا يراعى في المقال الافتتاحي عادة ألا يكون مذيلاً بتوقيع كاتبه، لأنه مقال منسوب إلى الصحيفة نفسها بوصفها هيئة من هيئات الإعلام، لها سياستها وهدفها من وراء هذا الإعلام.

ثانياً: خصيصة الحذر والاحتياط في إبداء الرأي لأنه ما دام رئيس التحرير أو كاتب المقال الافتتاحي لا يعبر عن رأيه الشخصي، بل عن رأي الصحيفة باعتبارها مؤسسة اجتماعية وظيفتها - الإعلام - وجب عليه أن يصطنع الحيطة فيما يكتب من مواد باسم الصحيفة؛ وألا عرضها للخطر.

وهذا تثار مسألة تتصل "بضمير الكاتب" فهل معنى ما تقدم أن الكاتب ينبغي أن يخالف ضميره فيما يقدم للقراء من هذه المادة الصحفية الهامة التي قلنا إنها ملك للصحيفة قبل أن تكون ملكاً لكاتب من كتابها؟

(١) بوند: مدخل ص ٢٩٣.

(٢) حمزة المدخل ص ٢٢٠، ١٥٩-١٥٧. Spencer; M.Hyle: Editorial Writing P.P.

والجواب عن ذلك - كما يقول الدكتور سبنسر - هو أن الكاتب الذى يختلف فى وجهة نظره عن وجهة نظر الصحيفة يجب ألا يجعل من المقال الافتتاحى مجالاً لإظهار ذلك. وباختصار يجب أن يعرف المحرر الصحفى للمقال الافتتاحى أن هناك ثلاثة أشياء يؤثر بعضها فى بعض ويعتمد بعضها على بعض ويتدخل بعضها فى بعض، وهذه الأشياء الثلاثة هى:

- سياسة الجريدة، وصياغة المقال، واهتمام القراء^(١).
- الواقع أن وظيفة كاتب الافتتاحية تظل هى كما كانت دائمًا : تفسير الأنباء، وإرشاد الرأى، والقيام بالحملات من أجل مساندة القضايا العادلة، ولكن النطاق الذى يعمل ضمنه قد اتسع.

وليس الترفية أقل خصائص المقال الافتتاحى شأنًا. فإن كاتب المقال الافتتاحى كثيراً ما يجد هذه المهمة أصعب من مجرد مناقشة قضية ما أو عرض عقيدة سياسية ما. بيد أن الاتجاه الحديث المتزايد هو نحو إشاعة الإشراق على صفحة الافتتاحية بما يسمى الافتتاحيات "الرشيقية المرحة" المختلفة عن الافتتاحيات التقليدية، كالبحث فى قاعدة لغوية ومداعبة الغريب منها أو المتمسك بأصولها حتى التعصب^(٢).

ذلك فى إيجاز شديد؛ هى أهم خصائص المقال الافتتاحى فى الصحافة العالمية، والتى استمدتها نتيجة لتطور الصحافة نفسها، فأصبحت الصحافة الحديثة تعمد إلى كتابة العمود الرئيسي أو المقال الافتتاحى على نحو من الإيجاز فى عمود واحد من أعمدة الصحيفة، وفي هذا العمود مقال واحد حيناً، ومقالات أو ثلاثة حيناً آخر.

وذلك لكي تفسح المجال لبقية المواد الصحفية الأخرى التى لم تعرفها الصحافة القديمة؛ أو كانت معرفتها بهذه المواد قليلة.

٢ - الوحدة العضوية فى تحرير المقال الافتتاحى:

ونخلص مما تقدم إلى أن المقال الافتتاحى "وحدة" مستقلة، وليس مجرد سرد للحقيقة، أو إثبات بال Shawahed، أو إيراد للأمثلة، ولكن وسيلة للتعبير عن رأى من آراء الصحيفة، أو مذهب من المذاهب التى تروج لها فى الاجتماع أو السياسة أو الفكر.

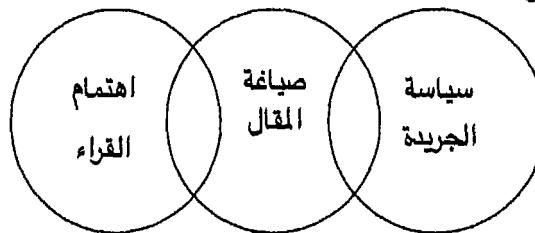
(١) حمزة : المدخل ص ٢٣١.

(٢) بوند : مدخل ص ٢٩٧.

ولذلك نجد الكاتب المقال يبسط هذه الآراء والمذاهب ويبسط الحقائق التي يوردها لقارئه، بحيث تدعم فكرة المقال، وموضوعه وغايته التي تنصب دائمًا حول غرض واحد. وأغلب الطعن أن هذه "الوحدة" التي تربط بين أعضاء المقال الصحفى أوثق ارتباطاً بما ذهب إليه نقاد الأدب من الدعوة للوحدة العضوية، فلاحظنا فيما سمعناه من نماذج وما اطلعنا عليه من التراث الصحفى^(١) أن المقالين يراعون النسب بين الأفكار وال Shawahed وبين الشكل الخارجى للمقال أو البناء الفنى، بحيث يخرج المقال الصحفى متكامل الأجزاء متناسق الشكل والمضمون.

وفي هذا الإطار الفنى مهد الكتاب المقاليون فى أدبنا الحديث لتحقيق شكل جديد للمقال الافتتاحى فى الصحافة العربية؛ يؤدى عنها أفكارها الجديدة فى السياسة والمجتمع؛ فتتوافق للمقال الصحفى التجديد والتحرر البيانى، كما تظهرنا الدراسة الأسلوبية لمقالات طه حسين وهىكل والعقاد^(٢).

ويذهب علماء الفن الصحفى إلى أن كاتب المقال الافتتاحى فى الصحيفة؛ يجب أن يتمثل فى رؤياه الإبداعية ثلاثة عناصر متداخلة؛ يؤثر بعضها فى بعض، ويعتمد بعضها على بعض، ويتدخل بعضها فى بعض؛ يصورها أستاذنا د. حمزة رحمة الله على النحو التالي^(٢):



ويمكن صياغة العناصر رياضياً على النحو التالي:

سياسة الجريدة + صياغة المقال + اهتمام القراء = المقال الافتتاحى

(١) انظر للمؤلف: فن المقال الصحفى، دار قباء للطبع والنشر ١٩٩٩.

(٢) فن المقال الصحفى فى أدب طه حسين، القاهرة هيئة الكتاب.

(٣) فن المقال الصحفى فى أدب محمد حسين هىكل، القاهرة هيئة الكتاب.

(٤) عصر العقاد، صفحات مطوية فى تاريخ الصحافة المصرية، القاهرة مؤسسة مختار.

(٥) التفسير الإعلامى لأدب المقالة؛ مؤسسة مختار.

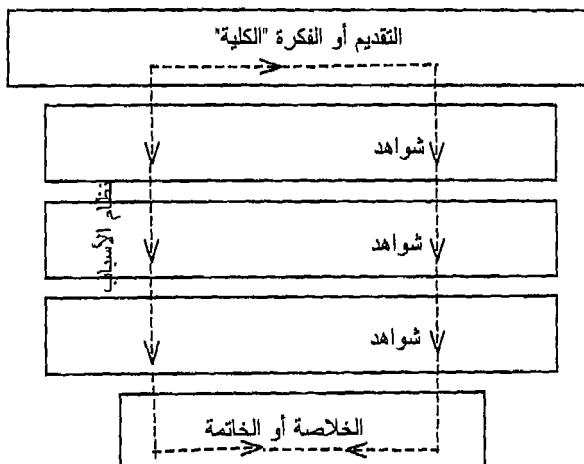
(٦) د. عبداللطيف حمزة: المدخل من ٢٩٦.

وهي كما يبين من النموذج عناصر متداخلة يصدر عنها الكاتب في رؤاه الإبداعية، ليصل بالمقال الافتتاحي إلى هدف الصحيفة المنشود، وإفاده القارئ الذي توجه إليه.

أما بناء المقال الافتتاحي : فتقوم على ثلاثة عناصر هي^(١) :

- ١ - عنصر التقديم أو الفكرة الكلية المثيرة لاهتمام القراء.
- ٢ - عنصر الحقائق والشاهد المؤيدة للفكرة الكلية.
- ٣ - عنصر الخلاصة التي يخرج بها القارئ من المقال.

وهذه العناصر يتتألف منها "بناء" المقال الافتتاحي؛ على النحو الذي يوضحه النموذج التالي :



أولاً: عنصر التقديم أو الفكرة الكلية في المقال الافتتاحي :

يرتبط هذا العنصر ارتباطاً "عضوياً" بعنوان المقال، الأمر الذي يؤكد ما ذهبنا إليه فيما يتعلق بالوحدة التي تربط بين أجزاء المقال، فالتقديم لا يمكن أن ينفصل عن عنوان المقال بحال من الأحوال، بل إن كليهما متمم للآخر، ولعل في ذلك ما يفسر إثارة كاتب مقال كبير مثل طه حسين لاختيار كلمة واحدة يعنون بها المقال، وهي كلمة

(١) نفسه، ص ٢٩١.

مشعة موحية بمضمونه، لا تنفصل عن مقدمته أو صلبه أو خاتمتها، ومن ذلك مقال عنوان: "شجاعة"^(١).

"شجاعة نادرة باهرة هذه التي يتذمّرها بعض النواب إذا تحدّثوا عن خصومهم أفراداً وجماعات تحت قبة البرلمان، فهم يطلقون ألسنتهم في هؤلاء الخصوم بالحق والباطل، وبالخطأ والصواب، والجد والهزل، لا يقدرون شيئاً، ولا يحسبون حساباً، وإنما ينطلقون وكأنما خلي بينهم وبين الحكمة، فليس إلى تسكيتهم ولا إلى تهدئتهم من سبيل"^(٢).

ثانياً: عنصر الحقائق وال Shawahed:

ويرتبط العنصر الثاني من عناصر تحرير المقال الافتتاحي، ويعنى عنصر الحقائق وال Shawahed المؤيدة للفكرة، بعنصر التقديم ارتباطاً عضوياً وثيقاً، ولكن هذه الوحدة "العضوية" في المقال الافتتاحي، لا تقوم على الترتيب الاحتمالي، بقدر ما تقوم على ترتيب المنهج الاستقرائي، ويقصد بالوحدة العضوية في المقال الافتتاحي: وحدة الموضوع، ووحدة الأفكار والأراء التي يثيرها الموضوع، وما يستلزم ذلك من ترتيب الشواهد المؤيدة لهذه الأفكار والأراء ترتيباً استقرائياً به يتقدم المقال شيئاً فشيئاً حتى ينتهي إلى "خلاصة" تتمثل العنصر الأخير من عناصر التحرير في مقال طه حسين، يستلزمها هذا الترتيب الاستقرائي للأفكار وال Shawahed والصون بحيث تبدو عناصر المقال كالبنية الحية، لكل جزء وظيفته فيها، ويؤدي بعضها إلى بعض عن طريق التسلسل في التفكير والمشاعر.

وتقوم هذه الوحدة في المقال الصحفى على التفكير الإبداعى التابع من رؤيا الكاتب المقالى في منهج المقال، وفي الأثر الاقناعى الذى يريد أن يحدثه في قرائه، وفي الأجزاء التي تدرج في إحداث هذا الأثر الوظيفي بصفة عامة، بحيث تتماشى مع بنية المقال بوصفها وحدة حية، ثم في الأفكار والأراء وال Shawahed التي يشتمل عليها كل جزء، بحيث يتحرك به المقال إلى الأمام لإحداث الأثر الوظيفي المقصود منها، عن طريق التابع الاستقرائي، وتسلاسل الشواهد أو الأفكار، ووحدة الطابع، والوقف على المنهج على هذا النحو - الذي تعرّفنا عليه عند الحديث عن الرؤيا الإبداعية في مقال طه حسين - يساعد على ابتكار الأفكار الجزئية وال Shawahed التي تساعد على توكيد الأثر

(١) كاتب مقالى كبير مثل طه حسين.

(٢) صحيفة كوكب الشرق في ٢٠/٤/١٩٣٤.

الوظيفي المراد في المقال، ذلك أن هذه الرؤيا الإبداعية في المقال الصحفى، تظهر لنا إدراك الكاتب لمنهج جملة وفي وضوح قبل الشروع في الكتابة والتحرير وهو المنهج الذي يشبه ما قاله ابن طباطبا في وصف عملية الشعر على الطريقة العربية، إذ يقول: "إذا أراد الشاعر بناء قصيده فحص المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه في فكره ثناً، وأعد له ما يلبسه أيام من الألفاظ التي تطابقه، والقوافي التي تواافقه، والوزن الذي يسلس له القول عليه، فإذا اتفق له بيت يشاكلاً المعنى الذي يرومته أثبته، وأعمل فكره في شغل القوافي بما تقتضيه من المعانى، على غير تنسيق للشعر وترتيب لفنون القول فيه، بل يعلق كل بيت يتفق له نظمه، على تفاوت ما بينه وبين ما قبله، فإذا أكملت له المعانى، وكثرت الأبيات، وفق بينها بأبيات تكون نظاماً لها، وسلكاً جائعاً لما تشتت منها.. ويسلك الشاعر منهاج أصحاب الرسائل في بلاغاتهم، وتصرفهم في مكاتبهم، فإن للشعر فصولاً كفصل الرسائل"^(١)، وإذا صع هذا المنهج في الشعر فإنه من باب أولى يصح على منهج تحرير المقال، وهو الأمر الذي يضمن للمقال وحدة محبكة بين عناصره، صادرة عن ناحية وحدة الموضوع ووحدة الفكرة، ووحدة الشواهد التي يتضمنها، ذلك أن المقال الصحفى ليس مجرد سرد للحقائق، ولكنه وسيلة وظيفية للتعبير عن الرأى أو المذهب، أى أن الوحدة في المقال الصحفى تقضى بها طبيعة الموضوع، ووحدة الآثر الوظيفى الناتج عنه، الأمر الذى يفرض معالجة تحريرية يظهر بها المقال كأنه له وحدة مستقلة بذاتها، وتقضى هذه الوحدة استيفاء كل شاهد من شواهد المقال وكل فكرة من أفكاره في موضعها المحدد لها من بنيته، قبل الانتقال إلى الشاهد التالى أو الفكرة التالية، وهو الأمر الذى يتحقق الترتيب الاستقرائي في بنية المقال، كما تقدم. ويتفق هذا الترتيب الاستقرائي لعناصر المقال الصحفى مع الترتيب الذى يضعه الباحثون في الصحافة، ويعنى بالترتيب الاستقرائي ما يسميه "ديكارت" "بنظام الأسباب" الملائم، والذى يعني السير بالأفكار وال Shawahd بنظام، فيبدأ المقال بأسوء الموضوعات أو الشواهد ويرتقي بالتدريج إلى معرفة أكثر الموضوعات تركيباً، ولكن يفرض "نظام الأسباب" الديكارتى حتى بين الموضوعات أو الشواهد التي لا تالى بالطبع، وهذا النظام هو الذى يضع إطار الوحدة العضوية في المقال تشمل البداية والتمهيد والصلب والخاتمة.

(١) محمد بن أحمد طباطبا العلوى : عيار الشعر من ٦-٥ .

وللوحدة أثر في الشواهد والحقائق المؤيدة للفكرة، إذ تصبح كالبنية الحية في تحرير المقال، وإنكاء الإقناع فيه، فهى تتعاون جميعاً لرسم الصورة العامة للمقال، وتقدمها فيه على حسب المنهج الاستقرائي المقال في الإقناع، ولنضرب مثلاً هنا بمقال رئيسي في "حديث المساء"، وعنوانه: "صراع..."^(١) وفيه يصور "الصراع بين القومية المصرية والسلط الأجنبي"^(٢) في الثلاثينيات، فيبدأ مقدمة المقال بهذه الفقرة التي لا تنفصل عن العنوان:

"بدأ منذ أسابيع - (أى الصراع)، ولسنا نعرف متى ينتهي، ولا كيف ينتهي، وإن كنا نعرف حق المعرفة كيف نريد، وكيف ينبغي أن ينتهي. وهو هذا الصراع بين القومية المصرية، والسلط الأجنبي. والحق أن هذا الصراع قائم منذ أمد بعيد، ولكنه لم يأخذ شكله الحاد العنيد إلا في هذه الأيام، كما أنه يم يختبر لنفسه ميداناً معيناً مرسوم الحدود إلا في هذه الأيام أيضاً"^(٣). ثم ينتقل إلى صلب المقال، فيصل بين التقديم وبين الشواهد: "ففي هذه الأيام ظهر الصراع بين القومية المصرية والسلط الأجنبي حاداً عنيفاً في المحاكم المختلفة. وهو قد اختار لنفسه إلى الآن ميدانين واضحين كل الوضوح، محددين كل التحديد. فاما أولهما فرياسة الدوائين وأما ثانهما فاصطناع اللغة العربية في كتابة الأحكام"^(٤).

ومن ذلك يبين المنهج الاستقرائي في بنية المقال، فهو يقسم المشكلة إلى ميدانين واضحين، ويبداً من "الكلى" إلى "الجزئي"، فالكلى في تقديم المقال هنا هو "الصراع بين القومية المصرية والسلط الأجنبي، والجزئي هو ما يتفرع عن تقسيم المشكلة من شواهد، يقوم فيها بإحصاءات شاملة، وفقاً للمنهج الديكارتى، سواء في الفحص عند الحدود الوسطى أو في استعراض عناصر المسألة بحيث يتحقق أنه لم يغفل شيئاً. فالمنهج التحريري في مقال طه حسين أدن استنباطى استقرائي يضع المبادئ البسيطة الواضحة ويتدرج منها إلى النتائج.

(١) كوكب الشرق في ٢٠ إبريل ١٩٣٤.

(٢) كوكب الشرق في ٢٠ إبريل ١٩٣٤.

(٣) كوكب الشرق في ٢٠ إبريل ١٩٣٤.

(٤) المرجع السابق.

وفي المقال المتقدم، يتدرج الكاتب في استقصاء شواهده، ثم يتدرج في تصوير الصراع بين، القومية المصرية والسلط الأجنبي، من خلال الشواهد والحقائق التي تؤيد فكرته الكلية التي طرحها في مقدمة المقال. يقول طه حسين في صلب المقال:

“أما في الميدان الأول فكان من حق القومية المصرية أن تنتهي إلى ما ت يريد في غير جدال ولا حوار، وفي غيرأخذ ولا رد طويلين. فليست هناك موانع من نص القانون تحول بين القضاة المصريين وبين رئاسة الدوائر حين تناح لهم هذه الرياسة، ولكن القومية المصرية مع ذلك لم تظفر بشيء إلى الآن، والله يعلم متى تظفر بما ينبغي لها من الفوز والغريب أن امتناع الفوز عليها لم يأت من ضعف القضاة المصريين في الاستمساك بها ولا من ترددتهم في الذود عنها، وإنما جاء من أن الوزارة التي كان يجب أن تحمي ظهر هؤلاء القضاة قد انكشفت وأسلمت، ولم تستطع أن تثبت في موقفها، ولا أن تحفظ بحقها، بل لم تستطع أن تنظم انكشفها تنظيمًا ملائماً للحق والكرامة. فقد كان وزير الحقانية يؤيد القضاة كل التأييد، يعلن ذلك في مجلس النواب ويؤكد ذلك في مجلس الوزراء، يكتب في ذلك إلى رئيس محكمة الاستئناف بما هي إلا أن يرد عليه الرئيس رده القاسي المعروف حتى ينكشف عنه زملاءه، ثم ينكشف هو عن القضاة، وإذا الناس يشعرون أنه هم بالاستقالة، وإذا رئيس الوزراء يكذب هذه الإشاعة، وإذا هو يهين رده على رئيس الاستئناف، ثم ينتظر بهذا الرد أيامًا، ثم يقال أن هذا الرد محض تمحيصاً، ونفع تبنيه، وإذا قضية المعاشات تؤجل أشهرًا طولاً وتنقل إلى دائرة أخرى، ثم يرسل رده بعد الأناة والانتظار، ثم تقدم الوزارة إلى مجلس الشيوخ، فيعلن، رئيس الوزراء الوزير، أن المسألة ستحل بالتفاوضات أى كما رأت الجمعية العمومية لمحكمة الاستئناف المختلطة...الخ”^(١).

ويخلص من استعراض هذه الشواهد وفق “نظام الأسباب”， بالنسبة للميدان الأول من ميادين الصراع بين القومية المصرية والسلط الأجنبي، إلى نتيجة طبيعية لسلسل الشواهد التي ساقها المقال، يقول :

“لم تظفر القومية المصرية إذن بشيء في هذا الميدان، لأن القضاة قصرروا، ولا لأن الأمة قصرت، ولا لأن الصحف قصرت، بل لأن الوزارة آثرت أن تتراجع، وأن تختار أيسراً للأمررين، واقلهما كلفة وابعدهما عن الجهد والعناء، وأضمنهما للراحة والسلام وطول البقاء”^(٢).

(١) كوكب الشرق في ٢٠ إبريل ١٩٣٤.

(٢) كوكب الشرق في ٢٠ إبريل ١٩٣٤.

ثم ينتقل من هذه الخلاصة، إلى القسم الثاني من "المشكلة"، مرتقاً بمقاله تدريجياً إلى معرفة أكثر الموضوعات تركيباً، من خلال نظام الأسباب الذي يصل بين أجزاء المقال: "وأما في الميدان الثاني فمن حق القومية المصرية أيضاً أن تنتهي إلى ما تريده من غير حوار ولا جدال ومن غير أخذ ولا رد، وأكبر الظن أنها تنتهي إلى ما تريده، لأن الوزارة ستثبت في الذود عنها أكثر مما ثبت في الميدان الأول، بل لأنها ليست في حاجة إلى أن تؤيدتها الوزارة، وإنما هي في حاجة إلى أن يؤيدتها القضاة المصريين، ولم يعرف أحد عن القضاة المصريين إلى الآن أنهم بخلوا على قوميتهم بالنصر والتأييد مهما تكن الظروف. ذلك أن القوانين صريحة في أن لغة القومية المصرية احدى اللغات الرسمية للمحاكم المختلطة، وقد أراد أحد المستشارين المصريين الأستاذ عبد السلام ذهنى بك أن ينفذ نص القانون، فكتب أحكاماً باللغة العربية، وليس هناك قوة تستطيع أن تحول الأستاذ المستشار وزملاه عن رأيهم إلا أن تكون هناك قوة تستطيع أن تلغى القانون أو أن تغيره، أو أن تحمل القضاة على ألا ينفذوه حملأ".

"إذن فالقومية المصرية ظافرة من غير شك في هذا الميدان إلا أن تتكشف الأيام والحوادث عن بعض ما تتكشف عنه في هذه الظروف البدعة من الأعاجيب... الخ".

وينتهي من تسلسل هذه الشواهد إلى سوق رأيه في هذه المسألة:

"على أننا نعتقد أن الصراع بين اللغة العربية واللغات الأجنبية في المحاكم المختلطة لا ينبغي أن تنتهي عند الحد، بل ينبغي أن يتسع ميدانه، ويخيل إلينا أن المستشارين ليسوا إلا قادة في هذا الصراع، ولابد من أن يتبعهم غيرهم، فيجب أن تكون اللغة العربية أداة عملية لا لكتابة الأحكام فحسب، بل للم ráفعتات أيضاً يجب أن يخاصم المحامون المصريون والشريقيون باللغة العربية. ويجب أن تخاصم النيابة باللغة العربية أيضاً. ثم لا ينبغي أن يكون هذا مقصوراً على محكمة الاستئناف، بل يتجاوزها إلى المحاكم الابتدائية. فيجب أن تكتب أحكام وأن تكون مرافعات باللغة العربية فيها. ومادام القانون الذي لا سبيل إلى الخروج عليه يقر اللغة العربية على ما يراد لها من الحق، فنحن واثقون بأن رجال القضاء، والنيابة، والمحاماة من المصريين والشريقيين لن يبخلا على لغتهم بهذا الحق ولن يقتصرؤا في الذود عنه حتى تفرض هذه اللغة على المحاكم المختلطة فرضاً".

هذا، وقد يستهل المقال بعنصر "الشواهد" المشتقة من الواقع، والمعتمدة على الأخبار والماجريات، والتقارير الإخبارية، وفي هذا النمط من أنماط التحرير للمقال الافتتاحي في الصحافة العربية الحديثة، إلى أن يصبح "أخبارياً في جوهره، بمعنى أن ما فيه من رأى ومن توجيهه ومن ترفيه يعتمد على الأخبار وتفسيرها واستغلالها في تأييد رأى سياسي أو آخر على أن هذا النمط الإخباري في تحرير المقال الصحفى، يرتبط ارتباطاً وثيقاً كذلك بقواعد المنهج الديكارتى، الذى يعتمد على تقسيم المشكلة ما وسعه التقسيم طلباً للوضوح، ولذلك يضع المبادئ البسيطة الواضحة، التى يشتقها من التقارير الإخبارية، ويتدرج منها إلى النتائج.

فن العمود الصحفى.

ويجئ فن العمود الصحفى في مكانه من الجانب المقالى الذى احتل حيزاً كبيراً من الصحافة لما يمتاز به من وصف واقعى ورجوع إلى مصادر الأنباء، وأسلوب صحفى اجتماعى بسيط، فضلاً عن تنوع أساليب التحرير في المقال.

وعلى الرغم من تنوع أن لفن العمود الصحفى في الجريدة اليوم منزلة الباب الصحفى الثابت في العالم، وعلى الرغم من أن عدد قرائه يزيد كثيراً على عدد قراء الافتتاحية غير الموقعة، فإن تكامل العمود وشعبنته حديثاً عهد نسبياً. ذلك أن الصحف اهتمت في حياتها بالخبر ثم بالمقال، بينما لم يتسع المجال للعمود الصحفى فلم يظهر إلا متلهاً، وإذا جاز أن يختار تاريخ لظهور أهمية العمود الصحفى في الصحف، فإن من المرجح أن يكون ذلك التاريخ منحصراً في أوائل القرن العشرين. فالصحف العربية والمصرية خاصة، كانت تعتمد على المقال الافتتاحى، الذى كان طويلاً في البداية، ثم أخذ يقصر شيئاً فشيئاً، كما كانت موضوعات هذا المقال تدور حول موضوعات جادة في أغلب الأحيان، وإن كانت تتناول أحياناً بعض الموضوعات الطريفة، غير أن الصحف المصرية قد أخذت عن الصحافة الغربية فن العمود الصحفى، الذى يتوجه في أوائل العشرينات إلى العمود المتخصص، أو الثقافى في "حديث الأربعاء".

ومن ذلك يبين أن ظهور العمود الصحفى في الأدب العربى الحديث، يعكس حاجة التجاوب بين الصحافة وطبقات الشعب المصرى بعد ثورة 1919، والقى دفعت الكتاب إلى أنحاء من التصوير والتعبير يطمحون إلى أن تكون "مرأة صافية صقيلة لحياة الشعب، يرى فيها الشعب نفسه فيحب منها ما يحب ويبغض منها ما يبغض، ويدفعه حبه إلى التماس الكمال، ويدفعه بغضه إلى التماس الإصلاح".

والعمود المقالى إذن، شرة من ثمار الروابط الثقافية والاجتماعية، التى ظهرت بظهور الترابط الاجتماعى متعدد الوجوه، وتجابو الصحفة مع الطبقات الجديدة فى المجتمعات المختلفة، وهو كما يقول طه حسين يحقق الصلة بين "الشعب وحياته الواقعة العامة، وهذه الحياة الواقعية" شعبية أو ترى أن تكون شعبية لا يستائز بها فريق من الناس دون فريق.

وفي ضوء هذه الرؤيا، تتعدد أذواق قراء الصحف ومشاربهم ومستوياتهم، طبقاً اجتماعياً، واقتصادياً وثقافياً، وفي مواجهة هذه الحياة الواقعية الجديدة ليس للصحفة بد من أن تتطور وتغير من أسلوب تحريرها و اختيار موضوعاتها، فاتجهت المقالات إلى الاهتمام بمصالح الأفراد والجماعات المتعددة المذاهب والاتجاهات والأهداف.. ونشأ عن هذا الاتجاه: المقال الافتتاحى القصير ثم فن العمود الصحفى تفاعلاً مع الصحفة الحديثة.

ولكن هذا الفن يرتبط بما اتصف به النصف الأول من هذا القرن في نهايته من عامل السرعة من جهة، وبالضغط الذى تعرضت لها الصحفة المصرية، كما يبين من التشريعات الخاصة بالنشر من جهة أخرى، بحيث أصبح المقال الموقع في الصحف اليومية في مواجهة ضغوط لا تتبع كلها من داخل صناعة الصحف وإنما تتبّع من عمال الرقابة الإدارية على الصحف كذلك. ولعل في هذا ما يفسر اتجاه فن العمود إلى التوسل بالرمز، لمواجهة المصادر التى فرضت على الصحف والكتب، وهذا نجد طه حسين - مثلاً - يكتب "جنة الشوك" ويشرها على شكل عمود فى "الأهرام" فى الأربعينيات قبل جمعها فى كتاب ينشر لأول مرة عام ١٩٤٥. وظل هذا العنوان اسماً لعموده الصحفى "الجمهورية" فى الستينيات.

ومقال العمود حديث شخصى يومى أو أسبوعى لكاتب معين يوقعه باسمه وتحت عنوان ثابت مثل "فكرة" لمصطفى أمين بالأخبار والتى كان يكتبها من قبل المرحوم على أمين، و"مواقف" لأنيس منصور بالأهرام و"جريدة نصيحة" لصلاح منتصر بالأهرام و"من قريب" لسلامة أحمد سلامة بالأهرام، و"صندوق الدنيا" لأحمد بهجت فى الأهرام؛ ونصف عمود لأحمد رجب فى أخبار اليوم و"الموقف السياسى" لإبراهيم سعدة فى أخبار اليوم.

والعمودي الصحفي يمثل فكرة أو رأياً أو خاطراً للكاتب، حول واقعة أو ظاهرة اجتماعية، أو سياسية أو ثقافية. ذلك أن الغاية الأساسية من هذا الفن المقالى هي ربط القارئ بالكاتب وبالصحيفة. ويعتبر العمود رأياً شخصياً للكاتب قد يختلف مع سياسة الصحيفة في موضوع معين، غير أن بعض علماء الصحافة مثل "لبلنج" يذهبون إلى أن كاتب العمود لا يختلف عن كاتب المقال الافتتاحي، لأنه يعرض وجهة نظر الصحيفة لا وجهة نظره هو، على أن معظم الصحف الكبرى في العالم تؤثر أن يكتب الكاتب بحرية كافية معياراً عن رأيه الشخصي.

فالقارئ لعمود أنيس منصور: "مواقف" يتمثل قول ابن العميد في الجاحظ؛ وكأنه يقصد بذلك صاحب "المواقف" حين "يعلم العقل أولاً والأدب والسياسة بعد ذلك". وهو بذلك يوظف المقالة الأدبية، لافتراضيات العمود الصحفي على النحو الذي يجعلنا ندرك ما يعنيه أستاذنا د. زكي نجيب محمود؛ حين قال إن المقالة الأدبية يجب أن تصدر عن قلق يحسه الأديب مما يحيط به من صور الحياة وأوضاع المجتمع. على شرط أن يحيي السخط في نغمة هادئة خفيفة، هي أقرب إلى الأنين الخافت منها إلى العويل الصارخ، وهي سخط مصطبغ بفكاهة لطيفة؛ وليس سخطاً مما يدفع الساخط إلى تحطيم الأثاث وتمزيق الثياب.. كما يشترط في المقالة أن تكون على غير نسق من المنطق، أن تكون أقرب إلى قطعة مشتقة من الأحراش الوحشية منها إلى الحديقة المنظمة، فلا نقط فيها ولا تبوب ولا تنظيم".^(١)

وهذا التعرّيف للمقالة الأدبية؛ يفيينا بصفة خاصة حين ننظر في المقال العمودي أو العمودي الصحفي - الذي يزداد شيوعاً كلما شاعت الصحافة. ولكن هذا التعريف - كما يقول العقاد - لا يحصر جميع المقالات الأدبية، ولا يصدق جميع الفصول التي تكتب في خبر المقالة المستقلة. فالكلمات التي تطلق على المقالة في اللغات الأوروبية توشك أن تفيد كلها معنى المحاولة والمعالجة فكلمة *Essay* وكلمة *Sketch* وكلمة *Treatise* بل كلمة *Study* وهي تترجم أحياناً بمعنى الدراسة لا يعدو أن يكون القصد منها في بداية وضعها أن تفيد معنى المحاولة التي يعوزها الصقل والإنجاز وكلها مستمدّة من أساليب معامل النحت والتصوين، يريدون بها الرسم الذي

(١) د. زكي نجيب محمود: جنة العبيط، دار الشروق ص ١١-٨.

يختلط الصورة قبل تلوينها، أو النموذج الذي ينصب التمثال على مثاله، وينقلونها إلى الموضوعات الأدبية على سبيل الاعتذار لا على الاشتراط، كأنهم يتذمرون نقد الناقد بهذه التسمية، فلا يحاسبهم على كتابتهم بحساب العمل المتم الذي استوفى نصيبه من الإتقان. وكلمة Article وهي أبعد قليلاً من الغرض تفيد معنى الفاصلة أو الجزء، ويرقابها عندنا (الفصل) الذي يستقل بموضوعه، ولا يشترط فيه أن يكون فصلاً في كتاب مطول تتممه فصول.

ويخلص العقاد إلى أن هذه المعانى لا تستوعب أغراض المقالات كلها في الكتابة الأوروبية أو في الكتابة العربية، فمقالات "باكون" و"ماكولى" و"أرنولد" و"سان بيف" ليست كلها من هذا القبيل، بل مقالات "ليام هارليت" نفسه على إسهامه في أدب المقالة كما يعرفها د. ركي نجيب لا تجرى كلها على هذا النسق، وفيها ما هو أشبه بالبحوث والرسائل في حيز صغير وأن البحث لا يشترط أن يكون كتاباً ضخماً أو كتاباً صغيراً في عدد من الصفحات، فإذا جاز أن يتم البحث في حيز مقالة فليس ما يمنع انتظامه في عدد المقالات^(١). وفي موضع آخر يذهب العقاد إلى أنه ليس "من اللازم أن تتوافى المقالات جمِيعاً على السنة الشائعة في عرف النقاد والقراء، ففي غير النمط الشائع مجال للخصوصيات المنفردة على حسب القراءح والطبائع والموضوعات"^(٢).

والكتاب العموديون في الصحافة العربية المعاصرة يمثلون ما وصلت إليه المدرسة الحديثة من ترسل صحفى يتسم بالبساطة والوضوح وحرية التعبير القائم على التعقل الصحيح. ونجد منهم من يأخذ نفسه بموضع سياسى معين لا يحاول الخروج عنه، بحيث تقترب مقالاته العمودية فن "أديسون" الذى جمع بين الفلسفه العقلية وإجارة الأسلوب الصحفى، فى حين تقترب البعض الآخر مثل أنيس منصور من فن "مونتانى" الذى يجعل العمود الصحفى قريباً من القصيدة الغنائية؛ وفي عمود "سلامة أحمد سلامة" من قريب؛ و"إبراهيم سعدة": "آخر عمود" و"صلاح منتصر": " مجرد رأى" نزوع إلى التحليل؛ والاعتماد على تذوق الحوادث اليومية، والشواهد العملية؛

(١) عباس محمود العقاد: "أدب المقالة" في مجلة الرسالة ع ٧٨٧ بتاريخ ٢ أغسطس ١٩٤٨.
عطاء كفافي: المقالة الأدبية ووظيفتها في العصر الحديث، القاهرة ١٩٨٥، ص ١١.

(٢) العقاد: فرانسيس باكون ص ٢٥٢، عصر العقاد ص ٢٥٠.

ويتجه أحمد رجب؛ ومحمد السعدنى وأحمد بهجت نحو توظيف المقال الكاريكاتيرى الأدبي لأغراض فن العمود الصحفى؛ حيث يفترض الكاتب الساخر دائمًا وجود "الآخر" الذى يسخر منه؛ أو يشترك معه فى السخرية، أو يتبادل معه الذكارة؛ ولكنه يوظف هذه السخرية لأداء وظائف الصحافة فى اتخاذ السخرية سيفاً مسلطًا تسلطه على رقاب الخارجين على المعايير العامة.

و"روح الفكاهة" هي السمة الرئيسية لأعمدة هؤلاء الكتاب، الذين يوظفون العمود الصحفى للسخرية اللاذعة والضحك الموجع من الخارجين على قوانين المجتمع؛ والكاتب الساخر وهو بفعل ذلك يصدر عن الشخصية المصرية فى اتخاذها لسخرية وسيلة للنقد والإصلاح بالنسبة إلى المجتمع المصرى ذاته؛ ذلك أن الضحك – كما يقول برجسون – وسيلة فعالة لتصحيح أو تعديل تلك الآليات الضارة التى تنطوى عليها حياتنا الاجتماعية العادلة بإظهارنا على ما فيها من سخف وعبث وتفاهة.

ولذلك نرى أن مقالة العمود الصحفى؛ أقرب فى كتابتها إلى ما يسميه العقاد بنمط "المناجاة والأسمار" - وأحاديث الطريق بين الكاتب وقارئه، وأن يكون فيها لون من الإفشاء بالتجارب الخاصة والأذواق الشخصية^(١).

على النحو الذى يقترب بفن العمود من فن الشعر أو القصيدة الغنائية؛ ومن ذلك فى عمود "شوارد" الذى يكتبه المؤلف فى ملحق الجمعة بجريدة الأهرام بتوقيع مستعار "سندباد":

(١) العقاد: فرنسيس باكون، المجلد ١٩ من المجموعة الكاملة لمؤلفات العقاد، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨١، ص ٣٥٠، فن المقال الصحفى فى أدب العقاد، هيئة الكتاب.

شوارد

الغريب (١).

١ - في هذه المدينة
نموت في الصباح والمساء
مرقين
وريما نضيع
نصير تائهين
وفي المساء عندما نعود
بالهموم مثقلين
نريد أن تضمننا البيوت
بحسرة نموت
لأننا سحاب
رغم أنفه يسير
لأنه في مثلنا طريد

* * *

نسجت من قصائدى
البيوت
تعيش في القلوب تزرع
السلام
وتزرع الحنين
لكنها لا تمنح الجياع
كِسرة الطعام
لأننا نحب

(١) جريدة الأهرام - ملحق الجمعة عمود شوارد - ١١/٧/١٩٩٧.

نوت مرتين
فصدر هذه المدينة
يضيق قلبه
بالوافد الغريب.
يعيش في أسوارها كما
الغريق
وفي المساء تلتقي وتشرب
الدخان
في "قهوة" صغيرة
من غير ما جدران
نطل للصبح شاريين
لأن قلب هذه المدينة
يضيق بالغريب حتى لو
أحيل اثنين..
يضيق بالغريب يلفظ
الغريب.
لكن بسمتي ضياء
يبدد الظلم في المدينة
إذ تضج بالصرخ والعويل
والكلام
٢ - بعيداً.. بعيداً
وعبر خطوط الحال
وعبر حوار الخيال
سألك يوماً
وأمنح روحي الظلم

وأنسي دروب الضلال
وأنزع يوماً بنفسي
أمانى الرجال
برغم ظلام الخريف
لنزق نفسي بحزن أسيف
سيمضي سبزيف
وروحى تعانق روح
الخميلة
ترىنى اللحون الجميلة
ويندو الليالي وعطر
الطفوله
تغنى أغاريد شعبي
ونقرأ مثلى
بكف الزمان أمانى الرجال
ويولد مثلى
ويحمل عمراً كأعلى الجبال
ويقهر سوط المحال
ولن أذرف الدموع يوماً
لأنى بدأت وحيث انتهيت
ولكن سأحلم أحلم
أنى أعانق سر المحال

"سندباد"

حلم إيزيس (١)

في الأرض والسماء

وحيثما تصطخب الأمواء في الضياء

تجئ في ثيابها

الوضاء

وتعلن الأنبياء

فتتسخ الدموع من

عيون حبها المقهور

يعانق الأمواء شوقها

المهجر

وترتعد الغابات

ترزد البحور

لأجل حزنك الكبير

يا إيزيس

لأجل حبك المقرر

تدوب كل قطرة في

وجهك المسحور

وفي معلم السطور

يجئك العصفور

محملًا بأسعد الأنبياء

توحد الشملان

تحتفل المياه من جديد

بعيدها الذي يشع من

بعيد

تعانق الصفاء في

السماء

تعانق الإسلام

حلمك الوحيد

يا إيزيس

عيون إيزيس

عيون إيزيس التى
تعوم فى بحر
بلا أعراف

تجوب فى أمواهها
مرأة كل القادمين
من قبل أن يلزموها
سفائن الشمس
مسافرين للنهار
لا وجه للسكون

لا صفاف
والذكريات حولهم تطلّ

من بعيد
كأنها المداف

عيون إيزيس أيا عيون
إيزيس

عيون إيزيس وطن
عيون إيزيس زمن
وفى سفائن الشمس
تحيط بي أمواجها
وأركب الضياء
وفى عيونها الظليلة
السوداء

أرى بها عاشقة النهار
 حين تغزل الثياب
 للعاشق العظيم

"سندباد"
عبد العزيز شرف

وإذا كان د. نجم يذهب إلى أن المقالة الأدبية "قطعة نثرية محدودة في الطول والموضوع، تكتب بطريقة عفوية سريعة خالية من الكلفة والرهق. وشرطها الأول أن تكون تعبيراً صادقاً عن شخصية الكاتب"^(١). فإننا نرى في هذا التعريف ما يصدق على فن "العمود" الصحفى؛ الذى اكتسب من خصائص المقالة الأدبية : "الإيجاز فى كتابتها، وتجنب الإطالة، والبعد عن التوغل فى البحث عن الطواهير وعرض التفصيات وإيراد الاستقراءات الدقيقة لجزئيات الموضوع وترتيبها للوصول بها إلى نتائجها كما هو الشأن فى تأليف الكتب وكتابه المباحث العلمية"^(٢). ولذلك يشعر قارئ العمود "الصحفى"، نحو المقالة وكتابها أنه تجاه حديث ممتع لحدث لبق يستهويه بحسن عرضه، فكتابته للمقالة من نوع التعبير الوجданى مما يعرض له من مشاهد الحياة ومواقف الأحياء. ويذهب د. كفافي إلى أن التعبير الوجданى فى المقالة الأدبية ليس مضاه حصر موضوع المقالة فى الكاتب نفسه، ولكن المراد أن ما يعرضه الكاتب فى المقالة إنما يعرضه من خلال رؤيته الخاصة وطابعه المميز عن سواه من الكتاب. ومن التجارب الفنية فى المقالة الأدبية، ما هو ذاتى محض، ومنها ما يتجاوز حدود الذاتية الخاصة بالكاتب إلى آفاق عامة: إنسانية أو اجتماعية أو دينية أو وطنية ينفع بها الكاتب انفعالاً صادقاً لا تزييف فيه ولا تقليد، كما ينفع بها الشاعر فى شعره والقاص فى قصصه^(٣). وكلما وجدت الكاتب أدنى إلى أن يحدثك عن تاريخ نفسه فيما يكتب - كما يقول د. زكي نجيب محمود - ابن رأته "يرسل الخواطر إرسالاً هيناً فيستشف منها ما وراءها من حالته النفسية فاعلم أنه قد أجاد، أما إن وجدته يعالج موضوعاً لا يتصل بمكnon نفسه، ويعنى بتنظيمه وثبوته كمٍ ينظم البحث العلمي فاعلم أنه عن الجودة بعيد".

ويحمل د. كفافي عناصر المقالة الأدبية الرئيسية فى : صدق إحساس الكاتب؛ والأصالة بمعنى التعبير عن التراث، ووجهة نظر خلقة بالتأكيد وجمال التعبير، ثم قوة الإثارة أو الإمتاع. وهى العناصر التى تكسب المقال "العمودى" أدبية؛ بين فنون المقال الصحفى.

(١) د. محمد يوسف نجم : فن المقالة، بيروت، ١٩٥٧، ص ٩٥.

(٢) د. عطاء كفافي : السابق ص ١٢-١٤.

(٣) نفسه، ص ١٤.

شوارد

في ذكرى الحكيم

قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ: في مثل هذه الأيام رحل عن عالمنا "حكيم الأدب العربي" ومع توفيق الحكيم تتجدد الذكريات، والذكريات ذات شجون!

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى: حسبي يا بني أن تفخر بأنك عشت "عصر الحكيم" .. كما يفخر تلاميذ "سقراط" بأنهم عاشوا "عصر سقراط"! وكلاهما عانى من "أساليب الحرب النفسية" صناع الشائعات! ولتقراً قول الحكيم عن "شخص الفنان" فنجد فيه تعبيراً كاملاً يؤكّد ما أقول: "اذكر أني في مستهل العمر تمنيت لو أنّ كان الأولى بي أن أكون على الأقل فناناً - ولكن الحياة جرفتني في نهرها الضيق!..

قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ: كم من الفنانين استطاع أن يحتفظ بقيمه العليا رغم حصار شياطين الحرب النفسية!

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى: في حديث الحكيم ما يغتنيك، حيث يقول: "قرأت يوماً لأحد الأدباء الغابرين هذه العبارة : حينما لو قرأ الناس مؤلفاتي كما لو كانت وجدت داخل زجاجة مختومة ملقة بين أمواج اليم.. هذا أديب يتمنى أن يلقى إلى الناس بإنتاجه، ولا يلقى إليهم بشخصه!..

ويوضح لنا الحكيم أن هذه كانت خطته دائماً في مطالعة آثار الفن! وكان يتجاوز مقدمات الكتب بالتحطّي إلى العمل ذاته، ويقول: "أني لا أعرف شيئاً كثيراً عن حياة شكسبير ولم أعن بالنظر في حياة الفردوسى أو الجاحظ.. ولم أحاول أن أقرأ حياة جوته أو مولينير.. كل هؤلاء تغذيت بكثير من إنتاجهم - قبل أن أعرف من هم - بل لقد منعت نفسي منعاً صارماً عن قراءة حياة "فاجنر" بقلمه، وهي في ثلاثة أجزاء ملأى بالطريف الغريب، ولم تهزمني حياة بتهوفن ولا حياة موزار.. ولكنني حفظت الكثير من موسيقاهم عن ظهر قلب! إنني أريد أن أكتشف الكنوز بذاتي، ولا أريد غوصاً معى يخنق أنفاسي، أو دليلاً يقودنى حسب هواه!

قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ : ولكن كيف يستطيع الناس أن يقدروا الأثر الفنى دون أن يعرفوا صانعه حياة وفكرة وسلوكاً واتجاهها وبيئة؟!

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى: فاقرأ إذن قول الحكيم: "لوعلمت كيف يكتب التاريخ لأنقيت في هذا البحر بكل كتب الترجم ثق أنه ليس أصدق من "الأثر الفنى"

وحده.. هو صورة الفنان التي لا تشوهد.. هو روحه المنطلق من جوف ردائه الديني.. هذا الرداء الذي لا يستطيع الناس أن يتقولوا في تفصيله.. بما شاء لهم تحمسههم أو إغراقهم.. العمل الفني.. هو وحده الذي يحلق فوق الأجيال حراً سليماً، بعيداً عن أيدي العابثين.. هنا حرية الفنان التي ليس لها حرية سواها..". رحم الله الحكيم، فقد بقيت آثاره علماً على نهضة الأدب العربي الحديث.. وفي ذكره يتجدد الدرس الذي علمنا إياه :: عش لا إنساناً صحيحاً، ل تستطيع بعد ذلك أن تفك للناس تفكيراً صحيحاً.

"سدياد"

عبد العزيز شرف

ومن أجل ذلك يذهب العلماء إلى أن خصائص العمود من حيث التعبير تشمل : جمال الأسلوب وروح الفكاهة والذاتية التي تميزه عن المقال الافتتاحي؛ واتخاذه شكل الهرم المعتمد في الصياغة والإيجاز في العبارة، وربما كان أهم من ذلك كله أن كتاب العمود الصحفي ينبغي لهم ألا يضيّعوا من وقتهم ومن وقت القراء - على حد تعبير ريفرز - في تقديم قضية من القضايا بطريقة القصة الخبرية، ثم يلصقون في نهايتها فقرة قصيرة من المدح، أو القدح.

ثالثاً: فن اليوميات الصحفية:

يقترب فن اليوميات الصحفية من روح العمود الصحفي من حيث التعبير عن خوالج النفس وروح الذهب الذي يعتنقه الكاتب، ونظرته إلى الحياة، حيث يسجل في هذا الفن المقالى خواطره المتناثرة التي تؤثر في القارئ، وهي خواطر تتصل بصلات من العاطفة أو الخيال، ذلك أن فن اليوميات يتضمن خاطراً يلحق خاطراً ويتبعه - لأن بينهما علاقة منطقية كالتى تأتى بالنتيجة وراء سببها بل لأن هذين الخاطرين مرتبطان في خيال الكاتب أو يتصلان بعاطفته، كما يذهب إلى ذلك "تشارلتن".

فكاتب اليوميات الصحفية يكتب "وكأنه يتحدث في سر حديثاً مطلقاً من كل قيد، فيبدع الخواطير يسوق بعضها بعضاً بما بينها من روابط تستدعى تتبعها وتدعىها دون أن يعمل في ذلك عقله ومنطقه لينظم الترتيب والسياق.. هكذا بدأ مونتاني أدب المقالة على وجهه الصحيح".

ويذهب بعض علماء الصحافة إلى أن المحرر الصحفي ينبغي أن يترك آراءه الخاصة عند باب غرفة التحرير، ويخلعها دائماً كما يخلع معطفه عند هذا الباب حتى

إذا ما انتهى عمله، وعاد إلى معطفه عادت إليه آراؤه الخاصة التي يمكنه أن يحتفظ بها لنفسه، غير أن هذا الرأى لا يمكن أن ينطبق على كاتب اليوميات بصفة مطلقة، وذلك . كما يقول الدكتور إمام . لأن اليوميات أشبه بالمقال الأدبي من بحث العناية باختيار الألفاظ والاحتفاظ بطلاوة الأسلوب، بل لعلها أقرب إلى مقالات الاعترافات بصفة خاصة، فهى تقدم صوراً نابضة بالحياة، راحرة بالمعانى، وهى تتطلب سيطرة تامة على اللغة والتعبير بالأسلوب السهل المتنع، ولاشك أن طواعية اللغة لا تتيسر إلا للعارفين بها، والقادرين عليها. على نحو ما نجد فى "اليوميات الأخبار" التى كان يكتبها العقاد رحمة الله؛ والتى لا يزال يكتبها نخبة من الكتاب من أمثال: محمد مصطفى غنيم، وسنان فتح الله، وإسماعيل النقib، وجمال الغيطانى وعبد الرحمن الأبنودى؛ ووجهه أبو ذكري، وكما نجد فى "مفكرة" الأهرام التى كان يكتبها حشد من الأدباء والمفكرين من أمثال: عبد الرحمن الشرقاوى - ثروت أباظة - زكي نجيب محمود ود. يوسف عز الدين عيسى. وسعد الدين وهبى.

وفي مقالات "اليوميات" بالأخبار، "المفكرة" بالأهرام، يبين لنا أن فن اليوميات الصحفية إنما يتلخص فى أنه يتناول الفكرة والأداء فى وصل جماهير الناس بالحضارة ومعطيات العصر: آرائه وأفكاره وأدواته وآلاته وتشوّقه وتطلعاته، عن طريق تطوير اللغة لمعطيات الحضارة.

بناء المقال:

وإذا كنا نتفق على أن التحرير بكافة أنواعه يقوم على "التفكير" و"التعبير" معا؛ فإننا سوف ننظر إلى ما يشيع في تعريف المقالة منذ "جونصون" واعتبارها "ثروة عقلية لا ينبغي أن يكون لها ضابط من نظام"؛ نظرة مغایرة؛ ربما تتفق مع "جونصون" نفسه؛ إذا اعتبرنا ما يقوله ينبع من "النظام النسبي" إذا جاز التعبير؛ قياساً إلى الفنون الأدبية الأخرى للتمييز بينها؛ وإذا نظرنا إلى تعريف "جونصون" أيضاً؛ على أنه يريد للنظام في المقالة أن يتجاوز نفسه؛ حتى ليبدو في سياق غير منظم؛ لا يجرى على نسق معلوم؛ ذلك أن عنصر "التفكير" في التحرير المقالى؛ يخطط له التنسيق الملائم؛ النابع من الرؤيا الإبداعية للكاتب نفسه؛ ومن طريقة "تفكيره" المتميز بها؛ وهى الطريقة التي تؤكد أنه لا يكفى أن يكون هناك خاطر في المقالة، بل لابد من ملاحظة

النظام في كيفية إيضاحه؛ إذ لا جلاء بدون تنسيق أو كما يقول عمر الدسوقي – فلابد قبل الكتابة من "وضع رسم ولو رؤوس أقلام، فإنه إذا لم يوضع الرسم يرتكب الذكي ولا يعرف كيف يبتدئ وكذلك يدخل في تفاصيل مملة، ويضيّع المسألة المهمة، ويصير مظلماً كلما اجتهد في الإيضاح. ومن أين له أن قارئيه يصبرون إلى أن يعود ليهتدى سبيله؟. وفي الكتابة القصيرة لا يستغنى البتة عن هذا الرسم، ولكن العادة تجعله مصوراً في الذهن على الفور، وكيف كان ففي التنسيق ثلاثة أمور ضرورية : وحدة الموضوع، وتلامح الأجزاء، واستقلالها التدريجي".

فعنصر "التفكير" إذن – في التحرير المقالى يؤدى إلى البناء الداخلى في المقالة؛ وفقاً لنظام نابع من رؤيا الكاتب الإبداعية؛ ولذلك يرى النقاد أن كاتب المقالة ملزم بالتفكير فيما يريد أن يكتب قبل أن يتناول القلم؛ ثم يسير موضوعه سيراً منطقياً متجنباً الفضول، ومركزاً فكره في النقاط الرئيسية، على أن يكون لموضوعه وحدة تربط بين أجزائه، وأن يكون واضحاً في تعبيره، متنحياً ل كلماته، وأسلوبه طلاوة، وعليه جمال.. فضلاً عن تنسيق الأفكار^(١) الذي يعد شرطاً أساسياً من شروط الاتصال المؤثر.

ولذلك نذهب مع الأستاذ عمر الدسوقي إلى أن هذه الشروط ليست هي شروط الإنشاء المدرسي. وشتان بين هذا وبين المقالة الأدبية، فإن الفكرة التي يراد التعبير عنها سواء كانت في نفس طالب مبتدئ أو كاتب نابع محتاجة إلى الوضوح، وإلى التمهيد، ثم عرضها عرضاً جيداً منطقياً يفهمه القارئ بيسراً لا أن تكون مشعنة غامضة تسير على غير اتساق ونظام، فإن ذلك يعوق عملية الاتصال ولا يتفق مع جوهر البلاغة نفسها.

﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

(١) د. عطاء كفافي: السابق ص ١٢.

هذا الكتاب

يتناول هذا الكتاب الأساليب الفنية في التحرير الصحفى؛ ويقدم عرضاً جديداً للشكل والمضمون في الصحف والمجلات. تأسياً على أن هذا الفن إنما يقوم في جوهره على صوغ الأحداث والمعلومات والثقافة، والفلسفة والعلم لنكون في متناول جميع القراء، بطريقة واضحة سلسة مشوقة.

وهذا الكتاب الجديد للدكتور عبد العزيز شرف يتواصل مع كتب أخرى له في السبعينيات والثمانينيات وهي: فن التحرير الإعلامي، وفن المقال الصحفى، والتفسير الإعلامي لأدب المقالة. ثم فنون المقال بين الصحافة والأدب؛ في التسعينيات.

ويتناول هذا الكتاب أيضاً: تحرير الخبر، والمقال، والحديث، والتحقيق الصحفى، وقد أعد هذا الكتاب ليكون مساعداً لطلاب الإعلام والأدب في جامعاتنا المصرية والعربية ودليلاً لزملاء المهنة الصحفية في الوطن العربي.

فإلى هؤلاء الدارسين والزملاء نهدى هذا الكتاب.

أحمد غريب